



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



المسند صباح

وجنى الدوح المثمر

مختصر

صبح الاعشى في كتابة الانشا

كلاهما

تأليف مالك زمام الادب في عصره الشيخ الامام احمد بن علي
القلقشندى المصرى المتوفى سنة ٨٢١ هـ

عنى بطبعه وتصحيحه ومقابلته على اصله

محمود سلامة

صاحب ومدير جريدة الواعظ

حقوق الطبع من هذه النسخة محفوظة

الطبعة الاولى

بمطبعة الواعظ بشارع درب الجمالين بمصر

سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

893.7K125
W33

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يا منشى الكون ، بلا عون ، احمدك على كل حال ، واستعينك في جميع الافعال ،
وأسألك افضل الصلاه ، لخير الهداه ، محمد وصحبه ، وعترته وحزبه
اما بعد فأنتقرب الى أر باب الأدب بعمل لا أحقره فأهون بتحقيره ، ولا أكبره
فأصغر باكباره ، ولا أمن به فلا يقبل منى ، ولا أريد عليه أجرا ولا شكرا فيفوتنى
ما رجوت من ثوابه

ذلك انى رأيتهم إذ علموا أن دار الكتب الخديوية شرعت في طبع «صبح الاعشى
في كتابة الانشا» سرهم نشره بالطبع من طيه ، وتناولت آمالهم لاغتنامه ، ثم لما تبين
لهم انها قبضت يدها وأبت ان تبسطها في طبعه لا أكثر من ثلاثمائة نسخة ساء هم اسرافها
في البخل به ، ومنهموا آمالهم عن التشوف اليه يأسا من بلوغ الأمنية منه . وكنت اعلم
ان مؤلف هذا الكتاب استخلص من قشوره اللباب في مختصر جميل سماه «ضوء الصبح
المسفر وجنى الدوح المثمر» فنشدته ، حتى وجدته وأسفقت عليهم من ذلك اليأس فطبعته
وقلت : حسبهم من الصبح سناه ، ومن الروض جناه

ولست بقائل انى لقيت عرق القربه ، في تقريبي اليهم هذه الإربه ، فكل مشقة
في رضاهم تهون ، ولعلمهم راضون

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

قال السخاوى فى الجزء الاول من كتابه « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » :
 « هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال بن أبى اليمن القلقشندى
 ثم القاهرى الشافعى . ولد سنة ٧٥٦ واشتغل بالفقه وغيره وسمع على ابن الشيخة . وكان
 أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وغيرهما وكتب فى الانشاء وناب فى الحكم
 وشرح قطعا من « جامع المختصرات » بل شرع فى نظامه وعمل « صبح الاعشى فى قوانين
 الانشاء » فى أربع مجلدات جمع فأوعى وكان يستحضر أكثر ذلك مع جامع المختصرات
 والحاوى . وألف كتابا فى انساب العرب . وكان فيه تواضع ومروءة وخير . مات يوم السبت
 عشر جمادى الآخرة سنة ٨٢١ وله خمس وستون سنة . ذكره المقرئى فى عقود العيني
 وآخرون وسمى العيني والمقرئى والده عبد الله وهو وهم » (١)

وترجمه صاحب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب فقال :

« شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندى الشافعى نزيل القاهرة تفقه
 ومهر وتعمى الأدب وكتب فى الانشاء وناب فى الحكم . وكان يستحضر الحاوى
 وكتب شيئا على جامع المختصرات . وصنف كتابا حافلا سماه « صبح الاعشى فى معرفة
 الانشاء » وكان مستحضر الأكثر ذلك ، وصنف غير ذلك . وكان مفضالا وقورا فى الدولة
 الى أن توفى ليلة السبت عشر جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة »

نقول : والذي يستخلص من أقواله فى كتابيه « الصبح وضوئه » ان مسقط رأسه
 بلدة قلقشندة المعروفة الآن بقرقشندة احدى قرى مديرية القليوبية ؛ وان عرق نسبه

(١) اقول والمكتوب على بعض اجزاء صبح الاعشى المحفوظ بالمكتبة الحدوبية

انه : احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن سليمان بن اسماعيل

يمتد الى أصل من الأصول العربية التي دخلت مصر أيام الفتح الاسلامي وبعده، فهو من بنى بدر بن عدى بن فزارة إذ يقول : « و بنو بدرهم قبيلتنا التي اليها تعزى وفيها ننتسب . وأهل بلدتنا قلقشندة نصفهم من بنى بدر ونصفهم من بنى مازن بن فزارة » ؛ وأنه لحق بديوان الانشاء في حدود سنة ٧٩١ أى في عهد الدولة البرقوقية ؛ وأن له من المؤلفات في الفقه كتاب « الغيوث الموامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » ، وفي التاريخ « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ونهاية الارب في معرفة قبائل العرب » وهذا الاخير محفوظ بالمكتبة الخديوية. وفي هذا بيان لأن الرجل كان فوق علماء عصرنا هذا معرفة وفضلا إذ برع في العلوم الشرعية والتاريخية والأدبية وغيرها على حين ان العالم في زماننا ان عرف النحو جهل الصرف، وان ألم بالفقه عادى اللغة... وقد شرح سبب تأليفه « صبح الاعشى في كتابات الانشا » فذكر أنه لما لحق بديوان الانشاء أنشأ مقامة بناها على أنه لا بد للانسان من حرفة يتكسب بها ، وان أليق صناعة بأهل العلم الكتابة ، وان أفضل الكتابة كتابة الانشاء ، وانه جمع في تلك المقامة من أصول هذه الصناعة وقوانينها ما لم تتسع له بطون المؤلفات الطوال في هذا الباب ؛ ثم سئل ان يشرحها فكان شرحها « صبح الاعشى » وهو سبعة أجزاء ضخام خلافا لما قاله السخاوى كان في المكتبة الخديوية منها اربعة فقط، ثم استنسخت الثلاثة الأخر بالفوتوغراف من مكتبة اوكسفورد بانكلترة وأنفقت في هذا السبيل عن كرم يشكر عليه حضرة ناظرها الحالي ثم اختصره بنفسه للمقر الكمالى في كتاب سماه « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » ويظهر أنه وضعه في جزءين أحدهما هذا، والثاني لا أثر له في المكتبة الخديوية وقد اطلنا التنقيب عنه فلم نجده للآن ولا زلنا ننشده في مظانه، فأن وجدناه طبعناه بنصه وفصه، وان لم نجده فنحن في سبيل اختصار ما بقى من الكتاب على النهج الذى سلكه مؤلفه بعد ان تبيناه ، ومتى قار بنا الفراغ شرعنا في طبعه والموعد قريب ان شاء الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والاعانة

الحمد لله جاعل ضوء الصبح غرة نهاره ، وجرم الهلال مقدمة جيش البدر وطلية ابداره ، وزهر الروض تبيجة نضارته ومرتع عيون نظاره ، ودر البحر على صغر حجمه أنفاس نفائسه وأعز ذخائر ادخاره ، وجنى الدوح وان كان آخراً هو المقصود من انباط (١) مياهه وغرس أشجاره . أحمدته على ان جعل الأيجاز من أعلى رتب البلاغة ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتقاصر دونها المتناول ، ويتسامى الى اقتطاف ثمرتها المتناول ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله أفضل نبي أوتي جوامع الكلم فبذ (٢) العالمين اعجازاً ، واختصر له الكلام ففات المقاول اللسان اطناباً وانجازاً . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قربوا القصى فذنا ، وسهلوا الصعب فأراحوا من التعب والعناء . وبعد ، فلما كان (صبح الاعشى في كتابة الانشا) قد اتسع له مجال الاطناب في الكلام فجال ، وبسط لسانه في فنون الأدب فقال وطال ، وانفسح في الصناعة أمه فتنقل في جنباتها تنقل الهائم ، وأوسع في حومها المطار فخلق على مقاصدها تحليق الحائم ، واشتمل من كتابة الدول في كل زمن على ما ينقطع دونه المطامع ، وأحاط من مباني دساتير الصناعة ما لم تحط به دائرة دستور ولم تنطو عليه جامعة جامع ، وصرف اكابر الرؤساء وجه عنايتهم اليه فكان له بذلك شرف الكمال وكمال الشرف ، واهتموا بتحصيله فنفتت سوقه نفاق الطرف ، وعنوا باستكتاباه فصر فوا فيه ما لولا

(١) انبط الماء أخرجه من الارض (٢) في الاصل : « بذ » بالدال ومعناه :

فرق ، وليس المراد فهو بحر يرف صوابه « بذ » . تقول العرب « فلان بذ الفائلين »

اي سبقهم وغلبهم

القول بأنه لا سرف في الخير لقليل انه سرف، فضلاً من الله ونعمة، الا أنه قد ضاقت
 أوقات أصحاب المناصب العلية (١) على استيعابه بالنظر، وقصرت يد القاصر في المال عن
 استنساخه وغالب أيدي الناس الآن ذات قصر، وكان المقر الشريف العالي
 المولوى القاضى الكبيرى العالمى الفاضل الأمامى العلامى الاصيلى العريقى الكمالى سليل
 الرياسة جامع اشتات الفضائل نخبه الدهر عين أعيان الزمان أبى الفضل محمد بن المقر
 الاشرف العالمى المولوى القاضى الكبيرى النظامى المدبرى السفيرى اليمينى المشيرى
 الأصيلى العريقى الكفيلى الناصرى نظام الملك نجى السلطنة لسان المملكة ملك
 العلماء سلطان الأدباء بهجة الوجود حسنة الأيام ظهير الملوك والسلطين خالصة أمير
 المؤمنين أبى المعالى محمد قاضى القضاة ثم صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك
 الاسلامية زيدت عظمته، ابن الشيخ الامام قاضى القضاة علامة الدهر بحر العلوم محيط
 دائرة الفضل كمال الدين ابى المعالى محمد بن الشيخ الامام قاضى القضاة نادرة الزمان
 فرد الوجود واحد الدهر فخر الدين أبى عمرو عثمان بن الشيخ الامام قاضى القضاة
 امام المحدثين بقية الحفاظ كمال الدين ابى الفضائل محمد بن الشيخ الامام قاضى
 القضاة شمس الشريعة عمدة الحفاظ رحلة العالم بقية المجتهدين نجم الدين ابى محمد عبد
 الرحيم بن الشيخ الامام قاضى القضاة زين الامائل علم الاعلام والدة العلماء الاطاييب
 شمس الدين ابى الظاهر ابراهيم بن المسلم بن هبة الله الجوفى البارزى الحموى الشافعى
 بلغ الله تعالى محبيه فيه غاية الأمل، وأقر به عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل،
 قد تلافى المعالى والده، واتصف بعد عراقة النسب بالكمال فجمع طارف المجد وتالده،
 وورد من الفضائل مورد آباءه الكرام فكرع فيه لا أنه أرسل وارده

ورد الفضائل كبراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد

فدرج من عش المجد ووكر الكرم، وظهر بيته الكريم ظهور نار على علم، وطار مطار
 ابيه فى الرياسة ومن شابهه أبه فما ظلم

ثم المجد معقود الأواخي وثم المجد مضروب القباب

(١) هكذا بالاصل ولكن ضاق تعدى فى هذا المعنى بعبارة «على»

وأحكم معاهد البيان فسحب على سحبان ذيل الفخار ، وجرى في ميدان البلاغة جرى
الجواد فلم يشق له غبار ، وذكر بفضله ما كان من فضل سلفه في الزمن القديم ، وعرفته
مصر حق المعرفة فقالت هذا الفاضل من ذرية عبد الرحيم

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطبقه وينظم الدر بالاقلام في الكتب

هذا وقد صرفت بتصريف والده أمور الدولة الشريفة فحرت على السداد ، ونفذت
بتنفيذه أمورها فأربت والله الحمد على المراد ، وأتى من تدبير الملك بما أطلع نبوهه
الاول ، واستبقى لسلطانه من جميل الذكر ما تمسح لسماعه النفوس وتعطر بذكره المحافل
فجهلاً بالمكرمات وبالعلي وحيهلاً بالفضل والسودد المحض (١)

مع انه قد أعرب في العرب العاربة نسباً ، وأعرب عن الانتماء الى يعرب بن قحطان
فكرم جداً وأباً ، وساهم التبابعة (٢) في شرف المحتد فانسب في حير بن سبا ، وجاوز الى
قضاة فتاهت به على الزمن ، ونالت كمال الفخر فكانت غرة قبائل اليمن ، وصار
الى جهينة فكان واسطة عقدها الثمين ، وانتهى منها الى بيت علم قضى فضله انه
جهينة اخبار الشريفة وعند جهينة الخبر اليقين . كأنه شجر الاترج طاب معاً ثمراً
ونوراً وطاب العود والورق ، ثم قد حاز تراث آبائه من الفضل واحتوى على كرم
خلالها ، وتم مكارم أخلاقهم بمكارم أخلاقه فكان عين كمالها

تملك المجد حتى ما لفتخر في المجد ميم ولا جيم ولا دال

وكنت ممن عمته جدوى بيته الكريم بدا وعودا ، وغمره فضله الوافر علماً وجوداً ،
فاستمطر سحب مؤلفات سلفه هامع الافادة فوكفت ، واتتبع غيبتها الصيب فأغنت
عماسواها وكفت ، واستباح مابين فضله فسح ، واستوكف غمام كفه الهاطل فبطل وماشح
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى فلم استطع من أرضهم طيرانا

دعنى داعية المحبة الى ان اطفال على ما أدب فضله ، وألحق في القياس الجلى فرعه
الكريم في الانتماء الى باباه العالى بأصله

(١) جهلاً كامة يستحث بها وهي مركبة من كلمتين: حتى اسم فعل بمعنى أقبل وهلاً بمعنى أسرع وفيها
اناء: حيهلاً وحيهلاً وحيهلاً (٢) في الصحيح: التبابعة وقص شارح القاموس انه غاط صوابه التبابعة

كفى شرفاً انى مضاف اليهم وأنى بهم ادعى وأرعى وأعرف
وأن أخدم خزائنه العالية عمرها الله تعالى بطول بقائه ، وزاد فى علاها بمزيد
ارتقائه ، بتأليف اختصر فيه كتاب « صبح الاعشى » المقدم ذكره اختصاراً يأتى على
مقاصده ، ويتكفل بمصادر هذا الفن وموارده ، ويقضى قرب المأخذ فيه بأن تكون
كفته مع اطراح الاثقال هى الراجحة ، ويكون فى المعنى للطافة محله كالريحان خفيف
الحل طيب الرائحة . فاستخرت الله تعالى واخذت فى ذلك منتقياً درر بحره الزاخر ، وملتقطاً
من معادن أحاسنه نفيس جوهره الفاخر ، مقتصر أمنه على قواعد الكتابة التى لا يسع تركها ،
واصول الصناعة التى لا ينجر لدى الفوات نسكها ، آتياً من مذاهب الكتاب فى كل زمن
بما يتعرف منه مصطلح زمانهم ، مورداً من كلام الدول بكل قطر ما يعلم به طرائقهم
على تقادم عهدهم وبعد مكانهم ، متحفاً من فنون الصناعة بما يتعرف منه التعريف ،
ويثقف برشاقة مواردهم مصادره التثقيف ، ذاكراً من الممالك المكاتب عن مملكة
الديار المصرية ما يعرف به قدر كل مملكة منها مشيراً الى حدودها وقاعدة ملكها
وما يصدر اليها من المكاتبات وما يصدر عنها ليكون مع سهولة تناوله كامل المقصود
منطبقاً على مقاصد الكتابة انطباق الحد على المحدود وسميته « ضوء الصبح المسفر
وجنى الدوح المثمر » ورتبته على نحو من ترتيب أصله فى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة

❦ المقدمة ❦

فى مبادئ يجب تقديمها على الخوض فى كتابة الانشاء وفيها خمسة ابواب :

- ﴿ الباب الاول ﴾ - فى ذكر فضل الكتابة ومدح فضلاء الكتاب وذم حقاقم
وما ينخرط فى سلك ذلك
- ﴿ الباب الثانى ﴾ - فى ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحاً ، وبيان معنى الانشاء واطرافه
الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسيل ، وبيان معنى التوقيع ، وتفضيل كتابة
الانشاء على سائر انواع الكتابة وترجيح الثمر على الشعر
- ﴿ الباب الثالث ﴾ - فى صفات الكتاب الواجبة التى لا يسع تركها ، وصفاتهم العرفية ،

وأدب الكاتب من حسن السيرة وعشرة ملكه اورئيسه واكفائه ونظرانه واتباعه والرعية ومن يمت اليه بخدمة

﴿الباب الرابع﴾ - في التعريف بحقيقة ديوان الانشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بديوان الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك

﴿الباب الخامس﴾ - في بيان قوانين ديوان الانشاء وترتيب احواله ورتبة صاحب الديوان وصفته الواجبة فيه وآدابه وما يتصرف فيه بتدبيره وما يصرفه بقلمه وذكر أرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث

﴿ المقالة الاولى ﴾

فيا يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضرورته وفيها بابان :

﴿الباب الاول﴾ : - فيا يحتاج اليه من الفنون كاللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع وما يالحق بذلك من حفظ كتاب الله تعالى والاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية ومن خطب الباءء ومكاتبات الصدر الاول ورسائلهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم والنظر في رسائل أهل العصر ومكاتباتهم والتوغل في حفظ أشعار العرب والمحدثين وفهم معانيها والاطلاع على أمثال العرب والمحدثين وأيام العرب من حروب ومفاخرات ومعرفة الامور التاريخية وما ينضم الى ذلك من معرفة صنعة الكلام وكيفية انشائه ومعرفة الأزمنة من الليالي والأيام والشهور القمرية والشمسية والسنين المرتبة على ذلك وما ينخرط في هذا السلك

﴿الباب الثاني﴾ - فيا يحتاج اليه من صناعة الخط والمقصود من وضعه وذكر آلاته وأول من وضعه ، وتوابعه من النقط والشكل والهجاء والفرق بين الضاد والطاء

﴿ المقالة الثانية ﴾

فيا يحتاج اليه من معرفة أحوال الارض وجهاتها ورياحها وفيها ثلاثة أبواب :

﴿الباب الاول﴾ - في شكل الارض والبحر المحيط بها وجهاتها وأسماء الرياح التي يهب منها والاقاليم السبعة الحقيقية الممتدة بين المشرق والمغرب والبحار المنبثة في ارجائها

﴿الباب الثانى﴾ - فى مملكة الديار المصرية ومضافات من الممالك الشامية وما ينخرط فى سلكها من بلاد الثغور والعوامم المعروفة الآن ببلاد الارمن واطراف الجزيرة الفراتية مما يصاقب الاعمال الخلية وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها

﴿الباب الثالث﴾ - فى ترتيب مملكة الديار المصرية وحال سلطانها وامرائها ووظائفها وترتيب الممالك الشامية وحال نوابها وامرائها ووظائفها

﴿ المقالة الثالثة ﴾

فى أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرها وفيها خمسة أبواب :

﴿الباب الاول﴾ - فى الاسماء والكنى واللقاب والنعوت وما استقرت عليه الآن

﴿الباب الثانى﴾ - فى الفواتح كالسمة والبعديّة ونحوها والخواتم كأنشاء الله والتاريخ والمستند فى كتابة المكتوب والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة والواحق كتدريب الكتاب واستيعابه بالقراءة بعد الفراغ من كتابته

﴿الباب الثالث﴾ - فى بيان كتابة القصص وتعيين صاحب ديوان الانشاء القصص التى ترفع لطلب الكتب السلطانية والرقاع التى يكتبها كاتب السر بأمر خاصة من ولايات وغيرها والقوائم التى تحضر من ديوان الوزارة والخاص وغيرها فى معنى ذلك والمربعات الجيشية التى تحضر من ديوان الجيش بسبب كتابة مناشير والاقطاعات وما يجرى مجرى ذلك

﴿الباب الرابع﴾ - فى بيان المستندات التى يترتب عليها ما يكتب من ديوان الانشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وبيان وجوه ذلك

﴿الباب الخامس﴾ - فى مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض فى أول الدرج (١) وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتب

﴿ المقالة الرابعة ﴾

فى المكاتبات السلطانية والاخوانيات وفيها أربعة أبواب :

﴿الباب الاول﴾ - فى أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب تعرّفها وأصول

يعتمدها الكاتب في كتيبه في الابتداء والجواب

﴿ الباب الثاني ﴾ - في مصطلح الكتب السلطانيات الدائرة بين كتاب الاسلام في كل زمن من الصدر الاول وهلم جرا الى زماننا من كتب الخلفاء الى ولاية العهد بالخلافة ، وكتب الخلفاء وولاية العهد بالخلافة الى الملوك ومن في معناهم ، وكتب الملوك ومن في معناهم الى الخلفاء وولاية العهد بالخلافة ، وكتب الملوك الى ولاية العهد بالسلطنة ، وكتب الملوك الى النواب

﴿ الباب الثالث ﴾ - في المكاتبات الاخوانيات الدائرة بين الرؤساء من الكتب الصادرة من الرئيس الى مثله ومن الرئيس الى المرءوس ومن المرءوس الى الرئيس ابتداء وجوابا في القديم وما استقر عليه الحال الآن

﴿ الباب الرابع ﴾ - في مقاصد المكاتبات من التهانى والتعازى والبشارات والشفاعات وما يكتب مع الهدايا وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ابتداء وجوابا

﴿ المقالة الخامسة ﴾

في الولايات على اختلاف مراتبها وفيها ستة أبواب :

﴿ الباب الاول ﴾ : - في طبقات الولايات وما يقع به التفاوت في مراتبها

(الباب الثانى) - في البيعات التى تكتب للخلفاء ومعناها واصل مشروعيها وما استطرده اليه الحال من كتابتها لبعض الملوك وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها وبيان صورة ما يكتب فيها واختلاف مذاهب الكتاب في ذلك

(الباب الثالث) - في العهود وبيان معانيها وانواعها وما يكتب منها عن الخلفاء لولاية العهد بالخلافة وللملوك بالسلطنة وما يكتب منها عن الملوك لولاية العهد بالسلطنة وبالمملك الصغار

(الباب الرابع) - فيما كان يصدر عن الخلفاء في القديم من الولايات لأرباب المناصب واصحاب الوظائف الجليلة من ارباب السيوف والاقلام كالوزراء والنواب على الاقاليم والقضاة ونقابة الطالبين وولاية الصلاة ونحو ذلك مما يكتب به الآن عن الملوك

(الباب الخامس) - فيما يكتب به الآن عن الملوك لأرباب الوظائف من اصحاب

السيوف والاقلام من التقاليد والتفاويض والمراسيم الكبار والتواقيع والمراسيم الصغار
(الباب السادس) - فيما يكتب به الآن من الولايات عن نواب السلطنة بالملك
الشامية لارباب السيوف والاقلام مما يفسح لهم فيه في الكتابة عنهم

﴿ المقالة السادسة ﴾

في قضايا جرت العادة بكتابتها من ديوان الانشاء في امور مختلفة وفيها خمسة ابواب :

(الباب الاول) - في الوصايا الدينية وما كان يكتب عنها في الزمن القديم وما
يكتب منها الآن

(الباب الثاني) - في المسامحات والاطلاقات لارباب الجهات والمترزمات

(الباب الثالث) - في الطرخانيات التي تكتب بعدم المؤاخذة بالخدمة السلطانية من

ارباب السيوف والاقلام بسبب العجز بكبر ونحوه

(الباب الرابع) - في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية عند

تباعد جباية الخراج وسبب وضع ذلك واول من وضعه وكيفية كتابته في القديم والحديث

(الباب الخامس) - في كتابة التذاكر التي تكتب من ديوان الانشاء على أيدي

المتوجهين من ابواب الخلافة او السلطنة لقضاء المهات

﴿ المقالة السابعة ﴾

في الاقطاعات وتنوعها وكيفية ما يكتب فيها الآن وفيها بابان :

(الباب الاول) - في بيان معنى الاقطاع وانقسامه الى اقطاع تملك واقطاع استغلال

(الباب الثاني) - فيما كان يكتب فيها في الزمن القديم وما يكتب فيها الآن

﴿ المقالة الثامنة ﴾

في الأيمان التي يحلف بها للخلفاء والملوك وفيها بابان :

(الباب الاول) - فيما تنعقد به اليمين وبيان اليمين العموس وانفو اليمين والتحذير

من الخنث

(الباب الثاني) - في نسخ الأيمان التي يحلف بها المسلمون من اهل السنة وارباب
البدع على اختلاف نحلهم واهل الملل من اليهود والنصارى والمجوس وما يحلف به الحكماء

﴿ المقالة التاسعة ﴾

في عقد الصلح وما يجري مجراه وفيه ستة ابواب :

(الباب الاول) - في الامانات وأصلها من السنة وما كان يكتب في القديم وما
يكتب فيها الآن

(الباب الثاني) - في الدفن الذي يعتاده العرب والمسلمة بالجبانات وما يكتب
فيه عن الملوك على ما استقر عليه الحال

(الباب الثالث) - في عقد الذمة وأصل وضعه وما كان يكتب فيه في القديم وما
يكتب فيه الآن

(الباب الرابع) - في الهدن الواقعة بين ملوك الاسلام وملوك الكفر وبيان معنى
الهدنة وما يرادفها من الالفاظ واصل وضعها وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها
(الباب الخامس) - في عقود الصلح الواقعة بين ملوك الاسلام وما يعتمده الكاتب
في ذلك وصورة ما يكتب عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث

(الباب السادس) - في ذكر جملة من الاوصاف التي يحتاج لذكرها في المكاتبات
والولايات وغيرها كواصف الافلاك والكواكب والرياح والسحاب والرعد والبرق
والمطر والازمنة والمياض والبحار والانهار ولوازمها والامكنة من المدن والقلاع والحصون
والنيافي والقفار والمفاوز والمعنى بشأنه من الحيوان كالخيل والابل والبغال وجيل الوحش
وجوارح الصيد كالفهود والكلاب والصقور والبراة بأنواعها وجيل الطير وحمام
الرسائل وسائر أنواع الحمام ونفيس الجواهر والسلاح والآلات الملوكية وآلات الحصار
وآلات السفر وآلات المعاملات وآلات اللعب وآلات الطرب وما ينخرط في سلك ذلك

﴿ المقالة العاشرة ﴾

في فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافسون في عملها ليس لها تعلق
بكتابة ديوان الانشاء وفيها بابان :

(الباب الاول) - في الامور الجدية من المقامات والرسائل المختلفة المقاصد
وقدمات البندق والصدقات الملوكية وغيرها وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب
من الاجازات وما يكتب على الكتب من التقریضات وما يكتب عن قضاة القضاة
من التقاليد الحكيمة وسجلات العدالة وما يكتب في الحج والعمرة وغير ذلك
(الباب الثاني) - في الهزليات مما اعتنى الملوك ببعضه كعهد التطفل ونحوها

الخاتمة

في ذكر أمور تتعلق بديوان الانشاء لا تعلق لها بالكتابة وفيها أربعة أبواب :

(الباب الاول) - في الكلام على البريد ومنشئه وأول من وضعه في الجاهلية
وأول من اعتنى بأقامته في الاسلام ويبدأ بمعامله ومقاديره في الشرعيات ومراكمه
المصطلح عليها الآن بالديار المصرية

(الباب الثاني) - في حمم الرسائل واعتناء الملوك بشأنه في القديم والحديث ومسافات
طيرانه والأبراج المقررة له الآن بالديار المصرية والبلاد الشامية

(الباب الثالث) - في الثلج الذي يصل من البلاد الشامية الى ملوك الديار المصرية
وهجته ومراكبه المفردة لذلك

(الباب الرابع) - في المناور المرتبة على رؤس الجبال بالممالك الشامية من الفرات
الى القرب من الديار المصرية التي كان يستعمل بها حركة التتار الى البلاد الاسلامية
ليصل الخبر بذلك الى الديار المصرية على الاجمال في أسرع وقت والمحركات التي
كان يتوسل بها الى احراق زروع التتار ومراعيهم واطراف بلادهم المجاورة للمملكة
الاسلامية

وهذا حين الشروع في المقصود

المقدمة

في المبادئ التي يجب تقديمها على الخوض في كتابة الانشاء وفيها خمسة أبواب :

* الباب الاول *

في ذكر فضل الكتابة ومدح فضلاء الكتاب وذم حقاقم وما ينخرط في سلك ذلك وفيه فصلان :

* (الفصل الاول) *

في فضل الكتابة - ويرجع الامر في ذلك الى فضل الخط وفضل الكتابة في الجملة وفضل كتابة الانشاء بخصوصها

اما فضل الخط فأعظم شاهد لعلو قدره وأقوى دليل على رفعة شأنه ان الله تعالى نسب تعليمه الى نفسه واعتده من وافر كرمه وافضاله فقال عز اسمه : « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » مع ما يروى ان هذه الآية والتي قبلها مفتوح الوحي وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك من الاهتمام بشأنه ورفعة محله ما لا يخفى فيه . ثم زاد شرفه تأكيداً وقر محله اجلالاً وتمغياً بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يسطر به فقال تقدست عظامته : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » والاقسام لا تقع منه سبحانه الا بشريف ما أبدع وكريم ما اخترع كالشمس والقمر والنجوم ونحوها . ثم كان نتيجة تفضيله أثره تعظيمه ان النبي صلى الله عليه وسلم ندب الى مقصده الأسنى وحث على مطلبه الاغنى فقال : « قيدوا العلم بالكتاب » مشيراً الى الغرض المطلوب منه وغاياته المجتناة من ثمرته وهو تقييد العلم من حيث ان العمر قصير والقوائم كثيرة وما اذا عسى ان يحفظه الانسان بقلبه ويحصله في ذهنه . قال ذو الرمة لميسى بن عمر : « اكتب شعري فالكتاب أحب الي من الحفظ ، ان الاعرابي لينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة فيضع موضعها كلمة في وزنها لا تساويها ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام » .

واما فضل الكتابة في الجملة فسكني بها فضلاً وشرافاً ان الله تعالى وصف بها

الحفظة من الملائكة الكرام فقال « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين » وقد اظن السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال الجاحظ : من أبين فضلها ان جمعت في علية الناس . وقال الزبير بن بكار : الكتاب ملوك وسائر الناس سوقة . وقال ابن المقفع : الملوك احوج الى الكتاب من الكتاب الى الملوك . وكانت ملوك الفرس تقول : الكتاب نظام الامور وجمال الملك وبهاء الاسلام وخزان امواله والامناء علي رعيته وبلاده . وقال المؤيد : الكتابة اشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة . ومن كلامه : كتاب الملوك عيونهم المبصرة وآذانهم الواعية والسننهم الناطقة . ومن كلام ابى جعفر بن محمد (١) : للكتاب اقرب الملوك بالفاقة والحاجة ، واليهم القيت الازمة والاعنة ، وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة ، وعلمهم اتكلوا في الاهل والولد والذخائر والعقد وولاية العهد وغير الدهر وقراع الاعداء وتوفير النى ، وحياطة الحرم وحفظ الاسرار وترتيب المراتب ونظم الحروب . وقال علي بن خلف : ما من احد يتوسل الى السلاطين بالادب ويمت اليهم من العلم بسبب الا وهو نافلة لا ينول ما ينوله الا على وجه الارفاق خلا الكتاب فانه ينول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الافتقار اليه والحاجة . قال : ومن المعلوم انه لا بد من واسطة تقوم بين الملوك والرعية لبعدهما بين الطبقتين العليا والدنيا وليس من طبقات الاسباب من يساهم الملوك في جلالة القدر وعظيم الخطر ويشارك العامة في التواضع والاقتصاد سوى الكتاب فاحتيج اليهم للسفارة في مصالح الرعية والتلطف في الصلة بينهما

واما فضل كتابة الانشاء مع مساهمتها في جميع ما تقدم من الفضل فهي اول انواع الكتابة وضعا من حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب الملوك في الدعاية الى الاسلام وكفى بالسابقة فضلا . قال الجاحظ : لو لم يكن من فضلها الا انه لا يسجل نبي سجلا ولا خليفة مرضى ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا الا استفتح بذكر الله تعالى وذكروا رسوله صلى الله عليه وسلم وذكروا الخليفة ثم بذكر الكتاب كما هو مشهور في السجلات التي سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل

نجران وغيرهم واكثرها بخط امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في شرفه
 ونبله وسابقته ونجدته . قال صاحب العقد : وقد تنبه قوم بها وصاروا بها بعد الحول
 الى الرتب العلية والمنازل السنية . قال الجاحظ : وقد انتقل جماعة منها الى الخلافة ،
 كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صاروا الى الخلافة
 بعد ذلك ؛ وكان عثمان رضي الله عنه يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لابي
 بكر ثم صار الى الخلافة ؛ وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صار الى
 الخلافة بعد الحسن ؛ وكان مروان بن الحكم يكتب لعثمان ثم صار الى الخلافة فيما
 بعد ؛ وكان عبد الملك بن مروان يكتب لمعاوية ثم صار الى الخلافة ؛ الى غير هؤلاء
 ممن شرفته الكتابة حتى قرع الذروة العلية والسمام . وانظر الى القاضي الفاضل كيف
 رفعته هذه الصناعة حتى وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وعلت رتبة
 عنده وبلغ من منزلته لديه ان كان يكتب في كتب السلطان عن نفسه بما احب
 حتى كتب مرة : السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين ، في كتاب عن ابيه ،
 ثم كتب في الكتاب

وغريبة قد جئت فيها أولا ومن اقتفاها كان بعدى الثاني
 فرسولى السلطان فى ارسالها والناس رسلاهم الى السلطان
 وناهيك بقول بعضهم فى مدح قلم الانشاء
 فلكم يفل الجيش وهو عرمم والبيض ماسلت من الانعاد
 وهبت له الآجام حين نشأ بها كرم السيول وصوله الآساد

* (الفصل الثاني) *

فى مدح فضلاء الكتاب وذم حماهم

اما مدح فضلائهم فلم تزل الشعراء تلهج بمدح أفاضل الكتاب وتقر بظهم ويتغالون
 فى وصف بلاغتهم وحسن خطوطهم فمن أحسن ما مدح به كاتب قول ابن المعتز
 اذا أخذ القزطاس خلت يمينه تفتح نورا أو تنظم جوهرًا .

وقول الآخر

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطقته
وينظم الدر بالاقلام في الكتب
وقول الآخر

وكتب برقم في طرسه
فالدرا ما تنظم أقلامه
روضاه ترنع الحماظه
والسحر ما تثر الفاظه

وقول الآخر

ان هنر أقلامه يوما ليعملها
وان أقر على رق أنامله
انسك كل كمي هنر عامله
أقر بالرق كتاب الانامله

وقول الآخر

وشادن من بنى الكتاب مقتدر
فلا يجاريه في ميدانه أحد
على البلاغة أحلى الناس انشاء
يريك سبحانه في الانشاء ان شاء

الى غير ذلك من الايات التي لا تحصى كثيرة مما يحرز الفضل بحق التمييز
واما ذم حقايم فلم تزل الشعراء يؤخذون بذلك قديماً وحديثاً . فمن ذلك
قول بعض المتقدمين بهجو كاتبنا :

حمار في الكتابة يدعيها
فدع عنك الكتابة لست منها
كدعوى آل حرب في زياد
ولو غرقت ثيابك في المداد

وقول الآخر بهجو أسد بن جهور

أوما ترى أسد بن جهور قد غدا
لكن يخرق الف طومار اذا
متشبهاً بأجلة الكتاب
ما احتيج منه مرة لجواب (١)

وقول الآخر

وكتب أقلامه
يكشط ما يكتبه
معودات بالفاط
ثم يعيد ما كشط

وقول الآخر

يعي غير ما قلنا ويكتب غير ما
يعيه ويقرا غير ما هو كاتب

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة من هذا النوع من الكتاب مما صاروا به هزواً على ممر الزمان وتعاقب الأيام كما حكى أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب عن بعضهم أنه قال : حضرت مجلس رجل فأحجمت عن مسألة حاجتي عنده لكثرة جمعه فرأيت أنه قد أملى على كاتبه : « ولم أكتب بخطي اليك خوفاً من أن تقف على رداوته » فكتب كاتبه « رداوته » على ما يجب فقال له : أما تحسن الهجاء ، أين الواو ؟ فأثبتها الكاتب فحس حينئذ في عيني واجترأت عليه فدنوت منه وسألته حاجتي . وكما حكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير المؤمنين على برج انشاء فكتب « امر بعمارة هذا البرج ابو فلان فلان » واستوفى القابه إلى آخرها ودفع المثال إلى الوزير ليقف عليه فلما قرأه غضب وأنكر على الكاتب كونه كتب « أبو فلان » بالواو ولم يكتب « أبي » بالياء محتجاً عليه بأن « أبو » من ألقاب العامة فلا تعظيم بها و « ابى » من الألقاب الخاصة فيقع بها التعظيم . فقال الكاتب إنما كتبت بالواو لأنه هنا « فاعل » فزاد انكاره عليه وقال : متى رأيت الأمير فاعلاً في هذا الموضع يحمل الطين وينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه إلى ذلك ؟ والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك كذا وكذا

وكما حكى العباس بن أسد أن أبا الحسن على بن عيسى كتب إلى أبي الطيب أحمد بن عيسى كتاباً من مئة (١) فقرأه ورعى به إلى فقال : اقرأ . فقرأت : كتابي اليك يوم القُر ، بالرفع . فقال ما معني « يوم القُر » . فقلت : القُر البرد . فقال إنما هو يوم القُر بالفتح وهو اليوم الثاني من النحرين يقر الناس بنحى . ومثل ذلك كثير . قال صاحب نهاية الأرب في فنون الأدب : وقد اتسع الحرق في ذلك ودخل في الكتابة من لا يعرفها البتة وزادوا عن الإحصاء حتى إن فيهم من لا يفرق بين الضاد والطاء المهملة . قال : ولقد بلغني عن بعض من أدخل نفسه في الكتابة وتوسل إلى أن أثبت في ديوان الرسائل أنه رسم له بكشاب يكتبه في حق رجل اسمه « طرنطاي » فقال لكاتب إلى جانبه : طرنطاي يكتب بالساقط أو بالقائم ؟ (٢) قال :

(١) في الصبح « من مكة » (٢) يريد : بالضاد أو بالطاء ؟

وصار الآن حد الكتاب عند هؤلاء الجهال ان يكتب على المحرر ويتقن بزعمه اسطارا فاذا رأى من نفسه ان خطه جاد ادنى جودة ركب برذونه او بقلته وسعى في الدخول الى ديوان الانشاء والانضمام الى أهله . قال : ولعل الكتابة انما يحصل ذمها بسبب هؤلاء . وأمثالهم . والله القائل

تمس الزمان فقد أتى بعجاب ومحا فنون الفضل والآداب

وأتى بكتاب لو انبسطت يدي فيهم رددتهم الى الكتاب

قلت ، وإنما تقاصرت المهتم عن التوغل في صناعة الكتابة . والاخذ منها بالخط الاوفى لاستيلاء الاعاجم على الامر وتوسيد الامر ان لا يفرق بين البليغ والانوك اعدم الإمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها حتى صار الفصيح لديهم اعجم والبليغ في مخاطبتهم أبكم ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ وافر الا ان ينشد :

وصناعي عريية وكأني أتقي بأكثر ما أقول الروما

فلن أقول وما أقول وابن لي فأسير بل ابن لي فأقيما

قال ابن حاجب النعمان : ولما كان ارباب الامور وولاتها من الخلفاء فمن دونهم ينقدون (١) ما يكتب به الكتاب وما يرد عليهم من الكتب ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدخله من خلل ويقدمون الغاضل ويرفعون درجته ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة ويترفعون عن ان يعاقبهم من الجهل أدنى رذيلة ويجهدون في معرفة ما يحسن الفاظهم ويزين مكاتباتهم لينالوا بذلك أرفع رتبة ويفوزوا بأعظم منزلة . ولما انكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان ، وغفل عنهم الحداث ، واستولت عليهم شررة الجهل ، ونفرت عنهم أوانس الرياسة والفضل ، وصار العالم لديهم حشفا ، والأديب محارفا ، والمعرفة منكرة ، والفضيلة منقصة ، والبلاغة لكنته ، والفصاحة هجنته ، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم ، وهجرت العلوم هجر كبار المآثم . ثم قال : ولو أنصف أحد هؤلاء الجهال لكانوا هم بالحشف أولى ، وبالحرقة والمنقصة أجدر وأحرى ، لكنه جهل الواجبات وأوضاعها ،

(١) في الصبح « ينقدون » ولا يستقيم به المعنى .

وسفه حق المروءة وأضاعها (١) ويوصف بالحى الناطق ، والصامت خير منه عند أهل النظر وذوى الحقائق

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ من المقدمة ﴾

في بيان مدلول كتابة الانشاء لغة واصطلاحا وبيان معنى الانشاء واطراف الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل وبيان معنى التوقيع وتفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح الثر على الشعر وفيه فصلان :

* (الفصل الاول) *

« في بيان مدلول كتابة الانشاء لغة واصطلاحا ومعنى الانشاء واطراف الكتابة اليه والتعبير عن كتابة الانشاء بصناعة الترسل وبيان معنى التوقيع »

اما مدلول كتابة الانشاء فالكتابية في أصل اللغة مصدر كتب ، يقال كتب يكتب كتابة وكتابا ومكتبة وكتبة ، ومعناها الجمع : يقال تكتب القوم اذا تجمعوا . ومنه قيل لجماعة الخيل « كتيبة » وكتبت البعلة اذا جمعت بين شفرها بحلقة أو سير أو نحو ذلك . ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف وضم بعضها الى بعض كما سمي خرز القربة ونحوها كتابة لجمع بعض الخرز الى بعض والى هذا المعنى أشار الحريري في بعض مقاماته بقوله

وكاتبين وما خطت أنا ملهم حرفا وما قرءوا ما خط في الكتب
وقد عرفها صاحب مواد البيان بأنها صناعة روحانية تظهر بألة جمالية دالة على المواد بتوسط نظرها . وفسر الروحانية بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصور من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه ، والجمالية بالخط الذي يخطه القلم ويقيد به تلك الصورة فتصير بعد أن كانت صورة معقولة صورة محسوسة ظاهرة . وفسر الآلة بالقلم . ولا يخفى ان هذا الحد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يتصوره الذهن ويتخيله الوهم على اختلاف المقاصد . على ان الكتابة وان كثرت أقسامها

(١) في الصبح : وأفسد أوضاعها

وتعددت أنواعها لا تخرج عن كتابة الانشاء وكتابة الاموال . فانك ان اعتبرت كل نوع من أنواع الكتابة وجدته داخلا ضمن واحدة منهما؛ وعند التأمل يظهر لك ذلك . الا ان العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة عند الاطلاق بصناعة الانشاء حتى صارت اذا أطلقت عندهم لا يفهم منها غير ذلك ، واذا ذكر غيرها ذكر مقيدا فيقال : كتابة الخراج ، وكتابة الجيش ، ونحو ذلك . ومن ثم سمي العسكري كتابه في علم البلاغة « الصناعتين » يعنى الشعر وكتابة الانشاء . وسمي الوزير ضياء الدين بن الاثير كتابه في هذا المعنى « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » مريدا كتابه الانشاء ثم غلب في زماننا في الديار المصرية إطلاق اسم الكاتب على كاتب الاموال حتى صار اذا أطلق الكاتب لا يفهم منه غير ذلك ، والعرب تنقل الحقائق من معنى الى معنى والانشاء مصدر أنشأ الشيء ، ينشئه اذا ابتدأه واخترعه بمعنى ان الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويتكلمه من المعاني فيما يكتب به من المكاتبات والولايات وغير ذلك ، أو معنى ان عنه تبدأ هذه الامور في الاصدار والايراد . ومن هنا أضيفت الكتابة الى الانشاء من حيث انه أصلها الذي تبني عليه

واما تسميتها « صناعة الترسل » فالصناعة في أصل اللغة حرفة الصانع ، وعمله « الصنعة » . ويقال : رجل صنيع اليدين أى صانع حاذق . والترسل تفعل من الرسالة . يقال : ترسل ، يرسل ، ترسلا ؛ وراسله ، يرأسله ، مراسلته ، فهو مراسل ورسيل . وسميت « صناعة الترسل » وان اشتملت على غيرها من الانواع كالولايات ونحوها مما لا يطلق عليه في الحقيقة « ترسل » تسمية لها بأعم أجزائها اذ الترسل هو أكثرها وقوعا وأوسعها مجالا من حيث انه لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة . وعلى ذلك نبى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي تسمية كتابه « حسن التوسل الى صناعة الترسل » وان كان موضوعا لما هو أعم من ذلك

واما التوقيع ، فاعلم ان التوقيع أصله الكتابة على حواشي القصص وظهورها مما يكتب به عظاما ولاة الامور كالحليفة والسلطان والوزير مما صار أكثر ذلك الآن معزوقا (١)

(١) في الصحيح وضوئه كثرور ودعذق به ، وعديق به ، وغدق به بمعنى نيط به وكأها تحريف عن عزق به . قال في لسان العرب : عزق به ، وعسِق به ، وعسِك به ، إذا التصق به ولزمه

بكتاب السر . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف . يقال : ناقة موقعة الخنب اذا أثرت فيه حبال الاحمال . ولم يزد على ذلك . على أنه يحتمل ان يكون مأخوذاً من قولهم : وقع الامر اذا حق وازم كما في قوله تعالى « وقع القول عليهم بما ظلموا » أى حق ووجب : أو من قولهم : وقع الصيقل السيوف ، اذا قبل عليه بميقته يجلوه لأنه بتوقيعه في القصص يجلو اللبس بالارشاد الى ما يعتمد في الواقعة : أو من موقعة الطائر ، وهي المكان الذى يألفه من حيث ان الموقع على الرقعة يألف مكاناً منها يوقع فيه كخاشية القصة ونحوها : أو من الموقعة ، وهي المكان المرتفع فى الجبل لارتفاع مكان الموقع فى الناس وعلوه شأننا ، أو غير ذلك

* (الفصل الثاني) *

« فى تفضيل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح اثر على الشعر »

اما فضل كتابة الانشاء على سائر أنواع الكتابة فقد تقدم فى الفصل الاول ان الكتابة وان كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تكاد تخرج عن كتابة الانشاء وكتابة الاموال ، ولا شك ان اكمل من النوعين قدراً عظيماً وخطراً جسيماً . الا ان أهل التحقيق من علماء الادب ما رحوا يرجحون كتابة الانشاء ويفضلونها ويبرزونها على سائر الكتابات ويقدمونها ويحتجون لذلك بأمر : منها ان كتابة الانشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من أنواع الكتابة ضرورة أن كاتب الانشاء يحتاج فيما يكتب من المكاتبات والولايات وغيرها مما يتعلق بكتابة الاموال الى ان يمثل فى وصاياه ونحوها من صناعاتهم ما يعتمدونه ويبين لهم ما يأتونه وينذرونه فلا بد ان يكون عالماً بصناعة من يكتب له بخلاف كاتب الاموال فإنه انما يعتمد على رسوم مقررة وأنموذجات محررة لا يكاد يخرج عنها ولا يحتاج فيها الى زيادة ولا نقص

ومنها اشتمال كتابة الانشاء على البيان الدال على لطائف المعانى التى هي زبد الافكار ، وجواهر الألفاظ التى هي حلية الألسنة وفيها تنافس أصحاب المناصب الخطيرة والمنازل الجليلة أكثر من منافستهم فى الدر والجرهر

ومنها ما تستلزمه كتابة الانشاء من زيادة العلم ، وغزارة الفضيلة ، وذكا القريحة ،

وجوده الزوية، لما تحتاج اليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير التي عبر بها من سبق الى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها الى حقائقها وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى فيه خصوصاً اذا رام الزيادة على من تقدمه في استعمالها أو حداً حذو المبرزين الذين يقعون الكلام واقعة مع مراعاة رشاقة اللفظ وحلاوة المعنى وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع أبكار المعاني للأموال الحادثة التي لم يقع مثلها ولا سبق سابق الى كتابتها لأن الحوادث والوقائع لا تنهاى ولا تقف عند حد ومنها اختصاص كاتب الانشاء بالسلطان وقربه منه ومناجاته في أكثر الأوقات واعتماد السلطان في أكثر المهمات عليه مع كونه أقرب الى طريق السلامة من كتاب الاموال . وقد قال بعض الحكماء : الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترفد الأخرى وكاتب الانشاء بمنزلة الروح في المازجة للبدن والتدبير بجميع جوارحه وحواسه . قال في مواد البيان : ولا شك في صحة هذا التمثيل فإن كاتب الانشاء هو الذي يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه في الأمر على ما يؤدي الى استقامة ما عرق به وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذي يرفع قديرها ويملئ ذكورها ويظم خطرهما ويدل على فضل ملكها إذ هو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والإيحاء والإيذاء واقضاب المعاني التي تقر الوالي على ولايته وطاعته وتعطف العدو والقاضي عن عداوته ومعصيته

قلت : وقد أوردت في المقامة التي أنشأتها في كتابة الانشاء من فضيلة هذه الكتابة ما يشدو بذكره المبرم وأودعتها من شرف الكتاب ما يذعن له الخصم ويسلم على ما ستقف عليه فيها في المقالة العاشرة ان شاء الله تعالى

واما ترجيح الثمر على الشعر فان الشعر وان كانت له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره مما لا يخفى به فان الثمر ارفع منه درجة واعلى رتبة وأشرف مقاماً وأحسن نظاماً إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها الى زيادة الالفاظ والتقديم والتأخير وقصر الممدود ومد القصور وصرف ما لا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف واستعمال الكلمة المفروضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها الى غير ذلك مما تلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه . والكلام المشور لا يحتاج الى

شئ من ذلك فتكون الفاظه تابعة لمغايته . وناهيك بالثر فضيلة ان الله تعالى أنزل به كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم ينزله بالشعر بل نزاهه عنه بقوله « وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون » وحرّم نظمه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تشريفاً لمحله وتنزيهاً لمقامه منها على ذلك بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب ، والأحالة على الامور المستحيلة ، والصفات المجاوزة للحد ، والذموت الخارجة عن العادة ، وقذف المحصنات ، وشهادة الزور ، وقول البهتان ، وسب الاعراض ، وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لا حاد الناس فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما الشعر الجاهلى الذى هو أقوى الشعر واخفله ، بخلاف الثر فإن المقصود الاعظم منه الخطب والترسل وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق من حيث أن الخطب كلام مبنى على حمد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه ، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتذكير والترغيب فى الآخرة ، والترهيد فى الدنيا ، والحض على طلب الثواب ، والامر بالصلاح والاصلاح ، والحث على التعاضد والتعاطف ، ورفض التباغض والتناطح ، وطاعة الأئمة ، وصلة الرحم ، ورعاية الذم ، وغير ذلك مما يجزى هذا المجزى مما هو مستحسن شرعا وعقلا .

والترسل مبنى على مصالح الامة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسرارة الناس فى مهيات الدين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء ، وعهودهم وما يصدر عنهم من عهود الملوك وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والاقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها الى غير ذلك من المصالح التى لا تكاد تدخل تحت الحصر ولا ياخذها الاحصاء . قال فى مواد البيان : ولا عبرة بما ذهب اليه بعضهم من تفضيل الشعر على الثر اتباعا لهواه بدون دليل واضح . على أنه قد قال فى الصناعيتين ان اكمل صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتباً . وكفى (١) رفعة الكتابة على الشعر ان الشاعر يقرظ الكاتب ولا عكس وانما يليق التقريظ من الاعلى للأدنى

(١) قوله : وكفى الخ زيادة فاسدة لوجودها فى « الصبح » ولا فى « الصناعيتين » وإنما اثبتناها لوجودها فى « الضوء »

﴿ الباب الثالث ﴾

من المقدمة في صفات كتاب الانشاء وآدابهم وفيه فصلان :

* (الفصل الاول) *

﴿ في صفاتهم وهي على ضربين : ﴾

(الضرب الاول)

في الصفات الواجبة التي لا يسع تركها وهي عشر صفات :

أحدها — الاسلام ليؤمن فيما يكتبه ويمليه ويوثق به فيما يذرد ويأتيه اذ هو لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه والجادب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يتولى احد من اهل الكفر هذه المرتبة اذ يكون عيناً للكفار على المسلمين ومطعماً لهم على خفياهم فيصلون به الى ما يتعذر عليهم الوصول اليه من غيره . وقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائراً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » . والمراد بالبطانة في الآية من يطلع على احوال المسلمين كمقدار خزائنها من المال واعداد جيشهم من الخيل والرجال . قال ابو الفضل الصوري في تذكرته : من الفطرة التي جبل كل أحد عليها حين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدين دينه ، وهذا امر يجده كل أحد في نفسه ؛ ولذلك شرط بعضهم في الكتاب أن يكون على مذهب الملك الذي يتمذهب به من مذاهب المسلمين ليكون موافقاً له من كل وجه . وقد قال الشافعي رضي الله عنه في كتابه « الأم » : ما ينبغي لقاض ولا وال ان يتخذ كاتباً ذمياً ولا يضع الذي موضعاً يفضل به مسلماً ، ويعز على المسلمين ان يكون لهم حاجة الى غير مسلم . قال الصوري : ولا يخفى ان كاتب الانشاء أحوج الناس الى الاستشهاد بكلام الله تعالى في اثناء محاوراته وفصول مكاتباته والتمثل بنواهيته وأوامره وهو حلية الرسائل وزينة الانشآت . فاذا كان الكاتب غير مسلم فانه ذلك . قال : ولا يحتج بالصائبى وانه كتب للمطبع والطابع من خلفاء بني العباس ومعز الدولة وعز

الدولة من ملوك بني يويه وهما يومئذ عمدة الاسلام وعضد الخلافة وهو على دين الصابئة . فان الصابي كان من أهل ملة قليل أهلها ليس لهم ذكر ولا مملكة وليس منهم محارب لأهل الاسلام ولا لهم دولة قائمة فتخشي غائلته

الثاني المذكورة - فقد صرح أصحابنا الشافعية بأنه يشترط في كاتب القاضي ان يكون ذكراً ؛ واذا اشترط ذلك في كاتب القاضي ففي كاتب السلطان أولى لموم النفع والضربه . وقد روى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال في حق النساء : جنبوهن الكتابة . وم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضی الله عنه برجل يعلم امرأة الخط فقال : لا تزد الشرّ شراً . ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال : افعى تسقى الخط سماً . والله البسامي حيث يقول

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابه

هذا لنا ولهن من ان يبين على جنبه

ولا يحتج بما روى ان عائشة أم المؤمنين كانت تكتب في مكاتباتها : من المبرأة عائشه بنت أبي بكر حبيبة حبيب الله . فإنه لم يصرح بأن عائشة كتبت بنفسها . واعلمها كانت تأمر بمن يكتب لها على عادة ولاة الامور في ذلك . وانصح ذلك فغيرها من النساء لا يقاس عليهما

الثالث الحرية - فقد شرطوا في كاتب القاضي ان يكون حراً ما في العبد من النقص فلا يعتمد عليه ولا يوثق به في كل الاحوال

الرابع التكليف - كما في كاتب القاضي فلا يعول على الصبي في الكتابة اذ لا وثوق به ولا اعتماد عليه لاحتمال ان يجهل عدم التكليف ويحتمل انه لا ياحقه اثم على ارتكاب ما لا يجوز في الكتابة

الخامس العدالة - فلا يجوز ان يكون الكاتب فاسقاً فإنه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يحكم بهافي ارواح الناس واموالهم اذ لو زاد في كتابه أدنى كلمة، أو حذف أي سطر حرف، أو كتم شيئاً قد علمه، أو تأول لفظاً بغير معناه، أو حرفه عن جهته، لأدى ذلك الى ضرر من لا يستوجب الضرر ونفع من يجب الاضرار به وكان قد موته على الملك حتى مدح المذموم وذم الممدوح . وربما حمله الفسق وقلة الاكثراث بأمر الدين

على وهن يدخله على الدين بقلمه أو ضرر يجلبه إليه بلسانه . وقد اشترط الشافعية في كاتب القاضي العدالة فكاتب السلطان أولى لعموم ولايته . فمتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم ويزعه عن احتساب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع وأثر فعله من الاضرار مالا تؤثره السيوف البواتر . والله القائل

واضربة من كاتب بينانه امضى وأقطع من رقيق حسام

قوم اذا عزموا عداوة حاسد سفكوا الدما بأسنة الاقلام

السادس البلاغة - بحيث يكون منها بأعلى رتبة وارفع منزلة فإنه لسان السلطان الذى ينطق به ويده التى يبطش بها . ورب كاتب يبلغ أصاب الغرض فى كتابته فأغنى عن الكتاب وأعمل القلم فكفاه اعمال البيض القواضب . فإذا كان الكاتب جيد الفطنة صائب الرأى حسن الالفاظ فإنه تتأنى له المعانى الجزلة فيجولها فى الالفاظ السهلة فيختصر حيث يكون الاختصار أليق ، ويطول حيث لا محيد عن الاطالة ، ويتهدد فيعلا القلوب روعة ، ويشكر فيلقى على النفوس مسرة ، او ان كتب الى ملك كبير أو ذى رتبة خطير عظم مملكة سلطانه وفخما فى خلال كلامه من غير ان يوجد ان ذلك قصده السابع وفور العقل وجزالة الرأى - فإن العقل اس الفضائل وأصل المناقب ، ومن لا عقل له لا انتفاع به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله . فإذا كان تام العقل كامل الرأى وضع الأشياء فى مكاتباته ومخاطباته مواضعها وأتى بالكلام من وجهه وخاطب كل أحد عن سلطانه بما تقتضيه الحال التى يكون عليها : فيشتد ما كانت الشدة نافعة ، ويلين حين يكون الى اللين محتاجا ، ويوبخ من لا يقتضى فعله أكثر من التوبيخ ، ويندم من تعدى الى ما يستوجب الذم ، ويأتى بالمكاتبات التى يقتضيه اختلاف الاحوال واقعة مواقعها صائبة مرامها

الثامن العلم بمواد الاحكام الشرعية والفنون الادبية وغيرها مما يأتى بيانه - اذ الجاهل لا تميز له بين الحق والباطل ولا معرفة ترشده الى الطرق المعتمدة فى الكتابة ومن سلك طريقا بغير دليل ضل ومن تمسك بغير أصل ذل

التاسع قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس - فإنه يكاتب الملوك عن ملكه وكل كاتب يجذبه طبعه وجبانه وخيمه فى الكتابة الى ما يميل اليه . ومكاتبة الملوك أحوج

تسبى الى التعظيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والاشياء المرغبة . فكلمها كان الكتاب أقوى نفساً وأشد عزيمة وأعلى همة كان في ذلك أمضى وعليه أقدر ومهما نقص من ذلك نقص من كتابته

العاشر الكفاة لما يتولاه - لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن في أمر المسلمين وربما عاد عليهم عجزه بالوبال وأدى بهم ضعفه الى الاضطراب والاختلال

﴿ الضرب الثانى ﴾

﴿ الصفات العرفية ﴾

قال ابو الفضل الصورى ينبغى ان يكون الكاتب فصيحاً، بليغاً، اديباً، سنى الرتبة، قوى الحجة، شديد العارضة، حسن الألفاظ، له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم المدح . وقال محمد بن ابراهيم الشيبانى : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة، وخفة الهازم، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمايل ولطف الاشارة، وملاحة الزى . وقال المهذب بن ممانى في كتابه «قوانين الدواوين» : ينبغى ان يكون الكاتب اديباً، حاد الذهن، قوى النفس، حاضر الحس، جيد الحدس، حلو اللسان، له جرأة يثبت بها الامور على حكم البديهية، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الروية، شريف الأنفة، عظيم النزاهة، كريم الاخلاق، مأمون العائلة، مؤدب الخدم . قال محمد بن ابراهيم الشيبانى : ومن حاله ايضاً ان يكون بهى الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة عطر الرائحة، رقيق الذهن، حسن البيان، دقيق حواشى اللسان، حلو الاشارة، رقيق الاستعارة، لطيف المسلك، مستغفره المركب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الاجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة فانهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفضيلة والله القائل

وشعول كأنما اعتصروها من معانى شمائل الكتاب

قلت : وبالجمله ففصاحة الكاتب وقوة بيانه والتقدم في صناعة الكتابة هو الذى يرفع رتبة الكاتب ويعظمه في النفوس ويجلده في المرتبة دون آدابه البهية وهيبته بل ربما كان التعظيم في الفعل لرتب الجملة المنحط الجانب أكثر وترجيحه تلى ذى الرياسة أغلب

الفصل الثاني ❦

❦ في أدب كاتب الانشاء — وهو على نوعين : ❦

(النوع الأول)

« في حسن السيرة وشرف المذهب — ويعتبر في ذلك ستة شروط : »

الاول — اعتماد تقوى الله تعالى في السر والعلانية والمحافظة عليها والاستناد اليها في مبادئ الامور وعواقبها فأنها العروة التي لا تنفصم والحبل الذي لا ينصرم والركن الذي لا ينهدم والطريق التي من سلكها اهتدى ومن حاد عنها ضل وتردى، والمحافظة على شرائع الدين التي فرضها الله تعالى على خلقه، والحذر من الاستخفاف فيها بيمينه، وتوقى غضبه بتأديتها، والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقئها

الثاني — طلب الاجر بما ينيله من عز سلطانه ويجديه من فواضل نعمائه . وهذا هو اصح الأغراض التي يجب على كل عاقل ان يقدمه على غرضه ويحصل منه على السهم الوافر فلا خير في دنيا تنقطع السعادة عنها وانما السعادة بعد الموت في الدار الآخرة ومن اختار الفاني عن الباقي فقد خسرت صفقته وبارت تجارته . والطريق الموصل الى ذلك هو صلاح النية فيما يتولاه من أمور سلطانه، وقصد النفع العام له ولرعيته، والاجتهاد في اغاثة الملهوف، والأخذ بيد الضعيف، والنفع بجأهه عند سلطانه، وحمله على العدل في الرعية ما أمكنه . واذا اعتمد ذلك فاز بثواب الله تعالى وقضى حق السلطان فيما عرضه له من الشكر والاجر وقابل نعمة الله التي أقدره بها على هذه الافعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه

الثالث : مجانبة الريب والتزهد عنها — فأنها تسخط الله تعالى وتذهب بمهابة المرء وتسقطه من العيون والقلوب . وأحق من راعى ذلك من نفسه من بين اتباع السلطان أهل هذه الصناعة لاختصاصهم به ولطف منزلتهم عنده؛ اذ المشهور عند نقلة الآثار ان الذين تقدموا من صدورهم ومشايخهم كانوا من جلة العلماء وأفاضل أهل الورع المبرئين من الدنس والطمع المتميزين على غيرهم من العلماء بفضل الآداب، ورواية الأشعار، ومعرفة الأيام والسير، والارتياض بآداب الملوك وعشرتهم ورسوم صحبتهم

وغير ذلك مما ينتظم في صناعتهم : فقد ساورهم في علم الدين ، وفاقوهم فيما لا يشاركونهم فيه ؛ والسultan والدين قربان وعونان على صلاح البلاد والعباد فلا يَحتمل السultan ما ينكره الدين لأنه تابعه ورديفه

الرابع - لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه السultan من أعماله ، ويتصرف فيه من أشغاله ، والتعفف عن المطاعم الذميمة والمطاعم الوخيمة ، والترفع عن المكاسب الرديئة فإن ذلك يجمع القربة الى الله تعالى والحظوة عند السultan وجميل السيرة عند الرعية . فلقد تقدم بهذه الطريقة عند السultan المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا من لا يقاربونه في غناء ولا كفاية ، وحصلوا على المنازل العلية ، وقرب بها من كان بعيدا علي من كان قريبا ، واستدنى لأجلها من لا يترشح لخدمة السultan . ولا عليه ان يجرى مجرى أهل الزهد والورع بل له الارتفاق بما يحل له مما يتوصل اليه من جاه خدمته من المنافع التي تصل اليه من أطيب المكاسب من غير خيانة للمؤمن ولا الإمام (١) للرعية ؛ فإنه لولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقناعة وسلم من المخاطرة في دينه ودينه ؛ والا فما الفائدة في استفراغ وسعه فيما لا يحسن له عائدة وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة في سائر الدول وما اقتنوه من الأموال والذخائر النفيسة

الخامس - طلب الثناء والحمد الذي هو من أفضل المقاصد السنية وأعلىها رتبة من حيث انه يتلو الأجر في البقاء والدوام . وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد من عرض جاهه وطالت يده ومضى عند السultan لسانه . فيذنبى للكاتب ان يختار هذه المكربة ويفوز بانصيب الأوفر منها ، ولا يبخل بجاهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذى رحم وذمام ، ولا يضييق على أهل بطانته مع سعته ، وان يجعل ذلك بجاهه وماله دون مال السultan ، ولا يبالغ في ابتناء المعالي واقتناء المحامد فإن ذلك مما يختص بالملك فلا يذنبى ان يسأهوا فيه وقد علم ما كان من أمر البرامكة لما علا صيتهم وارتفع ذكركم

السادس : الاقتصاد في طلب اللذة والاقتصار من ذلك على ما يقيم الروءة - ويسلك في ذلك الطريقة الحميدة التي يظهر فيها أثر سيد التدبير وأصالة الرأي من

(١) في الصبح : ولا اشتكاه للرعية . ولو قال « اشكاه » لاستقام المعنى فإن الاشكاه هو ان تفعل بالرجل ما يدفعه الى الشكوى . والأمام هو اذتراف اللعم وهي صفار الذنوب

غير خروج الى الاقبال على الذات والانهماك في الشهوات فان ذلك غير مستحسن
 للملك ولا سوقة؛ ولكنه لا يكلف ترك الآذات جملة اذ لا بد لكل أحد من ذوى الرتب
 العلية من الأخذ بنصيب منها لما جبلت عليه الطبائع من الميل اليها والرغبة في
 الاستمتاع بالنعم والملاذ . وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم
 في آدابهم لاغنى بهم عما يقيم مروءتهم من الآذات المشابهة لاقدارهم وموضعهم من السلطان

﴿ النوع الثاني ﴾

« من أدب الكاتب حسن العشرة وهي على خمسة أضرب »

* (الضرب الاول) *

(عشرة الملوك والعظماء)

وهي أعلى الأدب رتبة وأعظمها خطرا ولا يقوم بأدائها على وجهها الا من علت
 في الادب همته وسمت في رجاحة العقل منزلته لأن صحة السلطان أمر عظيم وصاحبه
 راكب خطر جسيم يتمليكه نفسه لمتحكم في شعره وبشره، متمكن من نفعه وضره، لا
 يرد عنه مقابلته على يسير الخيانة بكبير العقوبة الا ما يؤمل من صفحة ومسامحة .
 فيجب على المتصل بخدمة السلطان النظر في عواقب أموره وحفظ نفسه من جريرة
 يجرها عليها بأغفاله فزضامن فروض طاعته وتضييعه حقا من حقوق خدمته فان من اشق
 الاحوال على الانسان أن يكون هو السبب في تغير السلطان عليه فيؤول أمره مع
 الكفة الى الملامة والتوبيخ على ما فرط منه . ويتعلق النظر في ذلك بستة عشر أدبا :

أحدها : الاخلاص الذي هو قوام الامر في المصاحبة - فان من صحب سلطانه
 بعقيدة مدخولة لم ينتظم له ولا لسلطانه أمر . لان الضمائر السقيمة لا بد ان يُصرح بما
 فيها ويظهرها في دخيلتها . واذا ظهر منه ذلك لسلطانه كان سببا لاتلاف نفسه

الثاني : النصيحة التي هي ترب الاخلاص -- فينبغي ان يطالع سلطانه بكل ما
 يفتقر الى العلم به من خاص أموره وعامها . وعلى من استخلصه السلطان لنفسه، واثمته
 على رعيته ، وانطقه بلسانه، وأخذ وأعطى بيده، وأورد وأصدر برأيه ، ان لا يستتر عنه
 دقيقا ولا جليلا من احوال ما فوضه اليه

الثالث : الاجتهاد فيما يباشرة من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لا يبقى في ذلك ممكنا

الرابع : كتمان السر الذي هو من أفضل الآداب في صحبة السلطان وغيره لان الحال الداخلة على الدول أكثر ما يحصل من افشاء السر واطهار ما تقر في عزائم الملوك قبل أن يظهره فيجد العذر بذلك الطريق الى مقابلة آرائهم بما يفسدها . على أن افشاء السر مما جبل عليه طباع أكثر الناس . فمن علم في نفسه ذلك فليحذر معاملة السلطان في امراره لا سيما في باب حرره ومكائده

الخامس : شكر النعمة - لان ذلك اذا كان واجبا على الانسان مع اكفائه فمع السلطان الذي يستظل بظله اولى ، فان الانسان قد يقدر على مكافأة كفته بما يسديه اليه من معروف ولا يقدر على مكافأة السلطان الا بشكر نعمته والمحافظة على حقوق خدمته التي بها يظهر شكر الخادم دون الوقوف مع الشكر بالقول

السادس : الوفاء باظهار النصيحة وبذل الاجتهاد ومقابلة كل نعمة تفاضن عليه بالنهضة فيما اسند اليه مع عدم الالتفات الى غيره ليدعو ذلك سلطانه الى رب النعمة (١) لديه واقرارها عليه لان الملوك ما برحت تقرب صاحب هذه الخصلة ويرونه اهلا للاختصاص وموضعا للثقة

السابع : مجانبة الأدلال على سلطانه - إذ الدالة على السلطان من أعظم مضارغ التلف وأقرب الأشياء الى زوال النعمة وبها هلك الكثير من بطانة السلطان خاصة . فان السلطان مجبول على أنفة النفس وعزتها ولا يحتمل التنازل لأحد لتزيله الكل منازل الخدم والأرقاء ، واعتقاده أنه سبب النعمة السابقة على الكفاية ، وثقته بوجود العوض عن يفقده من الاعوان والأصحاب ومثابرة الناس على خدمته وعدادهم في أتباعه ؛ واذا سألته حاجة أظهر سبوغ النعمة وسأل الزيادة ؛ وإن اتهمه بهفوة لم يئنه في اقامة العذر الى براءة الساحة الى الغاية القصوى بل يتوسط في ذلك ويدأل حسن الصفع والأقالة فانه اذا أقام الحاجة في براءة الساحة كان فيه تكذيب لمن يعتذر اليه ولم يبق للعذر وجه

الثامن : التمسك بآداب الخدمة والمواظبة عليها وحرف الاهتمام اليها - فان

(١) ربَّ النعمة يرثيها ، رباً ، وربابة ، وزاباباً : زادها وأتمها

ذلك من أعظم الذرائع الى نيل المقاصد وبلوغ أعلى المراتب وفيه تقريب الأبعد على الاقرب . وما نال أحد عند السلطان مرتبة الا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجها . وأولى الناس بلزوم السلطان كتابه الذين لا غنى به عن حضورهم في ليله ونهاره . ولقد كان للخلفاء الفاطميين بالديار المصرية كتاب يعرف بصاحب القلم الدقيق يبيت عنده يسامره ويكتب ما يعرض له من المهمات في ليله . وربما عرض له ما يحتاج اليه في غيبة كاتبه فاستدعى غيره لاستكتاب ما عرض له وأدى ذلك الى اقامته مقامه فيما هو فيه وان كان لا يساويه في فضل ولا علم ولا نفع بخلاف ما اذا صرف همهته الى ملازمة خدمته فأن استطاع ان يقرر معه وقتا بعينه لحضور الخدمة ليسلم من مثل هذه العوارض كان احمد لعاقبته وأحسب لاسباب اللوم في غيبته .

التاسع : اعتماد مقابلة سلطانه بالأجلال والاعظام في مجالسه الخاصة والعامة . ولا يحمله تأكد الخدمة وتطاول الصحبه على اهمال ذلك بل يحافظ عليه ولا يغير فيه عادته فربما أدى فوات ذلك الى المهلكة

العاشر : ان يتخير لخطاب سلطانه أو رئيسه الاوقات التي يعلم خلو سره فيها و فراغ باله وانشراح صدره وارتفاغ الافكار عن خاطره الا أن يكون ما يخاطبه فيه مما لا يسع تأخيره من الامور العائدة بانتظام سلطانه ومهمات أعماله التي متى أخرها نسب الى التقصير فيقدم الكلام فيها خف أو ثقل

الحادى عشر : اذا خاطبه سلطانه أو رئيسه في أمر من الامور أن يرعيه عينه . ويصغى اليه بسمعه ويشغل به فكره حتى يستوعب ما يلقيه اليه ويجيبه عنه أحسن جواب ، ولا يلتفت في حال اقباله عليه الى غيره ، ولا يصغى الى كلام متكلم حتى لو امتحنه باستعادة ما كلمه فيه وجده قد احرز جميعه فأن التقصير في ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء . ويستدلون به على عجز المخاطب وضعفه . وان كان فيما خاطبه به ما يحتمل التأخير يادر الى الاعتذار عنه لثلا ينسب الى التقصير بتأخيره عند الكشف عنه . وان كان فيه ما يخالف الصواب امضاه وإن تعذر السبيل الى فعله لم يظهر ان تأخيره لمخالفة الصواب بل يقابله بالاستصواب ثم يتلطف في تعريفه مكان الخطأ فيما رآه

الثانى عشر : ان يجرى في مجالسة سلطانه أو رئيسه على ما يحبه ويؤثره : فان مال

الى الانبساط اطلق لسانه فيه اطلاق المتجنب للفحش، وان اظهر الاتقياض جرى على مذهبه في ذلك؛ ولا يخالفه في حال من احواله فان من شرط هذه الخدمة ان يتصرف صاحبها في كل ما يُصَرَّف فيه بل يسرع الاتقياد في كل ما يدعى اليه الا ان يكون فيه معصية لله تعالى فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق؛ ولا يكثُر الدعاء له والشكر على ما يوليه من العوارف فان مثل ذلك تستثقله الملوك والرؤساء.

الثالث عشر — ان لا يحضر سلطانه بملابسه التي جرت العادة لن ينفرد بها كالوشى ونحوه الا ان يكون هو الذي شرفه بها، وان يقصد في لباسه فينحط عما يلبسه سلطانه ورئيسه ويرتفع عما يلبسه السوقه، ويصرف عنايته الى التنظيف والتعطر وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره حتى لا تقع عين رئيسه على دنس في اثوابه ولا يجد منه كريه رائحة في حال ذنوبه منه، ويتعهد نفسه بالطيب والبخور الفائق والنضح بالمسك فان الملوك والرؤساء ترى ان من اغفل تعهد نفسه كان لغيرها اشد اغفالا

الرابع عشر: ان يتجنب التفاصيل في مخاطبة سلطانه ورئيسه والافتخار بالبلاغة والبيان لما في ذلك من الترفع عليه في الكلام، بل يجعل ما يلقيه اليه ضمن الفاظ تدل على المعاني بسهولة مع غض من صوته، وخفض من طرفه، وسكون من اعضائه لان التسامح بالفصاحة انما يقع للخطباء الذين يثنون على الملوك في المواقف العامة لاحتياجهم الى الالفاظ التي تقع في الاسماع احسن المواقع

الخامس عشر: اذا ارتفعت رتبته عند سلطانه او رئيسه ان يجعل القول في خصته وعامته، ويحسن الوساطة للحاشيته ورعيته، ويتجنب القدر عندده في كفايته ونظرائه من بطانته والمقرين بمحضرة ليكون ذلك داعيا الى محبته والثناء عليه مكافأة لصنيعه وامساك اللسان عن الطعن فيه

السادس عشر: — ان يبادر بالمشورة على سلطانه او رئيسه بالصواب فيما يستشيره فيه ويورده ايراد مستفيد لا مفيد ومتعلم لا معلم ويتلطف في ان يوقعه عنده موقفاً يدعو الى العمل فان من عادة الملوك والرؤساء الأنفة من الاتقياد الى ما ينتحله غيرهم من الآراء ولو كانت صوابا. وان تمكن من صياغة حديث يودع فيه ما يشير به فعل المخادعة لنفسه الأبية وعزته المتعاسة

* (الضرب الثاني) *

« آداب عشرة الاكفاء والنظراء »

وطريقة الاعتدال في ذلك الموافاة في الاخاء والمساواة في الصفاء ومقابلة كل حالة بما يضاهاها . ولانزاع في ان المسامحة بالحقوق والاعضاء عن قصر والمحافظة على ودة من فرط من أصل المآثر وآثر الفضائل لاسيما لمثل اهل هذه الصناعة التي يرتفع حق الاعتزاء اليها عن حقوق القرابات والانساب . فيجب عليه ان يعرف لا كفايته حقهم ويتلقاهم بالاكرام ويجعلهم في أعلى المراتب عنده ويزيدهم على الانصاف ولا يقصر بهم عما يستوجبونه ويجري على مثل ذلك في حق نظرائه من غير الكتاب . وان تعذر عليه الاقتدار على طلباتهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل واجتهد في الوفاء به .

* (الضرب الثالث) *

« آداب عشرة الاتباع »

وهي لاحقة بعشرة الاكفاء من حيث ان الذين يستعين بهم الكتاب يدعون كتابا . وهم وان كانوا اتباع الكتاب فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم . فينبغي ان يخصهم بالنصيب الأوفر من اكرامهم وملاحظته؛ ويفرض لهم من الاختصاص والتقديم وتقدير الاحوال ما ينتهي اليه أمل المرؤوس من الرئيس ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مودة لا خدمة رهبة؛ وان يجب خدمته اليهم بترك مناقشتهم والتضييق عليهم وانااتهم من الترقية في بعض الاوقات ما يجدون به السبيل الى الاخذ بنصيب من لذاتهم وقضاء أوطارهم التي تميل اليها النفوس؛ فأنهم متى حقهم التعب اعترضهم الضجر والملال فقصروا في العمل وتهاونوا بالاشغال؛ ولكن لا يفسح لهم في مواصلة الراحة والاخلال بما يلزمهم، فان هذا يجعل على ان يصير ذلك دأبا لهم يفسد لهم حال خدمتهم . وعليه ان يحفظ لهم حقوق الصحة والخدمة ويوجد لهم من الاعانة ما فيه صلاح حالهم، فان ذلك مما يستخاص مودتهم له اذ القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها .

* (الضرب الرابع) *

« آداب عشرة الرعية »

وهي من الامور العظيمة النفع الجسيمة العائدة القاضية بالسلامة اذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له ونفورهم عنه وان علت عند السلطان رتبته فينبغي ان يوفر العناية على استصلاحهم واستمالة قلوبهم اليه وتألفها ولين الجانب ووطأة الكنف وخفض الجناح كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين ويسلم من الطعن واللوم ويبرأ من البغض والشحناء ويتقاهم عن رتبة الحسد والايذاء الى التألف والمودة وقد أدب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »

* (الضرب الخامس) *

« آداب عشرة من يمت اليه بحرمة كالجار والقاصد والامل والمذل بحق المفاوضة والمطاعمة والمحاضرة والسلام والمعرفة في الصبا والصدافة بين الآباء وغير ذلك من الحرم التي لا يطرحها أهل المروءات »

فعلية ان يوفيهم حقوقهم ، وينهض بقضاء أوطارهم ، ويعينهم على ما يحدث من نوب الزمان ، والمساعدة في بلوغ مطالبهم من سلطانهم ، ولا يبخل عليهم بجاه ولا مال ، ولا يخيب أمل آملهم ، ويجعل لهم من اعتناهم ما يميز جانبهم ويدهل ما آربهم ، ويكف الضيم والظلم عنهم ، فإنه اذا التزم لهم ذلك التزموا له الاعظام والاجلال وأطلقوا أسننهم بالثناء عليه وأشاعوا ذلك بين امثالهم فاجتلبوا له مودتهم وتعصبهم . قلت : ومن تمام آداب الكاتب ان يعرف حقوق مشايخ الصنعة وأئمتها الذين فتحوا أبوابها وذلوا سبلها وسهلوا طرقها ، ويعاملهم بالانصاف فيما عملوا فيه خواطرهم وأتعبوا فيه روياتهم : فينزلهم منازلهم ولا يبخسهم حقوقهم : فمن آفات هذه الصناعة على ذوى الفضل من أهلها ان القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة المبرز بل لا يعفيه من ادعاء التقدم في الفضل عليه : والمبرز في الفضل لا يقدر على اثبات نقص المتخلف فيه والله يعلم المفسد من المصلح

❖ الباب الرابع ❖

« في التعريف بحقيقة ديوان الانشاء، واصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان » :

* (الفصل الاول) *

« في التعريف بحقيقته »

لاخفاء في انه اسم مركب من مضاف وهو « ديوان » ومضاف اليه وهو « الإنشاء » .

اما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال . قال ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب : وفتحها خطأ . ويجمع على دواوين . واختلف في أصل لفظه فذهب قوم الى انه عربي . قال النحاس : والمعروف في لغة العرب ان الديوان الاصل الذي يرجع اليه ويعمل بما فيه ، ومنه قول ابن عباس رضی الله عنهما : اذا سألتموني عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب . قال : والى هذا يميل كلام سيويه . وذهب آخرون الى انه اعجمي ، وهو قول الاصمعي ؛ وعليه اقتصر الجوهرى في صحاحه فقال : الديوان فارسي معرب . وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين . أحدهما ان كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مع انفسهم فقال : « ديوانه » أى مجانين . فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ : ثم حذفت الهمزة من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل : ديوان . وعلى هذا اقتصر النحاس في « صناعة الكتاب » . والثاني ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، سمي بذلك الكتاب لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلي منها والحفي

واما الانشاء فقد تقدم انه مصدر « أنشأ الشئ » ينشئه « اذا ابتدعه واخترعه . وحينئذ فأضافة الانشاء الى الديوان يحتمل أمرين : أحدهما ان الامور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه وتبتدأ منه . والثاني ان الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا . قلت : وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية

له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الانشاء وأعمها، وربما قيل له ديوان المكاتبات؛ ثم غلب عليه اسم ديوان الانشاء واستمر عليه الى الآن . وربما جعلوا في زماننا اسم ديوان الرسائل واقعاً على ما دون ديوان الانشاء

* (الفصل الثاني) *

« في أصل وضعه في الاسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك »

اعلم ان هذا الديوان أول ديوان وضع في الاسلام . وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب امرأه واصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكتبونه . وكتب الى من قرب منه من ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام : فكتب الى النجاشي ملك الحبشة ، والى هرقل ملك الروم ، والى كسرى ابرويز ملك الفرس ، والى المقوقس صاحب مصر ، والى هودبة بن علي ملك اليمامة ، والى المنذر بن ساوى ملك البحرين الى غير ذلك من المكاتبات . وكتب لعمر بن حزم عهدا حين وجهه الى اليمن ، وكتب لتميم الدارى واخوته بأقطاع بالشام ، وكتب كتاب القضية بينه وبين قريش عام الحديبية ، وكتب الأمانات أحيانا الى غير ذلك مما يأتي ذكره في مواضعه ان شاء الله تعالى . وهذه المكتوبات كلها متعلقة بديوان الانشاء بخلاف ديوان الجيش فإن اول من وضعه ورتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته . وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب لذلك ؛ وكذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فمن بعدهم من الخلفاء . وكانت كتبهم من ديوان الانشاء تصدر واليه ترد . ثم تفرقت دواوين الانشاء في الاقطار بحسب تفرق الممالك بالشرق والمغرب فكان بكل مملكة ديوان انشاء تصدر منه المكاتبات الى ديوان الخلافة وغيره وترد اليه مكاتبات الخلفاء فمن عداهم . وكانت الديار المصرية لا تبدأ بالأمر بها الى حين الفتح الاسلامي والى الدولة الطولونية امارة ليس لديوان الانشاء بها كبير امر الى ان كانت الدولة الطولونية واستولى عليها احمد بن طولون فظلمت مملكتها واستفحل أمرها واستكتب ابا جعفر محمد بن احمد بن مودود بن عبد كان بديوان انشاءه فكان لديوانه به الجمال وصدر عنه جليل المكاتبات الى ديوان الخلافة وغيرها .

وكتب لخارويه بن احمد بن طولون اسحق بن نصر العبادي، وتوالت الكتاب بديوان
 انشائه بعد ذلك الى انقراض دولتهم ثم انقراض الدولة الاخشيدية. ثم كانت الدولة
 الفاطمية فعظم أمر ديوان الانشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب له.
 وولى ديوان الانشاء عنهم جماعة من افاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمي:
 فكتب العزيز بن المعز ابو منصور بن سوريد بن النصراني، ثم كتب بعده لابنه
 الحاكم ومات في أيامه، فكتب للحاكم القاضي ابو الظاهر البهري؛ ثم كتب بعده لابنه
 الظافر؛ وكتب للمستنصر القاضي ولى الدين بن خيران؛ ثم ولى الدولة موسى بن الحسن
 قبل انتمائه الى الوزارة وابو سعيد العميدى، وكتب للأمير والحافظ الشيخ الاجل ابو
 الحسن على بن أسامة الحلبي الى ان توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة؛ فكتب له
 بعده ولده ابو المكارم الى ان توفى أيام الحافظ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين
 تاج الرياسة ابو القاسم على بن سليمان بن منجد المعروف بابن الصيرفي، والقاضي كافي
 الكفاة محمود ابن القاضي الموفق أسعد بن قادوس، وابن ابى الدم اليهودي؛ ثم كتب
 بعد ابى المكارم المقدم ذكره القاضي الموفق ابن الخلال أيام الحافظ الى آخر أيام
 العاضد آخر خلفائهم وبه تخرج القاضي الفاضل اليبساني؛ ثم شرك العاضد مع الموفق ابن
 الخلال في ديوان الانشاء القاضي جلال الملك محمود الانصارى، وكان في أيامه القاضي
 المؤتمن كاسبيويه الكاتب؛ ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفق ابن الخلال
 قرب وفاته في سنة ست وستين وخمسمائة في وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف
 ابن أيوب، وكتب من انشائه عدة سجلات ومكاتبات منها عهد المنصور شيركوه بن
 شادى بالوزارة للعاضد ثم عهد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة له ايضاً
 ثم كانت الدولة الايوبية فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول
 ملوكها القاضي الفاضل اليبساني مضافاً الى وزارته؛ ثم كتب بعده لابنه العزيز وأخيه
 العادل أبى بكر؛ ثم مات؛ وكتب للكامل بن العادل القاضي أمين الدين سليمان
 المعروف بكاتب الدرج الى أن توفى؛ فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد
 المحسن الحلبي مدة قليلة؛ ثم مات الملك الصالح نجم الدين أيوب فولى ديوان الانشاء
 صاحب بها، الدين زهير؛ ثم صرفه وولى بعده صاحب فخر الدين ابراهيم بن

لقمان الأسعدي فبقي الى انقراض الدولة الايوبية

ثم كانت الدولة التركية فكتب للمعز أيبك أول ملوكها القاضي فخر الدين بن لقمان المقدم ذكره ثم كتب للمظفر قطز، ثم للظاهر بيبرس، ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله المنصور قلاوون عن ديوان الانشاء الى الوزارة : وولى ديوان الانشاء مكانه القاضي فتح الدين ابن القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في حياة والده فبقي حتى توفي المنصور قلاوون وتملك بعده ابنه الاشرف خليل بن قلاوون فاستقر في ديوان الانشاء في أيامه برهة من الزمان ثم مات وهو معه في سفر سافره الى الشام؛ فولى الاشرف مكانه القاضي تاج الدين أحد بنى الاثير ثم مات بانطريق والأشرف راجع الى الديار المصرية بعض شهر من ولايته فولى الاشرف مكانه عماد الدين اسماعيل بن الاثير بعد وصوله الى الديار المصرية فبقي حتى توفي؛ فولى مكانه القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فبقي ببقية أيام الاشرف، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الاولى؛ ثم أيام العادل كتبها بعده؛ ثم أيام المنصور لاجين؛ ثم أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية؛ ثم أيام المظفر بيبرس الجاشنكير وبرهة من أيام الناصر بن قلاوون في سلطنته الثالثة، ثم نقله الى كتابة السر بدمشق عوضا عن أخيه القاضي محي الدين بن فضل الله وولى مكانه بمصر علاء الدين بن الاثير فبقي حتى مرض بالفالج وبطلت حركته، فاستدعي الملك الناصر القاضي محي الدين بن فضل الله من الشام وولاه ديوان الانشاء بالديار المصرية في المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكان ولده القاضي شهاب الدين هو الذي يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات الى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأعادها الملك الناصر الى دمشق وولى القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود في شعبان من السنة المذكورة فبقي حتى حج السلطان وعاد الى مصر فأعاد القاضي محي الدين وولده القاضي شهاب الدين الى ديوان الانشاء بالديار المصرية فبقيا الى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة؛ ثم تغير السلطان على القاضي شهاب الدين وصرفه عن المباشرة وأقام أخاه القاضي علاء الدين مكانه يباشر مع والده القاضي محي الدين؛ ثم سأل القاضي محي الدين السلطان في العود الى دمشق فأعاد وصحبه ولده القاضي شهاب الدين وقد كبر سنه وكتب له تقليد في قطع الثلاثين بان يستمر

على مكتبة دواوين الانشاء بالممالك الاسلامية وأن يكون جميع المباشرين بهذه
الوظيفة بالبواب الشريف فمن دونه نوابه وأنه حيث حل يقرأ القصص والمظالم ويقرر
الولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ويوقع فيها بما يراه ويجهز ذلك الى مصر ليعلم
عليه العلامة الشريفة . وولى بديوان الانشاء بالديار المصرية ولده القاضي علاء الدين
فبقي في الوظيفة بقية أيام الملك الناصر ، ثم أيام ولده الملك المنصور ابى بكر ، ثم أيام
أخيه الاشرف كجك ، ثم أيام أخيه الناصر احمد : فلما خلع الناصر احمد نفسه في سنة
ثلاث وأربعين وسبعائة وتوجه الى الكرك صحبه القاضي علاء الدين فأقام عنده
واستقر الصالح اسماعيل محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه الناصر احمد فقرر في
ديوان الانشاء القاضي بدرالدين محمد بن محي الدين بن فضل الله فبقي حتى عاد الناصر
احمد بن محمد بن قلاوون الى السلطنة فعاد القاضي علاء الدين بن فضل الله وبقي
بقية أيام الصالح اسماعيل ، ثم أيام أخيه الكامل شعبان ، ثم أيام أخيه المظفر حاجي ،
ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطنته الاولى ، ثم أيام أخيه الصالح صالح ، ثم أيام أخيه
الناصر حسن في سلطنته الثانية ، ثم أيام المنصور بن حاجي بن محمد بن قلاوون ، ثم أيام
الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فتوفي في أيامه : وولى الوظيفة بعده
ولده القاضي بدر الدين محمد فبقي بقية أيام الاشرف شعبان ، ثم أيام ولده المنصور
على ، ثم أيام أخيه الصالح حاجي بن شعبان الى ان خلع : وولى السلطنة الظاهر برقوق
فقرر في ديوان الانشاء القاضي اوحده الدين بن التركمانى فبقي حتى توفي فأعيد القاضي
بدر الدين محمد الى الوظيفة وبقي حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن
الاشرف شعبان وهو على ولايته ودام حتى حضر الظاهر برقوق من الكرك فتولى
مكانه القاضي علاء الدين الكركي وتوجه صحبه الى الشام فى طلب منطاش فات
القاضي علاء الدين الكركي فأعيد القاضي بدر الدين الى الوظيفة فى سنة ثلاث
وتسعين وسبعائة وبقي حتى مات صحبة السلطان بالشام : وولى مكانه القاضي بدر
الدين محمود الكلبستانى فى شوال سنة ست وتسعين وسبعائة فبقي حتى توفي فى جمادى
الاولى سنة احدى وثمانائة : فولى الظاهر برقوق مكانه القاضي فتح الدين فتح الله فبقي أيام
الظاهر وزمنا من أيام ولده الناصر فرج ثم صرفه الناصر فرج عن الوظيفة وولى

مكانه القاضي فخر الدين بن المزوق فبقي مدة لطيفة: ثم أعيد القاضي فتح الدين فتح الله الى الوظيفة ثم صرف عنها وولى القاضي سعد الدين بن غراب؛ ثم أعيد اليها القاضي فتح الدين فتح الله فبقي الى ان قبض على الناصر فرج واستبد المستعين بالله ابو الفضل العباسي بالخلافة والسلطنة؛ ثم فوض امر السلطنة الى السلطان الاعظم الملك المؤيد شيخ عز نصره ففوض ديوان الانشاء الى المقر الاشرف العالى المولى القاضى الكبرى الناصر محمد محمد بن البارزى والد المقر الشريف الكمالى المؤلف له هذا الكتاب فعلت رتبة ديوان الانشاء وغلت قيمته وجادت سحب الفضل وهمت ديمته وعلا به على سائر الدواوين وساد ودان فيه بالتاسخ فقال هذا الفاضل الك عاد

❦ الباب الخامس ❦

« فى قوانين ديوان الانشاء وترتيب أحواله وآداب أهله وفيه اربعة فصول »

* (الفصل الاول) *

« فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله ولقبه الجارى عليه

فى القديم والحديث »

اما رفعة قدره وشرف محله فأشرف قدر وأرفع محل يكاد ان لا يكون عند الملك اخص منه ولا الزم لمجالسته . ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك فى كل زمن مقدما لديهم على من عداه يلقون اليه اسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على ما لم يطلع عليه اخص الأخصاء من الوزراء والاهل والولد وناهيك برتبة هذا محله . حتى قال صاحب مواد البيان : ليس فى منزلة خديم السلطان والمتصرفين فى مهماته اخص من كاتب الرسائل؛ فانه أول داخل على الملك وأول خارج من عنده؛ ولا غنى به عن مفاوضته فى آرائه والافضاء اليه بمهماته وتقريبه من نفسه فى آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته فهو لذلك لا يثق باحد من خاصته ثقته به ولا يركن الى قريب ولا نسيب ركونه اليه ومحله منه فى عائدة خدمته وأثرة دولته محل قلبه الذى يؤامره فى مشكل امره حتى

يتنقح ويراجعه في مهم تديره حتى يتضح، ولسانه الذي يقرر بتربيته اوليائه على الطاعة والموافقة ويستقر بتربيته عن المعصية والمشاققة ويقرر بأوامره ونواهيته أمور سلطانه وينزلها منازلها في تمهيد مجالسها ويتمكن من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصالحة رعيته واجتلاب مودتهم واستخلاص نياتهم ، وعينه التي تلاحظ أحوال سلطانه ويرعيها مهمات شأنه، وأذنه التي يثق بما وعته ولا يرتاب بما سمعته، ويده التي يبسطها بالانعام ويبطش بها في النقض والابرام . قال : ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتبته فيها أفضل الاسباب وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب . قال ابن الطوير في ترتيب الدولة الفاطمية : وكان هذا المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل ، واليه تسلم المكاتبه وارده محتومة فيعرضها على الخليفة من يده وهو الذي يأمر بتنزيهاها والاجابة عنها ، وربما بات عند الخليفة ليالى وهذا أمر لا يصل اليه غيره . قال : وهو أول أرباب الأقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل ان يدخل الى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه الا الخواص ، وله حاجب من الامراء الشيوخ ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والحداد والمسند والدولة العظيمة الشأن ، ويحمل دواته استاذ من خواص الخليفة عند حضوره الى مجلس الخلافة . قلت : ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة ومجده اعظم محل اليه تلقى اسرار المملكة وخفاياها ، وبرأيه يستضاء في مشكلاتها وعلى تديره يعول في مهماتها ، وعليه ترد المكاتبات وعنه تصدر ، ومن ديوانه تكتب الولايات السلطانية بأسرها ، ويقوم توقيعها على القصاص في نفوذ الاوامر مقام توقيع السلطان عليها ، وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير في مزرته حتى ما يكتب من ديوان الجيش من مناشير الاقطاعات وما يكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرهما من المربعات ونحوها . وليس لاحد من أرباب مناصب الدولة التعرض لاختلامه السلطان غيره البتة . وناهيك بذلك رفعة وشرفاً باذناً

وأما لقبه الجاري عليه في كل زمن فقد كانوا في أوائل امر الخلافة الى آخر الدولة الايوبية يعبرون عنه « بالكاتب » لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القاضي في « عيون المعارف » فلما جاءت الدولة العباسية واقب ابو العباس السفاح اول خلفائهم

كاتبه أبا سلمة الخلال: الوزارة استقر لقب الوزارة من حينئذ ورفض التلقب بالكاتب؛ ثم كانت كتابة الانشاء تارة تضاف الى الوزارة ويكون الوزير تارة يباشرها بنفسه او يفوضها الى من يتحدث عنه فيها ، وتارة تنفرد عن الوزارة ويلقب متوليها تارة بصاحب ديوان الرسائل وتارة بصاحب ديوان المكاتبات او متولى ديوان المكاتباب وتارة بصاحب ديوان الانشاء . قال ابن الطوير : وكانوا يلقبونه في الدولة الفاطمية بالديار المصرية « كاتب الدست » . قلت : وانتهى الحال الى اوائل الدولة التركية والامر في ذلك مختلف : فتارة يعبر عنه بكاتب الدست ، وتارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان الانشاء ونحو ذلك الى ان ولي المنصور قلاوون فتح الدين ابن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فلقب بكاتب السر، ونقل لقب كاتب الدست الى طبقة دونه من كتاب الديوان ، واستمر هذا اللقب في العرف على كل من ولي الديوان بعد ذلك الى زماننا . وربما قيل « كاتم السر » بابدال الباء ميما ؛ وهو مستقيم من حيث اللفظ ومن حيث المعنى . أما من حيث اللفظ فان ربيعة تبدل الباء ميما والميم باء ؛ واما من حيث المعنى فانه الذي يكتم سرسلطانه مما اتى اليه من خفايا اموره . ثم انهم يطلقون ذلك على صاحب ديوان الانشاء بالابواب السلطانية بالديار المصرية ، وعلى أصحاب دواوين الانشاء بالممالك الشامية كدمشق وحلب وطرابلس وحمص والكرك . اما في عرف الديوان فيما يكتب فيه التقاليد والتواقيع والتعريف في المكاتبات فانهم يعبرون عن متولى ديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بصاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية ؛ ويعبرون عن متولى دمشق بصاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ، ويعبرون عن متولى ديوان حلب بصاحب ديوان المكاتبات بحلب وكذا في الباقيات بخلاف غزة اذا كانت مقدمة عسكر فانه يعبر عن متولى ديوانها بكاتب الدرج وكذلك الاسكندرية

❦ الفصل الثاني ❦

« في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه »

قال ابو الفضل الصوري : يجب ان يكون صبيح الوجه ، فصيح الالفاظ ، طلق

اللسان ، أصيلا في قومه ، رفيعا في حيه ، وقورا ، حليما ، مؤثرا للجد على الهزل ، كثير الأناة والرفق ، قليل العجلة والحرق ، نزر الضحك ، وقور النادى ، حديد الذكاء ، متوقد الفهم ، حسن الكلام اذا حدث ، حسن الأصغاء اذا حدثت ، سريع الرضا ، بطيء الغضب ، رءوفا بأهل الدين ساعيا في مصالحهم ، محبا لأهل العلم والأدب راغبا في نفعهم ؛ وان يكون محبا للشغل أكثر من محبته . للفراغ مقسما للزمان على اشغاله : يجعل لكل منها جزءا منه حتى يستوعبه في جميع أقسامها ، ملازما لمجلس الملك اذا كان الملك جالسا وملازما لديوانه اذا لم يكن جالسا ليتأسى به سائر كتاب الديوان ولا يجردوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم ؛ وأن يغلب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه ما لم ير في ذلك خلا على المملكة ، فإنه يجب ان يهدى النصيحة فيها للملك من غير ان يوجد (١) فيما تقدم من رأيه فسادا أو نقصا لكن يتحيل لنقض ذلك وتمجيئه في نفسه وايضاح الواجب فيه بأحسن تأن وأفضل تल्पف ؛ وان ينحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه ، ومهما حدث من الملك من رأى صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد أشاعه وأذاعه وعظمه وفخمه وكرره وذكره واوجب على الناس شكره ؛

وإذا قال الملك قولاً في مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقا للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فان ذلك خطأ كبير ، بل يصبر الى حين الخلوّة ويدخل في اثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلق برد ولا تبجح بما عنده ؛ ويكون متابعا للملك على اخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة من بسط المعدلة ، ومد رواق الأمانة ، ونشر جناح الانصاف ، واغاثه الملهوف ، ونصرة المظلوم ، وجبر الكسير والانعام على المعتر المستحق ، والتوفر على الصدقات وعمارة بيوت الله تعالى وصرف الهمم الى مصالحها ، والنظر في أحوال الفقهاء وحملته كتاب الله العزيز بما يصلح ، والالتفات الى عمارة البلاد ، وجهاد الاعداء ، ونشر الهيبة ، واقامة الحدود في مواضعها ، وتعظيم الشريعة والعمل بأحكامها ؛ وان أحسن منه بخلة تنافى هذه الخلال أو فعلة تخالف هذه الافعال نقله عنها بألطف سعى وأحسن تدريج ولم يدع ممكنا في تبيين قبحها

(١) أوجده الشيء : جملة يجده ، فالمعنى انه يتلطف في نصيح الملك بحيث لا يجعله

واصلاح رداءة عاقبتها وفضيلة مخالفتها الا بينه وأوضحه حتى يعيده الى الفضائل التي هي بالملك النبلاء أليق ؛ وان يكون مع ذلك بأعلى مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره وبعض الشيء على جميعه ، ويستغنى عن التصريح بالاشارة والأيماء لينبه الملك على الأمور من أوائلها ويعرفه خواتم الأشياء من مفتحاتها ؛ وان لا يكتب عن الملك الا ما يقيم منار دولته ويعظمها ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها ؛ ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكة ولا ذم لها على غابر الأيام ومستأنف الاحقاب ، وان أمر بشيء من ذلك خرج منه بتطلف في المراجعة وبين وجه القول فيه حتى يرجع فيه الى الواجب ؛ وان يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد حتى يقرر في نفسه امانة كل حديث يعلمه ويتناسى كل خبر يسمعه ؛ وان لا يطاع والدا ولا ولدا ولا أخا شقيقا ولا صديقا صدوقا على مادق او جل ولا يعلمه بما كثر منه ولا ماقل ، ويتوهم بل يتحقق ان في اذاعته ما يعلم به وضع منزلته وحط رتبته ، ويجتهد في ان يصير ذلك له طبعاً مركباً وأمرأ ضرورياً . قلت : وهذه الصفة هي الشرط اللازم والواجب المحتم وهي التي بها شهر وبالأضافة اليها عرف . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكاناً وأوسعهم علماً « الملوك تحتل كل شيء الا ثلاثة اشياء : القدر في الملك ، والافشاء للسر ، والتعرض للحرم » ومن كلام بعض الحكماء « سر من دمك » . قال صاحب العقد : يعنون انه ربما كان في افشاء سر كسفك دمك . والى ذلك يشير ابو محمد بن الثقف بقوله قد أظعن الطعنة النجلاء عن عرض واكتم السر فيه ضربة العنق

* (الفصل الثالث) *

« فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان ويصرفه بقلمه . والمرجع

في ذلك الى اثني عشر امراً »

أحدها - التوقيع على القصص بما يعتمده كاتب الانشاء في الولايات والمكاتب المتعاقبة بالمملكة والتخذي في المظالم . مما كان يتعامله الخلفاء ثم الوزراء . وهذا أمر جليل ومنصب حفيظ

الثاني - النظر في الكتب الواردة عليه من أهل مملكته ومن ملوك الأقطار

وقراءتها على الملك وحسن السفارة في ذلك

الثالث - النظر في رد الاجوبة عن الكتب الواردة على ملكه وإشمار الملك ما يراه من الآراء الصائبة في ذلك واعلامه ان من أعظمها خطرا أن يصدر جواب كل كتاب يرد عليه في يومه وان يقال في تاريخه : « وكتب في يوم وصول كتابك وهو يوم كذا » فان ذلك مما يقيم للملك هبة ويبدل علي نطلعه للأمر وانتصابه لتدبير مملكته

الرابع - النظر فيما تتفاوت به المراتب في المكاتبات والولايات من الافتتاح والدعاء والألقاب وقطع الورق ونحو ذلك . وقد كان هذا الباب في زمن الخلفاء في غاية من الضبط والتحرير حتى لقد قال صاحب مواد البيان : « ان الملوك تسمع بدرات المال ولا تسمع بالدعوة الواحدة »

الخامس - النظر فيما يكتب من ديوانه وتصفحه قبل اخراج ذلك من الديوان . قال ابو الفضل الصوري : على متولى الديوان ان يتصفح ما يكتب من ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبات اذ الكاتب غير معصوم من الخطأ واللحن وسبق القلم : فما وجد من لحن أو خطأ أصلحه ونبه كاتبه عليه ليحذر مثله . فان تكرر منه زجره وردعه فربما زل الكاتب في شيء فزل بسببه متولى الديوان بل السلطان بل الدولة بأسرها . قال : فان كان متولى الديوان مشتغلا بحضوره مجلس السلطان ومخاطباته نصب له في ذلك نائبا كامل الصنعة يقوم مقامه فيه

السادس - النظر في أمر البريد ومعلقاته . وقد كان أمر البريد في الزمن المتقدم ، والدوادارية يومئذ امراء صغار وأجناد ، اما بتلقي ما رسم به فيه كاتب السر عن السلطان نفسه أو يخرج برسالة السلطان على لسان بعض الدوادارية مما يرسم به لمن يركب البريد في المهمات السلطانية وغيرها الى صاحب ديوان الانشاء فيأمر بعض الموقعين بتزنيها ليعمل بمقتضاها . وكان للبريد الواح من نحاس كل واحد منها بقدر راحة الكف على احد وجهيه « لاله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وعلى الآخر ألقاب ذلك السلطان . والواحد

يلقى بشراية حرير أصفر (١) يجعلها راكب البريد في عنقه ويرسل الشراية بين اكتافه. وتلك الألواح عند كاتب السر: اذا رسم بخروج بريدى دفع اليه لوحا وشراية وكتب له ورقة بخطه الى أمير اخور البريد بالاسطبلات السلطانية بما تبرز به الرسالة من الخيل ويكتب اسم البريدى في آخر الكتاب، ويكتب له ورقة طريق بأن يتوجه الى جهة قصده وعوده. قلت: وقد تغير كثير من ذلك (٢) بطل حكم الواح البريد وتعطلت مراكز البرية وصارت أكثر امور البريد يعلقها، وقعه برسالة عنه وتشتك تلك الرسالة بأضبارات ديوان الانشاء

السابع: النظر في أبراج الحمام وتعلقاتها - والثاني في ذلك أن للحمام ابراجا قريبة بدرج الحمام من القلعة اليها: فينقل حمام القلعة الى أقرب الابراج اليها، وحمام ذلك البرج الى البرج الذي يليه في تلك الجهة الى منهاها. فإذا عرض أمر لديهم كتب (٣) بطاقتان ويؤرخان بساعة كتابتهما من النهار ويعلق كل واحدة في جناح طائر من الحمام الرسائلي ويرسلان. ولا يكتفى بواحد لاحتمال ان يعرض له عارض يمنعه من الوصول. فإذا وصل الطائر الى البرج الذى وجه به اليه أمسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذى يليه وعلى ذلك الى المقصد الذى يريد من القلعة الى غيرها من الجهات أو غيرها من الجهات اليها فتقرأ البطاقة ويعلم ما فيها الثامن: النظر في امر الغداوية - وهم طائفة من الاسماعيلية من الشيعة المنتسبين الى اسماعيل بن جعفر الصادق القائلين بأمامته مقيمون بقلاع الدعوة وهي: مصياف، والرصافة، والخوابي، والقدموس، والكهف، والعليقة، والمينقة. قال في مسالك الابصار: وهم يعتقدون ان كل من ملك مصر كان مظهرا لهم ولذلك يتولونه ويرون اتلاف نفوسهم في طاعته لما ينقلون اليه من التقيم الا كبر بزعمهم. قال: واصحاب مصر بمشايقتهم

(١) الشراية معروفة وليست من اللغة العربية في شئ (٢) وقد تغير الخ هكذا عبارة الضوء، اما الصبح فقد اوردنا على هذا السياق: وقد بطل الآن ما كان من أمر الألواح وترك وصار كل بريدى عنده شراية حرير صفراء يجعلها في عنقه من غير لوح... ولم يزد في هذا الصدد (٣) في الصبح: فإذا عرض امر مهم... الى مكان من الأمكنة التي فيها برج من أبراج الحمام كتب اليها المتحدث فيها الخ

مزية يخافه بها أعداؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالي ان يقتل بعده ومن بعثه الى عدوه له فخبين عن قتله قتله أهله اذا عاد اليهم وان هرب تبعوه وقتلوه قلت : وكانوا في الزمن المتقدم يسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة « مقدم الفداوية » وتارة « شيخ الفداوية » اما الآن فقد سمو أنفسهم بالمجاهدين وسموا كبيرهم « انا بك المجاهدين » . وقد كان الملوك في متقدم الزمان يمنعون هذه الطائفة من مخالطة الناس ويمنعون الناس من الدخول الى بلادهم لشراء قماش وغيره كما لامرهم ثم انحلت تلك العرى وزال ذلك النظام كله

التاسع : النظر في امر العيون والجواسيس — وهو مهم عظيم من مهمات الملك على صاحب ديوان الانشاء مداره ، واليه رجوع تدبيره ، واختيار رجاله ، وتصر يفهم على وجوه السداد . فيجب عليه الاحتياط في امر الجواسيس اكثر من احتياطه في امر البريد والرسول ؛ لان الرسول قد يتوجه الى الصديق وقد يتوجه الى العدو ، والجاسوس لا يتوجه الا الى العدو . فاذا وثق بجاسوسه اعتمد عليه وعمل بمقتضى خبره . وقد شرطوا في الجاسوس شروطا يجب المصير اليها : منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، وان يكون ذا حدس صائب ، وفراسة تامة ، كثير الدهاء والحيل والخديعة ، له دربة بالاسفار ومعرفة بالبلاد ، عارفا بلسان أهل البلاد التي يتجسس فيها ، صبورا على ما لعله يصير اليه من عقوبة ان ظفر به الى غير ذلك من الامور الاحاطية

العاشر : النظر في أمور القصاد الذين يسافرون بالمطافئ من الكتب عند تعذر وصول البريد الى ناحية من النواحي . وقد ذكر ابن الاثير في تاريخه ان اول من اتخذ السعاة للمهمات معز الدولة بن بويه اول ملوك الديلم بالعراق . قلت : وذلك بالديار المصرية الى الآن معزوق بخفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم من له شدة العدو وسرعة السير مع الدربة بالسفر والاخذ بالاحتراس والحذر . وقد اخبرني بعض من سافر في ذلك منهم أنهم في الغالب عند خوف التفطن بهم يكمنون نهارا ويمشون ليلا وربما اخذوا جانبا عن الطريق . واذا كانوا جماعة لا يمشون الا متفرقين فاذا طلع النهار كمنوا متفرقين مع مواعدهم على مكان يجتمعون فيه

الحادي عشر : النظر في امر المناور والمحرقات - اما المناور فسيأتي انه كان

في الزمن القديم عند ملك التتار (١) ووقوع الحرب بينهم وبين الديار المصرية كان بين الفرات بأخر الممالك الشامية وإلي قريب من مدينة بليس من الديار المصرية أمكنة مرتبة برءوس جبال عوال بها اقوام مقيمون فيها لهم رزق على السلطان من اقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار وانصل ذلك بمن بالقلاع المجاورة للفرات من الاعمال الحلية فأن كان ذلك بالليل أوقدت النار بالمكان المقارب للفرات من رءوس تلك الجبال فينظره من بعده فيوقد النار وهكذا حتى ينتهي الوقود الى المكان الذي بالقرب من بليس في يوم او بعض يوم فيرسل والى بليس بطاقة على اجنحة الحمام بالأعلام بذلك . قلت : كان الأصل في ذلك ما حكاه قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه ان المعز بن باديس حين كان بالقرب رتب مناوور من سبته ببر العدة الى بلاد الاسكندرية فكان ينقل الخبر من سبته الى الاسكندرية في يوم واحد

اما المحرقات فسيأتي انه كان قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحولون على احراق زروعهم بأن تمسك الثعالب ونحوها من وحوش البر وتربط الحرق المغموسة في الزيت بأذنانها وتوقد فيها النار وترسل في زروعهم إذا يبست فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنانها فتذهب في الزروع آخذة يمينا وشمالا فما مرت بشيء الا أحرقتة وتتواصل النار بعضها ببعض فتحرق المزرعة عن آخرها . قلت : وهذا الامر ان قد بطل حكمه ما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار وهلم جرا الى زماننا

الثاني عشر : النظر في الأمور العامة مما يعود نفعه على السلطان — قال صاحب مواد البيان : انه يجب على متولى ديوان الانشاء ان لا يألو سلطانه نصحا فيما يعلم انه أفلح لمملكته وأمر لبلاده وأرغم لأعدائه وحساده وأثبت لدولته وأقوى لاسباب مملكته . قال : فاذا انتهى الى صاحب هذا الديوان خبر يتعلق بجلب نفع الى المملكة او دفع مضرة عنها أطلع سلطانه عليه في أسرع وقت واعجله قبل فوات النظر في ذلك وبحله صائب الرأي فيه ثم رد النظر فيه الى رأي السلطان ليخرج عن عهده :

(١) عبارة الصبح : عند وقوع الحرب بين التتار واهل هذه المملكة الخ

وان ارتاب في خبر الخبر أحضره معه الى السلطان ليشافه فيه حتى يكون بريئاً من تبعته؛ ولا يهمل تبليغ خبره للريية لاحتمال صحته في نفس الامر فيلحق بواسطة اهماله ضرر لا يمكن تداركه؛ وكذلك الحال في سائر ما يرجع الى صلاح المملكة وحسن تدبيرها

* (الفصل الرابع) *

« في ذكر وظائف ديوان الانشاء بالديار المصرية وفيه حلان »

﴿ الحل الاول ﴾

« ما كان الامر عليه في الزمن المتقدم في الدولة الفاطمية وما يابها »

قد ذكر ابو الفضل الصوري في مقدمة تذكرته ان ارباب الوظائف فيه على

ضر بين :

﴿ الضرب الاول ﴾

« الكتاب ، وعدتهم سبع »

الاول : كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات والولايات - ويشترط فيه ان يكون لاحقاً بصفات متولى الديوان في الفضل والبلاغة ، واسع الباع في الكلام لانه يتولى الانشاء من نفسه وتلقى اليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاماً طويلاً ويأتي فيه بالعبارة الواسعة وهو لسان الملك المتكلم عنه فهما كان كلامه ابداع وفي النفوس أوقع عظمت رتبة الملك وارتفعت منزلته على سائر الملوك فقد حكى ان يزيد بن الوليد كتب الى ابراهيم بن الوليد وقد همم بالعصيان : « أما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت والسلام » . فكان سبباً لأقلاعه عما هم به

الثاني : كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه - وقد شرط فيه مع ما شرط في المتصدى للانشاء ان يكون على دين الملك ومذهب ما يحتاج اليه في مكاتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ونصرة مذهبه بخلاف ما اذا كان مخالفاً لدينه ومذهبه فان المخالف انما يظهر له مواضع الطعن دون الاحتجاج ، وان يكون مع ذلك من علو الهمة وقوة العزم

وشرف النفس بالمحل الأعلى والمكان الارفع فإنه يكاتب عن ملكه وكل كاتب فإنه يجره طبعه وجبته وخيمه الى ما هو عليه من الصفات : فكلما كان الكاتب أقوى جاشاً واشد عزماً وأعلى همة كان على التفضيم والتعظيم والتمويل والترغيب والترهيب اقدر ، وكلما نقص من ذلك نقص من كتابته بقدره ؛ وان يكون عارفاً بقدر طبقة المكتوب اليه في معرفة اللسان العربي فيخاطب كل قوم على قدر رتبهم في ذلك وما يعرف من فهمهم الثالث - كاتب يكتب مكاتبات اهل الدولة وولاتها ووجوهها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال وانشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار والامانات وكتب الأيمان والقسمات - وشرط فيه ان يكون مأموناً على الاسرار، كاف اليد، نزه النفس، عن العرض الديوى لانه يطالع على أكثر ما يجري في الدولة ويعلم بالوالى قبل توليه والمصروف قبل صرفه وان يكون مع ذلك سريع اليد في الكتابة حسن الخط إذ كان هذا القدر أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل عن ذلك في أكثر الاوقات

الرابع - كاتب يكتب المناشير يعنى المطلقات ونحوها مما لا يختم ، والسكتب اللطاف والنسخ . وقد شرط فيه أن يكون مأموناً كتموماً للسر ، فيه من الادب ما يأمن معه من الخطأ والزلل في لفظه وخطه ، ويكون مع ذلك حسن الخط بالغا فيه القدر الكافي وربما احتاج الى معين لكثرة تعلقات هذا الصنف من الكتابة بالديوان الخامس - كاتب يبيض ما ينشئه المنشىء مما يحتاج الى حسن الخط كالمهود والبيعات ونحوها، فإنه قل ان يجتمع الانشاء وحسن الخط في واحد، لتصدر الكتب عن الملك بالألفاظ الرائقة والخط الرائع؛ فان ذلك أكمل للمملكة وأكثر تفضيماً عند من يكاتب عنها ؛ وان يكون مع ذلك من الامانة وكمال السر ونزاهة النفس بالمكان الارفع

السادس - كاتب يتصفح ما يكتب في الديوان، فان الكاتب غير معصوم من السهو والخطأ واللحن وعثرات القلم . وكل أحد يتغطى عليه عيب نفسه ويظهر عنده عيب غيره ، وزمن متولى الديوان أضييق من أن يقف على كل ما يكتب بديوانه بنفسه ، والمطلوب أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطأً ولفظاً ومعنى واعراباً حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً . وشرط فيه أن يكون عالى الرتبة في اللغة والنحو وحفظ

كتاب الله تعالى ، ذكياً ، حسن الفطنة ، عاقلاً مأموناً ؛ وان يكون مع ذلك بعيداً من الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يبغض أحداً حقه ولا يحابي أحداً فيما أنشأه او كتبه بل يكون الكل عنده في الحق على حد واحد . وعليه ان يلزم الكتاب بعرض ما ينشئونه ويكتبونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان . فأذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعرف به رضاه ليلتزم بدرك ما فيه ويبرأ كاتبه ومنشيه

السابع - كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمنة لتعلقات الديوان المشتملة على مهمات الامور التي تنهى في ضمن الكتب ليسهل استخراجها منها اذا سئل عنها ويجعل لكل صفحة او رقاعاً على حدة ويكتب عليها « فصل من كتاب فلان ، ورد بتاريخ كذا ، مضمونه كذا ، أجيب عنه بكذا ، او لم يجب عنه » الى ان تفرغ السنة يستجد للسنة الاخرى تذكرة أخرى ؛ وكذلك تذكرة فيها مهمات ما صرح به من الاوامر في الكتب الصادرة على نحو ما تقدم من ذكر النواحي وأرباب الخدم ؛ واذا ورد جواب فيقول « ورد جوابه في تاريخ كذا بما صورته كذا وكذا » ؛ وان يضع في الديوان دفترأً بألقاب الولاة وغيرهم من ذوى الخدم وأسمائهم وترتيب مخاطبتهم وكل واحد منهم كيف يخاطب : بكاف الخطاب او هاء الكناية ومقدار الدعاء الذي يدعى له به في السجلات والمكاتبات والمناشير والتوقيعات ، وألقاب الملوك الأباعد والمكاتبين من الآفاق وكنامهم وترتيب الدعاء لهم ومقداره ؛ ومتى تغير شئ من ذلك كتبه تحته ؛ ومتى صرف أحد من الولاة كتب عليه « صرف بتاريخ كذا ، واستخدم عوضاً عنه فلان بتاريخ كذا ، وأجرى في الدعاء على مهاجه او زيد او نقص » ؛ ويكون ذلك الدفتر موضوعاً في الديوان لينقل منه الكاتب ما يتقرر عليه حفظه . . . قلت : وهذا قد استغنى عنه في زماننا بالدساتير المصنفة في هذا الباب كالتعريف والتثقيف ونحوهما الا ان الدفتر أولى لما يعرض من الزيادة والنقص والتغيير . وأن يضع بالديوان دفترأً للحوادث العظام وما يتلوها مما يجرى في المملكة وتاريخ كل واقعة منها حتى انه لو جمع من هذين الدفتريين تاريخ لا اجتماع ؛ وأن يعمل فهرستاً للكتب الصادرة ، وفهرستاً للكتب الواردة ، وفهرستاً لانشاء التقاليد والامانات وغير ذلك ، وفهرستاً لما يترجم من الكتب الواردة بغير اللسان العربي من الرومي والفرنجي وغيرهما ؛ ويكون لكل شهر من شهور السنة فهرست يجعل

في إضبارة فاذا انقضت تلك السنة أخذ فهرستاً آخر لتلك السنة مفصلاً بأشهرها

* (الضرب الثاني) *

(غير الكتاب)

والذي تدعو الضرورة اليه من ذلك اثنان :

احدهما الخازن الذي يحفظ ما في الديوان من الأضبارات والدفاتر . قال الصوري :
ويجب فيه أن يكون رجلاً ذكياً فطناً عاقلاً . أموناً بالغ الامانة والثقة ونزاهة النفس
وقلة الطمع

الثاني : حاجب الديوان . قال الصوري : ينبغي لصاحب ديوان الانشاء ان
يقيم لديوانه حاجباً لا يمكن احداً من الناس من الدخول اليه خلا أهله الذين هو
معزوق بهم كتمماً لما يجري فيه من سر المملكة وحفظاً لها عن الاشاعة
قلت : وقد استغنى عن خازن الديوان وحاجبه الآن بدوادار كاتب السر فهو
الذي يحفظ ما فيه من التعلقات ويمنع من شاء من دخوله

﴿ الخال الثانية ﴾

(ما الامر عايه في زماننا . والكتاب فيه على طبقتين)

الطبقة الاولى : كتاب الدست - وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار
العدل في المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة (١) ويقرون القصص على السلطان بعد قراءة
كاتب السر عليه على ترتيب جلوسهم ، ويقعون على القصص بما يأمر به السلطان كما يقع عليها
كاتب السر ، ثم ترفع تلك القصص الى كاتب السر ليعينها على كتاب الدرج وسماوا
« كتاب الدست » اضافة الى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه ، جلوسهم للكتابة
بين يديه . وهو لا هم أحق كتاب الانشاء ، باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب
القصص . ويتال انهم كانوا في أوائل الدولة التركية في أيام الظاهر بيبرس وما والاها
قبل ان يلقب صاحب ديوان الانشاء بكاتب السر ثلاثة كتاب رأسهم القاضي محبي

الدين بن عبد الظاهر . اما الآن فقد زادوا في العدة وخرجوا عن الحد الا أن الاعيان منهم قليل لحدوثهم

الطبقة الثانية : كتاب الدست - وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر وكتاب الدست او ما كان بأشارة النائب او الوزير او برسالة الدوادار وغير ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجرى مجراه . وسموا « كتاب الدرج » لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في درج الورق ؛ والمراد بالدرج في العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة اوصال ؛ وفي عرف الديوان انه يسمى كل عشرين وصلا منها درجاً . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : وهو في الاصل اسم للفعل أخذنا من « درجت الكتاب ادرجه درجاً اذا اسرعت طيه ، وأدرجته ادراجاً اذا أعدته على مطاويه » ويجوز ان يطلق على هؤلاء : كتاب الانشاء ؛ لانهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدم ذكره . ولا يجوز في الحقيقة ان يطلق عليهم اسم الموقعين لما تقدم من ان المراد بالتوقيع : الكتابة على حواشي القصص ونحوها . ثم كما زادت عدة كتاب الدست زادت عدة كتاب الدرج حتى خرجت عن الحد ؛ وفيهم العالي الرتبة والمنحط

اما كتابة الدفاتر بالديوان بذكر ما يجرى فيه فقد كان الامر في ذلك مستمرا في بعضها ككتابة ما في المكاتبات الواردة والصادرة بدقتر في الديوان الى آخر مباشرة القاضي بدر الدين بن فضل الله في الدولة الظاهرية بقوق ، ثم رفض ذلك وترك واقتصر على ما يرد من المكاتبات وما يكتب من الملخصات وترجمة الكتب وكتابة الموقع الذي يكتب الجواب بسد كل فصل تحته وحفظ ذلك بأضبارات الديوان . واكتفى من الخازن بدوادار كاتب السر وصار هو المتولى لحفظ ذلك وايداعه في الأضابير واليه صار امر حجابة الديوان أيضاً . قلت : وقد أخذ المقر الاشراف الداىرى صاحب ديوان الانشاء في الدولة المؤيدية شيخ في ضبط مهم المكاتبات الصادرة والواردة بدقتر بخطه

❦ المقالة الاولى ❦

(في بيان ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد ، وفيه بابان)

❦ الباب الاول ❦

« فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العامة ، وفيه ثلاثة فصول »

* (الفصل الاول) *

« فيما يحتاج اليه الكاتب على سبيل الاجمال »

وقد اختلفت مقاصد المصنفين في ذلك : فابن قتيبة بعد ان بنى كتابه « أدب الكاتب » على أمور من اللغة والتصريف وطرف من الهجاء وغير ذلك قال : وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلق بالانشاء الا بالجسم ، ولا من الكتابة الا بالرسم ، ولم يتقدم من الاداة الا في القلم والدواة ؛ ولكنه لمن سدد شيئا من الاعراب فعرف المصدر والمصدر ، وانقلاب الياء عن الواو ، والالف عن الياء ، واشباه ذلك من النظر في الاشكال لمساحة الارضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحاد ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الاحجار ، والمربعات المختلفة ، والقسى والمدورات ، والعمودين . وتمتحن معرفته بالعمل في الارضين لاني الدفاتر فان الخبر عنه ليس كالمعادين . وذكر ان المعجم كانت تقول : من لم يكن عالما باجراء المياه ، وحفر فرض المشارب ، وردم المهاوى ، ومجارى الايام في الزيادة والنقصان ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر في استهلاله واتصاله ، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع ومختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصناعات ، ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته . ثم قال : ولا بد مع ذلك من النظر في جمل من الفقه والحديث ودراسة اخبار الناس وحفظ عيون الاخبار ليدخلها في تضاعيف سطورها متمثلا بها اذا كتب او يصل بها كلامه اذا حاور . وختم ذلك بان قال : ومدار الامر في ذلك كله على القطب وهو العقل وجودة القرية ؛ فان القليل معها بأذن الله تعالى كاف والكثير مع غيرهما مقصر . وتابعه أبو هلال العسكري في « الصناعتين » في بعض ذلك فقال

في بعض ابوابه : وينبغي ان يعلم ان الكتابة تحتاج الى آلات كثيرة وأدوات حجة من معرفة العربية لتصحيح الالفاظ واصابة المعنى ، وفن الحساب ، وعلم المساحة والمعرفة بالازمنة والشهور والاهلة ، وغير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره وشرحه . ولا يخفى ان ما ذكره بعض مما ذكره ابن قتيبة يتواردان فيه في المعنى وان اختلف اللفظ . وخائف أبو جعفر النحاس في كتابه « صناعة الكتاب » في كثير من ذلك فذكر في المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالخط ان من أدوات الكتابة البلاغة ، ومعرفة الاضداد مما يقع في الكتب والرسائل ، والعلم بترتيب أعمال الدواوين والخبرة بمجاري الاعمال ، والدرية بوجوه استخراج الاموال مما يجب ويمتنع . ثم قال : فهذه الآلات ليس لواحد منها تميز بذاته ولا انفراد باسم يخصه ، وانما هو جزء من الكتابة وأصل في أركانها : اما الفقه ، والفرائض ، والعلم بالانساب (١) فكل واحد منها منفرد على حدته وان كان الكاتب يحتاج الى أشياء منها نحو ما يكتب بالألف والياء ، وإلى شيء من المقصور والمدود . قال : ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصب طريقا للأسهل والأشق مفتاحا للأهون وفي طباع الناس الفار عما ألزمهم (٢) من جميع هذه الاشياء ،

قلت : والتحقيق ان ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها ، فكل نوع من أنواعها يحتاج الى معرفة فن او فنون تختص به . ويوضح ذلك ما ذكره حائك الكلام في حكايته مع عمرو بن مسعدة وزير المؤمنين من ذكره ان كاتب الرسائل يحتاج الى ان يعرف المفصول والموصول ، والمقصور والمدود ، والابتداء والجواب ، وان يكون حاذقا بالمعقود والفتوح ؛ وكاتب الخراج يحتاج الى ان يعرف السطوح ، والمساحة والتقسيم ، وان يكون خبيرا بالحساب والمقاسمات ؛ وكاتب القاضي يحتاج ان يعرف الحلال والحرام ، والتأويل والتزليل ، والمتشابه ، والحدود القائمة ، والفرائض ، والاختلاف في الاموال والفروج ، وان يكون حافظا للاحكام حاذقا بالشروط ؛ وكاتب الجند يحتاج ان يعرف المالي والشيآت ؛ وكاتب الشرطة يحتاج ان يعرف القصاص ،

(١) اكتفى في الضوء بذكر الفقه والفرائض والعلم بالانساب ، وفيه نقص يحل بمعنى ما بعده ، ولو ذكر معها النحو والغة كما في الصبح اتوقى هذا النقص وامتنع الاخلال
(٢) كذا بالاصل ويظهر ان المراد : عما هو ألزم لهم

والجراحات ، وموضع الحدود ، ومواقع العفو في الجنايات . فجعل لكل كاتب ادوات تخصه على ما ذكر في الاصل من ايراد الحكاية عليها . على أن كاتب الانشاء لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن . فقد قال ابن الاثير في « المثل السائر » : ان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التثبت بكل فن حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله الناذبة بين النساء ، والمباشطة عند جلوة العروس ، والى ما يقوله المنادى في السوق على الساعة . فما ظنك بما فوق هذا . وذلك لانه يؤهل لأن يهيم في كل واد فيحتاج الى ما يتعلق بكل فن . بل قد قيل : ان كل ذى علم يسوغ ان ينسب اليه : فيقال فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يجوز ان ينسب المتعلق بالكتابة اليها . فلا يقال فلان الكاتب لما يقتدر اليه من الخوض في كل فن . نعم ليس احتياجه الى جميع الفنون على حد واحد ، بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات كاللغة والنحو والتصريف وعلوم البلاغة من المعانى والبيان والبديع ونحو ذلك مما يجرى هذا الجرى ، وعلى ذلك اقتصر الوزير ضياء الدين في « المثل السائر » والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في « حسن التوسل » . ومنها ما يحتاج اليه بطريق العرض كاطب والهندسة والهيئة ونحوها مما يحتاج اليه باعتبار ما يعرض للكاتب من الاقتباس من الفاظ فن من الفنون او الاستشهاد ببعض رجاله ؛ فانه يحتاج الى معرفة الالفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، والى معرفة المشهورين من أهله ، ومشاهير الكتب المصنفة فيه ، فينظم ذلك في خلال كلامه فيما يكتبه من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالالفاظ الدائرة بين أهل الطب ، ومشاهير أهله ، وكتبه فيما يكتب به لرئيس الاطباء ، ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لنجم ونحو ذلك . وربما احتيج الى معرفة ما هو دون ذلك في المرتبة كعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به من قدمات البندق ، ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به في دسكرة الفتوة ، بل ربما احتيج الى معرفة مصطلح سفل الناس كعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب لطفيل ، مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج الى وصفه كوصاف الابطال والشجعان والجوارى والعلمان والخيل والابل وجليل الوحش وسائر أصنافه وجوارح الوحش والطيور وطير الواجب والحمام الهدى وسائر أنواع الطير والسلاج بأنواعه وآلات الحصار والآلات الملوكة

وآلات الفر وآلات الصيد وآلات المعاملات وآلات الالهو والطرب وآلات
 اللعب وآلات الشرب والمدن والحصون وبيوت العبادات والرياض والاشجار والثمار
 والازهار والبرارى والقفار والمقاويز والجبال والرمال والادوية والبحار والانهار وسائر
 المياه والسفن والكواكب والعناصر والازمنة والانواء والرياح والمطر والحر والبرد
 والتلج وما يتعلق بكل واحد من هذه الاشياء او ينخرط فى سلكه ونحو ذلك مما
 تدعو الحاجة الى وصفه فى حالات الكتابة

﴿ الفصل الثاني ﴾

« من الباب الاول من المقالة الاولى — فيما يحتاج الكاتب الى معرفته من مواد
 الانشاء ويشتمل الغرض منه على خمسة عشر نوعا »

* (النوع الاول) *

« المعرفة باللغة وهي على ضربين »

الضرب الاول : العربية — ولا مرية فى ان اللغة العربية هي رأس مال الكاتب
 وأس كلامه وكنزاً نفاقه من حيث ان الالفاظ قوالب المعانى التى يقع التصرف
 فيها بالكتابة وحينئذ فيحتاج الى طول الباع فيها وسعة الخطو بحفظ ما يتبها له حفظه
 من مختصرات اللغة كفصيح ثعلب وكفاية المتحفظ والمذهبة والمعقبة لابن أصبغ (١)
 وايساع النظر فى كتبها المبسوطة كصحاح الجوهري ومحكم ابن سيده وعباب الصغاني
 وجامع الازهرى ومجل ابن فارس وغيرها من كتب اللغة مع معرفة أنواعها من الاسماء
 المترادفة وهي توارد الاسماء على المسمى الواحد كالبر والحنطة ، والاسماء المشتركة
 وهي ان يتحد الاسم ويختلف المسمى كالعين فانها تقع على العين الباصرة والعين
 الجارية وغيرهما وغير ذلك من أنواعها فيستظهر على ما ينشيه ويحيط علماً بما يذره وبأتيه وناهيك
 ان ابن قتيبة لم يضمن كتابه « أدب الكاتب » غير اللغة الا النزول اليسير من
 الهجاء ، وأبا جعفر النحاس قد ضمن كتابه « صناعة الكتاب » جزءاً وافراً من اللغة

(١) كذا فى الضوء ، وهو فى الصبح : ابن أصبغ ؛ ولعله الامام ابو محمد عبد العظيم

ابن أبى الأصبع العدواني المصرى مؤلف « تحرير التحبير » فى البدع

وأبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه « كنز الكتاب » على ذكر الالقب وتركيبها .
 فإذا أكثر من حفظ الالفاظ اللغوية وعرف الالفاظ المترادفة والمتقاربة المعاني تمكن
 من التعبير عن المعاني التي يضطر الى الكتابة فيها بالعبارة المختلفة والالفاظ المتباينة ،
 وسهل عليه التعبير عن مقصوده ، وهان عليه انشاء الكلام وتربيته ، وساغ له العدول
 عن ضيق المجال من لفظ الى غيره مما هو بمعناه ؛ واذا عرف المشترك تفنن في الكلام
 بتعبيره عن الشيء بلفظ ثم تعبيره عنه مرة أخرى بلفظ آخر مع ايضاح ذلك بذكر
 تخصيصه كقولك : عين حسناء في الباصرة ، وعين نضاجة في الجارية ، ونحو ذلك .
 وانت اذا تأملت كنز الكتاب لكشاجم عرفت فائدة كثرة الاطلاع على اللغة في
 اقتدار الكاتب بذلك على ما يروم تأليفه من الكلام لاسيما المترادف . ألا ترى الى
 كشاجم كيف يورد الرسالة متواردة الالفاظ العديدة على المعنى الواحد كما في قوله في
 كريم الأصل : مخضر الأرومة : نجيب العنصر ، خالص السنخ ، صادق المحتد ، وافر
 الحسب ، ثاقب النسب ، محض الضرائب ، ظاهر الحزم ، صريح النصاب ، زكي الفرس
 طيب المنتمى ، سامي المركب ، رفيع النجر ، تالد المجد ، موفي الشرف ، سابق القدم ،
 شريف المنصب ، وافر المقدم ، عالي البيت ، مثبت الأتالة ، موفر الأثرة ، أغر المناقب .
 فلو لا سعة بابه في اللغة ما أتى له مثل هذه الالفاظ المترادفة والمتقاربة

الضرب الثاني : اللغة العجمية - وهي كل ما عدا العربية كالتركية والفارسية
 والرومية وغيرها من سائر اللغات وان كان العامة يعتقدون ان العجمية هي الفارسية
 ليس الا . واعلم ان الكاتب يحتاج الى معرفة اللغة العجمية من اللغات التي ترد
 على ملكه المكاتبات بها كالغلية ، والفارسية ، والرومية ، والفرنجية بالنسبة الى
 كتاب ديوان الانشاء بمملكة الديار المصرية ليكون بقراءة ما يرد من المكاتبات
 الواردة في أكمل رتبة وذلك أكرم لسر سلطانه من حيث انه لا يطلع على كتبه ترجمان .
 وشاهد ذلك من السنة ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن ثابت رضي
 الله عنه : يا زيد تعلم كتاب يهود فأنى والله لا آمن يهود على كتابي . قال : فتعلمت
 كتابتهم فما مر لي ستة عشر ليلة حتى حذقتها فكنت اقرأ له كتبهم اذا كتبوا اليه

وأجيب اذا كتب : وفي رواية العبرانية بدل السريانية (١) . قال محمد بن عمر المدائني : بل قد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وان كان عربياً لأن الله بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً الى قوم لا يفهمون عنه ولذلك كلف سلمان بالفارسية وساق بسنده الى عكرمة أنه قال : سئل ابن عباس ، هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية ؟ . قال : نعم ، دخل عليه سلمان فقال له « درسته و سادته » قلت : وحينئذ فيكون النبي صلى الله عليه وسلم انما أمر زيدا بتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه صلى الله عليه وسلم

﴿ النوع الثاني ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب النحو والأخذ منه بالحظ الوافر، وصرف اهتمامه منه الى القدر الكافي ، قال في حسن التوسل : ويتبع ذلك قراءة ما يتفق له من كتبه التي يحصل بها المقصود من معرفة العربية بحيث يجمع بين طرفي الكتاب الذي يقرأ ويستكمل استشرابه ، ويكتب على الاعراب ويلازمه ويجعله دأبه ليرتسم في فكره ، ويدور على لسانه ، وينطلق به عقال قلمه وكله ، ويزول به الوهم عن سجيته ، ويكون على بصيرة من عبارته ، فإنه لو أتى من البراعة بأتم ما يكون ولحن ذهبت محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه وألقى جميع ما أحسنه ووقف به عند ما جهله . قال في المثل السائر : وهو أول ما ينبغي اتيان معرفة لكل متكلم باللسان العربي ليأمن معرفة اللحن . قال صاحب الريحان والريحان ولم تزل الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحثون على تعلم اللغة العربية وحفظها والرعاية لمعانها اذ هي من الدين بالمكان المعلوم والمحل الخصوص . قال عثمان المهري : اتانا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء . ويذكر فيها : « تعلموا العربية فأنها تصلح العقل وتزيد في المروءة » . وقال

(١) اقتصر الضوء في ايراد الحديث على رواية من ثلاث أوردها الصبح ، ثم جاء بهذه العبارة ولا محل لها بعد تركه الروايتين الأخيرين لأن مرجعها اليهما . ومنها هذه الرواية : قال (زيد بن ثابت) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن السريانية فإنه يأتيني كتب بها ؟ قلت : لا . قال : فتعلمها . فتعلمتها في سبعة عشر يوماً . . . الخ

الرشيد يوماً لبنيه : ما ضر أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أيسر أحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده وأمته ؟ ومن كلام مالك بن أنس : الاعراب حلى اللسان فلا تمنعوا ألسنتكم حايها . والله در أبي سعيد البصرى حيث يقول

النحو يسطم من لسان الألكن والمرء نكرمه اذا لم يالحن
واذا طلبت من العلوم أجلبها فأجلها عندى مقيم الألسن

قال في الريحان والريمان : واللحن قبيح في كبراء الناس وسرآتهم كما ان الاعراب جمال لهم وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به الى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصفه . وكتب ميمون بن ابراهيم عن اسحاق بن ابراهيم وهو أمير على بعض الاعمال الى المأمون كتاباً منه : « وهذا المال مالا » فخط المأمون على موضع اللحن من الكتاب ، ويقال انه لم يتجاوزة قراءة ، ووقع على حاشيته « تكأنتى باللحن ؟ » ، وأعاده الى اسحاق : فدعا اسحاق ابن قادم النحوى وسأله عن ذلك فقال « الوجه : وهذا المال مال ، ويجوز وهذا المال مالا » فأقبل اسحاق على كاتبه بغلظة وفضاظة وقال : الزم الوجه ودع ما يجوز ويجوز . فكان ميمون يقول : ما أدرى كيف اشكر لابن قادم : بقى على روى ونعمتى . ووقف بعض الخلفاء على كتاب من بعض عماله فيه لحن في لفظه فكتب الى عامله أن قنع كاتبك سوطاً واصرفه عن عملك . قال احمد بن يحيى : كان هذا والعلم بحيث كانت الرغبة في طلبه والحذر من الزلل . قال صاحب الريحان والريمان : فكيف لو أبصر كتاب زماننا ! قلت : قد قال صاحب الريحان والريمان هذا وفي الناس بعض الرمق والعلم ظاهر . واهله مكرمون والا فلو عمر الى زماننا لقال : تلك امة قد خلت .

اما التعمق في الاعراب والمبالغة فيه فان حكمة في الاستكراه حكم التعر في الاتيان بالغريب من اللفظ . ولم تزل الفصحاء تدم من يتعانه ويسخرون ممن يتعاطاه . ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الاعراب يعرب كلامه ولا يخيل للسامع انه يعرب . ثم ان عرض مع التعمق في الاعراب لحن كان ذلك أبلغ في الشناعة واجدر بتوجيه الملامة على صاحبه والسخرية منه . وقد قال الجاحظ : أقبح اللحن لحن أصحاب التعمير والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم . قال : واقبح من

ذلك لحن الأعراب النازلين على طريق السابلة وبقرب مجامع الاسواق . قلت
والذي يقتضيه حال الزمان والجري على منهاج الناس الآن ان يحافظ على الاعراب
في القرآن الكريم والاحاديث النبوية وفي الشعر والكلام المسجوع وما يدون من
الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها، ويفتقر اللحن في الكلام الشائع بين الناس،
الدائر على السنهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم . وعلى ذلك جرت
طريقة الناس مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة حتى حكي ان الفراء مع جلالة قدره
وعلو رتبته في النحو دخل يوما على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن
يحيى : يا أمير المؤمنين انه قد لحن . فقال له الرشيد : أتلحن ؟ فقال : يا أمير المؤمنين
ان طباع البدو الإعراب وطباع الحضرة اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم أَلحن ،
واذا رجعت الى الطبع لحتن . فاستحسن الرشيد جوابه . وقال الجاحظ في البيان
والتبيين : ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فايك ان تحكيها الا
مع اعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فانك ان غيرتها بأن لحتن في اعرابها وأخرجتها من
كلام المولدين والمقلدين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير ؛ وان سمعت
نادرة من نوادر العوام وملحة من ملحهم فايك ان تستعمل لها الاعراب او تتخير
لها لفظا حسنا ، فان ذلك يفسد الأمتاع بها ويخرجها عن صورتها التي وضعت لها ويذهب
استطابتهم اياها . وبالجملة فالعبارة في ذلك كد بحسب البلاد واهلها الأتري ان العرب وان
تغيرت ألسنتهم بمخالطة من عداهم فانهم لا يخلو كلامهم من موافقة الأعراب في كثير من
كلامهم خصوصا عرب الحجاز وأهل البادية منهم . وقد قال الجاحظ في أثناء كلامه :
ولأهل المدينة ألسنة ذائقة وألفاظ حسنة وعبارة جيدة في اللحن ؛ واللحن في عوامهم فاش
وعلى من نظر منهم في النحو غالب . ثم لا يخفى وجه تصرف الكاتب في الأعراب
في كلامه ؛ ومن أهم ما يعنى به من ذلك النسب لكثرة استعماله في الألقاب ونحوها
وكذلك العدد فإنه مما يقع فيه اللبس على المتبدى ومحل ذلك النحو

﴿ النوع الثالث ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب التصريف ليعلم أصل الكلمة وزادتها ، وحذفها ، وابدالها ،

وجمعها ، وثنتيتها ، وجمودها واشتقاقها ، وتصريف الفعل الى ماض ومضارع وامر ونهى وغير ذلك ؛ لانه اذا اراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة اليها ولم يعرف الاصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها ضل عن سواء السبيل . قال في المثل السائر : وتظهر لك فائدة ذلك ظهورا واضحا فيما اذا قيل للنحوى العارى عن التصريف : كيف تصغير « اضطراب » ؟ فإنه يقول « ضطرب » حملا على قاعدة النحو فى أنه اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد حذف منها كقولهم فى « منطلق » مطبق ، ولفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم زيدت فيها المعنى فلم تحذف وحذفت النون ؛ والزائد فى « اضطراب » الالف لحذفت فصغر على ضطرب ، وهو خطأ لأن الطاء فى اضطراب مبدلة من تاء فإذا أريد تصغيرها اعيدت الى الاصل فيقال « ضطرب » بالتاء . وقد حكى ابو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب أن عبيد الله بن سليمان نظر فى كتاب كتبه بعض الكتاب فاذا فيه حرف مصلح هو « وقد هوت عن جباية الخراج » فاغتاظ وقال : لا يحكه غيرى ، فحكه وأصلحه : « وقد لهيت » بالياء بدل الواو . قال وحكى عن ابن اسرائيل مع تقدمه فى الكتابة انه قال : كانت رسومنا مساناة ، ثم صارت مشاهرة ، ثم صارت مياومة ، ثم صارت مساعة . . . فأخطأ وكان يجب ان يقال « مساعة » . قال فى المثل السائر : وكثيرا ما يقع ذلك لا كبر أهل العلم فكيف بالجهال الذين لا معرفة لهم بذلك ؛ ومما يقع الغلط فيه لا كبر أهل الشأن قول أبى نواس :

وكان صغرى وكبرى من فواقها حصبا در على أرض من الذهب

فإن فعلى أفعال لا يجوز حذف الألف واللام منها وانما يجوز حذفها من فعلى التى لا أفعال لها نحو حبلى الا ان تكون فعلى أفعال مضافة ، وهاهنا لا اضافة ولا الف ولا م ؛ وكان الصواب أن يقول : كأن الصغرى والكبرى ، أو : كأن صغراها وكبرها وغلط أبو تمام فى قوله يمدح المعتصم

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت قواعد الملك ممتدا لها الطول

فقال « اطأدت » وصوابه « انطدت » لان التاء تبدل من الواو فى موضعين :

احدهما مقيس كهذا الموضع ؛ لانك اذا بنيت « افتعل » من « الوعد » قلت « اتعد » .

وكذلك « انطدت » في البيت فإنه من « وطفد ، يطفد » كما يقال « وعد ، يعد » فإذا نبى منه « افعل » قيل « انطفد » ولا يقال « اطفاد » . واعلم ان هذا العلم لم يزل مندرجا في علم النحو حتى أفرده عثمان المازني وتبعه الفتح بن جنى وصف فيه مختصره الذي سماه « التصريف الملوكي » ثم تتابع الناس في التصنيف فيه . ومن امنع كتبه المتوسطة « شافية ابن الحاجب » وعليها شروح لمصنفها وغيره

* (النوع الرابع) *

فما يحتاج اليه الكاتب علوم المعاني والبيان والبديع . ووجه احتياجه الى هذه العلوم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبل الفصاحة واقتفاء سنن البلاغة وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة والطريق الى تحسين الكلام اضطر الكاتب الى معرفتها والاحاطة بمقاصدها ليتوصل بذلك الى فهم الخطاب وانشاء الجواب جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب مع قوة الملكة على انشاء الاقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء من الخطب والرسائل والاشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن وتحسين الكلام وتنميقه الى غير ذلك من الامور . قال ابو هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » : فان صاحب العربية اذا اخل بطلب هذه العلوم وفرط في التماسها وفاته فضيلتها وعلقت به رذيلة فوتها عنى على جميع محاسنه وعى سائر فضائله لأنه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر ردى ولفظ حسن وآخر قبيح وشعر نادر وآخر بارد بان جهله وظهر تقصه ؛ واذا اراد أن ينشئ رسالة او يضع قصيدة وقد فاته هذه العلوم مزج الصفو بالكدر وخالط الغرر بالعرر فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل ؛ وكذلك اذا اراد تصنيف كلام مشور وتأليف شعر منظوم وتخطى هذه العلوم ساء اختياره وقبحت آثاره فأخذ الردى المرذود وترك الجيد فدل على قصور همته وتأخر معرفته . قال : وقبيح لعمرى بالفقيه الموثم به والقارى المتقدم بهديه والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته وتمام آتته في مجادلتها وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح أن لا يعرف فهم اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التي يعرفها الزنجي والنبطي وان يستدل عليه بما يستدل به الجاهل الغبي .

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلي في كتابه « حسن التوسل الى صناعة التوسل » :
 وهذه العلوم الثلاثة وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب ، والطبع السليم ، والقريحة
 المطاوعة ، والفكرة المنقحة ، والبديهة المحيية والروية المتصرفة لكن العالم بها
 يتمكن من أزمة المعاني وصناعة الكلام ، ويتصرف عن معرفة ، وينتقد بحجة ،
 ويتخير بدليل ، ويستحسن ببرهان ، ويصوغ الكلام بترتيب . قلت : وحقيق ما قاله
 فان الناظم أو الناثر اذا أتى بملحة أو نادرة فإنه ليس على يقين من أمره اذ ليس له
 قانون يرجع اليه ، والذوق قد يصيب وقد يخطئ ؛ بخلاف العارف بهذه العلوم فإنه
 على يقين من أمره من حيث ان له قانونا يرجع اليه وأصلا يقف عنده . ألا ترى انه
 اذا جرى على قانون العلوم الثلاثة المتقدمة الذكر من التشبيه والاستعارة والتجنيس
 وغيرها من الأنواع أتى بما يبهر العقول ويأخذ بأزمة القلوب كقول القاضي الفاضل
 « في ليلة قد جمد خمرها وخمد جمرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قصاً الى قصها
 والشمس لو جرت النار الى قرصها » وقول الواو الدمشقي :

قالت متى البين يا هذا فقلت لها اما غداً زعموا أو لا فبعد غد

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس فسقت وردا وغصت على العناب بالبرد

وقول القاضي نجم الدين عبد الرحيم البارزي الحموي :

يقطع بالسكين بطيخة ضحى على طبق في مجلس لأصحابه

كشمس يبرق قد بدرأ أهلة لدى هالة في الافق بين كواكبه

وقول الآخر

ازورهم وظلام الليل يشفع لي وانثى وضياء الصبح يعرى بي

وقول الآخر : سفرن بدورا وانتقبن أهلة . ونظموا على ذلك فأثوا بالسحر

الحلال وابدوا من محاسن البلاغة بما يرفع من بدائعه في وارف الظلال . على ان الشيخ

بها ، الدين السبكي قد ذكر في شرح تلخيص المفتاح ان أهل مصر لا يحتاجون لهذه

العلوم وانهم يدرونها بالطبع ، فقال في أثناء خطبته : اما أهل بلادنا فهم مستغنون

عن ذلك بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والأذهان التي هي

أرق من النسيم ، والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . أكسبهم النيل تلك الخلاوة

وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاغمار الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلف فيه صيقل من طبعه لم ينتفع بصقال
قلت : وهذا مما لا شك فيه : فانا نرى من عوامها الذين لا إمام لهم بشيء من
هذه العلوم من يأتي في الازجال ونحوها التي ميناها اللحن من المعاني الدقيقة بما تقف
دونه افهام أرباب البيان من التشبيه وغيره كما في قول القائل

قف نقول لك يا فهم ما صنع هذا الغزال
ارخي ليل شعرو البهيم وتلتم بالهلال
وكشف ذلك اللثام ورفع ليل الشعر
أهتكت فيه بالفرام كل ما كان استتر

وقول بعض المواله

اسبل على غرته طره كليل همس وماس بأرداف تسكن عاشقيه الرمس
فقلت ما ريت مثله والكرام الخمس (١) * * * الدجى بالشمس

فانظر الى هذه التشبيهات التي لا تقع في كلام فحول الشعراء

واعلم ان هذه العلوم قد اختلفت مقاصد المؤلفين في جمعها في التأليف وتفريقها
فجئح قوم الى افراد كل علم منها بتأليف : فمن الكتب المنفردة بعلم البيان « نهاية
الأعجاز » للأمام فخر الدين بن الخطيب ، و« الجامع الكبير » لابن الأثير الجزري
ومن الكتب المنفردة بعلم البديع « زهر الربيع » للمطرزي ، و« كتاب البديع »
للتيفاشي ، و« تحرير التحرير » لابن أبي الاصبع . وأكثر المؤلفين على جمع العلوم
الثلاثة بالتأليف ، فمن الكتب المختصرة المشتملة على ذلك « روض الازهار » لابن
مالك ، ومن المتوسطة « المصباح » له ، ومن المبسوطه « شرح القطب » للشيرازي .
قلت : والمشهور بين الناس الآن الملتقى بين أهل هذا الشأن بالقبول « تلخيص المفتاح »
لقاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وشروحه كالخطيبي ، وشرح بهاء الدين السبكي ،

وشرح الشيخ أكمل الدين ، وشرح القاضي محب الدين ناظر الجيش ؛ وأكثر إكبابهم الآن على شرحي الشيخ سعد الدين التفتازاني : المطول والمختصر . على ان هذه العلوم وان كانت غير خاصة بفن الكتابة فقد انتحلها جماعة من المؤلفين في صناعتها واستضافوها الى مصنفاتهم كأبي هلال العسكري في كتابه « الصنائع » والوزير ضياء الدين بن الاثير في « المثل السائر » والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في « حسن التوسل » اعتناءً بشأنها وتذبيها علي أن حال الكاتب لا يصلح الا بها بل قد ذكر في « حسن التوسل » أنها من الامور الخاصة بالكاتب دون غيرها من العلوم الواجبة فيما يحتاج اليه الكاتب

﴿ النوع الثاني ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب حفظ كتاب الله العزيز مع ادامة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لا يزال مصورا في فكره دائرا على لسانه مثالا في قلبه فيكون ذا كرامه في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة عليها فله الحجة البالغة وكفى بذلك معينا له في قصده مغنيا له عن غيره . قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وقال تعالى « تبياننا لكل شيء » . قال في المثل السائر : وكان بعضهم يقول لوضاع لي عقال لوجدته في كتاب الله تعالى . قال في حسن التوسل : وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه وعجز الألس والجبن عن الاتيان بسورة من مثله . فقد حكى ان سائلا سأل بعض العلماء : أين تجد في كتاب الله تعالى معنى قولهم الجار قبل الدار ؟ قال : في قوله تعالى « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة » فطلبت الجار قبل الدار وقد اختلف في جواز الاستشهاد بالقرآن الكريم في المكاتبات ونحوها فذهب اكثر العلماء الى جواز ذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يتغير معناه فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه الى هرقل « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » . الى قوله « مسلمون » . وكتب ابو بكر الصديق

رضى الله عنه في عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما « ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » وكتب على بن ابي طالب كرم الله وجهه في آخر كتابه الى معاوية : قد علمت مواقع سيوفنا في جسدك وخالك وأخيك وما هي من الظالمين ببعيد . وقال للمغيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية : « وما كنت متخذ المضلين عضدا » وكتب الى عامل من عماله في صدر كتاب : « قد جاءكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعشوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ » وقال الحسن بن على رضى الله عنهما لمعاوية حين نازعه في الخلافة : « وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما مثل ذلك . وكتب الحسن الى معاوية : « اما بعد فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين وكافة الى الناس اجمعين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن ابي طالب الى المنصور لما حاربه في صدر كتاب « طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . . . » الى قوله « ما كانوا يحذرون » ونقض عليه المنصور في جوابه عن قوله في كتابه (أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم) بقوله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » . وذهب قوم الى كراهة ذلك محتجين بما حكى عن الحسن البصرى انه بلغه ان الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية من كتاب الله تعالى : فقال أنسى نفسه حين كتب الى عبد الله بن مروان « بلغنى ان أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم باليتى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » قال فى حسن التوسل : واذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن ان يكون انكاره على الحجاج لكونه انكر على غيره ما فعله هو . وذهب آخرون الى أن كل ما أراد الله تعالى به نفسه لا يجوز ان يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه كقوله (ونحن أقرب اليه من جبل الوريد) وقوله (بلى ورسالنا لديهم يكتبون) ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى . قال فى حسن التوسل : وقد اكثر الناس فى الاستشهاد فمفرط فى الحسن ومفرط . فأما تغيير شئ من اللفظ بغيره او احالة معنى عما أريد به فلا يجوز

وینبغي العدول عن ذلك مهما أمكن . قال في المثل السائر : وإذا ضمنت الآيات في
أما كتبها اللاتفة ومواقعها المناسبة لها فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق .
إذا علمت ذلك فمن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجج وقطع النزاع
وإذعان الخصم كما روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين من
ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتى على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى وإلا
قتلتك فقراً : (ومن ذريته داود وسليمان ٠٠٠) إلى ابن قال (وعيسى ٠٠٠)
وعيسى هو ابن بنته فأسكت الحجاج . وأيضاً فإن الآية الواحدة المستشهد بها في
بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة . فمن أخصر
ما وقع في ذلك وأبلغ ما حكي أن ملك الروم كتب إلى الرشيد كتاباً أغاظ فيه القول
وتهدده فلما عرض عليه أمر كتابه أن يجيبوا عنه فأثروا بما لم يرضه فكتب : أما بعد
فقد فهمت كتابك والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام على من اتبع الهدى .
ويقال بل كتب : ما ترى لا ما تسمع وسيعلم الكافر إن عقبي الدار . قال في حسن
التوسل : وأقرب ما اتفق من ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه
الله كتب إلى ديوان الخلافة ببغداد كتاباً يعدد فيه مواقفه في إقامة دعوة بني العباس
بمصر فكتب في جوابه : (يমনون عليك إن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله
يمن عليكم إن هذا كم للإيمان أن كنتم صادقين) . وأخصر من ذلك كله وأبلغ أن
الأدفونش ملك الفرنج بالأندلس كتب إلى يعقوب بن عبد المؤمن ملك المسلمين
ببلاد المغرب وجزيرة الأندلس كتاباً بخط وزيره له يقال له ابن الفخار أبرق فيه
وأرعد فكتب رحمه الله جوابه في أعلى كتابه : (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون)

واعلم أن تضمين الكلام ببعض آي القرآن الكريم عند علماء البلاغة على ضربين : الضرب
الأول الاستشهاد وهو أقلمها وقوعاً في الكلام ودوراناً في الاستعمال . وهو أن يضم
الكلام شيئاً منها على كونه من القرآن كقول الحريري في مقاماته : فقلت وانت
أصدق القائلين ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . وكقول أبي إسحاق الصابي في عهد
عن خليفة ملك : فإذا أطلع الله على نقاء جيبه ، وطهارة قلبه ، وصحة مروءته ، واستقامة

سريرته أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ، ومخرجاً من الحيرة ، فقد قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب . وكقول علاء الدين بن غانم في تمجيد قدمه بصرع بعض رماة البندق لغافة : نحمده على توفيقه الذي ساد به من ساد وسما ، واصاب بتفويقه بمعونته ربه طير السما ، فحسن ان يتلى له : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى . وكما قلت في اختتام بيعة لبعض الخلفاء أنشأتها امتحاناً للخاطر : وهم يرغبون الى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور ، ويلجؤون اليه ان يجعل أئمتهم ممن أشار اليهم بقوله : الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور... الى غير ذلك من الاستشهادات التي لا تحصى كثرة

الضرب الثاني : الاقتباس . وهو أكثرهما وقوعاً في الكلام . وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن فلا ينبه عليه كقول ابن نباتة السعدي في بعض خطبه : فيأيها الغفلة المطرقون ، أما أتم بهذا الحديث مصدقون ، ما لكم لا تسمعون ، فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ؛ وقوله : يوم يبعث الله العالمين خلقاً جديداً ، ويجعل الظالمين لئار جهنم وقوداً ، ثم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ؛ وقول الحريري : فلم يك الا كلعج البصر أو هو أقرب ، حتى أنشد فأغرب . وقوله : أنا آتيتكم بأؤيله ، وأميز صحيح القول من عليه ؛ وكقول الوزير ضياء الدين بن الاثير في ذم البخل : ومن بسط يده فيه ثم قبضها بخله فإنه يقف دون الرجال مغموراً ، ويقعد عن نيل المعالي محسوراً ، وإذا أدركته منيته مضي وكان لم يكن شيئاً مذكوراً ؛ وقوله في وصف كاتب : له بنت فكر ما تمخضت بمعنى الا نتجته من غير ما تمهله ، وأتت به قومها تحمله ، ولم يعرض على ملاء من البلاء الا ألقوا أقلامهم تستعيه لأئيمهم يكفله ؛ وقال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد اسلطان : وخصك بانصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون ، وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ؛ وقوله من عهد المنصور لاجين : وجعل عدوه وأن أعرض بجيوش الرعب

محصورا ، وكفاه بالنصر على الاعداء التوغل في سفك الدماء فلم يسرف في القتل
انه كان منصورا ؛ وكما قلت في مقامة تتعلق بكتابة الانشاء : قلت ، قد بانت لى
علومها ، فما رسومها ؟ قال ان اعباءها لباهظة حملا ، وانها لكبيرة الا ، ولكن
سأحدث لك مما سألت ذكرا ، وانبتك بما لم تحط به خبرا . الى غير ذلك من
مواقع الاستشهاد .

قال في المثل السائر : والطريق في استنباط المعاني من القرآن الكريم واستعمال
الآيات في خلال الكلام ان تعمد الى سورة سورة من القرآن وتأخذ في تلاوتها ، وكما
مر بك معني أثبتته في ورقة مفردة حتى تنتهي الى آخرها : ثم تأخذ في استعمال تلك
المعاني التي ظهرت وادخالها في خلال كلامك وكما عادت التلاوة وكررتها ظهر لك
من المعاني ما لم يظهر لك في المرة التي قبلها حتى ان الآية الواحدة لتستعمل على عدة
وجوه : فيورده الناثر الى معني ثم ينقله الى معني آخر كما وقع للوزير ضياء الدين
ابن الاثير في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (انى رأيت أحد عشر كوكبا
والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) فقال في دعاءه فى صدر كتاب : من الحضرة
السامية أحسن الله أثرها ، وأعلى خطرها ، وقضى من العليا وطرها ، وأظهر على يديها
آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقرها ؛ ثم ابرزه فى
معنى آخر فقال : اكرم النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين ، وتقدمه انى رأيت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ؛ ثم نقله الى معني آخر فقال فى تقليد
يكتب من ديوان الخلافة : فليزدد اعجابا بما نالته مواد قدامه ، ولينظر الى سجود
الكواكب فى يقظته لافى منامه

* (النوع السادس) *

مما يحتاج اليه الكاتب الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية على قائلها أفضل
الصلاة والسلام والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وخصوصا
فى السير والمغازى والأحكام ، وتأمل فصاحتها ، والنظر فى معرفة معانيها وغربها ، وفقه
ما لا بد له من معرفته من أحكامها لينفق منها على سعته ، ويستشهد لكل شئ فى موضعه ،

ويحتاج بمكان الحجّة؛ ويستدل بموضع الدليل، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه، وينبئ كلامه على أصل لا يزلزل، ويسوق مقاصده الى سبيل لا يضل عنه؛ فإن الدليل على المقصد اذا استند الى النص قويت فيه الحجّة، وسلم له الخصم، وأذعن له المعاند. والفصاحة والبلاغة اذا طلبت غايتها فأنتهما بعد كتاب الله تعالى في كلام من أوتي جوامع الكلم وقال: انا أفصح من نطق بالضاد. وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يحتجون بالحديث ويستدلون به في مواطن الخلاف والنزاع فينقاد الجوح، ويستسهل الصعب؛ وقد رجع الانصار يوم السقيفة الى حديث: (الائمة من قریش) حيث رواه لهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه وأذعنوا له بعد ما اجتمعوا الى سعد بن عباد وقلوا: منا أمير ومنكم أمير. ورجع عمر رضي الله عنه لحديث النهي عن دخول بلد فيه الطاعون فعاد الى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه ان به الطاعون وقال علي رضي الله عنه في حق الانصار: لو زالوا لزلت معهم؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أزول معكم حينما زاتم). اذا تقرر ذلك فقد ذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب ان الاحاديث التي ينبغي للكاتب حفظها هي الاحاديث المتعلقة بالفقه واحكامه كقوله صلى الله عليه وسلم: البيعة على المدعى واليمين على من انكر، والخراج بالضمان وجرح العجماء جبار، والزعيم غارم، ولا وصية لوارث. الى غير ذلك من احاديث اخر اوردتها من هذا الباب. والتحقيق ان حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه بل تتعلق بما هو اعم من ذلك خصوصا احاديث الحكم والأمثال والسير وما اشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به والاقتباس من معانيه في فن الكتابة. قال في المثل السائر: وينبغي ان يكون اول ما يحفظه من الاحاديث كتاب (الشهاب في المواعظ والآداب) للقضاعي فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه من الاحاديث يدخل في الاستعمال من حيث انه يتضمن حكما وآدابا، فأذا حفظته وتدرت باستعماله حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل، وعند ذلك يتصفح صحيح البخاري ومسلم، والموطأ، وجامع الترمذي، وسنن ابى داود، والنسائي، وغيرها من كتب الحديث؛ ويأخذ ما يحتاج اليه واهل مكة اخبر بشعابها. قال والذي تأخذه ان امكانك درسه وحفظه فهو المراد؛ وإلا فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكثر من استعمالها.

في كلامك حتى ترتقم على خاطرك، فإذا احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك ان تأتي به ارتجالاً. ثم قال: وأكثر الاحاديث تدخل في الاستعمال ولا يخرج عنه الا القليل النادر. وذكّر أنه امتحن في استعمال حديث: أنه اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم في جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة، فقال في وصف كاتب بجمود الخاطر: وإذا كشف خاطره وجد بليداً لا يخرج عن الكهه والعمه، وان رام ان يستنجه في حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة.

ثم اعلم ان تضمين الكلام شيئاً من الاحاديث على ضريين: استشهاد واقتباس كما تقدم في القرآن الكريم. فأما الاستشهاد فهو ان يضمن الكلام شيئاً من الاحاديث وينبه عليه كقول ابي اسحاق الصابي في وصية عن خليفة لسلطان: وان تقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين، فان ذمته ذمة جميع المؤمنين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلمون يسعي بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم؛ وكقوله في حفظ اللقطة من قضية عهد آخر: فأذا حضر صاحبها، وعلم أنه مستوجبها، سلمت اليه، ولم يعترض فيها عليه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضالة المؤمن من حرق النار. الى غير ذلك من الاستشهادات الواقعة في كلامه وكلام غيره.

وأما الاقتباس فهو ان يضمن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبه عليه كقول الحريري في بعض مقاماته: وكتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبر عبادة؛ وقوله: شأهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه. وقد أكره الوزير ضياء الدين بن الاثير من هذا الوجه وأتى منه بما تقف دونه الافكار كقوله في دعاء كتاب: اعاذ الله ايامه من الغير، وبين بخطه مجده نقص كل خطر، وجعل ذكره زاد الكل ركب وانساً لكل سمر، ومنحه من فضله ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة: فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ وقوله في النصر على العدو: اخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصر الذي يرجوه، وثرنا في وجه العدو كفاً من التراب وقائلاً شأهت الوجوه، فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا، واقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا. أخذ الاول من حديث غزوة حنين: ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ قبضة من

تراب والتي بها في وجوه الكفار وقال : شأهت الوجوه : واخذ الثاني من حديث غزوة بدر: ان رجلا من المسلمين اراد ان يضرب رجلا من المشركين فخر بين يديه ميتا قبل ان يصل اليه وسمع صوتا من فوقه يقول : اقدم خيزوم ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذلك من مدد السماء الثالثة . وكما قلت في رسالة في المفاخرة بين السيف والقلم : فقال القلم بسم الله تعالى استفتح ، وبحمده اتيمن واستنجح ، اذ من شأنى الكتابة ، ومن فى الخطابة ، وكل امر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله تعالى فهو أجذم ، وكل كلام لا يفتح بحمده فأساسه غير محكم ، ورداؤه غير معلم... اخذ من قوله صلى الله عليه وسلم : كل امر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله وبحمد الله فهو اجذم . الى غير ذلك مما يجرى هذا الجرى

﴿ النوع السابع ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب الاكثر من حفظ خطب البلغاء والتفنن فى اساليب الخطباء . قال ابو جعفر النحاس فى صناعة الكتاب : وهى من آكد ما يحتاج اليه الكاتب وذلك ان الخطب من مستودعات سر البلاغة ومجامع الحكم : بها تافخرت العرب فى مشاهدهم ، وبها نطقت الخلفاء والأمراء على منابرهم ، بها يتميز الكلام ، وبها يخاطب الخاص والعام ، وعلى منوال الخطابة نسجت الكتابة ، وعلى طريق الخطباء مشت الكتاب . وقد قال أبو هلال العسكري رحمه الله فى الصنائع : والرسائل والخطب متشاكلتان فى انهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ؛ وقد يتشاكلان ايضا من جهة الالفاظ والفواصل ، فالفاظ الخطب تشبه الفاظ الكتابة فى السهولة والعدوية ، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ؛ قال والفرق بينهما ان الخطبة يشافه بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة فى ايسر كلفة . وقد كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب الريحان والريهان : ان ما تكلمت به العرب من اهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام اكثر مما تكلمت به من الموزون ، إلا انه لم يحفظ من المنثور عشرة ولا ضاع من المنظوم عشرة لان الخطيب انما كان يخطب فى المقام الذى يقوم فيه فى مشافهة الملوك والحلوات والاصلاح بين العشائر

او خطبة النكاح، فاذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد. قال ولولا ان خطبة قس بن ساعدة كان سندها مما يتنافسه الانام وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي رواها عنه فأطارذكرها ما تميزت مما سواها؛ ثم جاء الاسلام فرفع أمر الخطب وعظم شأنها. فأما خطب العرب في الجاهلية فأشهرها ذكرا وأرفها قدرا خطبة قس بن ساعدة الأيادي التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بسماها منه يخطب بها الناس بسوق عكاظ وهي :

« أيها الناس، اسمعوا وعوا : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . ليل داج ، ونهار ساج ، وسما ذات أبراج ، ونجوم تزهى ، وبحار تذخر ، وجبال مرسة ، وأرض مدحة ، وأنهار بحيرة ! ان في السماء خبرا ، وان في الارض لغيرا ! ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ، أم تركوا فناموا ! يقسم قس بالله قسما لا اثم فيه ان الله ديننا هو ارضى له وأفضل من دينكم الذي اتمم عليه ، انكم لتأتون من الأمر منكرا ! »

واما خطب الاسلام فأعظمها شأننا وأفصحها مقالا وأبلغها معنى خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خطب الخلفاء الراشدين من بعده . فمن خطب النبي صلى الله عليه وآله عليه وسلم من رواية انس بن مالك رضى الله عنه :

« أيها الناس ، كأن الموت على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل اليناراجعون ، نبوتهم أجداتهم وناكل من تراهم كأننا نخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة . طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس ؛ طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس اهل الفقه والحكمة ، وخالط اهل النل والمسكنة ؛ طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سيرته ، وعزل عن الناس شره ؛ طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تسهوه البدعة »

ومن خطب ابى بكر الصديق رضى الله عنه خطبته يوم السقيفة حين اجتمع الأنصار الى سعد بن عبادة وقالوا للمهاجرين : منا أمير ومنكم أمير

« إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق ، فدعا الى الاسلام ، فأخذ

الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعانا اليه ، فكنا عشر المهاجرين أول الناس إسلاما
والناس لنا فيه تبع ؛ ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن مع ذلك أوسط
العرب انسابا ليست قبيلة من العرب الا لقريش فيها ولادة . وأنتم أنصار الله الذين
آووا ونصروا ، وأنتم وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنتم اخواننا في كتاب
الله ، وشركاؤنا في دين الله وفيما كنا فيه من شر أو خير ، وأنتم أحب الناس الينا
واكرمهم علينا ، واحق الناس بقضاء الله والتسليم لأوامر الله بما ساق الله لاختوانكم
المهاجرين ، واحق الناس ان لا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على انفسكم في الخصاصة ؛
وإنما دعوتكم الى أبي عبيدة أو عمر فكلاهما قد رضيت لذلك الامر »

الى غير ذلك من خطبهم التي لا تحصى كثرة مما قد ذكرت الكثير منها في الأصل .
فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة وعلم مقاصد الخطابة وموارد
الفصاحة ، ومواقع البلاغة ، اتسع له مجال الكلام وفاض على لسانه في وقت الحاجة
ما كمن من ذلك بين ضلوعه فأورده في ثره ، وضمنه في رسائله ، فاستغنى عن شغل الفكر
في استنباط المعاني البليغة والألفاظ الفصيحة التي لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد ، ولا
يسمح خاطره بنظيرها ولو دأب . ألا ترى الى خطبة الصديق رضى الله عنه السابقة
لو أراد مرید أن يوردها في صورة كتاب في ذلك المعنى لساغ . على أن الخطب جزء
من اجزاء الكتابة ونوع من أنواعها يحتاج اليها الكاتب في صدور بعض المكاتبات
وفي البيعات والعهود والتقاليد والتفاوض وكمبار التواقيع والمراسيم والمناشير على ماسياتى
بيانه في مواضعه ان شاء الله تعالى

﴿ النوع الثامن ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ، ولطيف
مخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ، وما ادعاه كل منهم لنفسه اولقومه ، وما نقضه عليه
خصمه ، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها ، وتلقى الحوادث بما شاكلها ، والافتداء
بطريقة من أفلح منهم على خصمه ؛ واقتفاء أثر من اضطر الى عذر واثبات دعوى أو
ابطالها فيلحن بحجته ويخلص بلطيف مأخذه ودقة مسلكه وحسن عبارته . فأمام مكاتباتهم

فنهاما كتب به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إلى ابن عباس رضي الله عنهما
 « اما بعد فإن المرء ليسر به درك ما لم يكن ليحرمه ، ويسر به فوت ما لم يكن ليذكره ؛
 وليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطلق وليكن اسفك فيما فرطت فيه من ذلك ؛
 وانظر ما فاتك من أمور الدنيا فلا تكثر عليها جزعا ، وما نلت منها فلا تنعم به فرحا ؛
 وليكن همك لما بعد الموت »

ومن ذلك ما حكاه الزبير بن بكار ان معاوية قال لعمر بن العاص : ان رأس الناس
 مع علي بن عباس فلو أقيمت اليه كتابا يرققه ، فإنه ان قال قولاً لم يخرج عنه علي ،
 وقد أكتنا هذه الحروب . فكتب الى ابن عباس كتاباً منه :

« اما بعد فان الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وأنت رأس الناس
 بعد علي فانظر في هذا الامر بعين ماضى فوالله ما بقت هذه الحروب لنا ولكم حياة .
 واعلم ان الشام لا يملك الا بهلاك العراق ، وان العراق لا يملك الا بهلاك الشام ؛ فاخبرنا
 بعد اعدادنا فيكم ، وما خيركم بعد اعدادكم فينا ؟ ولسنا نقول : ليت الحرب عادت
 الينا ، ولكننا نقول : ليها لم تكن . وان فينا من يكره اللقاء كما ان فيكم من يكرهه ، وانما
 هو أمر مطاع ، أو مأمور مطيع ، أو مشاور مأمون وهو أنت »

ثم بعثه اليه فأقرأ ابن عباس علياً الكتاب ، فقال : أجبه . فكتب اليه ابن
 عباس جواباً منه :

« اما بعد ، فأني لا أعلم أحداً من العرب أقل حياءً منك : مال بك الى معاوية
 الهوى ، وبعثه دينك بالخطر اليسير ، ثم خبطت الناس في طحياء طمعا في هذا الملك
 فلما لم تر شيئاً أعظمت الدماء اعظام أهل الدين ، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع لا تريد
 بذلك الا انك تهبيت الحرب . فان كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع الى
 بيتك ؛ فان هذه الحرب ليس علي فيها كعافية : بدأها علي بالحق ، وانتهى فيها الى
 العذر ، وبدأها معاوية بالظلم ، وانتهى فيها الى السرف »
 ومن ذلك ان معاوية كتب الى علي في كتاب :

« أما بعد فانك لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت » فاجابه علي : « لم تكن
 الجناية عليك ، حتى تكون المعذرة اليك »

ومن ذلك ان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط كتب الى جعفر المنصور كتابا منه : « فأنا أوسط بنى هاشم نسا ، وخيرهم أما وأباً ، لم تلدني العجم ، ولم تعرق في أمهات الاولاد ؛ وان الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم » . فأجابته المنصور : « وأما قولك انه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك امهات الاولاد ، فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقد مدت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرأ ، وأصلا وفصلا : فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، فانظر ويحك اين تكون من الله تعالى غداً ؛ وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من علي ابن الحسين وهو لأم ولد . وأما ما ذكرت من انك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل قد ابى ذلك فقال : ما كان محمد أباً احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ؛ ولكنكم قرابة » . واما محاوراتهم ومراجعاتهم فمن ذلك ان معاوية حج فاستدعى بامرأة من بنى كنانة يقال لها « الدارمية » وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فقال لها : ما حالك يا ابنة حام ؟ فقالت : لست لحام ادعي ان عبتني فأنا امرأة من بنى كنانة . قال : صدقت ؛ اتدرين لم استدعيتك ؟ قالت : لا يعلم الغيب الا الله . قال : استدعيتك لاسألك علام احببت عليا وابغضتيني وواليتيه وعاديتيني ؟ قالت : أو تعفيني بأمرير المؤمنين ؟ قال : لا أعفئك . قالت : أما إذ أيدت فأنى أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عهد له من الولاية وعلى حبه المساكين وإعظامه لأمر الدين ، وعاديتك على سفك الدماء ، وجورك في القضا ، وحكمك بالهوى . قال : ولذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجزتك . قالت : يا هذا ، بهند كانت تضرب الأمثال لابني . قال : يا هذه ، اربعي فأنا لم نقل الا خيراً : انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خاق ولدها ، وإذا عظم ثدياها ارتوى رضيعها ، واذا ربت عجزتها رزن مجلسها . فسكنت . قال : فهل رايت علياً ؟ قالت : لقد كنت رايته . قال : كيف رأيتيه ؟ قالت : رأيتيه لم يفتنه الملك الذي فتنتك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم ، والله كان يجلو القلوب من العي كما يجلو الزيت الطيب من الصدا . قال :

صدقت ، فهل لك من حاجة . قالت : او تفعل اذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : اغذى بألبانها الصغار ، وأستحي بها الكبار ، واصالح بها بين العشائر . قال : فأن اعطيتك ذلك فهل احل عندك محل علي ؟ قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك . فأمر اذا بطلت بها وانشد

اذا لم اعد بالحلم مني اليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذ كرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : اما والله لو كان علياً ما اعطاك منها شيئاً . قالت : والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ومن ذلك ما حكاه صاحب العقد ان المنصور خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ايها الناس ، اتقوا الله . . . فقام اليه رجل من عرض الناس فقال : اذكرك الذي ذكرتنا به . فأجابه المنصور بلا فكر ولا روية : سمعاً سمعاً لمن ذكر بالله ، واعوذ بالله ان اذكرك به وانساه فتأخذني العزة بالأثم ، لقد ضلت اذاً وما انا من المهتدين . واما انت فوالله ما الله اردت بهذا ، ولكن ليقال : قام ، فقال ، فعوقب ، فصبر ، واهون بها لو كانت . وانا انذركم ايها الناس اجتمها ، فأن الموعدة علينا نزلت ، ومنا انبثت . ثم رجع الى مكانه من الخطبة

ومن ذلك ما يحكى عن الربيع انه قال : كنا وقوفاً على راس المنصور وقد وضع لابنه المهدي ولى عهده وسادة اذ اقبل صالح ابنه الثاني ، وكان قد رشحه ان يوليه بعض امره ، فقام بين السماطين والناس على قدر انسابهم ومنازلهم فتكلم فأجاد ، فمد المنصور يده اليه ثم قال : الى يا بني ! فاعتنقه ، ونظر في وجوه اصحابه فقال : هل احد يذكر مقامه ، ويصف فضله ؟ فكلمهم كره ذلك هيبة للمهدي . فقام شبة بن عقال التميمي فقال : لله در خطيب قام عندك يا امير المؤمنين ! ما افصح لسانه ، واحسن بيانه ، وأمضى جناحه ، وأبل ريقه ، واسهل طريقته ! وكيف لا يكون كذلك وامير المؤمنين ابوه ، والمهدي اخوه ، وهو كما قال زهير بن ابي سلمى

يطلب شأواً امرأين قدما حسنا بد الملوك وبذا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمشله لحقا

او يسبقاه علي ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا
قال الربيع فأقبل علي بعض من حضر وقال : والله ما رايت مثل هذا محاجياً :
ارضى امير المؤمنين ، ومدح الغلام ، وسلم من المهدي : فالتفت الى المنصور وقال : ياربيع
لا ينصرف التميمي الا بثلاثين الف درهم

ويحكى ان رجلا دخل على المهدي ولي عهد المنصور فقال . يا امير المؤمنين ان
امير المؤمنين المنصور شتمني وقذف امي ؛ فأما امرتني ان احلله ، واما عوضتي فاستغفرت
له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمت عدوه بحضرة فغضب . فقال : ومن عدوه الذي
غضب اشتمه ؟ قال : ابراهيم بن عبد الله بن حسن . قال : ان ابراهيم أمس بهرحماً ،
واوجب عليه حقاً ؛ فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمة ذب ، وعن عرضه دفع ؛ وما
اساء من انتصر لابن عمه . قال : انه كان عدواً له . قال : فلم ينتصر للعداوة ، وانما
انتصر للرحم . فأسكت الرجل . فلما ذهب ليولي قال : لعلك اردت امرأ فلم تجد
له ذريعة عندك ابلغ من هذه الدعوى . قال : نعم . فتبسم وامر له بخمسة آلاف درهم
ومن الطف محاطبائهم ما حكى ان وفود العرب وفدت على هشام بن عبد الملك
يشكون جذب الحجاز فقال أصغرهم سناً : يا امير المؤمنين اصابتنا سنون ثلاثة : احداها
اذابت الشحم ، والثانية اكلت اللحم ، والثالثة ابلت العظم ؛ وفي ايديكم فضول اموال :
فأن كانت من مال الله فأنفقوا في عباد الله ، وان كانت لهم فردوا فيهم من مالهم ،
وان كانت اسكم فتصدقوا عليهم ، فأن الله يجزي المتصدقين . قال هشام : لله دره لم
يترك لنا في واحد عنراً

وحكى ان عبد العزى بن زرارة وفد على معاوية وهو سيد اهل البور . فلما اذن له
وقف بين يديه وقال : يا امير المؤمنين لم ازل اهز ذوائب الرجاء اليك ، ولم اجد
معولا الا عليك ، أمتطي الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالأثار ، يقودني اليك امل ،
ويسوقني اليك بلوى ، والمجتهد يعذر ، واذا بلغتك فقط (١) فقال معاوية : فاحطط عن
راحتك وخلاها (٢) وخرج عبد العزى هذا مع يزيد بن معاوية الى المصائد وابوه زرارة

(١) لعله يريد : واذا بلغتك حسي وكفي ، فأن قط بمعنى حسب ؛ وقد أمهلها
الضوء ووقف بالكلام عند قوله : واذا بلغتك ، وأثبتها الصبح (٢) في الصبح : رحلها

عند معاوية فهلك هناك؛ فكتب يزيد الى ابيه معاوية بذلك . فقال معاوية لزرارة :
 اتانى اليوم نعى سيد شباب العرب . فقال : زرارة يا امير المؤمنين هو ابني او ابنك .
 قال : بل ابنك . فقال : للموت ما تلد الوالدة .

قال في حسن التوسل : فالنظر في هذا وامثاله ، والحفظ منه ، والاكثر من
 مطالعته مما يشهد القرائح ، ويفتح الازهان ويرسم في الخواطر ، ويمكن في الافكار
 حتى يفيض منه ما فاض على لسان القلم ويبدو لكل واقعة منوال ينسج عليه ومثال
 ينظر في نظاره اليه

﴿ النوع التاسع ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب الاستكثار من حفظ الاشعار التي هي مادة الكتابة التالية
 بعد القرآن الكريم والاحاديث النبوية على قائلها افضل الصلاة والسلام خصوصا اشعار
 العرب وما توفرت دراعي العلماء على اختياره كالحماسة ، والمفضليات ، والاصمعيات ،
 وديوان هذيل ، والمعلقات السبع وما اشبه ذلك ، وفهم معانيها ، واستكشاف غوامضها ،
 والتوفر على مطالعة شروحها . ويلحق بذلك شعر المولدين من العرب وهم الذين كانوا
 في اول الاسلام كجرير ، والفرزدق ، والاخلط ، وغيرهم ؛ وكذلك حفظ جانب جيد من
 شعر المغلقين من المحدثين كأبي تمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحترى ، وابن الرومي والمنتجبى ؛
 ومهرة المتأخرين كالواو الدمشقى ، والبها زهير ، وابن النبية ، وابن شمس الخلافة ، ومن
 جرى مجراهم .

اما شعر العرب والمولدين فلما في ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، وكثرة
 النقل ، وصقل مرآة العقل ، وانتزاع الأمثال ، والاحتذاء في اختراع المعانى على اصح
 مثال ، والاطلاع على اصول اللغة وشواهدا ، والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها .
 وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك غاية الاعتناء حتى ان امير المؤمنين عمر رضي الله
 عنه كان يقدم زهير بن ابي سلمى في الشعر ف قيل له : بم استحق ذلك عندك . قال ، لم
 يكن يعاضل بين القول ، ولا يتبع حوشي الكلام ، ولا يصف الرجل الا بما يكون في الرجال .
 ويذكر عن الامام الشافعى او غيره من الائمة أنه كان يحفظ ديوان هذيل . فلا يخفى

أن شعر العرب هو ديوان أدبهم ومستودع حكيمهم وأنفس علومهم في الجاهلية : به
يفتخرون وإليه يحتكمون . فإذا أكثر الكاتب من حفظه وفهم معانيه غزرت لديه المواد
وترادفت عليه المعاني وتوالت على فكره

وأما شعر المحدثين فللطف مأخذهم ، ودوران الصناعة في كلامهم ، وقرب أسلوبهم
من أسلوب الخطابة والكتابة لا سيما المتنبى الذي كأنه ينطق على ألسنة الناس في
محاوراتهم وكثير الاستشهاد بشعره حتى قل من يجمله واكتفى بالبيت الواحد من شعره
في الدلالة على المقصد وبلوغ الغرض . أما قول الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد

فأنه يريد صرف المهمة الى الشعر بحيث يصير شأن الانسان وديدنه والى ذلك
الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : لأن يملأ أحدكم جوفه قبحاً خير من أن يملأه شعراً .
والا فقد قال صلى الله عليه وسلم : ان من الشعر لحكمة . وكان عمر رضي الله عنه يسمع
البيت فيعجبه فيكرره مرات كما ذكره الجاحظ وغيره

واعلم أن للكاتب في استعمال الشعر ثلاث طرق : الطريق الاول . الاستشهاد : وهو
أن يورد البيت من الشعر او البيتين أو أكثر في خلال الكلام المنشور مطابقا لمعنى
ما تقدم من الثمر ولا يعتبر فيه ان ينسب عليه بقوله : قال ، ونحوه كما يعتبر ذلك في الاستشهاد
بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية على ما تقدم . فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن
غيره من انواع الكلام فلا يحتاج الى التنبيه عليه كما كتب القاضي الفاضل في صدر
كتاب الى بعض اخوانه يتشوق اليه :

« فيارب ان البين اضحت صروفه على ومالى من معين فكن معي

على قرب عذالى وبعد احبتي وامواه اجفانى ونيران اضلعي

هذه تحية القلب المعذب ، وسريرة الصبر المذبذب ، وظلامه عزم السلو المكذب ،
اصدرها للمجلس وقد وقد في الحشا نارها الزفير اوارها ، والدموع شرارها ، والشوق
آثارها ، وفي الفؤاد ثارها

لوزارنى منكم خيال هاجر لهدته في ظلماته انوارها

أسفًا على ايام الاجتماع التي كانت مواسم السرور والاسرار ، ومباسم الثغور

والاوطار ، وتذكر الاوقات عذب مذاقها ، وامتد بالانس وواقها ، وزوجت بكرها ،
وروجت ذكرها

والله مانسيت نفسي حلاوتها فكيف اذكر انى اليوم اذكرها «
الطريق الثانى : التضمين . وهو أن يضم البيت او نصفه لبعض القرينة كما كتب
القاضى الفاضل :

« وصل من الحضرة

كتاب به ماء الحياة وتقع السحيا فكأنى اذ ظفرت به الخضر
فوقفت عنده منه على

عقود هي الدر الذى انت بحره وذلك مالا يدعي مثله البحر
ورعت منه في

رياض يد تجي وعين وخاطر تسابق فيه النور والزهر والثمر
وكرعت منه في حياض

تسر مجانيتها اذا ما جنى الظل وتروى مجاريها اذا بجل القطر «
وأما تضمين نصف البيت فكما كتب القاضى الفاضل :

« وصل كتاب مولاي بعد ما « أجاب المنادى للصلاة فأعما » ، فلما استقر لدى
« تجلى الذى من جانب البدر أظلاما » ، فقرأه « بين اذ استمطرتها امطرت دما »
وربما ركب القرينة الكاملة على البيت او نصف البيت كما كتب به القاضى الفاضل أيضا :
ورد كتاب الحضرة بعد أن عدت الليالى لطلوع صديعه (١) « وقد عشت دهرها
لأعد الليالىا » ، و بعد ان انتظرت القيظ والشتاء لفصل ربيعه ، « فما للنوى ترمى بلبلى
المراميا » ، واستروحت الى نسيم سحره ، « اذا الصيف ألقى فى الديار المراسيا » ، ومددت
يدى لاقتطاف ثمره ، « فله ما أحلى وأحى المجانيا » . . .

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة كما ذكرت فى المفارقة بين السيف
والقلم على لسان السيف فى مخاطبته للقلم ؛ فقلت : « . . . لكنى قد نلت من هذه الرتبة
أسنى المقاصد ، وشهدت معه من الوقائع ما لم تشاهد ، وحلانى من كفه شرفا لا يزول

(١) الصديق : الصبح ، وقيل : الفجر لانصداعه أو لأنه يصدع الليل بمعنى يشقه

عليه أبداً، وقت نصره في كل معترك « فسل حينئذ وسل بديراً وسل احداً »
وقد يضمن الكاتب بعض القرينة نصف بيت ثم يستطرد ليذكر أياتاً كاملة الأجزاء
على نمط أنصاف الأبيات التي يوردها كما كتب الشيخ ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبي
في كتاب كتب به من قى من الصعيد بمصر الى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
بالقاهرة في جواب مكاتبة . منه :

وينهى ورود عذرته التي لها « الشمس خدن والنجوم ولائد » ، وحسنائه التي
« لها الدر لفظ والدراري قلائد » ، ومشرفته التي « لها من براهين البيان شواهد » ،
وكريمته التي « لها الفضل ورد والمعالي موارد » ، وبديعته التي « لها بين أحشائي
وقلبي معاهد »

وآيتها الكبرى التي دل فضلها على أن من لم يشهد الفضل جاحد
وأنتك سيف سله الله للهدى وليس لسيف سله الله غامد
وقد يخالف بين قوافي انصاف الأبيات الممزوجة ببعض القرائن كما يخالف بين فواصل
القرائن كما كتب البديع الهمداني :

أنا لقرب دار مولاي « كما طرب النشوان مالت به الخمر » ، ومن الارتياح الى
لقاءه « كما انتفض العصفور بلله القطر » ، ومن الامتزاج بولائه « كما التقت الصبابة
والبارد العذب » ، ومن الاتجاه بمزاره « كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب » . . .
الى غير ذلك من فنون الامتزاج التي يزاوج فيها بين المنشور والمنظوم . واعلم أنه ربما قام
البيت الواحد مقام الكتاب البليغ من الكتابة به كما كتب بعض كتاب الخلفاء عن
الخليفة بالانذار والحث على الطاعة :

أناة فإن لم تجد عتب بعدها وعيد فإن لم يجد أجدت عزائه
وكما كتب بعض ملوك العرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبى

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخسيس العرموم

الطريق الثالث : الحُل . وهو أن يعمد الكاتب الى الأبيات من الشعر ذوات
المعاني البديعة فيجعلها من عقد الشعر ويسبكها في كلامه المنشور . قال في الريحان والريمان : وهو
شأن حذاق الكتاب في زماننا ، وفيه من الجمال فنون . وقال في المثل السائر : وإنما جعل

المنظوم مادة للمشور بخلاف العكس لان الاشعار اكثر والمعاني فيها أغزر . قال : وسبب ذلك ان العرب الذين هم أصل الفصاحة كان جل كلامهم الشعر فلا يوجد المشور في كلامهم الايسيرا ، وان كثير فأنه لم ينقل عنهم ؛ وقد اودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال تعالى : « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون » . ثم جاء الطراز الاول من المحضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ، واستمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والمشور بالنسبة اليه قطرة من بحر . قال في الريحان والريهان : وأول من فك رقاب الشعر وشرح مقيدته الى النثر عبد الحميد الاكبر كاتب نبي أمية الى انقضاء خلافهم . قال : وربما رماه غير المطبوع المتصرف فعمده وأفسده كما قيل : وبعضهم يحل فيعقد . قال في حسن التوسل : والحل باب يتسع على الحميد مجاله ، وتصرف في كلام العارف رويته وارتجاله . قال : وكيفية الحل ان يتوخى البيت المنظوم ويحل فرائده من سلكه ، ثم يرتب تلك الفرائد وما يشابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها في أحسن سلك ، وأجمل قالب وأصح سبك ، ويكملها بما يناسب من أنواع البديع اذا أمكن من غير كلفة ، ويتخير لها القرائن ؛ واذا تم له المعنى المحلول في قرينة واحدة فيضيف له من حاصل فكره او من ذخيرة حفظه ما يناسبه ؛ وله أن ينقل المعنى اذا لم يفسده الى ما شاء : فان كان نسبيا وتأتي له ان يجعله مديحا فيفعل ، وكذلك غيره من الانواع ؛ واذا أراد الحل بالمعنى فلتكن الفاظه مناسبة لالفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها ، فتي قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيبا ؛ واذا حل اللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل الا مع مراعاة تدبير الفصاحة واجتناب ما ينتص المعنى . قال : وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه ولا حجر على التصرف فيه واعلم ان حل الايات الشعرية واستعمالها في النثر على ثلاثة اصناف :

﴿ الصنف الاول ﴾

(أن يأخذ النثر البيت من الشعر فينثره بلفظه وهو أدنى مراتب الحل)

قال في المثل السائر وهو عيب فاحش اذا لم يزد في نثره على أنه أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير . قال : ومثله كن أخذ عقدا قد اتقن نظامه وأحسن تأليفه

فأوهاه وبدده ، وكان يقوم عذره في ذلك لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله او احسن منه ؛ وايضا فانه اذ نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال : هذا شعر فلان بعينه ؛ لكون الفاظه باقية لم يتغير منها شيء . وبالجملة فنثر الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين :

الحال الاول -- ان يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض الفاظه وتأخير بعضها .

وله في ذلك طريقان

الطريق الاول -- ان يحله بالتقديم والتأخير من غير زيادة في لفظه كما ذكر صاحب

الصناعتين عن بعض الكتاب انه حل قول البحترى :

أطل جفوة الدنيا وتهوين شأنها . فما العاقل المغرور فيها بعامل

يرجى الخلود معشر ضل سعيهم ودون الذي يرجون غول الغوائل

اذا ما حريز القوم بات وماله من الله واق فهو بادي المقاتل

فقال في نثرها : اطل تهوين شأن الدنيا وجفوتها فما المغرور العاقل فيها بعامل ،

ويرجو معشر ضل سعيهم الخلود وغول الغوائل دون ما يرجون ، واذا بات حريز القوم

وماله واق من الله فهو بادي المقاتل . فلم يزد في ألفاظها شيئا

الطريق الثاني -- ان يحله بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قلب المعترى

انه سمع منشداً ينشد للمتنبي :

أفلت بطالته وراجعه حلم وأعقبه الهوى ندما

ألقي عليه الدهر كل كلة واعاره الاقتار والعدما

فاذا ألم به اخوة ثقة غض الجفون ومجمج الكلام

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من اهله : جعلني الله فداك ليس

هو اليوم كما كان . انه وحياتك أفلت بطالته ، اى والله وراجعه حله ، وأعقبه وحقتك

الهوى ندما . أخى الدهر عليه بكل كلة فهو اليوم اذا رأى أخا ثقة غض بصره ومجمج

كلامه . . . فزاد في نثره ألفاظا على ألفاظ الشعر

الحال الثاني -- ان يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض الفاظه وتأخير بعضها

فيحتاج في نثره الى الزيادة فيه والنقص منه حتى يستقيم كقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير وإنما ينحل بزيادة
وتغيير بخلاف المصراع الاول فإنه يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول فيه : فؤاد
الفتى نصف ولسانه نصف؛ ولا يمكن ذلك في المصراع الثاني حتى يزيد فيه او ينقص
فيقول مثلاً : فؤاد الفتى نصف ولسانه نصف ، كما تقدم ، ثم يقول : وصورته من اللحم
والدم فضلة لا غنى بها دونهما ولا معول عليهما الا معهما . قال في الصناعتين : وزيادة
الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة لأن بسط الألفاظ في انواع المنشور سائغ . ألا
ترى أنها تحتاج الى الازدواج ، ومن الازدواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد
وليس ذلك بقبیح الا إذا اتفق لفظاهما ؛ الا أن أكثر ما يحسن فيه ايراد المعنى
على غاية ما يمكن من الإيجاز . ومعنى قوله : فلم يبق الا صورة اللحم والدم ، داخل في
قوله : لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ، والمصراع الثاني تذييل للأول . قال :
فإذا أردت ان تحله حلامقتصر بغير لفظه قلت : الانسان شطران ؛ لسان وجنان

﴿ الصنف الثاني ﴾

(وهو أعلى من الصنف الاول ، أن ينثر المنظوم ببعض الفاظه ويأتى عن البعض
بألفاظ آخر ، ويحسن ذلك في حالتين) :
الحالة الاولى — ان يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الالفاظ مقامها بأن
تكون مثلاً سائراً ، أو جارية مجرى المثل كقول بعض شعراء الحماسة
لو كنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
فإن لفظ « بنو اللقيطة » لا يقوم غيره من الالفاظ مقامه لوقوعه علماً على قوم
مخصوصين ، فيحتاج الناثر أن يبقيه بلفظه كما فعل الوزير ضياء الدين بن الاثير في قوله
في نثر البيت المذكور : لست ممن يستبيح ابنه بنو اللقيطة ، ولا الذي اذا هم بأمر
كانت الآمال اليه وسيطة ، ولكني أحى العمل ، وأفوت الامل ، وأقول : سبق السيف
العذل . . . قلت : ويحكى ذلك ما حلت من قول الشاعر
اذا مضى الحراء كانت عشيرتى وقام بنصرى خارم وابن خارم

عطست بأنف شايخ وتناولت يداى الثريا نائماً غير قائم
 غلته فى المفاخرة بين السيف والقلم بأن قلت : فعطس كل منهما بأنف شايخ غير
 مسلم الآخر ولا مسلم ، ومد للعليا يد المطاولة فتناول الثريا نائماً غير قائم . . . وكذلك
 كل ما جرى هذا المجرى

الحالة الثانية - ان يكون فى البيت لفظ رائق قد اخذ من الفصاحة بزمامها وأحاط
 من البلاغة بجوانبها فيبقيه على حاله ويقرنه بلفظ يماثله ويوازنه . قال فى المثل السائر:
 وهناك نظائر الصنعة فى المماثلة والمشاكلة ومواخاة الالفاظ الباقية من البيت بالالفاظ
 المرتجلة ؛ فإنه اذا أخذ لفظاً لشاعر مجيد تفحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع
 بين لؤلؤة وحصاة ، ولا خفاء بما فى ذلك من التعرض للقدح والاستهداف للطعن .
 قال : وهو عندى أصعب منالاً من نثر الشعر بغير لفظه لأنه مسلك ضيق لما فيه من
 التعرض للمماثلة ماهو فى غاية الحسن والجودة بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فإن أثره يتصرف
 فيه على حسب ما يراه ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر الى مواخاته . ومثل لذلك
 بقول ابى تمام

حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل ويريد

ثم قال : فقوله « تملأ كل أذن حكمة وبلاغة » من الكلام الحسن ، وهو أحسن
 ما فى البيت ؛ وقد نثر ذلك فقال يصف كلام نفسه . « وكلامي قد عرف بين الناس
 واشتهر ، فلو قال قائل : لمن هذا ؟ قيل : وهل يخفى القمر ؛ واذا عرف الكلام صارت
 المعرفة له علامة ، ولم يحش عليه سرقة إذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ؛ ومن خصائص
 صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان عجمة » . فبقى لفظه « يملأ
 كل أذن حكمة » وأتى معها بما يناسبها من الالفاظ الحسنة الرائقة . ونحو ذلك ما ذكره
 الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي أنه يؤاخي القرينة بالقرينة كما فعل هو فى تقليد
 أنشأه فقال : فكلم ملّ ضوء الصبح مما يعيره ، - ثم قال : وظلام النقع مما يثيره ، -
 ثم قال بعد ذلك : وفلّ حديد الهند مما يلاطمه ؛ - ثم قال : والأجل مما يسابقه الى
 قبض النفوس ويزاحمه . . . والقرينتان الأوليان نصفان بيتين للمتبى . فأضاف الى كل
 قرينة ما يناسبها ، وذكر ان هذا أكثر ما يستعمل فى الكتابة

﴿ الصنف الثالث ﴾

(وهو اعلى من الصنفين الاولين ، ان يأخذ معنى الشعر فيكسوه الفاظا من عنده
و يصوغه بلفظ غير لفظه)

قال في المثل السائر : و ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته و يعلم مقدار تصرفه في
صناعته و ان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية و إلا أحسن التصرف و أتقن
التأليف ليكون اولى بذلك المعنى من صاحبه الاول . و لتعلم ان الأبيات الشعرية في
حلها بالمعنى لها حالان :

الحال الاول - ان يكون البيت مما يتسع المجال لثوره في ثره فيورده بضروب
من العبارات . قال ابن الاثير : و ذلك عندي أشبه بالمسائل السائلة في الحساب التي
يجاب عنها بعدة من الاجوبة . فمن ذلك قول المتنبى

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى تكون حشاك في احشائه

فهذا البيت يتصرف في ثره في وجوه من المعاني . و قد ثره بن الاثير فقال : لا تعذل
المحب فيما يهواه ، حتى تطوى القلب على ما ظواه . ثم ثره على وجه آخر فقال : اذا
اختلف العينان في النظر ، فالعدل ضرب من الهذر . و على هذا النهج يجري قول ابن
الرومي في وصف الحديث

و حديثها السحر الحلال لو انه لم يحن قتل المسلم المتحرز

ثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلي في وصف السيوف فقال : و كفي السيوف فخراً
انها للجنة ظلال ، و الى النصر مآل ، و اذا كان من بين الحديث سحر فان بيان حديثها
عن كلمته هو السحر الحلال . ثم نقله الى وصف الأسنه فقال : حسب الأسنه الأسنه
شرفاً ان كشف خبايا القلوب يذم الامنها ، و ان بث اسرار الضمائر تكره روايته الا
عنها ، فمكرر حديثها في ذلك لا يفضي الى ملال ، و اذا لم يكن حسن حديثها الذي
يسحر الالباب مما يحل فليس في الحديث سحر حلال . ثم نقله الى وصف البلاغه
فقال : البلاغه تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرًا ، و تخيل الهوى المدرك بالسمع
لا نسجامة و عذوبته في الذوق نهرًا ، لكنه سحر لم يحن قتل المسلم فيأول في حله ،

وان كان في الحديث ما هو عقلة المستوفز فهذا أنشودة نشاط البليغ وحل عقال عقله .
ثم نقله الى وصف الكتابة فقال : خطه شرك العقول ، وقتنه تشغل المطمئن بملاحة
المرئي المكتوب عن فصاحة المسموع المعقول ، ولو لم يكن البيان سحراً لما تجسدت منه
في طرسه هذه الدرر ، ولو لم يكن بعض السحر حلالات لما انجلي ظلام النفس عما يهتدى
به من هذه الاوضاع وانغرر

الحال الثاني - ان يكون الشعر مما يضيق المجال فيه فيعسر على الناثر تبديل الفاظه .
وذلك قليل بالنسبة لما يتسع في حله المجال . قال في المثل السائر : وسببه ان المعنى
ينحصر في مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتي الا فداً . فمن ذلك قول المتنبي
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جث القتلى عليها تمام

فان ابا الطيب بنى بيته على واقعة مخصوصة ، وذلك ان الروم قصدوا حصانهم
حصون سيف الدولة بن حذان فانزعه وهدموه ثم ظهر عليهم سيف الدولة فانزعه
منهم وأعاد عمارته وحصانته ونصب جملة من جث القتلى على السور فنظم ابا الطيب
في هذا قصيدته التي اولها : « على قدر أهل العزم تأتي العزائم » الى أن انتهى الى
ذكر الحصن فأتى بهذا البيت فأبرز صورة الحال في معنى التمثيل بالجنون والتمام ؛
وذلك مما لا يمكن تبديل لفظه . وحينئذ فيجب على الناثر حسن الصنعة في حله ونثره .
وقد نثره ابن الأثير فقال : سرى الى حصن كدام تعيذ أمنه سبية نزعها العدو واختلاسا ،
وأخذها مخادعة لا اقتراسا ، فما نزلها حتى استقادها ، ولا نازلها حتى استعادها ، فكأنما
كان بها جنون فبعث عليها من عزائم عزائم ، وعلق عليها من رؤس القتلى تمام .
ثم قال : وفي هذا من الحسن ما لا يخفاء فيه فمن شاء ان ينثر شعرا فليثر هكذا والا
فليترك . ثم نقله الى معنى آخر بعد أن أضاف اليه البيت الذي قبله وهو قوله

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

فنثرها فقال : بناها والاستنة في بنائها متخاصمة ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين
متلاطمة ، وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد ، وأصيبت بمثل
الجنون فعلمت عليها تمام من الرؤس والأجساد ، ولا شك ان الحرب تُعَرِّد عن
عز جانبه ، وتقول ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه ؛ وقال هذا أحسن من الاول وأتم

معنى - قلت : وقد استعملت هذا المعنى في كتاب كتبه الى المقر الاشرف الناصري محمد بن البارزي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وهو صحبه المقام الشريف السلطاني المؤيدى شيخ بالشام في سنة تسع عشرة وثمانمائة عند بعثه برءوس من عصي عليه من الامراء فعلقت على باب زويلة وقد أخذ في بناء الجامع المؤيدى بجواره ، فقلت : وجملت رؤوسهم على الرماح فكانت لها عمائم ، وخيف على باب زويلة لمجاورة الجامع العين فعلق عليه منها تماًم . وهذا باب متسع وفيما ذكرته منه ارشاد لما لم يذكر

﴿ النوع العاشر ﴾

الاكثر من حفظ امثال العرب ثرا ونظما ، والنظر في الكتب المصنفة في ذلك كما مثال ابى عبيد الميدانى ، والمفضل بن سلمة الضبي ، وحمزة الاصهاني ، والقمى ، وغيرهم ؛ وكذلك امثال المولودين الواردة في اشعارهم كالأمثال الواردة في شعر جرير ، والفرزدق ونحوهما ؛ وامثال المحدثين الواردة في اشعارهم أيضاً كأبى العتاهية ، وأبى تمام ، والمتنبى وما مجرى مجرى ذلك من الامثال الموضوععة على السنة الحيوان عن العرب وغيرهم ليستشهد بذلك في موضعه ويورده في مكانه عارفاً بأصل ذلك وما نبى عليه ؛ لأن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم ؛ وهذه الالفاظ الواردة في المثل دالة عليها معبرة عن المراد بها بأخصر لفظ وأوجزه . ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من هذه الالفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات ، وليس في كلامهم الكثير الدوران أخصر منها . وما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها الى المعانى ، تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً وحيث كانت بهذه المرتبة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها . قال صاحب العقد : والامثال هي وشى الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعانى وهي التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان على كل لسان . فهي أبقى من الشعر واشرف من الخطابة لم يسر شئ كسبرها ولا عم عومها حتى قالوا « أسير من مثل » والى ذلك يشير الشاعر بقوله ما أنت الا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله تعالى الامثال في كتابه العزيز في غير موضع من القرآن فقال
« وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الامثال في غير موضع . فأما الامثال الواردة نثرا فضربان
الضرب الاول - ان يصرح بذكر المثل في الكلام . وعلى ذلك أكثر امثال
القرآن الكريم والسنة النبوية . فما ورد من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى « ومثل
كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين أبذن
رهما - الى ان قال - ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار »؛ وقوله جلت قدرته « وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ وهو
كل على مولاه أينما يوجهه لا يات بغيره هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط
مستقيم »؛ وقوله « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من
كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »
الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ومما ورد في السنة من ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب
مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط
ولا تخرجوا » فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله ، والداعي القرآن . الى غير
ذلك من الامثال

الضرب الثاني - ان لا يصرح بذكر المثل في القرآن بل تقع الاشارة اليه بكلام
يسير . وعليه ورد بعض آي القرآن كقوله تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ونحوه . وعلى ذلك ورد أكثر امثال العرب « ثم منه ما هو قريب من
الفهم لظهور معناه وكثرة دورانها على الألسنة ، ومنه ما هو على خلاف ذلك . فالقريب
من الفهم مثل قولهم : عند الصباح يحمد القوم السرى . وهو مثل يضرب للترغيب في
السير في الليل والحث عليه . وأول من ارسله مثلا خالد بن الوليد رضى الله عنه :
قاله في صبح ليلة قطع فيها مفازة كانت في طريقه من العراق الى الشام . ومن أمثال
المحدثين في ذلك قولهم : المؤمن لا يكون حبلئ « والبعيد من الفهم مثل قولهم : ان يبغ
عليك قومك لا يبغى عليك القمر . وهو يضرب لمن ينكر الامر الظاهر عنادا . وأصله

ان بنى ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس ليلة البدر : فقالت طائفة تطالع الشمس والقمر ظاهر ، وقالت طائفة يغيب القمر قبل ان تطالع الشمس ؛ فتراضوا برجل جعلوه بينهم حكما . فقال واحد منهم : ان قومي يبغون علي . فقال الحكم : ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ؛ فجرت مثلا . قال في المثل السائر : ومن المعلوم ان قول القائل : ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر اذا أخذ على صبغته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد اعطاه المثل بل كان يفهم من هذا القول معنى لا يفيد ؛ لان البغى هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه ان يظلم احدا فيصير معنى المثل : ان كان يظلمك قومك فلا يظلمك القمر ؛ وهو كلام مختل المعنى غير مستقيم

واما الامثال الواردة نظما فهي كلمات استحسنت في الشعر وطابقت وقائع عامة جارية بين الناس تداولها الناس وأجروها مجرى الامثال الثرية كقول طرفة ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بالاصف الأخير منه ، وقد روى أنه كان يخرج به عن الوزن ويحوله عن طريق الشعر فيقول : ويأتيك من لم تزود بالآخبار، فرارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه الملى ؛ على أنه صلى الله عليه وسلم انما هو ممنوع من نظم الشعر لا من إنشاده . فقد ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : الاكل شيء ما خلا الله باطل . ويروى ان عمر رضى الله عنه تمثّل بقول النابغة

واست بمستبق أخا لا تلومه على شعث أى الرجال المهذب
وأمثال ذلك مما تمثّل به الصحابة رضى الله عنهم كثير . وكذلك وقع في أمثال
المحدثين الواردة في اشعارهم ما يستظرف كقول القاضى الأرجانى
تأمل منه تحت الصدغ خالا لتعلم كم خبايا في الزوايا
استعمل فيه المثل السائر فى قولهم : فى الزوايا خبايا . الى غير ذلك من الأمثال
الواردة فى هذا الباب

وأما الامثال الموضوعه على السنة الحيوانات فكما روى ان أمير المؤمنين على بن

ابن طالب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الصحابة وتحاذلهم تمثل بقولهم : إنما أكلت يوم أُكل الثور الأبيض ، يعنى : إنما خُذلت يوم خُذلت عثمان . وأصل ذلك ما يحكى من قولهم إنه اصطحب اسد ، وثور أحمر ، وثور أسود ، وثور أبيض فى آجمة ؛ فقال الأسد للأحمر والأسود : هذا الأبيض يفضحننا بلونه ويُطعم فينا من يقصدنا ، فلو تركتاني آكله أمتنا فضيحة لونه ؛ فأذنا له فى ذلك ، فأكله . ثم قال للأحمر : هذا الأسود يخالف لوني ولونك ، ولو بقيت أنا وأنت ظنك من ير الك أسدا مثلى ، فدعنى آكله . فسكت عنه ، فأكله . ثم قال للثور الأحمر : لم يبق الا انا وأنت ، وأريدان آكلك . فقال ان كنت فاعلا ولا بد فدعنى أصد تلك الهضبة وأصيح ثلاثة أصوات . فقال : افعل ما تريد . فصعد وصاح ثلاثة أصوات : ألا إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض ؛ فجرت مثلا . . . الى غير ذلك من الامثال الواردة فى هذا الباب

فأذا أ كثر الكتاب من حفظ الامثال السائغ استعمالها انقادت اليه معانيها وسيقت اليه الفاظها فى وقت الاحتياج اليها فى نظائرها من الوقائع والأحوال فأوردعها فى مكانها واستشهد بها فى موضعها . والطريق فى استعمالها فى الذكر كما فى حل الشعر واستعماله فى النثر ؛ الا أن الامثال لا يجوز تبديل لفظها ولا تغيير اوضاعها لأنها بذلك عرفت واشتهرت . وقد أ كثر حذاق الكتاب فى استعمالها فى كلامهم وايرادها فى خلال نثرهم بحسب ما يقتضيه الحال ويسوق اليه الكلام . فمن ذلك قوله فى التعريف فى وصية أمير مكة : وهو أجد من طهر هذا المسجد من أشياء يئزه ان يلحق به فحش عابها ، وشنعاء هو يعرف كيف يتبعها « وأهل مكة أخبر بشعابها » . وقد وقع هذا المثل فى كلامه أحسن موقع اذ أتى به فى مكانه اللائق به ومحلّه الخصوص بوضعه . وقد نقله الشيخ جمال الدين بن نباته فاستعمله فى غير هذا المعنى فجاء منحطاً عن هذه الرتبة ، فقال فى وصية خطيب : ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو كأهل مكة أخبر بشعابها .

ومما لحلّ من الامثال الواردة نظماً قول القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى وصية أمير مكة على وفود الحجيج : فليأخذ بمن أطاع الله من عصى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبيد فأن العبد لا يزجره الا العصا . استعمل فى ذلك قول ابن دريد فى مقصوده

واللوم للحرّ مقيم رادع والعبد لا يردعه الا العصا

ومما استعمل من الأمثال الموضوعة على السنة الحيوان ما قلته في موضوع امتناع الصلح: وأنى يتم الصلح وشجة ذات الصفا بعد ما اندملت ، ولسان ملامتها يتلو بأى ذنب قتلت ، وراعى سائمة المراوضة ينظر الى قبر أخيه فيذكر مساءته ، ولسان الأيثار ينشد اذا وترت امرأة فأحذر عداوته . استعملت فيه حال الحية التي كانت تخرج من جحر وتعطي البدوى الذى كان يرعى الغنم في واد كل يوم ديناراً ، فظن أنها على كنز فأراد قتلها ليأخذ الكنز ، فتناول مسحاة وارتقمها حتى خرجت من الجحر وضربها فشبج رأسها ، فوثبت عليه فقتلته ، فجاء اخوه فأخذه ودفنه في قبر وأقام يرعى الغنم مكانه فى ذلك الوادى ؛ ثم أتى الحية فقال لها : ان أخى كان ظالماً لك ، فأن رأيت ان تعطينى الدينار الذى كنت تعطينه له كل يوم فتبقى الصحبة بينى وبينك فافعلى . فقالت : ان ذلك لا يتم ، لأنى كلما نظرت لشجة رأسى ذكرت صنع أخيك فى ، وأنت كلما نظرت الى قبر أخيك ذكرت قتلى اياه فلا تنتظم بيننا صحبة . ومنه قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة من توقيع بنظر مدرسة : وكيف لا وهو نعم الناظر والانسان ، وفي مصالح القول والعمل ذو اليمين واللسان ، وذو العزائم الذى تقيدت فى حبه الرتب ومن وجد الاحسان . استعمل فيه البيت المشهور : « ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا » وأنى فيه بالاكتفاء فزاد فى كلامه حسناً وطلاوة .

ومما استعمل من امثال المحدثين نرا قول الشيخ جمال الدين ابن نباتة فى وصف خطيب من جملة ترقيع : ومن إذا قام فريداً عدّ بألف من الرجال تنظّم ، واذا أقبل فى سواد طيلسانه واحداً قيل جاء السواد الأعظم . فاستعمل المثل السائر فى قولهم « السواد الاعظم » يريدون اللحم الغفير . ومن ذلك ما ذكرته فى المغاخرة بين السيف والقلم وهو : وأظهر كل منهما ما كان يخفيه فكاتب وأملى ، وباح بما يكتمه صدره والمؤمن لا يكون حبلى . فاستعملت المثل السائر فى قولهم « المؤمن لا يكون حبلى » . الى غير ذلك من الاستعمالات التى لا تحصى كثيرة

﴿ النوع الحادى عشر ﴾

معرفة ايام العرب ، وتسمية الايام التى كانت بينهم ، ويوم كل قبيلة على الاخرى وما جرى بينهم من الاشعار والمناقضات ، وذكر فارس مشهور وملك مذكور وواقعة معينة لشخص خاص ، وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه لما فى ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه فى مكاتبة من ذكر يوم مشهود او فارس معين ، أو غير ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية أو جرى فى الاسلام ؛ فإن الكاتب اذا لم يكن عارفاً بالوقائع عالماً بما جرى فيها لم يدرك كيف يجيب عما يرد اليه من مثلها ولا ما يقول اذا سئل عنها فأما ايام الحروب فهى التى كان يقع فيها القتال بين قبائل العرب فيسمى ذلك اليوم تارة باسم المكان وتارة باسم سبب الحرب وتارة بغير ذلك كيوم جرار ، وهو جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به ، وكانت الحرب فيه بين ربيعة وقبائل اليمن ، وكانت الغلبة فيه لربيعة ؛ ويوم عين أباغ ، وهو موضع يقال له ذات الحيار ، وكانت الحرب فيه بين غسان ولخم ، وفيه قتل المنذر بن ماء السماء فانهزمت لخم ؛ ويوم الكديد ، وكان بين كنانة وسليم وانتصرت فيه سليم على كنانة وقتل فيه فارس كنانة ربيعة بن مكرم ؛ ويوم ذى قار ، وكان بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين كسرى ابرويز ملك الفرس ، وكانت الغلبة فيه للعرب على العميم . . . الى غير ذلك من ايام الحرب التى لا تحصى كثرة . وقد افرد لها ابو عبيد بتصنيف ، وأورد فى العقد جملة منها ، وفى آخر الامثال للميدانى جملة صالحة من ذلك

وأما ايام المفاخرة فهى الأيام التى وقعت المفاخرة فيها بين قبائل العرب كما حكى ابن الكلبي ان كسرى ابرويز قال للنعمان بن المنذر يوماً : هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال : نعم ، قال : فبأى شئ ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متواليه ورساء ، ثم اتصل ذلك بكال الرابع فالبيت من قبيلة فيه وينسب اليه . قال ، فاطلب ذلك . فطلبه فلم يجده الا فى آل حذيفة بن بدر ، وآل حاجب بن زرة ، وآل ذى الجدين ، وآل الاشعث بن قيس بن كندة . فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرتهم وأقعد لهم الحكماء والعدول وقال : ليتكلم كل رجل منكم بما أثر قومه وايصدق . فكان حذيفة

ابن بدر الفزاري اول متكلم ، وكان أسن القوم . فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعظم ، ومأثرة الصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولم ذلك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ؟ . قيل : صدقت ثم قام شاعرهم فقال :

فزارة بيت العز والعز فيهم فزارة قيس حسب قيس نضالها

لها العزة القعساء والحسب الذي بناه لقيس في القديم رجالها

في أبيات أخرى . ثم قام الاشعث الكندي فقال : قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الاكثر ، وزحفها الاكبر ، وانا لغيث الكربات ، ومعدن المكرمات . قالوا : ولم يا أخا كندة ؟ قال : لانا ورثنا ملك كندة فاستظلنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الاعظم وتوسطنا بمجوحه الاكرم . ثم قام شاعرهم فقال

اذا قست ابيات الرجال بيتنا وجدت لنا فضلا على من يفاخر

فمن قال كلاً أو اتانا بحطبة ينافرنا فيها فنحن نخاطر

تعالوا قفوا كي يعلم الناس ايننا له الفضل فيما اورثته الاكابر

ثم قام بعده بسطام الشيباني فذكر ما أثار قومه ؛ ثم حاجب بن زرارة التميمي ففعل كذلك ، ثم قام بعده قيس ابن عاصم السعدي فأتي بمثل ذلك . فقال كسرى : حينئذ ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه واسنى حياهم واعظم صلاحهم . . . الى غير ذلك من المفاخرات الواقعة بينهم . وقد اوردت جملة منها في الاصل . فاذا اكثر الكاتب من معرفة ايام العرب من حرب او مفاخرة ، ومن يعد من فرسان حروبها ومصاقع خطبائها ومغلق شعرائها وما جرى بينهم في ذلك من الخطب والاشعار والمناقضات كان مستعدا لما يستشهد به كما قال ابو تمام يمدح بني شيبان

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها وزادت على ماوطدت من مناقب

فأنتم بذى قار امالت سيوفكم عروش الذين اسرهنوا قوس حاجب

يشير بذلك الى ان حاجب بن زرارة التميمي وفد على كسرى في سنة جذب فقال له الحاجب : من أنت ؟ قال . رجل من العرب . فلما دخل على كسرى قال له : من انت ؟ قال : سيد العرب . قال : ألم تقل بالباب انك رجل من العرب ؛ قال : كنت

بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سدتهم . فلأفهمه درا . فشكا اليه محل الحجاز وطلب منه حمل الف بعير برأ علي ان يبعث اليه بقيمتها بعد قفوله الى الحجاز . فقال : وما ترهنني علي ذلك ؟ قال : قوسى . فاستعظم همته وامر له بطلبته فأخذها وذهب فمات بعد ذلك فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا قوس ايهم . فافتخر بنو تميم بذلك فاشار ابو تمام في شعره الى هذه القضية وكما قال ابو نصر الفتح بن خاقان في خطبة كتابه قلائد العقيان : لو جاوره كليب اطرق حماه ، أو استجار به احد من الدهر حماه ، أو كان بوادى الاخرم ، لطاف به ربيعة واحرم ، أو استنجده الكندى ما كساه الملاءه ، أو كان حاضر بسطام لما خر على الألاءه . » . وكما قلت في المغامرة بين السيف والتلم عند التعرض لذكر الامير ابى يزيد الدوادار الموضوعه له : « فلو لقيه فارس عبس لولى عابسا ، أو طرق حى كليب لبات من حماه آيسا ، أو قارعه ربيعة ابن مكدّم لعلا بالسيف مفرقه ، أو نازله بسطام لبدد جمعه وفرقه . » الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى قلت : وقد ذكرت فى الاصل هنا جملة فى أنساب العرب وقبائلهم وأوابدهم التى كانوا يعتقدونها وكثير من احوالهم ووقائعهم فليراجعها فيه من اراد الوقوف على ذلك

﴿ النوع الثانى عشر ﴾

النظر فى كتب التاريخ والمعرفة بأحواله وتفصيلها وما جرى آياتها واحوال الملوك والاعيان والحوادث والوقائع ليحتج بكل واقعة منها فى موضعها ويستشهد بها فيما يلائمها : فإنه متى اخل بمعرفة ذلك احتج بالقضية فى غير موضعها وانسبها الى غير من هي له أو ألبس عليه خصمه باستشهاد بواقعة لاحقيقة لها

واعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له . ومن أهم ما يحتاج اليه الكاتب من فنونه أمور «الاولى» وهي المعرفة بأول من وضع كل أمر من الامور المهمة ورتبه ، واول من قال كذا ، واول من تسمى بكذا ، ومعرفة نوادر الامور ولطائف الوقائع والماجريات وما يتعلق من ذلك بالملوك واحوال الدول ومشاهير الناس والاتفاقيات . وقد ذكرت فى الاصل من هذه الامور ما فيه مقنع مما لم يجتمع فى غيره . فاذا أكثر الكاتب من معرفة

الامور التاريخية عرف كيف يتصرف فيما يكتب وأورد كل قضية في موضعها .
وانت اذا نظرت الى رسالة الوليد بن زيدون التي كتبها على لسان محبوبته ولادة بنت
محمد بن عبد الرحمن الناصر في توبيخ من استمالها عنه لنفسه علمت وجه انتفاع الكاتب
بفن التاريخ وموقعه من فن الكتابة . ألا ترى الى قوله : . . . حتى خلت ان يوسف عليه
السلام حاسنك ففضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون أصاب
بعض ما كنت ، والطف عشر على فضل مار كرت ، وكسرى حامل غاشيتك ، وقصر
راعي ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأزدشير جاهد ملوك الطوائف
بخر وجههم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك ،
وشيرين نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وأن مالك بن نويرة انما
أردف لك ، وعروة بن جعفر انما رحل اليك ، وكليب بن ربيعة انما حى المرعى بعزتك ،
وجساسا انما قتله بمنعتك ، ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك ، والسموئل انما وفي عن
عهدك ، والأحف انما احتجى في بردك ، وحاتما انما جاد بوفرك ، ولقي الأضياف بيدرك ،
وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك ، والسليك بن السلكة انما عدا على رجلك ، وعامر
ابن مالك انما لاعب الأسنه بيديك ، وقيس بن زهير انما استعان بدهائك ، واياس
ابن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبان وانل انما تكلم بلسانك ، وعمرو
ابن الأهم انما سحر ببيانك ، وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك ، والحملات في دماء
عبس وذبيان أسندت الى كفالتك ، وان احتيال هرم لعامر وعلقمة حتى رضيا كان
عن إشارتك ، وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن مشورتك ، والمهلب
أوهن شوكة الأزارقة بأيدك ، وأفسد ذات بينهم بكيدك ، وأن هرمس اعطى بليوس
ما اخذ منك ، وافلاطون أورد على أرسطاطاليس ما حدث عنك ، وبطيهموس سوى
الاسطرلاب بتديرك ، وصور الكرة على تقديرك ، وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف
حسك ، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ، وكلاهما قلدك في العلاج ،
وسألك عن المزاج ، واستوصفك تركيب الأعضاء ، واستشارك في الداء والدواء ،
وأنت نهجت لأبى معشر طريق القضاء ، وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ،
وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق ، وجعالت للكندي ربما استخرج به الدقائق ،

وأن صناعة الألحان اختراعك ، وتأليف الأُنقار توليدك وابتداعك ، وأن عبدالحميد ابن يحيى بارى أقلامك ، وسهل ابن هارون مدون كلامك ، وعمرو بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك الى غير ذلك من الامور التاريخية التي انتظمها سلك هذه الرسالة . وقد أوردتها بجملة في الأصل

﴿ النوع الثالث عشر ﴾

المعرفة بأنواع العلوم الشهيرة التي تقع الولايات السلطانية لأربابها كال تفسير القرآن والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع والهندسة وعلم النجوم وما يجري مجرى ذلك ومعرفة أعيان أهلها والمصنفين في كل علم منها وأسماء الكتب المصنفة فيه ومصطلح كل علم والألفاظ المتداولة بين أهله وما في معنى ذلك ليتوصل بذلك الى ذكر ما يحتاج لذكره في انشائه من تفاصيل هذه الامور التي يحسن الكلام بأيرادها ويتضح بذكرها . وقد ذكرت في الاصل هنا من العلوم والكتب المصنفة ما فيه غنية للناظر في استعمال ذلك . فإذا عرف الكاتب هذه العلوم وما صنف فيها من الكتب امكنه التصرف فيها في كتابته بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه وذكر كتاب مصنف في ذلك العلم حيث تدعو الحاجة الى ذكره كما وقع لي في تقرير مولانا قاضي القضاة شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن الكنناني البلقيني الشافعي :

« ان تكلم في الفقه فكأنما بلسان الشافعي تكلم ، والريع عنه يروى والمزني يتعلم ، أو خاض في اصول الفقه قال الغزالي هذا هو الامام باتفاق ، وقطع السيف الامدى بأنه المقدم في هذا الفن على الاطلاق ، وجرى في التفسير قال الواحدى هذا هو العالم الاوحد ، وأعطاه ابن عطية صفقة يده بأن مثله في التفسير لا يوجد ، واعترف له صاحب الكشاف بالكشف عن الغوامض ، وقال الأمام فخر الدين هذه مفاتيح الغيب واسرار التنزيل فارتفع الخلاف واندفع المعارض ، وأخذ في القراءات والرسم أرزى بأبي عمرو والداني ، وعدا شأو الشاطبي في الرواية وتقدمه في حرز الاماني ، وأحدث في الحديث شهده السفيانان بعلم الرتبة في الرواية ، واعترف له ابن معين في التبريز والتقدم في الدراية ، وهتف الخطيب البغدادي بذكره على المنابر ، وقال ابن الصلاح لمثل هذه الفوائد تتعين الرحلة ، وفي

تحصيلها تنفذ المحابر، أو أبدى في أصول الدين نظراً تعلق منه أبو الحسن الأشعري بأوفى زمام، وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء: ليتنا لم نفتح باباً في الكلام، أو دقق النظر في المنطق بهر الأبهري في مناظرته، وكتب الكتابي وثيقة على نفسه بالعجز عن مقاومته، أو ألم بالجدل رمى الأرموى نفسه بين يديه، وجعل العميدى عمدته في آداب البحث عليه، أو بسط في اللغة لسانه اعترف له ابن سيدة بالسيادة، وأقر بالعجز لديه الجوهرى وجلس ابن فارس بين يديه مجلس الاستفادة، وانحأ إلى النحو والتصريف أربى فيه على سيبويه، وصرف الكسائى له عنزمه فسار من البعد إليه، أو وضع أ نموذجاً في علوم البلاغة وقف عنده الجرجاني، ولم يتعد حده ابن ابى الاصمغ ولم يجاوز وضعه الرمانى، أو روى أشعار العرب أزرى بالاصمغى في حفظه، وفاق أبا عبيدة في كثرة روايته ونغزير لفظه، أو تعرض للعروض والقوافى استحقهما على الخليل، وقال الأخنش عنه أخذت المتدارك واعترف الجوهرى بأنه ليس له في هذا الفن مثيل، أو أصل في الطب أصلاً قال ابن سينا هذا هو القانون المعتبر في الأصول، وأقسم الرازى بحجى الموتى أن بقراط لو سمعه لما صنف الفصول، أو جنح إلى غيره من العلوم الطبيعية فكأنما طبع عليه، أو جذبه بزمام فانقاد ذلك العلم إليه، أو سلك في علوم الهندسة طريقاً لقال اقليدس هذا هو الخط المستقيم، وأعرض ابن الهيثم عن حل الشكوك وولى وهو كظيم، وحمد المؤمن بن هود عدم أكمل كتابه الاستكمال وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذى علم عليم، أو عرج على علم الهيئة لا تعرف أبو الريحان البيرونى أنه الاعجوبة النادرة، وقال ابن أفلح هذا العالم قطب هذه الدائرة، أو صرف إلى علم الحساب نظره لقال السموءل بن يحيى لقد أحى هذا العز الدارس، وانجالت عن هذا العلم غياهبه حتى لم يبق عمه لعامه ولا غمة على ممارس

وقد وجدت مكان القول ذامعة فان وجدت لساناً قائلاً قتل»

﴿ النوع الرابع عشر ﴾

﴿ المعرفة بالأحكام السلطانية ﴾

ليعرف كيف يخلص قلبه على حكم الشريعة المظاهرة وما يشترط في كل ولاية من

الشروط فينبه عليها ويقف عندها وما يلزم رب كل وظيفة من أرباب الوظائف وما يندب له فيورده في وصاياه. وقد أورد أفضى القضاة أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي رحمه الله تعالى في « الاحكام السلطانية » له من ذلك ما فيه مقنع، وأوردت في الاصل ما لا غنى بالكاتب عنه من معرفة احوال الامامة والوزارة وانقسامها الى وزارة نفويض، ووزارة تنفيذ، وتقليد الامارة على البلاد، والامارة على الجهاد، والولاية على ضروب المصالح، وولاية القضاة، والمظالم، والنقابة على ذوى الانساب، وأمور الصلاة والحجيج، والصدقات وقسم النبي، والغنيمة، ووضع الجزية والخراج، ومعرفة ما تختلف أحكامه من البلاد، وإحياء الموات، واستخراج المياه، والحجى، والاقواف، وأحكام الاقطاع، وأحكام الديوان، وأحكام الجرائر، وأحكام الحسبة. فاذا عرف الكاتب حكم كل ولاية من هذه الولايات، وما يجب توليتها، وما يعتبر في متواليها من الشروط، وما يلزمه من الامور إذا تولها، وما ينافى امورها وبجانب احوالها، عرف ما يأتى من ذلك وما يذير فيكون ما ينشئه من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض والتوافيع وما يجرى مجرى ذلك جارياً آمنه على السداد ماشياً على القواعد الشرعية التي من حاد عنها ضل ومن سلك خلاف طريقها ذل. وكذلك لمناشر المتعلقة بالأقطاعات وعقد الجزية والمهادنات والمفاسخات وما يجرى مجرى ذلك من الامور السلطانية

وهذه فقر من بيعة أنشأتها الخليفة توضح ما أشرت اليه من ذلك. فمن ذلك ما قلته فيها مشيراً الى وجوب القيام بالامامة: « أما بعد فإن عقد الامامة لمن يقوم بها من الواجب بالأجماع، مستند لا أقوى دليل تنقطع دون تقضه الاطماع، وتنبو عن سماع ما يخافه الاسماع » - ومن ذلك ما قلته أيضاً فيها مشيراً الى اجماع شروط الخلافة فى المولى: « وكان فلان أمير المؤمنين هو الذى جمع شروطها فوفاهها، واحاط منها بصفات الكمال واستوفاهها، ورامت به ادنى مراتبها فبلغت أغياها، وتسور معاليها فرقي الى اعلاها، واتحد بها فكان صورتها ومعناها » - ومن ذلك ما قلته فيها مشيراً الى عقد البيعة: « فجمع اهل الحل والعقد المعبرين للاعتبار والعارفين بالنقد من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأر باب الرأى والنصحاء، واستشارهم فى ذلك فصوره، ولم يروا العدول عنه الى غيره بوجه من الوجوه... » فلولا العلم بالاحكام السلطانية لما تأتى

ذكر هذه الاعتبارات وإيرادها في مواضعها

﴿ تنبيه ﴾

قد أوردت في الأصل طرفاً في جملة ما يحتاج إليه الكاتب من وصف الإنسان والخيل والابل والبغال وجليل الوحش كالأسد والنمر وغيرها وجوارح الصيد وجليل الطير ونفيس الاحجار وأنواع الطيب وغير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه فأخرته لأذكر ما يحتاج إليه من ذلك عند ذكر أوصافها إن شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

(فيما يحتاج إليه الكاتب من صنعة الكلام وكيفية انشائه وفيه طرفان)

﴿ الطرف الاول ﴾

(في اصول يجب على الكاتب ان يعرفها قبل الخوض في صنعة الكلام وهي ستة اصول)

﴿ الاصل الاول ﴾

(في النظر في المعاني والالفاظ واحكامها)

فأما المعاني فهي سر الكلام وخلاصة المقصود منه . فقد قال في الصناعتين: المعاني من الالفاظ بمنزلة الابدان من الثياب ، بل المعاني هي ارواح الالفاظ وغايتها التي لأجلها وضعت وعليها بنيت ؛ فالالفاظ تابعة والمعاني متبوعة ، واحتياج صاحب البلاغة الى اصابة المعنى اشد من احتياجه الى تحسين الالفاظ ؛ لانه اذا كان المعنى صواباً واللفظ منحطاً ساقطاً عن اسلوب الفصاحة كان الكلام كالانسان المشوه الصورة مع وجود الروح فيه ؛ وإذا كان المعنى خطأ كان الكلام بمنزلة الانسان الميت الذي لا روح فيه ولو كان علي أحسن الصور وأجملها . قال في المثل السائر : وإنما اعنت العرب بالالفاظ فأصلحتها وهذبها لان المعاني أقوى عندها واكرم عليها وأشرف قدرأ في نفوسها . ولما كانت الالفاظ عنوان المعاني وطريقاً الى اظهار اغراضها اصلحها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد . قال في الصناعتين : ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها باغة من اللغات ثم انتقل

الى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له في الأولى . ألا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحوّلها الى اللسان العربي ؟ وقد قسم أبو هلال العسكري المعاني الى خمسة أقسام :

﴿ القسم الأول منها ﴾ - ان يكون المعنى مستقيماً حسناً كقولك : رأيت زيداً . قال وهو أعلى الانواع الخمسة وأشرفها . فمن المعنى المستقيم الحسن من الشعر في الوعظ قول النمر بن توبان يذم طول الحياة

يكاد الفتى بعد اعتدال وصحة
وفي وصف الايام قول ابى تمام
على انها الايام قد صرن كلها
وفي المدح قول الآخر

هم الأولى وهبوا للمجد انفسهم
وفي الفخر قول الآخر

ولست بنظر الى جانب الغني
وفي الغزل قول النظام

توهمه طرفى فألم خده
وصافحه قلبي فألم كفه
ومر بفكرى خاطراً فجرحته
وفي النسيب قول القائل

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو ومشاربه

ومن المعنى المستقيم الحسن في الشعر قول القاضى الفاضل : وأنتم يا بنى أيوب لو ملكتم الدهر لا متطيتم لئاليه أدهم ، وقلدتهم أيامه صوارم ، وأفنيتم شموسه وأقماره في الهبات دنانير ودراهم ، وأيامكم : أعراس وما تتم ، فيها على الاموال ما تتم ، والجود في أيديكم خاتم ، ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم . . . الى غير ذلك مما يجزى هذا المجزى

﴿ القسم الثانى من المعانى ﴾ - ان يكون المعنى مستقيماً قبيحاً كقولك : قد زيد رأيت .

قال فى الصناعتين وإنما قبح لانك أفسدت نظام اللفظ بالتقديم والتأخير . وهذا النوع

يسميه علماء المعاني « التعقيد » وسماه ابن الاثير « المعازلة المعنوية » وهو تقديم ما الاولى به التأخير كتمديد الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف . وهو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان . ومنه قول الفرزدق يمدح خال هشام بن عبد الملك

الى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد : الى ملك ابوه ما أمه من محارب ، والمعنى ما أم أبيه من محارب ؛ يمدحه بذلك ذما لمحارب . وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على الفصاحة فيما بعد ان شاء الله

﴿ القسم الثالث من المعاني ﴾ - أن يكون المعنى مستقيماً ولكنه كذب ، كقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ، وما أشبه ذلك . وتعلم ان أكثر المعاني المستعملة في الشعر والكتابة جارية على هذا الاسلوب لا سيما المعاني الشعرية فأنها مقدمات تخيلية تؤثر في النفس انقباضاً وانبساطاً على ما هو مقرر في علم المنطق . وقد قال في الصناعتين ان أكثر الشعر مبني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتعة والنوع الخارجة عن العادة والالفاظ الكاذبة ، وليس يراد منه الاحسن للفظ وجود المعنى ؛ فهذا الذي يسوغ استعمال الكذب وغيره مما جرى ذكره فيه . قال ابن ابي الاصبع : وقد اختلف في المبالغة ، فقوم يرون أن أجود الشعر أ كذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ، وقوم يرون ان المبالغة من عيوب الكلام ولا يرون من محاسنه الا ما خرج منخرج الصدق وجاء على منهج الحق ، يزعمون ان المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن ان يخرج معنى ، أو يفرع معنى من معنى ، أو يحل كلامه شيئاً من البديع ، أو ينتخب الفاظاً موصوفة بصفات الحسن ويجيد تركيبها . فإذا عجز عن ذلك كله عدل الى المبالغة لئلا يسدبها خله ويتم نقصه لما فيها من التهويل على السامع . قال : ونحن نرى كثيراً من الكلام والاشعار جارياً على الصدق المحض وهو في غاية الجودة ونهاية الحسن وتمام القوة . ثم قال : وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان ومن كان مذهبه توخي الصدق في شعره غالباً ليس فوق أشعارهم غاية لمرتقى . وانظر الى قول زهير

ومها يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وقول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ان يذهب العرف بين الله والناس

وناهيك بقول حسان رضي الله عنه

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

والذي يدل على أن مذهب أكثر الفحول ترجيح الصدق في أشعارهم على الكذب
أن الحرورية امرأة عمرو بن حطان قاضي الصفرية من الخوارج قالت لزوجها يوما:
أنت اعطيت الله تعالى عهدا أن لا تكذب في شرك فكيف قلت:

فهنالك مجزأة بن ثور ركان اشجع من أسامه

فقال: يا هذه ان هذا الرجل فتح مدينة وحده وما سمعت بأسد فتح مدينة
قط والتحقيق ان المبالغة اذا لم تخرج عن حد الامكان ولم تخرج مجري الكذب المحض
لا تدم ، كقول قيس ابن الخطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر لها نفذ لولا الشعاع أضءها

ملكنت بها كفي فأبهرت فتقها يرى قائم من دونها من وراءها

فانه وان بالغ غاية المبالغة لم ينته الى حد الاستحالة بخلاف ما خرج منها عن حد الامكان
فانه مذموم كقول البحري

ولو قست يوما حجبا بحقابها لكان سواء لابل الحجل أوسع

فانه وصفها بدقة الحصر وغلظ الساق حتى جعل حجبا الذي يدور على ساقها
أوسع من حقابها الذي يدور على خصرها

﴿ القسم الرابع ﴾ — ان يكون المعنى مما لم يمكن كونه ألبته كقولك: آتيتك أمس
وأتيتك غدا ، وما أشبه ذلك . قال في الصناعتين: وهو قليل الوقوع في الشعر كقول
عبد الرحمن بن عبد الله القس

وإني إذا مالموت حل بنفسها يزال بنفسى قبل ذاك فأقبر

قال في الصناعتين: فهذا من المحال الذي لا وجه له؛ وهو شبيه بقول القائل:
اذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله؛ يعنى ان كلا منهما متوقف على الآخر فيلزم
الدور . قال: فان اتصل الكذب بمحال صار كذبا محالا كقولك: رأيت قاءدا
قائما، ومررت بيقظان نائم؛ فانه كذب للاخبار بغير الواقع، ومحال لعدم امكان الجميع
بين البقيضين

القسم الخامس - ان يكون المعنى غلطاً ، وهو ان تريد الكلام بشئ فيسبق
لسانك الى خلافه كقولك : ضربني زيد ، وأنت تريد : ضربت زيدا . قال في الصناعتين
وهذا أكثر وقوعها في الكلام من الذي قبله ؛ وقد وقع فيه الفحول من الشعراء كقول المرار
وخال على خديك يبدو كأنه سنا البدر في دعجاء باد دجونها

فشبه الخال بالبدر ، والمعروف ان الخال أسود . وقول ذى الرمة
اذا انجابت الظلما ، أضحت رؤوسها عليهم من جهد الكرى وهي ضلع
فوصف الرؤوس بالضلع وهو العوج . . . الى غير ذلك من الغلط الذي لا تكاد يحصر
أنواعه

وأما الألفاظ فقد تقدم في الكلام على المعاني ان الألفاظ من المعاني بمنزلة الثياب
من الأبدان ولا خفاء في أن الوجه الصبيح يزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية
والقبيح يزول عنه بذلك بعض القبح ، كما ان الحسن ينقص حسنه برثائه ثيابه وعدم
بهجة ملبوسه والقبيح يزداد قبحا الى قبحه بمثل ذلك . وقد ذكر في الصناعتين هنا
ما يدل على تعظيم شأن الألفاظ وعلو مرتبتها فقال : ليس الشأن في ايراد المعاني ، لأن
المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ؛ وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ،
وحسنه وبهائه ، ونزاهته ونقاؤه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب
والخلو من أود النظم والتأليف . قال : وليس يطلب من المعنى الا أن يكون صوابا ، ولا
يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما تقدم من نعوته . ثم قال : ومن الدليل على
أن مدار البلاغة تحسين اللفظ ان الخطب الرائعة والشعار الرائقة ما علمت لافهام المعاني
فقط ، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الافهام ؛ وإنما يدل حسن
الكلام وإحكام صنعته ورونق ألفاظه وجودة مقاطعه وبديع مبادئه وغريب مبانيه
على فضل قائله وفهم منشيئه ؛ وأكثر هذه الأوصاف يرجع الى الألفاظ دون المعاني ،
وتوخى صواب المعاني أحسن من توخي هذه الأمور في الألفاظ ؛ فلهذا يتأثق الكتاب
في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة وبالعنون في تجويدها ويقولون في
ترتيبها ليدلوا على براعتهم وحذقهم بصناعتهم ؛ ولو كان الامر في المعاني لطرخوا أكثر
ذلك فربحوا كذا كثيرا وأسقطوا عن أنفسهم تعباً طويلاً ، وأيضا فإن الكلام اذا

كان لفظه حلوا عذبا سلسا سهلا ومعناده وسطا دخل في جملة الجيد وجرى مع الرائع
النادر . ألا ترى الى قول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

ليس تحته كثير معنى ؛ ومع ذلك فهو رائع معجب بخلاف ما اذا كان المعنى
صوابا واللفظ باردا فاترا فإنه يكون مستهجنا مرفوضا كقول أبي العتاهية يرثى أبا
عثمان سعيد بن وهب

مات والله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب

يا ابا عثمان ابكيت عيني يا ابا عثمان أوجعت قلبي

فإنه منحط الى الغاية

❖❖ الاصل الثاني ❖❖

﴿ الفصاحة في اللفظ المفرد ﴾

مما يجب معرفته قبل الخوض في صنعة الكلام : الفصاحة والبلاغة . فأما الفصاحة
فهي في أصل اللغة « الخلوص » . يقال أفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهير ،
وأفصح الاعجمي اذا أبان بعد أن لم يكن يُبين ، وأفصح الرجل عمافي نفسه اذا أظهره .
ويوصف بها المفرد ، والكلام ، والمتكلم ؛ فيقال : لفظ فصيح ، وكلام فصيح ،
ومتكلم فصيح . والفصاحة في المفرد اعتبر فيها المحققون من علماء المعاني أربع صفات

* (الصفة الاولى) *

سلامة اللفظ من تناثر الحروف وهو ما يثقل التطق به ويعيب وجعله في الايضاح
على مرتبتين :

﴿ المرتبة الأولى ﴾ - ما يخف الثقل فيه بعض الخفة كلفظ « مستشزرات »

في قول الشاعر

غدائره مستشزرات الى العلى نضل المدارى في مثي ومرسل

فالدائر: الذوائب، والمستشزرات بفتح الزاي بمعنى « مرفوعات » وبكسرهما بمعنى « مرتفعات »، والمدارى: أسنان المشط، والمثنى والمرسل صفتان للشعر. وإنما وقع الثقل في « مستشزرات » لتوسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجبورة

﴿ المرتبة الثانية ﴾ — ما تكون الكلمة فيه متناهية في الثقل وعسر النطق بها كما يحكى ان أعرابيا سئل عن ناقة فقال: تركتها ترعى «المعنع» بضم الخاء المعجمة والهاء، ويقال: «المعنع» بخاءين معجمتين مضمومتين، ويقال: «العمعخ» بضم العينين المهملتين؛ ثم قيل إنه نبت، وقيل: شجر، وقيل: هي كلمة مايا لا أصل لها في اللغة

﴿ الصفة الثانية ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من الغرابة عند أهل اللسن من العرب كقريش وغيرهم وهو لقلة استعماله عندهم ليس بفصيح بخلاف ما كان غير غريب عندهم ثم صار غريبا بالنسبة لمن بعدهم فإنه فصيح وإلا لزم ان يكون جميع ما في كتب غريب القرآن والحديث غير فصيح وهو ممتنع كما أشار اليه السبكي في شرح التلخيص. واعلم أن صاحب المثل السائر قد جعل، الألفاظ على أصناف:

﴿ الأول ﴾ — المألوف المتداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمان، وهو ما تداول استعماله الأول والأخر وهلم جرا الى زماننا كالسما، والارض والليل والنهار والحر والبرد وما أشبه ذلك؛ وهو أحسن الألفاظ وأعذبها وأعلاها درجة وأغلاها قيمة. قال في المثل السائر: وأنت اذا نظرت الى كتاب الله العزيز الذي هو أفصح الكلام وجدته سهلا سلسا، وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا مع انه قد أنزل في زمن العرب العرباء، وكفى بالقرآن قدوة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن » يريد فاتحة الكتاب، وألفاظها من أسهل الالفاظ وأقربها يفهمها كل أحد حتي صبيان المكاتب وعوام السوق وان لم يفهموا ماتحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة؛ فأن أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه. قال: وقد كانت العرب في الزمن القديم تتحاشى اللفظ الغريب في نظمها ونثرها وتميل

الى السهل وتستعذبه وانظر الى قول امرئ القيس وهو أفحل شعراء الجاهلية كيف يقول
 فلو أنما أسعى لأدني معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
 ولكنما أسعى لمجد مؤثـل وقد يدرك المجد المؤثـل أمثالي
 تجده في غاية السهولة والوضوح . وأمثال ذلك في كلامهم كثير

﴿ الثاني ﴾ - الغريب المتوحش عند كل قوم في كل زمن . وهو ما لم يكن متداول
 الاستعمال في الزمن الاول ولا ما بعده بل كان مرفوضا عند العرب فمن بعدهم ؛ ويسمى
 « الوحشي » نسبة الى الوحش لغفاره و « الحوشي » نسبة الى الحوش وهي الغفار ،
 ويقال هي بلاد الجن وراء رمل بيرين حيث لا يسكن أحد من الناس ؛ ورمبا قيل فيه
 « الغليظ ، والعكر ، والمتوعر » قال في المثل السائر : والناس في قبح استعماله سواء لا يختلف
 فيه عربي بادر ولا قروي متحضر وليس وراءه في القبح درجة ؛ وهو ما محبه سمعك
 ونباعنه اسانك وثقل عليك النطق به . ومثل له بلفظ « جحيش » من قول تأبط شرا
 يظل بمومة ويمسى بغيرها جحيشا ويرورى ظهور المسالك

ولفظ « اطلخم » في قول أبي تمام

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعث عشواء تالية عبسا دهاريسا

وبلفظ « جفخت » في قول المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغتر دلائل

وجحيش بمعنى فريد ، واطلخم بمعنى اشتد ، وجفخت بمعنى فخرت

﴿ الثالث ﴾ - المتوحش في زمن دون زمن . وهو ما كان متداول الاستعمال في
 زمن العرب ثم رفض وترك بعد ذلك كقول بعض الاعراب في وصف ابل : كوم
 بها زر ، مكك خناجر ، عظام الخناجر ، سباط المشافر . . . في كلام آخر ؛ يريد
 بالكوم جمع « كوما » وهي الناقة العظيمة ، والمكك جمع « مكود » وهي الناقة الغزيرة
 اللبن ، والخناجر جمع خنجور وهي الغزيرة اللبن أيضا ، والعظام الخناجر الغلاظ الاعناق ،
 وسباط مسترسلات ، والمشافر جمع مشفر وهو من الناقة كالجحلة من الفرس . ونحو
 ذلك مما يجري هذا المجرى . قال في المثل السائر : وهذا ومثله لا يعاب استعماله على
 العرب لأنه لم يكن عندهم غريبا ولا لديهم وحشيا . وأعظم شاهد لاستحسان استعماله

عندهم ووضوح منهجه لديهم ان القرآن الكريم الذى هو أفصح كلام وأبهج لفظ قد اشتمل على ألفاظ من ذلك كقوله تعالى «ويذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب» وقوله «ان الانسان لربه لكنود» وما أشبه ذلك لان هذه الالفاظ كانت مفهومة عند العرب ، وكذلك ورد في كلام النبوة جملة مستكثرة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم «من قعد متعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة» أى نقص ، وقيل تبعه ، وقيل حسرة ؛ وقوله صلى الله عليه وسلم «ليسترجع أحدكم حتى فى شسع نعله فأنها من المصائب» والشسع أحد سيور النعل ؛ ونحو ذلك أما غير العرب من تكلف ذلك وأتى به في كلامه المعتاد في مخاطباته أو أثره ونظامه فإنه يعاب عليه ذلك وينحط عن درجة الفصاحة لان المقصود من الكلام إيفهام المخاطب . وأنت اذا تأملت رسائل الكتاب ومكاتباتهم فى كل زمن علمت مراعاتهم لذلك فان كتاب الدولة الاموية قد أتوا فى مكاتباتهم بالالفاظ الغربية بكثرة فلما جاءت الدولة العباسية تنازلوا فى مكاتباتهم عن الغريب ثم تقهقر الحال فى ذلك الى ما صار عليه الامر الآن ﴿الرابع﴾ - المتوحش عند قوم دون قوم ككلام أهل البادية من العرب بالنسبة لأهل الحضرة فان أهل الحضرة يألفون السهل من الكلام ويستعملون الالفاظ الرقيقة ولا يستعملون الغريب الا فى النادر ، وأهل البادية يألفون اللفظ الجزل ويميلون الى استعمال الغريب المتوحش . واذا نظرت الى كلام أهل مكة وكلام قريش وكلام أهل حضرموت وما جاورها من اليمن ومخاليف الحجاز علمت فرق ما بين الكلامين وتباين ما بين الطرفين حتى كأن البادى يرطن بالنسبة الى الحاضر ويتكلم بلفظ غير العربية . قال بعضهم : دخلت بلاد حضرموت فسمعت رجلا يقول «حسنا ه سوي محسم فما وجدناه ا» فظننته يتكلم بالحبشية فسألت رجلا عن كلامه فقال انه يقول : طلبناه بأكل فما وجدناه .

﴿الصفة الثالثة﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من مخالفة القياس نحو قول أبى النجم : الحمد

لله العلى الأجل . فأن قياس التصريف ان يقال : الأجل لاجتماع المثلين وتحرك الثاني وذلك مما يجب الادغام

﴿ الصفة الرابعة ﴾

من صفات اللفظ الفصيح سلامته من الابتدال ، وهو الامتهان بأن لا يكون عاميا ولا ساقطا سوويا . والمبتدل ضربان

﴿ الضرب الاول ﴾ - مالم يتغير عن وضعه اللغوي إلا ان العامة اختصت باستعماله فابتدل لاجل ذلك وسخف لفظه وأمحطت رتبته وصار من استعماله من الخاصة ملوما على الايتان به اشارة العامة فيه وقد وقع ذلك لجماعة من خول الشعراء كقول الفرزدق وأصبح مبيض الضريب كأنه على سروات النبت قطن مندف

فقوله « مندف » من الالفاظ العامة المبتدلة ؛ وكقول أبي نواس

وملحة بالعدل تحسب انى بالجبل أترك صحبة الشطار

فالشطار جمع شاطر وهو الشجاع الذى أعى الناس شجاعة ، وغلب دورانه على لسان العامة فابتدل ؛ وكقول المتنبي

ومن الناس من يجوز عليهم شعراء كأنها الخاز باز

ونحو ذلك مما يجزى هذا المجرى

﴿ الضرب الثانى ﴾ - ما كان في أصل اللغة دالا على معنى فغيرته العامة وجعلته

دالا على معنى آخر . وهو إما غير مستقيح في الذكر أو مستقيح

فأما غير المستقيح فكتمسيتهم الانسان اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة واللباس او ما فى معنى ذلك « ظريفا » ، والظرف فى أصل اللغة يختص بنطق اللسان فقط ؛ فغيرته العامة عن بابه ونقلته الى اعم من موضوعه وقد وقع الذهول فى ذلك لأبي نواس فى قوله

وقال هذاك وجهه لى للظرف والمسن والكمال

فوصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق كما تقدم

واما المستقيح الذكر فكما فى لفظ « الصرم » بالصاد المضمومة فإنه فى أصل اللغة

هو القطع . يقال : صرمه ، يصرمه ، صرما بالفتح والضم اذا قطعه ، وبالسين المحل
 الخصوص فقلبت العامة السين من المحل الخصوص صادوا واستعملوه بمعنى السرم الذي
 هو المحل الخصوص فصار لفظه مستقبا وسماعه مستكرها حتى عيب على ابي الطيب في قوله
 أذاق الغواني حسنه ما أذاقني وعف فجأ زاهن عني بالصرم
 على ان العرب كانت تستعمله في أشعارها بالصاد فلا يعاب عليها لأن الالفاظ
 في زمنهم كانت باقية على أوضاعها . ومن استعمله منهم ابو صخر الهذلي في قوله
 فقد كان صرم في المات لنا فعجلت قبل الموت بالصرم

﴿ الفصاحة في الكلام والمتكلم ﴾

والفصاحة في الكلام اعتبروا فيها ثلاث صفات :
 ﴿ الصفة الاولى ﴾ - سلامته من ضعف التأليف نحو ضرب غلامه زيد . فإن
 فيه عود الضمير الى المتأخر لفظا ورتبة والجمهور على منعه وإن جوزه ابن جنى وابن مالك
 وغيرهما مستدلين بقول الشاعر

جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاديات وقد فعل
 واذا كان الجمهور قد ذهبوا الى امتناعه فلا أقل ان يكون ضعيفا

﴿ الصفة الثانية ﴾ - سلامته من تنافر الكلمات كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر وائس قرب قبر حرب قهر

قال الزنجاني : يقال انه من شعر الجن لأنه لا ينشده أحد ثلاث مرات متواليات
 الا تمع فيه . قال الخفاجي : وثقل هذا البيت لتقارب الحروف الماثلة وتكررها أيضا.
 وجعل في الايضاح التنافر منقسما الى : أعلى وهو ما تقدم، وأدنى كلفظ «أمدحه» من
 قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معنى واذا مالمته لمته وحدى

وعلاه بأن في قوله « أمدحه » ثقلا لما بين الحاء والهاء من التنافر لتمازجهما، فان التقارب
 قد يكون سببا للتنافر، ولذلك حكم على الكلمات التي تكررت فيها الحروف الماثلة بالثقل
 ﴿ الصفة الثالثة ﴾ - سلامته من التعقيد . وهو ان لا يكون ظاهر الدلالة على

المزاد للخلل . وهو على ضربين :

الضرب الاول - وهو الذى يسميه ابن الاثير « المعاملة المعنوية » ، ان لا يكون ترتيب الالفاظ على وفق ترتيب المعانى بسبب تقديم او تأخير او اضرار او غير ذلك مما يوجب صعوبة فهم المراد وان كان ثابتا فى الكلام جاريا على القوانين بحيث يخل على السامع نظم الكلام فلا يدري كيف يصل الى معناه كقول الفرزدق يمدح ابراهيم ابن هشام بن اسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك

ومماثلة فى الناس الاممكا ابوامه حى ابوه يقاربه

يريد : ومماثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه الاممكا ، ابوام ذلك المملك ابواممدوح . والمعنى انه لا يماثل أحدهما الممدوح الذى هو ابراهيم بن هشام إلا ابن أخته هشام . ففصل بين « ابوامه » وهو مبتدأ و « أبوه » وهو خبر : « حى » الأجنبي ، وفصل بين المبتدأ والخبر وهما « مثله » و « حى » بقوله « فى الناس الاممكا ابوامه » ، وفصل بين « حى » وهو موصوف يقاربه ب « أبوه » وهو أجنبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه فضعف وتعد . والحالى من التعقيد ، لا يكون فيه ما يخالف الاصل من تقديم او تأخير او اضرار او غير ذلك الا بقرينة ظاهرة لفظا او معنى مع زكته

﴿ الضرب الثانى ﴾ - ان لا يكون ظاهر الدلالة على المراد للخلل فى انتقال الذهن

من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى الثانى المقصود كقول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد أن من عادة الدهر معا كسة المقاصد : فاراد بعد الدار ليحصل القرب وتسكب عيناه الدموع فتجمد بحصول السرور بالملاقة : فكفى بسكب الدموع عن الكآبة والحزن وهو الظاهر من المعنى لانه كثيرا ما يجعل دليلا عليه فيقال أبكاني الدهر ، وكفى بجمود العين عما يوجهه دوام التلاقى من الفرح وأن المتبادر الى الذهن من جمود العين بخابها بالدموع عند ارادة البكاء حال الحزن بخلاف ما اراده الشاعر من التعبير به عن الفرح وان كانت حالة جمود العين مشتركة بين بغل العين بالدموع عند

(١) لعله من حيث السماء إذا تغممت فيكون المعنى : بحيث يغم (اى يغمض) على

السامع نظم الكلام

ارادة البكاء، وبين زمن السرور الذي لم يطلب فيه بكاء قلت وقد شرط شارطون
 في الفصاحة أمورا أخرى ليس هذا موضع ذكرها
 والفصاحة في التكلم ، قال في التلخيص ، هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود
 بلفظ فصيح وهو يشمل اللفظ المركب والمفرد
 واما البلاغة فقال في الصناعتين: وهي مأخوذة من قولهم بلغت الغاية اذا انتهيت
 اليها وبلغتها غيرك ، والمبالغة في الشيء الانتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لأنها
 تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه وهي مما يوصف به الكلام والمتكلم
 فأما البلاغة في الكلام فقد اختلفت عبارتهم فيها اختلافا كثيرا حتى على نيف
 وثلاثين بلاغة ترجع الى معنى الوصف لها: وقد عرفها صاحب التلخيص بأنها مطابقة الكلام
 لمتضى الحال مع فصاحته؛ وعرفها في حسن التوسل بأن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده
 مع رعاية الحال بلا اخلال واطالة في غير امال . وهذان التعريفان مما لا خفاء فيه . ثم لها
 طرفان : أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه ، وأسفل وهو الوعبر عنه الى مادونه للحق
 عند البلغاء بأصوات البهائم . وقد ظهر لك بذلك أن كل بليغ من كلام او متكلم فصيح
 ولا عكس

❦ الاصل الثالث ❦

مما يجب معرفته قبل الخوض في صنعة الكلام معرفة الايجاز والاطناب والمساواة ومواقعا
 ❦ الايجاز ❦ - فأما الايجاز فهو في اللغة تقصير الكلام : يقال اوجزت
 الكلام اذا قصرته ، وكلام موجز وموجز بفتح الجيم وكسرها ، ووجز بسكونها ، ووجيز؛
 وفي الاصطلاح جمع الممانى الكثيرة في الالفاظ القليلة . وعليه ورد اكثر آى القرآن
 الكريم كفى مفتتح سورة الفاتحة وهو قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » : فإنه انتظم فيه
 خلق السموات والارض وسائر المخلوقات لم يشد عنه شئ في أوجز لفظ وأقربه وأسهله ؛ وقوله
 تعالى « أله الخلق والامر » استوعب جميع الاشياء على الاستقصا ، حتى يقال ان عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية فقال: من بقى له شئ فليلطبه ، وقوله « فاصدع بما تؤمر »
 ثلاث كلمات اشتملت على امر الرسالة وشرائطها وأحكامها . . . الى غير ذلك من الآيات

الجارية هذا المجرى. وكذلك وقع في مثل هذا المنى من كلام النبوة مثل قوله صلى الله عليه وسلم « نية العبد خير من عمله » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « حبك الشيء يعنى ويصم »
الى غير ذلك من جوامع الكلم

الاطناب ❦ - واما الاطناب فهو في اللغة المبالغة ، فيقال : اطنب في الكلام اذا بالغ فيه ؛ وفي الاصطلاح الاشباع في القول وترديد الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد . وقد وقع منه الكثير في القرآن الكريم مثل قوله « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا » ، وقوله « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » كرر اللفظ في الموضوعين تأكيدا للامر واعلاما انه كذلك لا محالة ؛ وقوله « ففرؤوا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الهة اخرى انى لكم منه نذير مبين » . وكرر سبحانه وتعالى في سورة « الرحمن » قوله « فبأى آلاء ربكنا تكذبان » حيث عدد فيها نعمة وأذكر عباده آلاءه ونهبهم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ونعمة تنبيهها على موضع ما أسداه اليهم فيها . وكذلك كرر في سورة « والمرسلات » قوله « ويل يومئذ للمكذبين » تأكيدا للامر القيامة المذكورة فيها . وقد وقع التكرار لتأكيد في كلام العرب كثيرا كما في قول الشاعر : أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس ؛ فكرر أتاك مرتين ، واحبس مرتين تأكيدا للامر ؛ وكما في قول الآخر : كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ، فكرر « كم » اربع مرات في سبع كلمات . . . الى غير ذلك مما وقع في كلامهم مما لا تأخذه الأخطاة

المساواة ❦ - واما المساواة فعنى ان تكون الالفاظ بأزاء المعانى في القلة والكثرة لا يزيد بعضها عن بعض . وقد مثل له العسكري في الصناعتين بقوله تعالى « حور مقصورات في الخيام » وقوله « ودوا لو تدهن فيدهنون » وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانه مغنا والزكاة مغرما » وقوله « اياك والمشاركة فانها تمت الغرة وتحبي العرة » وقول بعض الكتاب : سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مز يد فيها الا بك ، وقول آخر : وقد علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلفتني ياسى منك الى الصبر عنك ؛ وقول الآخر : فتولى الله النعمة عليك وفيك ، وتولى اصلاحك والاصلاح بك ، وأجزل من الخير حظك والحظ منك ، ومن عليك وعلينا بك ،

وقول الشاعر

أهابك اجلالا وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس انك عندها قليل ولا ان قل منك نصيبها

إذا علمت ذلك فقد اختلف البلاغ في أي الثلاثة أبلغ وأولى بالكلام : فذهب قوم الى ترجيح الايجاز محتجين بأنه صورة البلاغة وان ما تجاوز مقدار الحاجة من الكلام فضلة داخلة في حيز اللغو والمذر وهما من أنظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلاغة صاحب الصناعة وغباوته ، وقد قال الامين محمد بن الرشيد : عليكم بالايجاز فإن له افهاما ، واللاطالة استهماما ؛ وقال جعفر بن يحيى لكتابه : ان قدر تم على أن تجعلوا كتبكم توقعات فافعلوا حثامنهلم على الايجاز والتقصير . وقال بعضهم : البلاغة بالايجاز أنجع من البيان بالاطناب . وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : الايجاز . وقيل لابن حازم : لم لا تطيل القصائد ؟ فأشدد

أبي لي أن أطيل الشعر قصدى الى المعنى وعلمي بالصواب
وايجازى بمختصر قريب حذفته الفضول من الجواب

وقيل لبعض الشعراء : لم اخترت البيتين والثلاثة على القصائد الطوال ؟ . فقال : لانها في القلوب أوقع ، وفي الآذان أوج ، وفي الآفاق أسير
وذهبت طائفة الى ان الاطناب ارجح . واحتجوا لذلك بأن النطق انما هو بيان ، والبيان لا يحصل الا بإيضاح العبارة ، وايضاح العبارة لا يتم الا بمرادنة الالفاظ على المعنى حتى يحيط به احاطة يؤمن معها اللبس والابهام ؛ وأن الكلام الوجيز لا بد من وقوع الاشكال فيه ، ومن ثم لم يحصل على معانيه الاخوان أهل اللغة العارفين بدلالات الالفاظ بخلاف الكلام المشبع الشافي فإنه سالم من الالتباس لتساوي الخاص والعام في جهته

وذهبت فرقة الى ترجيح مساواة اللفظ المعنى . واحتجوا لذلك بأن منزع الفضيلة من الوسط دون الأطراف ، وأن الحسن انما يوجد في الشيء المعتدل . قال في مواد البيان : والذي يوجب النظر الصحيح ان الايجاز والأطناب والمساواة صفات موجودة في الكلام وبكل منها موضع لا يختلف فيه رديفه إذا رضع فيه انتظم في سلك البلاغة

ودل على عقل الواضع ، واذا وضع فيه غيره دل على نقص الواضع وجهه برسوم الصناعة : فأما الكلام الموجز فإنه يصلح لمخاطبة الملوك وذوى الأخطار العالية والشئون السنية ومن لا يجوز أن يشغل زمانه بما همته مصروفة الى مطالعة غيره ؛ وأما الأطناب فإنه يصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في المحافل والعهود السلطانية ومخاطبة من لا يصل المعنى الى فهمه بأدنى اشارة ؛ وأما مساواة اللفظ المعنى فإنه يصلح لمخاطبة الأكفاء والنظراء والطبقة الوسطى من الرؤساء . فكما ان هذه المرتبة متوسطة بين طرفي الأيجاز والأطناب كذلك يجب أن تخص بها الطبقة الوسطى من الناس ؛ قال : اما لو استعمل كاتب ترديد الألفاظ وترادفها على المعنى في المكاتبة الى ملك مصروف المهمة الى أمور كثيرة متى انصرف منهم الى غيرها دخلها الخلل ، لرتب كلامه في غير رتبته ودل على جهله بالصناعة ؛ وكذا لو نبى على الأيجاز كتابا يكتبه في فتح جليل الخطر حسن الأثر يقرأ في المحافل والمساجد الجامعة على رؤوس الأشهاد من العامة ومن يراد منه تفخيم شأن السلطان في نفسه لأوقع كلامه في غير موقعه ونزله في غير منزلته ؛ لأنه لا أقبح ولا أسمى من أن يستنفر الناس لسماع كتاب قد ورد من السلطان في بعض عظام أمور المملكة او الدين فأذا حضر الناس كان الذى يمر على أسماعهم من الألفاظ واردا موارد الأيجاز والاختصار ولم يحسن موقعه وخرج عن وضع البلاغة بوضعه في غير موضعه ؛ قال : ولا يحتج بما كتبه المهلب بن ابي صفرة الى الحجاج في فتح الأزقة ، وكان من اعظم الفتوح ، موردا له في قالب الاختصار فإن الذى حمله على الاختصار فيه انما هو كونه الى السلطان الذى من شأنه اختصار الكتب التى تكتب اليه ، بخلاف ما لو كتب به عن السلطان الى غيره فإنه يتعين فيه بسط القول واطالته . . . قلت : ومما يدل على أن الأيجاز والأطناب يختلف باختلاف المقامات انك اذا تأملت القرآن الكريم وجدت أن الله تعالى اذا خاطب العرب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي ، واذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا ، وقلما تجرد في القرآن قصة لبنى اسرائيل إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعدهم عنهم وغباوتهم

﴿ الاصل الرابع ﴾

(مما يجب معرفته قبل الخوض في صناعة الكلام معرفة الاختراع والاتباع وتراجمهما)

﴿ الاختراع ﴾ - فأما الاختراع فهو الابتداع والأتيان بما لم يسبق إليه الخترع . قال الوزير ضياء الدين بن الأثير : وطريقه ان لا يتصفح كتابا المتقدمين ولا يطلع على شيء منها ، بل يصرف همهته الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية والأشعار ويستنبط منها المقاصد التي يريد كتابتها فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدى حتى يستقيم له طريق يفتحها لنفسه . قال : وأخلق بتلك الطريقة ان تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها . وهذه الطريقة هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد اماما في الكتابة كما يعد الشافعي وابو حنيفة وابن مالك وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه ؛ إلا انها مستوعرة جدا لا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخطارا رقاما . قال : ولا أريد بهذا الطريق أن يكون الكتاب مرتبظا في كتابته بما استخرجه من القرآن والأخبار والأشعار بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك ، بل اذا حفظ الاخبار والأشعار ثم نقب عن ذلك تقيب مطلع على معانيه مفتش عن دقائمه وقلبه ظهرا لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية . على أنه لا بد للكتاب المرتقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة مع حفظ القرآن الكريم والاستكثار من حفظ الأخبار النبوية والأشعار المختارة من العلم بأدوات الكتابة وآلات البيان من علم اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان والبدیع وغير ذلك من الآلات ليتمكن من التصرف في اقتباس المعاني واستخراجها والترقي الى درجة الاجتهاد ، كما ان المجتهد من الفقهاء اذا عرف أدوات الاجتهاد من آيات الأحكام وأحاديثها وألفها وعرف النحو والناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والحساب والفرائض والأجماع وغير ذلك من آلات الاجتهاد وأدواته استخرج بفكره ما يؤديه اليه اجتهاده . فالمجتهد في الكتابة يستخرج المعاني من مغانم القرآن الكريم والأخبار النبوية والأشعار والأمثال وغيرها بواسطة آلة الاجتهاد كما ان المجتهد في الفقهيات يستخرج الأحكام من نصوص الكتاب والسنة بواسطة آلة لاجتهاد . . .

قال : ولا يخفى أن هذه الرتبة لا يبلغها الا المبرز الكامل
 ❦ الاتباع ❦ اما الاتباع فهو أن يتبع غيره فيما يقدمه عليه . وسماه ابن
 الأثير التقليد . وهو على ضربين :

❦ الضرب الأول ❦ - الاتباع في الألفاظ - وهو اعتماد الكاتب على ما رتبته
 غيره من الكتابة وأنشأ سواه من أهل الصناعة بأن يعمد الى ما أنشأه أفاضل الكتاب
 ورتبه علماء الصناعة من نثر أو نظم فيأخذه برمته ويأتى عليه بصيغته فيكون ناسخاً ناقلاً
 الكلام غيره حاكياً له . وبمثل هذا توضع الدساتير وتدوّن الدواوين . على أنه ربما غير
 وبدل وحرف وصحف وأزال اللفظ عن وضعه وأحال المعنى عن حكاكته ، وربما حل أحدهم
 الأنفة والخوف من أن يقال : أخذ كلام فلان برمته ، على أن ياتقط من كلام غيره
 من كل مكان سجعته أو سجعته فيرتب بعضها على بعض حتى يقوم بمقصوده وينتهي
 الى مراده . فإن كان لطيف الذوق حسن الاختيار رائق الترتيب فاختر من خلال السجع
 لطيفه وأحسن ترصيفه وتأليفه جاء بهجاً رائعاً الا أن فيه اخراج الكلام عن وضعه الذي
 قصده الناثر ، وتفريق مادون من كلام الافاضل ، وتبديد شمله ، وخروج الكلام عن أن
 يعرف قائله ويعلم منشئه فيقع من القلوب بمكان صاحبه ويهتدى بهديه وينسج على منواله .
 وان لم يكن لطيف الذوق ولا حسن الاختيار جاء ما لفته من كلام غيره رثا ركيكاً ثانياً
 عن الذوق بعيداً عن الصناعة ، وعاد من النسخ الى المسخ ، وأخرج الكلام عن موضوعه ،
 وأفسده في وضعه وتركيبه : بأن صحبه التصحيف والتحريف فتلك الطامة الكبرى ثم
 لا يكتفى بذلك حتى يتبجح به معتقداً أن ذلك عين الانشاء وحقيقته محتجاً في ذلك
 بقول الحريري : ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق ، وصناعة الانشاء مبنية على
 التقليق . ظاناً أن التقليق هو ضم سجعته منتظمة وفقرات مؤلفة بعضها الى بعض ولم
 يعلم أن المراد بالتقليق ضم لفظة الى آخرها وازافة كلمة الى مشاكلها . وشتان ما بين
 التقليقين وبعداً لما بين الطرفين

وللزنبور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحة وخفق

وايكن بين ما يصطاد باز وما يصطاده الزنبور فرق

واعلم ان الشاعر المقلق والناثر الماهر قد يأتي بكلام سبق اليه غيره فيأتي بالبيت

من الشعر او القرينة من النثر أو أكثر من ذلك بلفظه الاول من غير زيادة ولا نقص او بتغيير يسير . وهذا هو الذى تسميه اهل هذه الصناعة « وقوع الحافر على الحافر » . وقد سئل ابو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى واحد فقال : عقول رجال توافت على ألسنتها . كما روى أن عمر بن أبى ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنهما :

تشط غداً دار جيراننا

فقال ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد

فقال عمر : والله ما قلت إلا كذلك . . . الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة . قال فى الصناعيتين : وإذا كان القوم فى قبيلة واحدة فى أرض واحدة فأن خواطرهم تقع متقاربة كما ان أخلاقهم وثمانلهم تكون متضارعة . قال فى المثل السائر : ويقال ان الفرزدق وجريراً كانا ينطقان فى بعض الاحوال عن ضمير واحد ، قال : وهذا عندى مستبعد ؛ فأن ظاهر الامر يدل على خلافه وباطن الامر لا يعلمه الا الله . وربما وقع الاتفاق فى البيت فى المعنى وبعض اللفظ إما فى الكثير منه كقول امرئ القيس وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل وقول طرفة

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتحمل

وإما فى القليل من اللفظ كقول البحرى فى وصف غلام

فوق ضعف الصغير ان وكل الأُم ر اليه ودون كيد الكبار

أخذه من قول أبى نواس

لم يخف من كبر عما يراد به من الامور ولا أزرى به الصغر

✽ الضرب الثانى ✽ — الاتباع فى المعانى دون الألفاظ ، وهذا مما لا

يستغنى عنه ناظم ولا نثر . قال فى الصناعيتين : ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ؛ ولكن عليهم اذا اخذوها أن يكسوها الفاظاً من عندهم ، ويبرزوها فى معارض من تأليفهم ، ويوردوها فى غير حليتها الاولى ، ويزيدوا عليها فى حسن تأليفها وجودة تركيبها ، فاذا فعلوا ذلك فهم أولى بها من

سبق اليها . قال ولولا ان القائل يؤدى ما سمع لما كان في طاقته أن يقول ؛ وإنما ينطق
 الطفل بعد استماعه من البالغين . وقد قال أمير المؤمنين على رضي الله عنه : لولا ان
 الكلام يعاد لنفد . على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي
 والنبطي والزنجي ؛ وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ووضعها وتأليفها ونظمها . وقد أطبق
 المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم فليس على أحد فيه عيب الا اذا أخذه
 بكل لفظه . أو أفسده في الأخذ وقصر فيه عن تقدمه . ولاخفاء أن ابتكار المعاني
 والسبق اليه ليس فيه فضيلة ترجع الى المعنى ؛ وإنما مرجع الفضيلة فيه الى الذى ابتكره
 وسبق اليه ؛ فالمعنى الجيد جيد وان كان مسبوقا اليه ، والوسط وسط والردى ردى
 وان لم يكن مسبوقا اليهما . على ان بعض الأدباء قد ذهب الى أنه ليس لأحد من
 المتأخرين معنى مبتدع ، محتجا بأن قول الشعر قديم مذ نطق باللغة العربية ، وأنه لم يبق
 معنى من المعاني الا وقد طرقت مرارا . قال في المثل السائر : والصحيح أن باب الابتداع
 مفتوح الى يوم القيامة ؛ ومن ذا الذى يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لانهاية له . الا
 أن من المعاني ما يتساوى فيه الشعراء ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لان
 الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الآخر الا اول كقولهم فى الغزل

عفت الديار وما عفت آثارهن من القلوب

وقولهم فى المديح : ان عطاه كالبحر أو كالسحاب ، وما أشبه ذلك من سائر المعاني
 التي تتوارد عليها الخواطر من غير كلفة ويستوى فى ارادها كل بارع . ومثل ذلك لا يطلق على
 الاخر فيه اسم (السرقة) من الأول ؛ وإنما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص . ولم
 تزل الشعراء والخطباء يقتبسون من معاني من قبلهم ويبنون على بناء من تقدمهم كقول
 أبى تمام

خلقنا رجالا للتجلد والأسى وتلك الغواني للبكا والماتم

أخذه من قول عبدالله بن الزبير لما قتل أخوه مصعب : وإنما التسليم والسلو لحزما
 الرجال ، وان الجرع والهلع لربات الحجال ؛ وكقول المتنبى
 والظلم من شيم النفوس فأن تجد ذا عفة فالعلة لا يظلم
 أخذه من قول ارسطاطاليس : الظلم كمين فى النفس يخفيه العجز وتبديه المقدرة . . .

إلى غير ذلك من أنواع أخذ المعاني التي لا تنحصر كثيرة . ومما وقع للكتاب من ذلك ما كتب به ابراهيم بن العباس في قوله في فصل من كتاب له : « اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه ، وللمسيء من العقاب ما يقمعه ، ازداد المحسن في الاحسان رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبة » أخذه من قول علي رضي الله عنه : « يجب على الوالي ان يتعهد أموره ويتفقد اعوانه حتى لا يخفى عليه احسان محسن ولا اساءة مسيء ، ثم لا يترك واحدا منهما من غير جزاء . فان ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء ، وفسد الامر وضاع العمل » ؛ وكما كتب احمد بن يوسف في فصل من كتاب : « أحق من أثبت لك العذر في حال شغلك من لم يخل ساعة من برك في وقت فراغك » ، أخذه من قول علي أيضا « لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ويلتمس الزيادة فيما بقى » .

قال في الصناعتين : ومن أخفى اسباب السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر ، أو من نثر فيورده في نظم ، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة سخر فيجعله في مديح ، أو في مديح فينقله في وصف ؛ إلا أنه لا يصل لهذا إلا المبرز الكامل المقدم . وقال في المثل السائر : أشكال سرقات المعاني وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبها أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ ؛ قال : وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتي كقول أبي تمام في المدح فتى مات بين الضرب والطنن ميتة تقوم مقام النصر اذا فاته النصر

أخذه من قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلي ذاعبال ومقترأ من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغبة ومبالغ نفس عذرها مثل منجبح

فعروة جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح ، وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهدين في لقاء العدو قائما مقام الانتصار . قال في المثل السائر : وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف

اذا علمت ذلك فقد جعل في المثل السائر سرقة المعنى المجرد عن اللفظ أنواعا :

احدها - ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو ايراد ، وقلما يقع ،

كقول المتنبي

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

استخرجه من قول بعض شعراء الحماسة

لقد زادني حبا لنفسي اني بغيض الى كل امرئ غير طائل
فأن الاول يقول : ان بغض الذي هو غير طائل ايابي قد زاد نفسي حبا الى لانه قد
كلمها في عيني وحسنها عندي كون الذي هو غير طائل مبعوضي ، والمتنبى يقول : ان ذم
الناقص اياه بفضله كتحسين بغض الذي هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده
الثاني - أن يؤخذ المعنى فيعكس . قال في المثل السائر : وهو حسن يكاد يخرج

عن حد السرقة كقول أبي نواس

قالوا عشقت صغيرة فأحببتهم اشهى المطي الى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة نظمت وحببة لؤلؤ لم تثقب
وقول مسلم بن الوليد في عكسه

ان المطية لا يلد ركوبها حتى تدال بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أصحابه حتى يزين بالنظام ويثقبا
الثالث - ان يؤخذ بعض المعنى دون بعض كقول علي بن جبلة
وأثل ما لم يحوه متقدم وإن نال منه آخر فهو تابع

وقول المتنبى بعده

ترفع عن عون المكارم قدره فما يفعل الفعلات الاعذاريا
فان جبلة أتى بمعنيين : احدهما ان الممدوح فعل ما لم يفعله أحد ممن تقدمه ، والثاني أن من
نال شيئا من ذلك لم يفعله الا اقتداء به وتبعاله ؛ والمتنبى أتى بالمعنى الاول فقط ، وهو أنه
يفعل ما لا يفعله غيره مشيرا الى ذلك بقوله «فما يفعل الفعلات الاعذاريا» بمعنى انه يستبكرها
ويزيل عذرتها

الرابع - أن يؤخذ المعنى فيزد عليه معنى آخر . قال في المثل السائر : وهذا النوع
من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره كقول الاخنس بن شهاب
اذا قصرت أسيا فإنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب
خذه مسلم بن الوليد فقال

ان قصر الرمح لم تمس الخطا عددا أو عرّد الرمح لم نهم بتعريد

فزاد على الاخنس عدم تعريدهم اذا عرد السيف يعنى انهم لا يفرون اذا نبت سيوفهم
عن الضريبة ٠٠٠ قات : ومما اتفق لى نظمه في هذا الباب أنه لما عمرت مدرسة الظاهر
برقوق بين القصرين بالقاهرة وكان القائم بهما تهما الامير جركس الخليلي وقد حمل اليها
الحجارة العظيمة على عجل نظم ابن أبي العباس الدهموري أبياتا منها
وبعض خدامه طوعاً لخدمته يدعو الصخور فتأتيه على عجل

وكان قد أقام على الباب مستحشاً اسمه عمرو ويستحث أرباب العمل ويضربهم بالسياط
فكلفت نظم أبيات في المعنى فوقع لى أبيات منها

وبالخليلي قد راجت عمارتها في سرعة بنيت من غير ما مهل
كم أظهرت عجباً أسواط حكمته وقد غدت مثلاً ناهيك من مثل
وكم صخور تحال الجن تنقلها فأنها بالوفا تأتي وبالعجل

فزدت عليه ذكر « الوفا » الذي معناه السرعة فصار مطابقاً لما يأتي به المعزومون في
عزائمهم من قولهم : الوفا ، الوفا ، العجل ، العجل مع ما تقدم له من التوطئة بقولى « تحال
الجن تنقلها » . على أنى لست من فرسان هذا الميدان ولا من رجال هذا الوغى

الخامس - ان يؤخذ المعنى فيكسى عبارة احسن من العبارة الاولى . قال ابن
الاثير : وهذا هو محمود الذى يخرج حسنه عن باب السرقة كقول العلاء بن سليمان فى مرثية
وما كلفه البدر الميزر قديمة ولكنهما فى وجهه اثر اللطم

نقله ابن القيسرانى الى الغزل فقال

وأهوى الذى يهوى له البدر ساجدا ألت ترى فى وجهه أثر الترب

السادس - ان يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موجزاً . قال فى المثل السائر : وهو من أحسن
السراقات لما فيه من الدلالة على بسط الناظم فى القول وسعة بابه فى البلاغة كقول أبى العتاهية
وانى لمعذور على فرط حبهـا لان لها وجهها يدل على عذرى

أخذه أبو تمام فقال

له وجه اذا أبصر ته نأجاك عن عذرى

فأوجز فى هذا المعنى غاية الإيجاز

السابع - ان يؤخذ المعنى فيزيد بياناً مع المساواة فى المعنى بأن يضرب له مثال يوضحه

كقول أبي تمام

تقصلت شفتاه من حفيظته فخيّل من شدة التعيش مبتسما

أخذه أبو الطيب فقال

وجاهل مده في جهله ضحكى حتى أتته يد فراسة وفم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث مبتسم

فضرب له مثلا بظهور أنياب الليث فزاده وضوحا

الثامن - أن تتحد الطريق في المعنى ويختلف المقصود مثل أن يسلك الشاعران

طريقا واحدة فتخرج بهما إلى موردين فيتبين فضل أحدهما على الآخر كقول النابغة

إذا ما غزا بالجدش حلق فوّه عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب

وقول مسلم بن الوليد بعده

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل

الناسع - أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما قال ابن الأثير:

وهو من السرقات التي يسامح فيها . أما جعل العام خاصا فكقول الأخطل

لأته عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أخذه أبو تمام فقال

ألوم من بخلت يده وأغتدى للبخل تربا ساء ذلك صنيع

وأما جعل الخاص عاما فكقول أبي تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها ولكن ممن الدرّ والدر حافل

وقول المتنبي بعده

وما يؤلم الحرمان من كف حارم كما يؤلم الحرمان من كف رازق

العاشر - قلب الصورة التبيحة إلى صورة حسنة . قال في المثل السائر : وهذا

لا يسمى سرقة، بل إصلاحا وتهديبا كقول أبي نواس يصف لاعبي الكرة والصولبان

من أرجوزة

جن علي جن وإن كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالأبر

وقول المتنبي بعد

فكأنما نتجت قياما تحتمهم وكأنهم خلقوا على صهواتها
 الحادى عشر - قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة . وهو الذى يعبر عنه أهل
 هذه الصناعة بالمسخ ، وهو من اذل السرقات وأقبحها كقول ابى تمام
 قفى لا يرى ان الفريضة مقتل ولكن يرى ان العيوب مقاتل
 أخذه المتنبي فسخره فقال
 يرى أن ماما بان منك لضارب بأقل مما بان منك لعائب

﴿ الاصل السادس ﴾

من أصول صنعة الكلام وجود الطبع السليم وخلو الفكر عن المشوش وبيان ما يستحسن
 من الكلام

﴿ اما وجود الطبع السليم ﴾ فقال في مواد البيان : اول معادن هذه الصناعة الجميلة
 القرينة الفاضلة والغريزة الكاملة التى هي مبدأ الكلام ومنشأ التام والاساس الذى يبنى
 عليه والركن الذى يستند اليه؛ فان المرء قد يجتهد في تحصيل الآداب ويتوفر على اقتناء
 العلوم واكتسابها وهو مع ذلك غير مطبوع على تأليف الكلام فلا يفيد ما اكتسبه .
 بخلاف المطبوع على ذلك فإنه وان قصر في اقتباس العلوم واكتساب المواد فقد يلحق
 بأوساط اهل الصناعة ؛ وذلك ان الطبع حظ يخص الله به المطبوع دون المتطبع والمناسب
 بغريزته للصناعة دون المتصنع فلا سبيل الى اكتساب سهولة الطبع ولا كرازته، بل هو
 موهبة تخص ولا نعم وتوجد في الواحد وتمتد في الآخر . قال في تحرير التعبير : ومن
 الناس من يكون في البداية أبداع منه في الروية ، ومن هو مجيد في الروية وليست له
 بديهية، وقلما يتساويان؛ ومنهم من إذا خاطب أبداع وإذا كتب قصر؛ ومن هو بضد ذلك
 ومن قوى نثره ضعف نظمه، ومن قوى نظمه ضعف نثره، وقلما يتساويان؛ وقد يبرز الشاعر
 في معنى من مقاصد الشعر دون غيره من المقاصد ولهذا قيل : أشعر الناس امرؤ القيس
 إذا ركب، وزهير إذا رغب، والناطقة إذا رهب، وعنترة إذا كلب، والأعشى إذا طرب.
 قال في المثل السائر : بل ربما مهر في بعض أنواع الشعر أو النثر دون بعض : فبهرى مجيدا

في المدح دون الهجو ، أو بالعكس ؛ أو ما هرا في المقامات ونحوها دون الرسائل ؛ أو في بعض الرسائل دون بعض . قال ابن أبي الأصبغ : وربما واتاه العمل في وقت دون وقت ؛ ولذلك قال الفرزدق : انى لير على الوقت ولقلع ضرس من أضرارى أيسر على من قول الشعر . ولذلك عز تأليف الكلام ونظمه على كثير من العلماء باللغة والمهرة في معرفة حقائق الألفاظ من حيث يذبو طبعهم عن تركيب بسائط الكلام الذى قامت صور معانيه في نفوسهم وصعب الأمر عليهم في تأليفه ونظمه . فقد حكى ان الخليل بن أحمد مع تقدمه في اللغة ومهارته في العربية واختراعه علم العروض الذى هو ميزان شعر العرب لم يكن يتهمياً له تأليف الألفاظ السهلة لديه الحاصلة المعانى في نفسه على صورة النظم إلا بصعوبة ومشقة ؛ وكان إذا سئل عن اعراضه عن نظم الشعر يقول : يا أبانى جیده وأبى رديته ؛ مشيراً بذلك الى أن طبعه غير مساعد له على تأليف المرضى الذى تحسن نسبتة الى نفسه . وقد قيل للمفضل الضبي : ألا تقول الشعر وأنت اعلم الناس به ؟ فقال : علمى به يمتنعى من قوله وأنشد

أبى الشعر الا أن يفيء رديته على وينأى منه ما كان محكما

فيا ليتنى ان لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت منجما

وأنشد ابو عبيدة خلفاً للأحمر شعراً له فقال : « اخبأ هذا كما تخبأ السنورة حاجتها » مع ما كان عليه ابو عبيدة من العلم باللغة وشعر العرب وامثالها وأيام حروبها وما يجرى مجرى ذلك من مواد نظم الشعر . ويحكى عن المبرد أنه قال : لا احتساج الى وصف نفسى ، لان الناس يعلمون أنه ليس أحد بين الخاقين يختلج في نفسه مسألة مشكلة الا لقيني بها وأعدنى لها ؛ فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى على مشتبه من الشعر والنحو والكلام المنشور والخطب والرسائل ، ولربما احتجت الى اعتذار من فلتة او التماس فأجعل المعنى الذى أقصد نصب عيني ثم لا أجد سبيلاً الى التعبير عنه بيد ولا لسان ؛ وانقد بلغنى ان عبد الله بن سليمان ذكرنى بجميل لحاوات أن أكتب اليه رقعة أشكره فيها وأعرض ببعض أمورى فأتعبت نفسي يوماً في ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها ، وكنت أحاول الافصاح عما في ضميرى فينحرف لسانى الى غيره . ولذلك قيل : زيادة المنطق على الأدب خدعة وزيادة الأدب على المنطق هجنة . فقد تبين ان العبرة بالطبع وأنه الأصل المرجوع اليه في ذلك

﴿ وأما خلو الفكر عن المشوش ﴾ فإنه يرجع الى أمرين :
 ﴿ الأمر الاول ﴾ - صفاء الزمان . فقد قال أبو تمام في وصيته للبحترى مرشداً له
 للوقت المناسب لذلك : « تخير الاوقات وأنت قليل المهموم صفر من العموم . واعلم
 ان العادة في الاوقات اذا أراد الانسان تأليف شيء أو حفظه أن يختار وقت السحر :
 فإن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخفت عنها ثقل الغذاء
 وصفا الدماغ من كدر الأبخرة والادخنة وسكنت الغماغم وركت النساء وتغنت
 الحائم » وخالفه ابن أبي الاصبغ في ذلك وجنح الى اختيار وسط الليل أخذ
 من قول أبي تمام في قصيدته البائية

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل أسود رقعة الجباب

مفسراً للدجى بوسط الليل؛ محتجا لذلك بأن وقت السحر وان كان فيه يرق النسيم وينهضم
 الغذاء فإنه يكون قد اتبته فيه أكثر الحيوان من الناطق وغيره ويرتفع معظم الأصوات
 ويجرى الكثير من الحركات وينتشم بعض الظلماء بطلائع أوائل الضوء، وربما انهضم
 عن بعض الناس الغذاء فتحركت الشهوة لأخلاف ما انهضم منه وخرج من فضلاته
 فكان ذلك داعيا الى شغل الخاطر وباعثا على انصراف الهم الى تدبير الحدث الحاضر
 فيقسم الفكر ويتذبذب القلب ويتفرق جميع الهم، بخلاف وسط الليل فإنه خال من جميع ذلك
 ﴿ الأمر الثاني ﴾ - صفاء المكان الذي هو فيه بأن يكون خاليا من الاصوات عاريا
 عن المخوفات والمهولات والطوارق؛ وأن يكون مع ذلك مكانا راقا معجبا رقيق الحواشي
 فسيح الأرجاء بسيط الرحاب غير غمر ولا كدر؛ فإن انضم الى ذلك ما فيه بسط الخاطر
 من ماء وخضرة وأزهار وطيب رائحة كان أيسر للفكر وأنبج للخاطر ان تصدى للعمل
 في النهار . على أن بعضهم قد ذهب الى أنه ينبغي خلو المكان من القشور الغريبة والمراثي
 العجيبة فأنها وان كانت مما يبسط الخاطر فإن فيها شعلا للناظر فيتبعه القلب فيتشتت

﴿ الاصل السادس ﴾

من أصول صنعة الكلام معرفة السجع وأحكامه واختلاف احواله . وهو عمدة
 هذه الصناعة وأساس بنائها . قال في مواد البيان : هو مشتق من الساجع وهو المستقيم

لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه؛ وقيل من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على
 خد واحد. يقال منه: سجعت الحمامة تسجع سججا فهي ساجعة؛ سمي السجع في الكلام
 بذلك لأن مقاطع الفصول تأتي على ألفاظ متوازنة متعادلة وكلمات متوازنة متماثلة فأشبهه
 ذلك الترجيع. قال: وهو في الاصطلاح تقفية مقاطع الكلام من غير وزن وقال في
 المثل السائر: هو تواطؤ الفواصل من الكلام المنشور على حرف واحد؛ ويقال للجزء الواحد
 منه «سجعة» وتجمع على سجعات، وفقرة - بكسر الفاء - أخذنا من فقرة الظهر وهي
 إحدى عظام الصلب وتجمع على فقر وفقرات - بكسر الفاء وسكون القاف وفتحها
 وربما فتحت الفاء والقاف جميعا - ويقال لها أيضا قرينة لمقارنة اختها، وتجمع على قرائن؛
 ويقال للحرف الأخير منها «الفاصلة» و«حرف الروى». والقاعدة فيه أن تكون
 كلمات الاسجاع ساكنة الاعجاز موقوفا عليها بالسكون في حالتي الوقف والدرج؛
 لأن الغرض منه المناسبة بين القرائن والمزاوجة بين الفقر وذلك لا يتم إلا بالوقف بدليل
 قولهم: ما أبعد ما فات وما أقرب ما هوات، فأنتك لو ذهبت أصل فيه لم يكن بد من إعطاء
 أواخر القرائن ما يعطيه حكم الاعراب، فتحتمل أواخر القرائن ويفوت الساجع غرضه.
 قال في الصناعتين: ولا يحسن منشور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجا ولا تكاد
 تجد بليغ كلاما محلولاً من الازدواج؛ وناهيك أن القرآن الكريم الذي هو عنصر البلاغة
 ومناطق الاعجاز مشحون به لا تخلو منه سورة من سورة وإن قصرت، بل ربما وقع
 السجع في فواصل جميع السورة كما في سورة «النجم» واقتربت، والرحمن» وغيرها من
 السور؛ بل ربما وقع في أوساط الآيات كقوله تعالى «الذي خلق السموات والأرض
 وجعل الظلمات والنور» وقوله «لونشاء أصابناهم بذنوبهم ونطع على قلوبهم» وما أشبه ذلك
 وكذلك وقع في الكثير من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه الصلاة والسلام
 عند قدومه المدينة «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس
 نيام، تدخلوا الجنة بسلام» بل ربما صرف الكلمة عن موضعها في اللغة مراعاة للمزاوجة
 كقوله صلى الله عليه وسلم «انصرفن مأزورات، غير مأجورات» أصلها «موزورات» أخذاً
 من الوزر، فغير بمأزورات لموافقة مأجورات. وعلى ذلك كان يجري كلام العرب في
 مهم كلامهم من الدعاء وغيره كقول بعض الاعراب وقد ذهب السيل بابنه: اللهم

ان كنت قد ابتليت فطالما عافيت . أما ماروى أنه صلى الله عليه وسلم حين قضى على رجل في الجبين بغرة عبد أو أمة فقال الرجل : أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطال ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجعا كسجع الكهان ؛ فأما كره صلى الله عليه وسلم السجع من ذلك الرجل لمشابهة سجعه سجع الكهان لما فيه من التكلف والتعسف كما قاله أبو هلال العسكري ، أو لجرأته على عاداتهم في الجواب في الأحكام وغيرها بالكلام المسجوع كما قاله غيره ، أو أنه إنما كره حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع بانكار ايجاب الدية لانفس السجع المأثى به كما اختاره صاحب المثل السائر

وليعلم أن السجع تارة تكون القرينتان فيه متفتحتين في حرف الروى ، ويسميه الرمانى « السجع الخالى » وعليه عمل أكثر الكتاب من زمن القاضي الفاضل الى زماننا ، وأعلاه ان تكون الفاظ القرينتين مستوية الالوزان ويسمى « التصريع » وهو أحسن أنواع السجع وأعلاها كما في قوله تعالى « ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم » وقوله « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم » وقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه : اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي ؛ وقوله للانصار : انكم لتكثرون عند الفرع وتقلون عند الطمع ؛ ودون ذلك في الرتبة ان يختص التوازن بالكلمتين الاخيرتين من الفقرتين فقط دون سائر الالفاظ كقوله تعالى « فيها سررٌ مرفوعةٌ واكوابٌ موضوعةٌ ونمارقٌ مصفوفةٌ وزرابىٌ مبثوثةٌ » ؛ ودونه أن يقع الاتفاق في حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن في شئ من أجزاء الفقرة في الآخر ولا غيره ، ويسمى المطرف كقوله تعالى « مالكم لا ترجون الله وقارا وقد خلقكم أطوارا » . وتارة تختلف حروف الروى في آخر الفقرتين وهو الذى يعبرون عنه بالازدواج ، والرمانى يسميه « السجع العاطل » وعليه كان عمل السلف من الصحابة والتابعين ومن قارب زمانهم ؛ وأعلاه ان يراعى الوزن في جميع كلمات الفقرتين او في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادها وزناً ، ويسمى التوازن ، كقوله « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » ؛ ودون ذلك في المرتبة ان يراعى التوازن في الكلمتين الاخيرتين فقط ، ويسمى « التوازن » أيضاً كقوله تعالى « ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » ، وقولهم : اضرب على حرا القتال وشدة النضاع ومداومة البراز ؛ ودونه أن لا تقع

موازنة في آخر القرنينين ولا في شيء من احدهما كقوله تعالى «والسما ذات البروج واليوم الموعود»

ثم اعلم أن من السجع ما يوصف بالقصر ومنه ما يوصف بالطول . فالسجعة القصيرة من عشرة ألقاظ فمادونها، قال في حسن التوسل: وهي تدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة لاسيما القصير منها للغاية؛ وأقل ما يكون من لفظتين، كقوله تعالى (يا أيها المدثر قم فأذر وربك فكبر وثيابك فطهر) . قال: ومثله في القرآن الكريم كثيرا إلا ان الزائد على ذلك أكثر كقوله تعالى «والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى» وما أشبه ذلك . . . وأما السجعة الطويلة فقال في حسن التوسل: هي الذ في السمع لتشوف السامع الى ما يرد متزايدا على سمعه؛ وأقل ما تكون من احدى عشرة كلمة فما فوقها كقوله تعالى «واذا أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور» فالاولى من احدى عشرة لفظة ، والثانية من ثلاث عشرة لفظة ، وغالب ما يكون من خمس عشرة لفظة فما فوقها كقوله تعالى «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» فالاولى من اربع عشرة لفظة ، والثانية من خمس عشرة؛ وقوله تعالى «اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكم كثيرا لفلتم ولتنزعتم في الامر ولكن الله سلم انه علم بذات الصدور واذ يريكهم اذ التقيم في أعينكم قليلا ويقللهم في أعينهم ليقضى الله أمر اكان مفعولا والى الله ترجع الامور» فالاولى عشرون لفظة، والثانية تسع عشرة وهذا غاية ما انتهى اليه الطول في القرآن الكريم . قال في المثل السائر وحسن التوسل: انه لا ضابط لأكثره . قلت: ومما اعتنى به كتاب الزمان أنهم يجعلون السجعة الاولى من خطبة الولاية ونحوها قصيرة بحيث يقع انهاؤها وابتداء الثانية في السطر الاول ، فان طال ذلك فيكون في السطر الثاني ليقع نظر الناظر على السجعة الاولى لأول وهلة

ومما ينبغي معرفته ان أقل ما يكون السجع سجعتان ، والازدواج قرينتان ، ولا نهاية لغايته . وقد كان كتاب العصر ومن قاربهم في الزمان يحرصون على ان تكون الخطبة في الولاية ونحوها على روى واحد الى حسن انهاؤها . وعلى ذلك كان يكتب القاضي محيي

الدين بن عبد الظاهر والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وغيرهما من أفاضل الكتاب؛ ثم أهمل الامر في ذلك آخر اقصاروا يقتصرون على التعميدة أن تكون على روى واحد على القاعدة الاولى. ثم ان لم يزد السجع على سجعيتين فتارة تكون القرينتان متساويتين لا تزيد احدهما على الاخرى كقوله تعالى «فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تمهر»، وقوله «فالملويات قدحاً فالغيرات صباحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً» وما أشبه ذلك؛ وتارة تكون القرينة الثانية أطول من الاولى بقدر يسير كقوله تعالى «بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رآهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» فالاولى ثمان كلمات، والثانية تسع؛ أما اذا طالت الثانية عن الأولى طولاً يخرج عن الاعتدال فإنه يستقبح، قال في حسن التوسل: لأن بعد دخول القافية على السامع يقل الالتذاذ بسماعها والمرجع في ذلك الى الذوق. وتارة تكون القرينة الثانية اقصر من الاولى، قال في المثل السائر: وهو عندي عيب فاحش لان السمع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول بحكم طوله؛ ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها. وفيما قاله نظر؛ فقد تقدم في قوله تعالى «اذ يريكهم الله في منامك قليلاً...» الآيتان، أن الاولى عشرون كلمة، والثانية تسع عشرة، بل قد اختار تحسين ذلك أبو هلال العسكري في الصناعتين محتجاً بكثرة وروده في كلام النبوة كقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار: انكم لتكثرن عند الفزع وتقلون عند الطمع؛ وقوله: المؤمنون تتكافؤ دماؤهم وهم يد على من سواهم، وقوله: رحم الله من قال خيراً ففهم أو سكت فسلم

وان زاد السجع على سجعيتين فقد يقع على حد واحد وهو مستحسن وقد وقع في القرآن الكريم بعض ذلك كقوله تعالى «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود» فهذه السجعات الثلاث مركبة من لفظتين لفظتين؛ وقد تكون الاولى أقصر، والثانية والثالثة متساويتين كقوله تعالى «بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً اذ ارآهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً واذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا» فالاولى من ثمان كلمات، والثانية والثالثة من تسع تسع؛ وقد تكون الاولى والثانية متساويتين، والثالثة زائدة عليهما، وقد أشار الى ذلك في حسن التوسل

حيث قال : فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الأولىين وزيادة الثالثة، ولم يمثل لها ؛ وقد تكون الثانية زائدة على الاولى ، والثالثة زائدة على الثانية ، قال في المثل السائر : وينبغي ان تكون في هذه الحالة زيادة الثالثة متميزة في الطول عن الأولى والثانية أكثر من تميز الثانية على الاولى ، فاذا كانت الاولى والثانية اربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشرة لفظة ؛ ومثل له في حسن التوسل بعد ان ضبطت الزيادة بأن لا تتجاوز المثل بقوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل ما في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً » فالاولى من ثمان كلمات ، والثانية من تسع ، والثالثة من عشرين ، ولا يخفى حكم الرابعة في الزيادة على الثالثة . قال في حسن التوسل : ولا بد من الزيادة في آخر القرائن اذا تقرر ذلك فمن السجع ما يستحسن ومنه ما يستقبح .

﴿ فحسنة ﴾ يكون بأمور : منها أن يكون بريئاً من التكلف خالياً من التعسف محمولا على ما يأتي به الطبع وتبديه الغريزة ؛ ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى بأن يقتصر من اللفظ على ما يحتاج اليه في المعنى دون الايمان بزيادة أو نقص تدعو اليه ضرورة السجع حتى لو حصلت زيادة أو نقص بسبب السجع دون المعنى خرج السجع عن حيز الحسن الى حيز القبح . ومنها أن تكون الالفاظ حلوة حادة لا غثة ولا باردة موقنة المعنى حسنة التركيب غير قاصرة على صورة السجع الذي هو تواطؤ الفقر فيكون كمن نقش أبواباً من الكرسف او نظم عقداً من الخرز الملون . قال في المثل السائر : وهذا مقام تزل عنده الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد بعد الواحد من ارباب هذا الفن ؛ قال : ومن اجل ذلك كانت اربابه قليلة ، ولولا ذلك لكان كل اديب سجعاً اذا ما من احد منهم الا وقد يتيسر عليه تأليف الفاظ مسجوعة في الجملة

ومنها أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها فلا يكون مثل قول الصابى في وصف مدبر : يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويشخن الجراح في عدوه وسيفه في النعمد لم يبرح . لأن اشمال السجعتين على معنى واحد يمكن ان يكون في إحداها مفردة وهو عين التطويل المذموم في الكلام

ومنها ان يقع التجنيس في نفس الفواصل كقوله : اذا قلت الأنصار ، كلت الأَبصار ؛ ونحو ذلك . ومنها أن يقع في خلال السجمة الطويلة قرآن قصار فتكون سجعا في سجع كقوله تعالى « ولونشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » وقوله « واستم بأخذه الا أن نغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد » فإن قوله : بذنوبهم ، وقوله : على قلوبهم سجتان داخلتان في السجمة التي آخرها : حتى يروا العذاب الأليم ؛ وقوله : بأخذه ، وقوله : نغمضوا فيه ، سجتان داخلتان في السجمة التي آخرها : غني حميد .

﴿ وقبحه ﴾ يعتبر بأمور : منها التجميع ، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني كما حكى قدامة ان كاتباً كتب في جواب كتاب : وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحر وان كان قديم العبودية ، ويستغرق الشكر وان كان سابق فضلك لم يبق شيئاً منه . فإن « العبودية » بعيدة عن مشاكلة « منه » — ومنها التطويل فيما ذكر قدامة وغيره ، وهو ان يجيء الجزء الأول طويلاً فيحتاج الى إطالة الجزء الثاني بالضرورة كما حكى أن كاتباً كتب في تعزية : اذا كان لاهمزون في لقاء مثله كبير الراحه في العاجل ، وكان تطويل الحزن راتباً اذا رجع الى الحقائق وغير زائل قال في الصناعتين : وذلك انه لما أطال الجزء الأول وعلم أن الجزء الثاني ينبغي أن يكون مثله أو أطول احتاج الى تطويل الثاني فأتى باستكراه وتكلف ؛ قال في مواد البيان : والأطالة بقوله « وغير زائل »

— الطرف الثاني —

(في كيفية انشاء الكلام وتأليفه وتهذيبه ، وبيان ما يستحسن منه وما يعاب)

﴿ أما انشاؤه وتأليفه ﴾ فقد قال ابن أبي الأصبغ في تحرير التحرير : يجب على كل من كان له ميل الى علم الشعر وانشاء النثر أن يتعهد أولاً نفسه ويمتحنها بالنظر في المعاني وتدقيق الفكر في استنباط المخترعات ؛ فأذا وجد لها فطرة سليمة وجبلة موزونة وذكاء وقادا وخاطرا سمحا وفكرا ثاقبا وفهما سرعيا وبصيرة مبصرة وألمعية مهذبة وقوة حافظلة وقدرة حاكية وهمة عالية ولهجة فصيحة وفطنة صحيحة أخذ حينئذ في العمل

وان كان بعض ذلك غير لازم لرب الانشاء ولا يضطر اليه أكثر الشعراء ولكن اذا
 كملت هذه الصفات في الكاتب والشاعر كان موصوفا في هذه الصناعة بكال الاوصاف
 النفيسة . قال في الصناعتين : اذا أردت أن تصنع كلاما فأخطر معانيه بيالك ؛ وتفوق
 له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك نظاها ؛ واعمله
 مادمت في شباب نشاطك ؛ فإذا غشيك الفتور وتحونك الملل فأمسك ، فان الكثير مع
 الملل قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يسقي منها شيء بعد شيء
 فتجد حاجتك من الري وتنال أربك من المنفعة ، فأذا كثرت عليهما انضب ماؤها فقل
 عنك غناؤها . وينبغي ان تخرج مع الكلام معارضة فإذا مررت بلفظ حسن أخذت
 برقبته أو معنى بديع تعلقت بذيله ؛ وتحرز أن يسبقك ، فإنه ان سبقك تعبت في طلبه
 ولعلك لا تلاحظه على طول الطلب ومواصلة الدأب وهذا الشاعر يقول
 اذا ضيعت أول كل شيء أبت أعجازه الى التواء

وقد قالوا : ينبغي لصانغ الكلام ان لا يتقدم الكلام تقدما ولا يتبع ذنابه تتبعاً ولا يحمله على
 لسانه حملاً ؛ فإنه ان تقدم الكلام لم يتبعه خفيفه وهزيله وأعجفه والشارد منه ، وان تتبعه فاتمه
 سوابقه ولواحقه وتباعدت عنه جواده وغرره ، وان حماله على لسانه ثقلت عليه أوساقه
 وأعبأوه ودخلت مساويه في محاسنه ؛ ولكنه يجري معه فلا تند عنه نادة تعجبه سمنا الا
 كبحها ؛ ولا تتخلف عنه مثقلة هزيلة الا أرهقها وطررا يفرقه ليختار أحسنه ، وطورا يجمعه
 ليقرب عليه خطو الفكر ويتناول من تحت لسانه ؛ ولا يساط الملل على قلبه ولا الاكثار
 على فكره فيأخذ عفوه ويستغزر دره ، ولا يكره آيبا ولا يدفع آتيا ؛ واياك والتعقيد والتوعر ،
 فإن التوعر هو الذي يستهلك معانيك ويشين أفاضك ومن أراد معنى كريما فليتمس
 له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما
 يدنسهما ويفسدهما ويهجنهما فتصير بهما الى حد تكون فيه أسوأ حالاً منك قبل ان
 تلمس البلاغة وترهن نفسك في ملابتها ؛ ولكن لفظك شريفاً عذبا فافحها سهلاً ، ومعناه
 ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً ؛ فان وجدت اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل الى مركزها
 ولم تتصل بشكائها وكانت قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرها على اغتصاب
 أما كتبها والنزول في غير أوطانها ؛ وان بايت بتكلف القول وتماطى الصناعة ولم تسمح لك

الطبيعة في أول وهلة وعصت عليك بعد اجالة الفكر فلا تعجل ودع سحابة يومك ولا
تضجر وامهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان
كانت هناك طبيعة أوجريت من الصناعة على عرف؛ وينبغي أن تعرف اقدار المعاني
فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وأقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما ولكل
حال مقاما حتى تقسم أقدار المستمعين على أقدار الحالات فأن المنفعة مع موافقة الحال
وما يجب لكل مقام من المقال . قال في مواد البيان : ويكون استعمال كل جزل من الالفاظ
وسهلها وفصيحتها وسلسها وبهجتها في موضعه وأن يسلك في تأليف الكلام الطريق الذي
يخرجه عن حكم الكلام المنشور العاطل الذي تستعمله العامة في المحاطبات والمكاتبات
الى حكم المؤلف الخالي بحلى البلاغة والبديع كالاستعارات والتشبيهات والاسجاع
والمقابلات وغيرها من أنواع البديع . قال في الصناعتين : وان عملت رسالة أو خطبة فتخط
ألفاظ المتكلمين كالجسم والجوهر والعرض واللون والتأليف واللاهوت والناسوت، فأن
ذلك هجنة . قال في مواد البيان : وذلك بأن يقصد الكاتب الى ألفاظ الصناعة فيخرج
منها الى ألفاظ غريبة عن الصناعة غير مجانسة لها، قال : وانما يؤتى الكاتب في هذا الباب
بأن يكون له شركة في صناعة غير الكتابة كالفقه والكلام وغيرهما مثل صناعة أصحاب
الإعراب ونحوها، فلكل طبقة من هذه الطبقات ألفاظ خاصة بها يستعملونها فيما بينهم
عند المحاورة والخوض في الصناعة، ومن عادة الانسان اذا تعاطى بابا من هذه الابواب
أن يسبق خاطره الى الالفاظ المتعلقة به فيوقعها في الكتب التي ينشأها لغلبة عادة استعماله
اياها فيهجنها بادخاله فيها ما ليس من أنواعها . قال في الصناعتين : وتخير الالفاظ وابدال
بعضها من بعض يوجب التثام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته؛ فأن أمكن
مع ذلك انتظامه من حروف سهلة الخارج كان أحسن له وأدعى للقلوب اليه، وان اتفق
له أن يكون موقعه في الاطناب أو الایجاز أليق بموقعه وأحق بالمقام والحال كان جامعا
للحسن بارعا في الفضل فان بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبيك عن مصادره وأوله
يكشف قناع آخره كان قد جمع نهاية الحسن وبلغ أعلى مراتب التمام . قال علي بن خلف :
واذا سلكت طريقا فمر فيها ولا تتنازل عنها ان كانت رفيعة ولا ترتفع عنها ان كانت
وضيعة . وخالف ابن أبي الاصبع في ذلك فقال : ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا

ولا وضعا نازلا، بل فصله تفصيل العمود فأن العمود اذا كان كله نفيسا لا يظهر حسن فرائده ولا يبين جمال واسطته، فأن الكلام اذا كان متنوعا في البلاغة افتتحت الاسماع فيه ولا يخلق النفوس ملل من ألفاظه ومعانيه ولا يخرج عن غرض الى غيره حتى يكمل كل ما ينتظم فيه كما اذا كان ينشئ كتابا في العذل والتوبيخ فيشوب ألفاظه بألفاظ أخرى تخرج عن الحشونة الى اللين، فان اختلاف رقعة الكلام من أشد عيوبه. قال في الصناعتين: ولا تجعل لفظك حوشيا بدويا ولا مبتدلا سوقيا ورتب الالفاظ ترتيبا صحيحا تقدم منها ما يحسن تقديمه وتؤخر منها ما يحسن تأخيرها، ولا تقدم منها ما يكون التأخير به أحسن، ولا تؤخر ما كان التقديم به أليق، ولا تكرر الكلمة الواحدة في كلام قصير كما كتب سعيد بن حميد « ومثل خادمك بين يديه ما يملك فلم يجد شيئا يفي بحقك ورأى أن تقر يظك بما يباغاه اللسان وان كان مقصرا عن حقتك أبلغ في اداء ما يجب لك » فكرر ذكر « الحق » مرتين في مقدار يسير. على أن أبا جعفر النحاس قد ذكر في صناعة الكتاب أن ذلك ليس بعيب عند كثير من أهل العربية، وهو الحق، فقد وقع مثل ذلك من التكرير في القرآن الذي هو أفصح كلام وآتق نظام في قوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقطر ولا تخسروا الميزان) فكرر ذكر الميزان ثلاث مرات في مقدار يسير من الكلام؛ وامثاله في القرآن الكريم كثير. قال ابو هلال العسكري فان احتاج الى اعادة المعاني أعادها بغير اللفظ الذي بدأ به كما قال معاوية: من لم يكن من بني عبدالمطلب جوادا فهو دخيل ومن لم يكن من بني الزبير شجاعا فهو لزيق، ومن لم يكن من بني المغيرة تياها فهو سنيد. فقال دخيل ثم لزيق ثم سنيد والمعنى واحد والكلام على ما ترى حسن ولو قال لزيق ثم اعاد لسمج على أن الوزير ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر قد ذكر ما ينافي ذلك وتعقب ابا اسحاق الصابي في قوله في تحميدة كتاب « الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بالحاظها ولا تحبده الالسن في الفاظها ولا تحلقة العصور بمروورها ولا تهرمه الدهور بكرورها » فقال لا فرق بين مرور العصور وكروورها. قال في الصناعتين: واعلم أن الذي يلزمك في تأليف الرسائل والخطب هو أن تجعلها مزدوجة فقط ولا يلزمك فيها السجع؛ فان جعلتها مسجوعة كان أحسن ما لم يكن في سجعك استكراه وتنافر وتعقيد

وكثيرا ما يقع ذلك في السجع وقلماء يسلم اذا طال من استكراه وتنافر . قال ابن أبي الاصبع : ولا تجعل كلامك كله مبنيا على السجع فتظهر عليه الكافة ويتبين فيه أثر المشقة وتتكلف لأجل السجع ارتكاب المعنى الساقط واللفظ النازل وربما استدعيت كلمة للقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من اخواتها فلققة في مكانها ؛ بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ وصحة المعاني واجتهد في تقويم المباني ، فان جاء الكلام مسجوعا عفوا من غير قصد وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان ؛ وان عز ذلك فاتركه ، وان اختلفت أسجاعه وتباينت في التقفية مقاطعه ؛ فقد كان المتقدمون لا يحتفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه الا ما أتت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير قصد ولا اكنساب وانما كانت كلماتهم متوازية والفاظهم متساوية ومعانيهم ناصعة وعبارتهم رائعة وفصولهم متقابلة وجمل كلامهم متماثلة . وتلك طريقة الامام على رضي الله عنه ومن اقتفى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع ، ويزيد بن هارون ، وابراهيم بن العباس ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة ، وأبي عثمان الجاحظ وغيرهم من الفصحاء والبلغاء . وينبغي ان يعمل السجعات متفرقة بحسب ما يوجد به الخطا ثم يرتبها في الآخر ويحترز عند جمعها من سوء الترتيب ويتوخى حسن النسق عند التهذيب ليكون بعض كلامه آخذاً بأعناق بعض فأنه أكمل لحسنه وأمثل لوصفه . قال في مواد البيان : واقل ما يكون من الازدواج قرينتان . قال العسكري : وينبغي أن يجتنب اعادة حروف الصلوات والرباطات في موضع واحد اذا كتبت في مثل قول القائل : له منه عليه ، أو عليه منه ، أو به له منه ، وحقه له عليه ، قال وسبيله أن يداويه حتى يزيله بأن يفصل ما بين الحرفين مثل أن يقول : أمت به شهداء عليه . قال ابن أبي الاصبع وايراع الایجاز في موضعه والاطناب في موضعه بحسب ما يقتضيه المقام ويتجنب الاسهاب والتطويل غير المفيد . قال العسكري : وينبغي أن يأتي في تأليفه الكلام بآيات من الكتاب العزيز في الامور الجليلة للترصيع والتحلية والاستشهاد للمعاني على ما يقع في موقعه ويليق بالمكان الذي يقع فيه ؛ ولكن لا يستكثر منه حتى يكون هو الغالب على كلامه تنزيها لكلام الله تعالى عن الابتدال فانه انما يستعمله على جهة التبرك والزينة لا ليجمع حشوا في الكلام واذا استعير منه شيء أتى به على صورته ولا ينقله عن صيغته ليسلم من تحريفه ومخالفة اختيار الله فيه قال وكلا لا يجوز الاكثر منه

لا يجوز أن يخلى كلامه من شيء منه تحمية له فان خلو الكلام من القرآن يطمس محاسنه وينقص بهجته ولذلك كانوا يسمون الخطبة الحالية من القرآن « بترأ » وينبغي أن لا يستعمل في كتابته ما جاء به القرآن العظيم من الحذف، ومخاطبة الخاص بالعام، والعام بالخاص، والجماعة بلفظ الواحد، والواحد بلفظ الجماعة وما يجرى هذا المجرى؛ لأن القرآن قد نزل بلغة العرب وخطوب به فصحاء وهم بخلاف الرسائل وكذلك لا يجوز أن يستعمل فيها ما يختص بالشعر من صرف ما لا ينصرف، وحذف ما لا يحذف، وقصر الممدود، ومد المقصور والاختفاء في موضع الاظهار، وتصغير الاسم في موضع تكبيره الا أن يريد تصغير التعظيم كقول القائل: أنا جديها المحكك وعذيقها المرجب ومما يناسب الكاتب من وصية أبي تمام لابي عبادة البحتري قوله: وأن تناسب بين الالفاظ والمعاني في تأليف الكلام وتكون كخياط يقدر الثياب على قدر الاجسام، وأن تجعل شهوتك لتأليف الكلام هي الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين، وتعتبر كلامك بما سلف من كلام الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه. وينبغي للكاتب أن يحصل المبدأ والمخلص والمقطع ويميز بفكره محط الرسالة قبل العمل فانه أسهل للقصد ويجتهد في تجويد هذه المواضع وتحسينها

❦ وأما بيان ما يستحسن من الكلام المصنوع وما يعاب منه ❦ فتد قال في الصناعتين: ان الكلام يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته وتخيير لفظه واصابة معناه وجودة مطالعه واين معاطفه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه وتشبه أعجازه بهواديه وموافقة أواخره لمباده مع قلة ضروراته بل عدمها أصلا حتى لا يكون لها في الالفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المثنوي في سهولة مطالعه وجودة مقطعه وحسن رصفه وتأليفه وكال صوغه وتركيبه. فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة وسلم من ضعف التأليف وبعده من سماجة التركيب صار بالقبول حقيقا وبالتحفظ خليقا فاذا ورد على السمع المصيب استوعبه ولم تمجه النفس فان النفس تقبل اللطيف وتنوع الكشيف وتعلق عن الجاسي البشع، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقها وتنفر عما يضاده ويخالفه، والفهم يأنس من الكلام بالمعريف ويسكن الى المألوف ويصغي الى الصواب ويهرب من المحال وينقبض عن الوخم ويتأخر عن الجاني الغليظ ولا يقبل الكلام المضطرب إلا

الفهم المضطرب والرؤية الفاسدة . قال : وأحسن الكلام ما تلائم نسجه ولم يسخف ، وحسن نظمه ولم يهجن ، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام فيكون خلقا بغیضا ، ولا السوقي من الالفاظ فيكون مهابلا دوناً ؛ ولا خیر في المعاني اذا استكرهت قهراً ، والالفاظ اذا أجبرت قسراً ؛ ولا خیر فيما أجيد لفظه الا مع وضوح المغزى وظهور المقصد . ثم قال : وقد غاب على قوم الجهل فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكس ، ويستفصحونه اذا وجدوا ألفاظه كزرة غليظة وجاسية غريبة : ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عذبا وسهلا حلوا ولم يعلموا أن السهل أمتع جانباً وأعز مطلباً وهو أحسن موقعا وأعذب مستمعا ؛ ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتع . وقد وصف الفضل ابن سهل عمرو بن مسعدة فقال : وهو أبغ الناس ؛ ومن بلاغته ان كل أحد يظن أنه يكتب مثل كتابته فاذا رامها تعذرت عليه

❦ الفصل الثاني ❦

﴿ الأيام والساعات ﴾

مما يحتاج اليه الكاتب معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين وتفاصيل أجزائها والطرائق الموصلة اليها على اختلاف الاسم في ذلك ﴿ فأما الايام ﴾ فيحتاج اليها الكاتب في تواريف المكاتبات والولايات وغيرها مما يحتاج الى التاريف مثل ان يكتب « وكتب في اليوم الفلاني » أحد أيام الاسبوع ، ويحتاج الى ساعاتها في تاريخ البطائق التي تحملها الحمايم اذ العادة فيها أن يؤرخ ابالساعات لوصول الطير الى المقصد غالباً في يومه ، وكذلك في عقد الهدن من حيث انها تصدر بمدد محررة من تلك الساعة والى أمد معلوم على ما سيأتى في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم الأيام جمع يوم ؛ وقد اختلف في مدلول اليوم على مذهبين : ﴿ المذهب الأول ﴾ - وهو مذهب أهل الهيئة ، أن اليوم عبارة عن زمان جامع لليل والنهار ، مدته ما بين مفارقة الشمس نصف دائرة عظيمة ثابتة الموضع بالحركة الاولى إلى عودها الى ذلك الموضع الذي ابتعدت منه . وأظهر هذه الدوائر الأفق ، وهو حيث تطلع الشمس . ثم منهم من يقدم الليل فيفتح اليوم بغروب الشمس وينتهي بغروبها

من اليوم القابل ، وعليه عمل المسلمين وأهل الكتاب ، وعليه كانت العرب تعمل لأن شهورهم مبنية على سير القمر كما سيأتي ؛ وأوائلها مقدرة بروية الهلال . ومنهم من يقدم النهار على الليل فيفتح اليوم بطولع الشمس ويحتم بطولعها من اليوم القابل ، وعليه عمل الفرس والروم

﴿ المذهب الثاني ﴾ - وهو مذهب الفقهاء أن اليوم عبارة عن النهار دون الليل حتى لو قل لزوجته : أنت طالق يوم يقدم فلان فقدم ليلا لم يقع الطلاق على الصحيح ثم القائلون بذلك نظروا الى الليل والنهار باعتبارين : طبيعى ، وشرعى . أما الطبيعى فالليل من لدن غروب الشمس واستنارها بمحبة الارض الى طلوعها وظهورها من الافق ؛ والنهار من طلوع نصف قرص الشمس من المشرق الى غيوبة نصفها في الافق في المغرب ؛ وجميع الامم تستعمله كذلك . وأما الشرعى فالليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني ، والنهار من الفجر الثاني الى غروب الشمس ؛ وبذلك تتعلق الاحكام الشرعية من الصوم والصلاة وغيرها

ثم قد يوجد وقت الصبح في موضع طلوع الشمس ، ويوجد وقت الظهر في موضع وقت الغروب في موضع آخر (١) . وعلى هذا قد قسم علماء الهيئة مقدار الليل والنهار الى ثلاثمائة وستين جزءاً ، سمو كل جزء منها درجة ؛ ثم جعلوا كل خمس عشرة درجة جزءاً وسموها ساعة ، فتكون جملة ساعات الليل والنهار أربعاً وعشرين ساعة كل اثنتا عشرة ساعة . واطول ما يكون النهار بالديار المصرية أربع عشرة ساعة ، وهي مائتان وعشر درجات . وأقصر ما يكون عشر ساعات وهي مائة وخمسون درجة . ولكل ساعة من ساعات الليل والنهار اسم يخصها : فالأولى من ساعات الليل تسمى الشاهد ، والثانية العسق ، والثالثة العتمة ، والرابعة الفحمة ، والخامسة الموهن ، والسادسة القطع ، والسابعة الجرس (٢) ، والثامنة العنك (٣) ، والتاسعة النباشير ، والعاشر (٤) ، والحادية عشرة الفجر الأول ، والثانية عشرة الفجر المعترض . واما ساعات النهار فالأولى منها تسمى الذرور ، والثانية البروغ ، والثالثة الضحى ، والرابعة الغزالة ، والخامسة الهاجرة ،

(١) اى من الكرة الأرضية (٢) في الضوء الحرس ، وفي الصبح الحوتان وكلاهما خطأ
(٣) بياض بالتحصر والمطول واعلمها السحر (٤) في الصبح الهتكة وفي الضوء العتلة وكلاهما تحريف

والسادسة الزوال ، والسابعة الدلوك ، والثامنة العصر ، والتاسعة الأصيل ، والعاشرية الصبوب ، والحادية عشرة الحدور (١) ، والثانية عشرة الغروب . ويروي عنهم على وجه آخر فيقال فيها : البكور ، ثم الشروق ، ثم الأشرق ، ثم الراد ، ثم الضحى ، ثم المتوع ، ثم المهاجرة ، ثم الاصيل ، ثم العصر ، ثم الطفل ، ثم الغروب . قال في مناهج الفكر : ان أول من قسم النهار الى اثنتي عشرة ساعة آدم عليه السلام وضمن ذلك وصية لابنه شيث وعرفه ماوظف عليه في كل ساعة من العبادة . ومن فائدة معرفة ساعات النهار كتابة تاريخ البطائق فأنها انما تؤرخ بالساعات على ماسياتى بيانه ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فلا نزاع في أن الأيام سبعة ففي صحيح مسلم من رواية أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال «خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل» . فصرح في الحديث بذكر الأيام السبعة . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ان الله عز وجل خلق يوما واحدا فسماه الأحد ، ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامسا فسماه الخميس . ولا ذكر في هذا الاثر ليوم الجمعة لكن قد ورد به الحديث المتقدم ، بل نص في القرآن عليه بقوله تعالى « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة » وقد اختلف في أول أيام الاسبوع وما كان فيه ابتداء الخلق منها على ثلاثة أقوال :

أحدها - ان اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال : خلق الله الارض يوم الاحد ... واذا كان هو ابتداء الخلق لزم أن يكون اول أيام الاسبوع ه الثاني - ان ابتداء الخلق وأول أيام الاسبوع السبت احتجاجا بحديث مسلم المتقدم ذكره انه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله

(١) في الضوء الحدردي وفي الصبح الحدود والصواب الحدور لأنه سمي العاشرية الصبوب ، والصبوب والحدور اسم مقدار الماء في انحدار صبيه ؛ سميت بذلك لمضي أكثر الليل بها ويقولون صبة من النهار اى طائفة وتصصب النهار ذهب أكثره

الترربة يوم السبت ... وإذا كان هو الذي ابتدئ فيه الخلق تعين ان يكون هو أول الاسبوع هـ
 الثالث - ابتداء الخلق يوم السبت، لحديث مسلم المتقدم ذكره، وأول الاسبوع الاحد
 لقول ابن عباس في أثره السابق: خلق الله يوماً واحداً فسماه الاحد ...
 واعلم ان السهيلي قد حكي ان اسماء الايام المتداولة بين الناس وهي الاحد، والاثنان،
 والثلاثاء، والاربعاء، والخميس، والجمعة مأخوذة عن أهل الكتاب، أخذها عنهم العرب
 لما جاؤروهم؛ ولا حقيقة لذلك، بل عن العرب في أسماؤها ثلاث روايات:
 الرواية الاولى - ما نطقت به العرب المستعربة من بني اسماعيل وبه وردت السنة
 النبوية وهو الاسماء المتقدمة: الاحد، والاثنان، والثلاثاء، والاربعاء، والخميس،
 والجمعة: فالاحد بمعنى واحد، ويقال بمعنى أول، ورجحه أبو جعفر النحاس في صناعة
 الكتاب وهو المطابق لتسمية الثاني الاثنان، والثالث بالثلاثاء، والرابع بالاربعاء. وقيل أصله
 « وحد » بفتح الواو والحاء كما ان « أناة » أصلها « وناة » وجمع في القلة على آحاد
 وأحداث؛ وفي الكثرة على أوحده وأوحاد؛ ويحكي في جمعه أيضاً أحد. قال النحاس كأنه
 جمع الجمع « والاثنان بمعنى الثاني؛ قال النحاس وسبيله انه لا يثنى ولا يجمع وأن يقال
 فيه مضت ايام الاثنان الا أن يقول « ذوات »؛ قال: وقد حكي البصريون الاثنان والجمع
 الثني. وقال ابن قتيبة في أدب الكتاب ان شئت ان تجمعه فكأنه مبنى للواحد قلت
 اثناين. وحكي النحاس مثله عن كتاب الفراء في الايام؛ وقال انما يجوز على حيلة بعيدة
 وهي ان يقال اليوم الاثنان فتضم النون فيصير مثل عمران فتثنيه وتجمعه على هذا. وحكي
 عن الفراء أيضاً في جمع الكثرة اثنان فتقول مضت اثنان مثل اسماء وأسام. قال: وقرأت
 على أبي اسحاق في كتاب سيبويه فيما حكاه: اليوم الثني، فتقول على هذا في الجمع الاثنان هـ
 والثلاثاء بمعنى الثالث ويجمع على ثلاثاوات وحكى الفراء ثلاثاوات وأثالث؛ قال في صناعة
 الكتاب ويجوز تأنيث وكذا ثلاث مثله لان ألفي التأنيث كالماء؛ وتقول فيه مضت
 الثلاثاء على تأنيث اللفظ ومضى على تذكير اليوم؛ وكذا في الجمع تقول مضت ثلاث ثلاثاوات
 وثلاثة ثلاثاوات هـ والاربعاء بمعنى الرابع وتجمع على اربعاوات وارباع، والياء فيه عوض عما
 حذف؛ فان لم تعوض قلت ارباع وأجاز الفراء اربعات مثل ثلاثاوات ومنعه البصريون للفرق
 بين ألف التأنيث وغيرها هـ والخميس بمعنى الخامس؛ ويجمع في القلة على خمسة وفي الكثرة

على خمس وخمسان كرعف ورغفان ويقال أخساء كأنصباء. وحكى عن الفراء في الكثرة
 اخامس * والجمعة بضم الميم واسكانها ومعناها الجمع واختلف في سبب تسميتها بذلك :
 فقال النحاس لاجتماع الخلق فيه اى استكمالها اذ كان آخر يوم وقع فيه الخلق وهذا
 ظاهر في أن هذا الاسم كان لها قديما . وقال العسكري في كتابه «الاوائل» اول من
 ساءها جمعة كعب بن لؤى جمع قريشا فيها وخطبهم فسميت جمعة وكانوا لا يعرفون
 الا العروبة وعليه يدل كلام السهيلي وقيل بل اجتمع فيها الانصار الى سعد بن زرارة
 الانصارى فذكرهم وصلي بهم فسمى جمعة لاجتماعهم فيه وانزل الله تعالى سورة الجمعة؛
 ومقتضاه ان هذا الاسم انما حدث لها في دار الاسلام وقد خصها الله تعالى بالذكور في كتابه
 العزيز بقوله «اذنودى للصلاة من يوم الجمعة» وتجمع على جمع وجمعات بفتح الميم وتسكينها *
 والسبت معناه القطع لانه قطع فيه الخلق على رأى من يرى ان السبت آخر أيام الجمعة
 وأنه لا خلق فيه وقول النحاس انه مشتق من الراحة لاء-برة به لمضاهاة قول اليهود
 لعنهم الله تعالى أن الله استراح فيه بعد، وقد رد تعالى عليهم بقوله «وما منامن لغوب» أى تعب
 ويجمع في القلة على أسبت وفي الكثرة على سبوت مثل قرح وقروح

الرواية الثانية (١) - ما يروى عن العرب العاربة من بنى قحطان وجرحم الأولى وهو انهم
 كانوا يسمون الأحد أول لأنه أول أعداد الايام ويسمون الاثنين أهون أخذنا من
 الهون والهونى وأوهد أيضا أخذنا من الوهدة وهي المكان المنخفض من الأرض لانخفاضه
 عن اليوم الأول فى العدد ويسمون الثلاثاء جبارا بضم الجيم لأنه جبر به العدد ويسمون
 الاربعاء دبارا بضم الدال المهملة لأنه دبر ما جبر به العدد بمعنى أنه جاء دبره ويسمون
 الخميس مؤنسا لأنه يؤنس به لبركته ويسمون الجمعة العروبة بفتح العين مع الألف
 واللام وفي لغة شاذة عروبة بغير الف ولام مع عدم الصرف ومعناه اليوم البين أخذنا
 من قولهم أعرب إذا بان والمراد أنه بين العظمة والشرف اذ لم يزل معظما عند أهل
 كل ملة ويسمونه أيضا حربة بمعنى أنه مرتفع عال كالخربة التى هي كالرحم ويسمون
 السبت شيارا بفتح الشين المعجمة وكسرها مع الياء المثناة تحت ، أخذنا من شرت
 الشىء اذا استخرجته وأظهرته من مكانه اما بمعنى أنه استخرج من الايام التى وقع

(١) هذه هي الرواية الثانية وتخطاها المؤلف في الضوء فلم يذكرها فلخصناها من الصبح

فيها الخلق على مذهب من يرى أنه آخر أيام الاسبوع وأن ابتداء الخلق الاوحد وانتهاءه الجمعة واما بمعنى أنه ظهر أول أيام الجمعة على مذهب من يرى أنه أول الجمعة وكان ابتداء الخلق فيه والى هذه الأسماء يشير النابغة بقوله

أوئل ان اعيش وان يومي لأول اولاهون أو جبار
أو التالى دبار فأن أفتة فونس أو عروبة أو شيار

الرواية الثالثة - ما يروى عن العرب العاربة أيضا أنهم كانوا يسمون الايام أبجد، هوز، حطلى، كلن، سعفص، قرشت، فيحتمل أن أبجد للأحد على رأى من يرى أنه ابتدئ فيه الخلق ويكون لا ذكر فيها للسبت ويحتمل ان ابجد اسم للسبت على رأى من يرى أنه ابتدئ فيه الخلق وتكون الجمعة لا ذكر لها

❦ الشهور ❦

وأما الشهور فيحتاج اليها الكتاب في التواريخ أيضا كما يحتاج الى الايام مثل أن يكتب « وكتب يوم كذا من شهر كذا » وتختص الشهور الشمسية بمعرفة ما يكون في كل زمان مما جرت العادة به فيه على ما سترى بعضه عند ذكر الشهور القبطية ان شاء الله تعالى . والشهر فى لغة العرب مأخوذ من الشهرة ، سعى بذلك لاشتهاره بروية الهلال فى أوله ويجمع فى الكثرة على شهور وفى القلة على أشهر ؛ ثم الشهور على ضربين ﴿ الضرب الاول الطبيعى ﴾ والمراد به الشهور القمرية وهى صنفان :

﴿ الصنف الاول ﴾ شهور العرب . ومدارها على روية الهلال . والمتجمعون يعملون عدد ايامه تسعة وعشرين يوما ونصف يوم على التقريب . ولما كان هذا الكسر فى العدد عسراً عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوما : احدهما ثلاثون يوما وهو التسام ، والآخر تسعة وعشرون ، وهو الناقص . فيعدون أبدا شهرا ثلاثين وشهرا تسعة وعشرين ، ويجرون على ذلك فى أعمالهم . وطريقة العرب فيه اعتماد روية الهلال فيعتبرون الشهر من روية الهلال الى رويته تانيا ؛ وعليها ورد الشرع وبها نطق التنزيل بقوله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » فقارة يكون الشهر ثلاثين ، وتارة تسعة وعشرين بحسب روية الهلال . وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث ام سلمة رضى الله عنها أن

الذي صلى الله عليه وسلم حالف لا يدخل علي بعض نسائه شهراً، فلما مضى تسع وعشرون غداً عليهن أوراخ، فقبل يارسول الله حلفت لا تدخل عليهن شهراً . فقال الشهر يكون تسعاً وعشرين، وقد يتوالى شهران فأكثر ناقصة . فباستمهلال الهلال يعرف ابتداء الشهر وانسلاخ ما قبله ، وبزيادته ونقصانه وتنقله في المنازل يعرف كم مضى من الشهر اذا علم ذلك فقد قسمت العرب ليالى الشهر بعد استمهاله كل ثلاثة أيام قسمًا وسمتها باسم : فالثلاث الاول منها هلال ، والثلاث الثانية قر ، والثلاث الثالثة بهر ، والثلاث الرابعة زهر ، والثلاث الخامسة ييض لان الليالى تبيض بطولوع القمر فيها من أولها الى آخرها ، والثلاث السادسة درع لان أوائلها تكون سوداء وسايرها ييض ، والثلاث السابعة ظم ، والثلاث الثامنة حنادس ، والثلاث التاسعة دآدى الواحدة منها دأداة على وزن فمالة ، والثلاث العاشرة : ليلتان منها محاق ، وليلة سرار لأمحاق الشمس القمر فيها وقيل غير ذلك

اذا علم ذلك فشهور العرب اثنا عشر شهراً لا زيادة فيها ولا نقص وبها نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض » وقد سمت العرب كل شهر منها باسم . ثم عنهم في ذلك روايتان :

الرواية الاولى - ما نطقت به العرب المستعربة وبه وردت السنة في تسمية كثير منها وعليه الاستعمال من ابتداء الاسلام وهلم جرا الى الآن : الاول المحرم، سمي بذلك لانهم كانوا يجرمون فيه القتال لكونه من الأشهر الحرم . ويجمع على محرمات، ومحارم، ومحاريم ه الثاني صفر، سمي بذلك لانهم كانوا يغيرون فيه على العدو لاجنباسهم عن القتال في المحرم قبله فبقي بيوتهم صفراً منهم أي خالية ؛ وقيل لانهم كانوا يغيرون فيه على بلاد يقال لها الصفرية . ويجمع على صفرات ، واصفار ، وصفور ، وصفار ه الثالث ربيع الاول ، سمي ربيعاً لانهم كانوا يحصلون فيه ما أصابوه في صفر فتمخض بيوتهم . والربيع في اللغة : الخصب ؛ وقيل : لارتباعهم فيه ، قال في صناعة الكتاب :

والاول اولى بالصواب . ووصف بالاول ليفرق بينه وبين ربيع الآخر . ويقال في ثنيتيه ربيعان الاولان ، وفي الجمع ربيعات الأولات ؛ فان اضيف اليه شهر فقيل شهر ربيع الاول قيل في الثنية شهراً ربيع الاولان ؛ وفي الجمع شهرات ربيع الأولات والاولات ؛

قال النحاس: وان شئت قلت في القليل اشهر وفي الكثير شهر. وحكى عن قطرب: الاربعة
الاولى، وعن غيره: ربع الأوائل * الرابع ربيع الآخر، والكلام في تسميته
وثنيته وجمعه كالكلام في ربيع الاول * الخامس جمادى الاولى، سمي بذلك لجمود
الماء فيه لان الوقت الذي سمي فيه بذلك كان الماء فيه جامداً لشدة البرد. ويقال
في ثنيته جماديان الاوليان. وفي الجمع جماديات الأوليات * السادس جمادى
الآخرة، والكلام فيه تسمية وثنية وجمعاً كالكلام في جمادى الاولى * السابع
رجب، سمي بذلك لتعظيمهم له أخذاً من الترجيب وهو التعظيم. ويجمع على
رجبات، وأرجاب، وفي الكثرة على رجاب، ورجوب * الثامن شعبان، سمي بذلك
لتشعبهم فيه لكثرة الغارات لأمسأهم عن القتال في رجب لكونه من الأشهر الحرم؛
وقيل لتشعب العود في الوقت الذي سمي فيه؛ وقيل لأنه شعب بين رجب ورمضان.
ويجمع على شعبانات، وشعابة على حذف الزوائد. وحكى الكوفيون شعابين. قال النحاس:
وذلك خطأ على قول سيبويه كما لا يجوز في جمع عثمان عثمانين * التاسع رمضان، سمي
بذلك أخذاً من الرمضاء لأنه وافق وقت تسميته زمن الحر. ويجمع على رمضانات؛
وحكى الكوفيون رماضين. قال النحاس: والقول فيه كالقول في شعابين. فإن أضيف
اليه لفظ شهر قيل في الثانية شهراً رمضان؛ وفي الجمع شهرات رمضان، وأشهر رمضان،
وشهور رمضان * العاشر شوال، سمي بذلك أخذاً من قولهم شالت الابل بأذنانها إذا
حملت لحملها فيها لكونه أول شهور الحج، وقيل من شال يشول إذا ارتفع ولذلك
كانت الجاهلية تكره التزويج فيه نظراً لما فيه من معنى الاشالة والرفع وجاء الاسلام
فهدم ذلك حتى قالت عائشة رضي الله عنها ردا عليهم: تزوجني رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شوال؛ وبنى بي في شوال، فأى نسائه كان أحظي عنده مني. ويجمع على
شوالات، وشواويل، وشواول * الحادي عشر ذو القعدة بفتح القاف وكسرها، سمي
بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه من الأشهر الحرم. ويجمع على ذوات
القعدة؛ وحكى الكوفيون أولات القعدة، وربما قالوا ذات القعدة أيضاً * الثاني
عشر ذو الحجة، سمي بذلك لوقوع الحج فيه. والكلام في جمعه كالكلام في ذي القعدة
من غير فرق

واعلم ان من الشهور المذكورة اربعة أشهر حرم كما نطق بها الكتاب العزيز بقوله تعالى «منها اربعة حرم» وهي المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة؛ وسميت حرماً لتحرّم القتال فيها. وقد كانت العرب في الجاهلية يقعدون عن القتال فيها ويحرمونه حتى لياقي الرجل منهم قاتل أبيه فلا يقتله. وقد اختلف في الابتداء بعدها: فذهب أهل المدينة الى أنه يبدأ بذى القعدة احتجاجاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم عدّها في حجة الوداع كذلك فقال: السنة اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. واختاره النحاس. وذهب أهل الكوفة الى أنه يبدأ بالمحرم فيقال المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة لياتوا بها من سنة واحدة. واليه ميل الكتاب؛ قال في صناعة الكتاب: ولا حجة لهم فيه لأنه اذا علم أن المقصود ذكرها في كل سنة فكيف يتوهم أنها من سنتين

واعلم أنه يجوز ان يضاف لفظ شهر الى جميع الأشهر فيقال شهر المحرم، وشهر صفر، وشهر ربيع الاول، وكذا في البواقي؛ على أن منها ثلاثة أشهر لم تكده العرب تنطق بها الا مع الاضافة وهي شهرا ربيع وشهر رمضان كما صرح به الجوهرى. ويؤيد ذلك اضافة شهر الى رمضان في قوله تعالى «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» وقد روي عن مجاهد أنه قال فيه: لا تقرأ رمضان، ولكن كما قال الله تعالى: شهر رمضان؛ فأنتك لا تدري ما رمضان. وعن عطاء نحوه؛ وأنه قال: لعل رمضان اسم من أسماء الله تعالى. لكن قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اذا جاء رمضان اغلقت أبواب النيران وصدفت الشياطين... وهو صريح في جواز تعريفه عن الاضافة. والعلماء في ذلك ثلاثة مذاهب: أحدها جواز تعريفه عن «شهر» مطلقاً سواء قامت قرينة على أن المراد به الشهر أم لا؛ فيقال: جاء رمضان وصمت رمضان، وهو ما رجحه النووي في شرح مسلم «والتأني المنع مطلقاً» والثالث ان قامت قرينة كفى قوله صمنا رمضان، جاز وإلا فلا. وزاد بعضهم فيما يضاف اليه شهر رجباً أيضاً؛ وقال: كل شهر اوله حرف «راء» لا يقال الا بأضافة «شهر» اليه. ويقال في المحرم شهر الله المحرم. ففي صحيح مسلم وغيره من رواية أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم

ويقال في الربيعين : ربيع الأول و ربيع الآخر ، ويقال في الجمادين : جمادى الأولى وجمادى الآخرة على التأنيث . قال في تثقيف اللسان ولا يقال جمادى الأولى ، والآخرة بالتذكير ؛ وجوزه ابن الاحدثي في كلامه على تثقيف اللسان . قال في صناعة الكتاب : وإنما قالوا ربيع الآخر ، وجمادى الآخرة ولم يقولوا ربيع الثاني وجمادى الثانية لأنه إنما يقال الثاني والثانية لما له ثالث وثالثة ؛ ولما لم يكن لهذين ثالث ولاثالثة قيل فيهما الآخر والآخرة كما قيل : الدنيا والآخرة . ويؤيد ما قاله ماجرى عليه التنزيل في قوله تعالى في واقعتي بنى اسرائيل « فاذا جاء وعد أولاهما » ثم قال « فاذا جاء وعد الآخرة » ولم يقل الثانية . على ان أكثر استعمال بلاد المغرب على « الأولى والثانية » ويقال في رجب : الفرد ، لانفراده عن بقية الأشهر الحرم . ويقال فيه أيضا « رجب مضر » فقد قال صلى الله عليه وسلم في عدة الأشهر الحرم « . . . ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ويقال أيضا فيه « الاصم » لأنه لم يسمع فيه صوت سلاح لكونه من الأشهر الحرم * ويقال في شعبان « الكريم » لتكريمته وعلو قدره * ويقال في رمضان « المعظم ، والمعظم قدره » لعظمته وشرفه * ويقال في شوال « المبارك » للفرق بينه وبين شعبان خشية التحريف * ويقال في كل من ذى القعدة وذى الحجة « الحرام » قال النحاس : وقد روى في ذى الحجة أيضا « شهر الله الاصم » وروى بسنده عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا على ناقة حمراء مخضمة فقال : اتدرون أي يوم يومكم هذا ؟ قلنا : يوم النحر . قال : صدقتم ، يوم الحج الاكبر . اتدرون اي شهر شهركم هذا ؟ قلنا : ذو الحجة . قال : صدقتم ، شهر الله الاصم

الرواية الثانية - ما روى عن العرب العاربة وهو أنهم كانوا يقولون في المحرم المؤتمرا أخذاً من « أمر القوم » إذا كثروا بمعنى أنهم محرمون فيه القتال فيكثرون لعدم القتل ؛ وقيل : أخذاً من الاثمار بمعنى انه يؤتمر فيه بترك الحرب . ويجمع على مؤتمرات ، وما أمر وما مير * ويقولون في صفر « ناجر » أخذاً من النجر ، والنجار ، وهو السوق الشديد لشدة سوقهم الخيل الى الحرب فيه لوقوعه بعد المحرم ويجمع على نواجر * ويقولون في ربيع الأول « خوان » بالخاء المعجمة لأن الحرب تشتد فيه فتحونهم فتقتصمهم .

ويجمع على خوانات ، وخواوين ، وخواون ، ويقولون في ربيع الآخر « وبصان »
أخذاً من الويص وهو البريق ، لبريق الحديد فيه بوقوع القتال . ويجمع على وبصانات
ويقولون في جمادى الأولى « حنين » لأنهم يحنون فيه الى اوطانهم لكونه كان يقع
في زمن الربيع . ويجمع على أحنة وُحنن كـرغيف ورغف ، ويقولون لجمادى الآخرة « ربّياً »
و « ربة » يعنى جماعة ، لأنه يجتمع به جماعة من الشهور التي ليست بحرم وهي ما بعد
صفر . قال أبو عبيدة : وربان كل شئ ، جماعته . ويجمع على ربان ، وربايا مثل
حبالى ؛ ومن قال ربة جمعه على ما ريب ، ويقولون في رجب « الاصم » لما تقدم من أنه
لا يسمع فيه صوت السلاح ولا الاستغاثات . ويجمع على أصام . قال النحاس : ولا
تقل : صم ، لأنه ليس بنعت كما انك لو سميت رجلاً « أحمر » جمعته على أحامر
ولم تجمه على حمر ، ويقولون في شعبان « عادل » بمعنى أنهم يعدلون فيه عن الأقامة
بيوتهم لتشعبهم في القبائل . ويجمع على عوادل ، ويقولون في رمضان « نائق » لكثرة
المحل عندهم فيه لأغارتهم على الأموال في الذي قبله . ويجمع على نواتق ، ويقولون
في شوال « وعل » أخذاً من قولهم : وعل الى كذا ؛ إذا لجأ اليه ؛ لأنهم يهربون فيه من
الغارات لان بعده الأشهر الحرم فيلجؤون فيه الى أمكنة يتحصنون فيها . ويجمع على
اوعال ككتف وأكتاف ، وفي الكثرة وعول ، ويقولون في ذى القعدة « ورنه »
والواو فيه منقلبة عن همزة أخذاً من أرن إذا تحرك لأنه الوقت الذي يتحرك فيه
الى الحج . ويجمع على ورنات ، ووران كجفان ، ويقولون في ذى الحجة « برك » أخذاً
من البركة لوقوع الحج فيه ، أو من برك البعير ؛ لأنه الوقت الذي تبرك فيه الأبل للوسم .
ويجمع على بركان مثل نغر ونغران ، وقيل فيها غير ذلك

الصنف الثانى - من الشهور القمرية شهور اليهود وهي عندهم من الاجتماع الى الاجتماع ،
وهو اقتران الشمس والقمر في آخر الشهر ؛ ولذلك توافق شهورهم في التقدير شهور العرب
ولا تخالف أوائنها الا بيوم واحد في بعض الاحيان لأسباب في ملتهم ؛ ولكنها لا تطابق
شهر الشهر فان شهور العرب غير مكبوسة وشهور اليهود مكبوسة . وطريقتهم في ذلك لا تعرف الا
بتقويم الكواكب ومعرفة سير الشمس والقمر ولذلك لا يعرف شهور اليهود منهم الا
الآحاد لخفائها . وشهورهم اثنا عشر شهراً بعضها ثلاثون وبعضها تسعة وعشرون على

ما يقضيه سير الشمس والقمر؛ وفي السنة الكبيسة تكون شهورهم ثلاثة عشر شهرا كالمسياتي وهي توافق شهور السريان في بعض أسماؤها : الأول منها تشرى ، الثاني خشوان ، الثالث كسلا ، الرابع طابات ، الخامس شباط ، السادس أدار ، السابع نيسان ، الثامن إيار ، التاسع سيوان ، العاشر تموز ، الحادي عشر آب ، الثاني عشر ايلول

﴿ الضرب الثاني - الشهور الاصطلاحية ﴾ وهي التي اصطلاح عليها الأمم والمشهور منها ثلاثة أنواع :

النوع الاول - شهور القبط . وينسب ترتيبها الى دقلطيانوس الملك . وهي : توت ودخوله في العشرين من آب من شهور السريان ، وأول يوم منه نيروز القبط وهو رأس سنتهم ؛ وآخره السادس والعشرون من أيلول منها ؛ فيه يذهب الحر ، وتجي الكراكي الى مصر ، وفي سابع عشره عيد الصليب ، فيه يفتح أكثر الترع بمصر ، وفي ثامن عشره أول فصل الخريف ، وفي الرابع والعشرين منه أول « ذى ماه » من شهور الفرس * والثاني بابه . ودخوله في السابع والعشرين من أيلول من شهور السريان ، وآخره السادس والعشرون من تشرين الاول منها ، وثالثه رأس سنة السريان ، وفي رابعه اول تشرين الاول من شهورهم ، وفي الرابع والعشرين منه أول « بهرماء » من شهور الفرس * والثالث هاتور . ودخوله في السابع والعشرين من تشرين الاول من شهور السريان ، وآخره الخامس والعشرون من تشرين الثاني منها ، وفي خامسه أول تشرين الثاني ، وفي الرابع والعشرين أول « استيدارماه » من شهور الفرس * والرابع كيهك . ودخوله في السادس والعشرين من تشرين الثاني من شهور السريان ، وآخره الخامس والعشرون من كانون الاول منها . في أوله ابتداء أربعينات مصر ، وفي خامسه أول كانون الاول من شهور السريان ، وفي سابع عشره أول فصل الشتاء وهو أول أربعينات الشام ، وفي ثامن عشره يبتدىء تنفس النهار ، وفي الرابع والعشرين منه أول « مردوماه » من شهور الفرس * والخامس طوبه . ودخوله في السادس والعشرين من كانون الاول من شهور السريان ، وآخره الرابع والعشرون من كانون الثاني منها وفي عاشره آخر أربعينات مصر ، وفي الرابع والعشرين اول « برد هشماه » من شهور الفرس * السادس أمشير ودخوله في الخامس والعشرين من كانون الثاني من شهور السريان ، وآخره الثالث

والعشرون من شباط منها . في سادسه اول شباط ، وفي الرابع والعشرين منه اول « حردماه » من شهور الفرس . السابع برمها . ودخوله في الرابع والعشرين من شباط من شهور السريان ، وآخره الخامس والعشرون من أدار منها . في خامسه اول أدار من شهور السريان ، وفي الرابع والعشرين أول « يرمه » من شهور الفرس . الثامن برموده . ودخوله في السادس والعشرين من أدار من شهور السريان ، وآخره الرابع والعشرون من نيسان منها في سادسه اول نيسان المذكور وفي الرابع والعشرين اول « مردماه » من شهور الفرس . التاسع بشنس . ودخوله في الخامس والعشرين من نيسان من شهور السريان وآخره التاسع والعشرون من أيار منها . في سادسه اول أيار من شهور السريان وفي الرابع والعشرين منه أول « برمها » من شهور الفرس . العاشر بونه . ودخوله في الخامس والعشرين من أيار من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من حزيران منها . وفي سابعه اول حزيران . الحادى عشر ايب . ودخوله في الرابع والعشرين من حزيران من شهور السريان وآخره الثالث والعشرون من تموز منها ؛ وفي سابعه اول تموز من شهور السريان ، وفي الرابع والعشرين اول (أيارماه) من شهور الفرس ، وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعري اليمانيه . الثاني عشر مسرى . ودخوله في الرابع والعشرين من تموز من شهور السريان وآخره السابع والعشرون من آب منها ؛ وفي ثامنه اول آب المذكور ، وفي السابع والعشرين أول (أدرماه) من شهور الفرس . أيام الذى . ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف السنة الكبيسة وغيرها

النوع الثانى -- شهور السريان . وهي اثنا عشر شهرا بعضها ثلاثون يوما وبعضها زائد على الثلاثين وبعضها ناقص عنها ولا نسى ، فيها وينسب ترتيبها الى الاسكندر الاول . الاول تشرين وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الرابع من بابه من شهور القبط . وآخره الرابع من هاتور منها ويوافقه اكتوبر من شهور الروم وهو الشهر العاشر منها . الثانى تشرين الثانى وهو ثلاثون يوما ودخوله في الخامس من هاتور من شهور القبط . وآخره الرابع من كيهك منها . ويوافقه (نوفمبر) من شهور الروم وهو الشهر الحادى عشر منها . الشهر الثالث كانون الاول وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الخامس من كيهك من شهور القبط . وآخره

الخامس من طوبه منها ويوافقته (دجنبر) من شهور الروم وهو الشهر الثاني عشر منها .
 الرابع كانون الثاني وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في السادس من طوبه من شهور
 القبط وآخره السادس من أمتير . ويوافقته (ينير) من شهور الروم وهو الشهر الاول منها *
 الخامس اشباط ويقال شباط وهو ثمانية وعشرون يوما ودخوله في السابع من أمتير من
 شهور القبط وآخره الرابع من برمبات منها . ويوافقته (فبرير) من شهور الروم وهو الثاني
 من شهورهم * السادس اذار وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الخامس من برمبات من
 شهور القبط وآخره الخامس من برمودة منها * ويوافقته (مارس) من شهور الروم وهو
 الثالث من شهورهم * السابع نيسان وهو ثلاثون يوما ودخوله في السادس من برمودة
 من شهور القبط وآخره الخامس من بشنس منها . ويوافقته « ابريل » من شهور الروم
 وهو الرابع من شهورهم * الثامن ايار وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في السادس من بشنس
 من شهور القبط وآخره السادس من بؤنه منها . ويوافقته « مايه » من شهور الروم وهو الخامس
 من شهورهم * التاسع حزيران وهو ثلاثون يوما ودخوله في السابع من بؤنه من شهور
 القبط واخره السادس من أييب منها . ويوافقته « يونية » من شهور الروم وهو السادس
 من شهورهم * العاشر تموز وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في السابع من أييب من شهور
 القبط وآخره السابع من مسرى منها . ويوافقته « يولية » من شهور الروم وهو السابع من
 شهورهم * الحادي عشر آب وهو أحد وثلاثون يوما ودخوله في الثامن من مسرى من شهور
 القبط وآخره الثالث من توت منها ويوافقته « اغشت » من شهور الروم وهو الثامن من شهورهم .
 الثاني عشر ايلول وهو ثلاثون يوما ودخوله في الرابع من توت من شهور القبط وآخره
 الثالث من بابه منها ويوافقته « شتبر » من شهور الروم وهو التاسع من شهورهم وقد نظمه
 بعضهم في أبيات ابتدأ فيها بأيلول وهو الثاني عشر منها مقدما لآخر السنة على أولها فقال:

وابدأ بأيلول من السرپانی * تشرين الاول يعقبه الثاني

كانون كانون شباط يطلع * اذار نيسان ايار يتبع

ثم حزيران وتموز وأب * تبارك لرحمن مهدي من أحب

قلت: وقد أكثر الناس من النظم في تداخل الشهور القبطية مع السريانية وأوردت

جملة من ذلك في الاصل . وأخصر ما رأيته في ذلك ما نظمه بعض المتأخرين في بيت

واحد فيه اثنتا عشرة كلمة ، كل كلمة ثلاثة أحرف ، الحرف الاول اشارة للشهر السرياني ،
والثاني لعدد الايام والثالث اشارة للشهر القبطي وهو

ادت تدب تمه كهك كوط أزا أهب نوب أوب حزب تزا أحم

فالالف من أدت اشارة لايلول من شهور السريان وهو آخر شهورهم، والتاء اشارة لتوت
من شهور القبط وهو أول شهورهم، والذال من أدت بأربعة، ففي الرابع من توت يدخل
أيلول؛ والتاء من « تدب » اشارة لتشرين الاول والباء اشارة لبلاب والذال بينهما بأربعة
ففي الرابع من بابه يدخل تشرين الاول، والتاء من « تمه » اشارة لتشرين الثاني والهاء
الاخيرة اشارة لها تور والهاء المتوسطة بينهما بخمسة ففي الخامس من هاتور يدخل تشرين
الثاني؛ والكاف الاولى من « كهك » اشارة لكانون الاول والكاف الاخيرة اشارة
لكيهك والهاء بينهما بخمسة ففي الخامس من كيهك يدخل كانون الاول؛ والكاف من
كوط اشارة لكانون الثاني والطاء اشارة لطوبه والواو بينهما بستة ففي السادس من
طوبه يدخل كانون الثاني؛ والالف الاولى من أزا اشارة لاشباط والالف الاخيرة اشارة
لامشير والزاي بينهما بسبعة ففي السابع من أمشير يدخل اشباط؛ والالف من أهب
اشارة لادار والباء اشارة لبرمهات والهاء بينهما بخمسة ففي الخامس من برمهات يدخل
ادار؛ والنون من نوب اشارة لنيسان والباء اشارة لبرموده والواو بينهما بستة ففي السادس
من برموده يدخل نيسان؛ والالف من أوب اشارة لأيار والباء اشارة لبشنس والواو بينهما
بستة ففي السادس من بشنس يدخل ايار؛ والحاء من حزب اشارة لحزيران والباء اشارة لبونيه
والزاي بينهما بسبعة ففي السابع من بونيه يدخل حزيران؛ والتاء من تزا اشارة لتموز؛ والالف
اشارة لايبب والزاي بينهما بسبعة ففي السابع من أيبب يدخل تموز؛ والالف من أحم
اشارة لأب والميم اشارة لمسرى والحاء بينهما بثمانية ففي الثامن من مسرى يدخل آب

﴿ النوع الثالث ﴾ - شهور الروم . وتنسب لاعشطش ملك الروم وهو قيصر الاول

وهي اثنا عشر شهراً بعضها ثلاثون يوماً وبعضها زائد على الثلاثين وبعضها ناقص عنها
كما في شهور السريان وهي مطابقة لشهور السريان في العدد مخالفة لها في الاسم والترتيب .

الاول (ينير) ، ويوافقه كانون الثاني من شهور السريان وهو الرابع من شهورهم، وفي
أول يوم منه يكون القلنداس يوقد أهل الشام في ليلته نيراناً عظيمة لاسيما مدينة انطاكية

وكذلك سائر بلاد الشام وأرض الروم وسائر بلاد النصارى * الثاني (فبراير) ويوافقته شباط من شهور السريان وهو الخامس من شهورهم * الثالث (مارس) ويوافقته اذار من شهور السريان وهو السادس من شهورهم * الرابع (ابريل) ويوافقته نيسان من شهور السريان وهو السابع من شهورهم * الخامس (مايو) ويوافقته ايار من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم * السادس (يونيه) ويوافقته حزيران من شهور السريان وهو التاسع من شهورهم * السابع (يوليه) ويوافقته تموز من شهور السريان وهو العاشر من شهورهم * الثامن (أغسطس) ويوافقته آب من شهور السريان وهو الحادي عشر من شهورهم * التاسع (شتبر) ويوافقته ايلول من شهور السريان وهو الثامن من شهورهم * العاشر (اكتوبر) ويوافقته تشرين الاول من شهور السريان وهو الاول من شهورهم * الحادي عشر (نوفمبر) ويوافقته تشرين الثاني من شهور السريان وهو الثاني عشر من شهورهم * الثاني عشر (دجنبر) ويوافقته كانون الاول من شهور السريان وهو الثالث من شهورهم . . . وقد نظمها صاحبنا الشيخ ابراهيم الدهشوى المشهور بالسهر وردى رحمه الله في أبيات علي الترتيب فقال

ينير فبراير مارس للروم ابريل مايو خامس المعلوم
ينيه ويليه ثم أغسطس شتنبير اكتوبر نوفمبر دجنبر

﴿ النوع الرابع ﴾ - شهور الفرس . وهي اثنا عشر شهرا كل شهر منها ثلاثون يوما وأيام النسي خمسة أيام في آخر الشهر السابع منها وهو (أبان ماه) (وماه) عندهم اسم للشهر ، والذي قبله صفة له ومضاف اليه : الاول منها - (افرودين ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من كيهك من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من شهر طوبه منها * الثاني (ارديهشماه) ودخوله في الرابع والعشرين من طوبه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أمشير * الثالث (حردادماه) وأوله في الرابع والعشرين من آب من شهور القبط وآخره في الثالث والعشرين من برمهاث منها * الرابع (تيرماد) ودخوله في الرابع والعشرين من برمهاث من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من برموده منها * الخامس (تردماه) ودخوله في الرابع والعشرون من برموده من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بشنس * السادس « يرماء » ودخوله في الرابع والعشرين من بشنس

وآخره في الثاني والعشرين من بؤنه منها السابع (مهريه) ودخوله في الرابع والعشرين من بؤنه من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من أيب منها الثامن (أبان ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من أيب من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من مسرى منها أيام النسى - وتعرف عندهم بالمشتركة وهي خمسة أيام أولها الرابع والعشرون من مسرى من شهور القبط وآخرها الثامن والعشرون منه التاسع (ادرمه) ودخوله في الثالث والعشرين من مسرى من شهور القبط وفي ثالثة أيام النسى للقبط وآخره الثالث والعشرون من توت منها العاشر (ذى ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من توت من شهور القبط وآخره الثالث والعشرون من بابيه منها الحادى عشر (بهمن ماه) ودخوله في الرابع والعشرين من بابيه وآخره الثالث والعشرون من كيهك منها الثاني عشر (١)

○ السنون ○

السنون جمع سنة، ويقال لها العام والحول. وقد نطق القرآن العظيم بالأسماء الثلاثة قال تعالى « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » فأتى بذكر السنة والعام في آية واحدة، وقال جل وعز (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فأتى بذكر الحول. وقد تختص (السنة) بالجدب و(العام) بالخصب وقد ورد القرآن بذلك في بعض الآيات، قال تعالى حكاية عن يوسف عليه والسلام (ثم أتى بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) فعبر بالعام عن الخصب، وقال جل ذكره (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات) فعبر بالسنين عن الجدب. على أنه وقع التعبير بالسنين عن الخصب أيضاً في قوله تعالى (قال تزرعون سبع سنين دأبأفا

(١) بياض في المختصر والمطول. ومما ننبه اليه ان المؤلف اضطرب في هذا التصل وخالط فيه هنا وفي الاصل. فقد ذكر أن أيام النسى تتعقب الشهر السابع ثم سردها بعد الثامن، وأورد أسماء الشهور فلم يوفها في الموضوعين فضلا عن انها لا تطابق ما ذكره منها في تداولها مع الشهور القبطية (صحيفة ١٥٠) وقد ورد في دائرة المعارف ان شهور الفرس هي: مرداة، شهر بروار، مهر، أبان، آدار، دى، بهمان، اسفندر، ماد، فروردين، ارديبا هشت، حرداد، تير

حصدم فذروه في سنبله) اما الحول فإنه يقع على الحصب والجذب جميعا . ثم السنة على قسمين : طبيعية واصطلاحية كما في الشهور

﴿ القسم الاول ﴾

﴿ السنة الطبيعية ﴾ وهي القمرية . وأولها استهلال القمر في غرة المحرم وآخرها سلخ ذى الحجة من تلك السنة . وهي اثنا عشر شهرا هلاليا قال تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض) وعدد أيامها فيما قاله المنجمون ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم تقريبا ويجتمع من هذا الخمس والسدس يوم في كل ثلاث سنين فتصير السنة ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما ويبقى من ذلك بعد اليوم الذي اجتمع شيء فيجتمع منه ومن خمس اليوم وسدسه في السنة السادسة يوم واحد وكذلك الى أن يبقى الكسرا أحد عشر يوما عند تمام ثلاثين سنة وتسمى تلك السنين كبائس العرب . قال السهيلي : كانوا يؤخرون في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ؛ فلما كانت سنة حجة الوداع وهي سنة تسع من الهجرة عاد الحج الى وقته اتفقا في ذى الحجة كما وضع أولا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الحج ثم قال في خطبته التي خطبها يومئذ : ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض . يعني ان الحج قد عاد في ذى الحجة . وقيل لم تزل العرب في جاهليتها على رسم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لانسا سنيها الى أن جاورتهم اليهود في يثرب فارادت العرب ان يكون حجهم في أخصب وقت من السنة وأسهل زمان للتردد بالتجارة فتعلموا الكبس من اليهود . ولما جاء الاسلام بنى الشارع الشهور على الأهلة ومنع النسي الذي كانت العرب تفعله فتمال تعالى (انما النسي زيادة في الكفر . . .) الآية

﴿ القسم الثاني ﴾

﴿ السنة الاصطلاحية ﴾ وهي الشمسية . وشهورها اثنا عشر شهرا كما في السنة الطبيعية إلا أن كل طائفة راعت عدم دوران سنيها فجعلت في اشهرها زيادة في الأيام إما جملة واحدة كما في الشهور القبطية واما متفرقة كما في الشهور السريانية وسمتها نسيثا

بحسب ما اصطالحوا عليه كما ستتمف عليه في مصطلح كل قوم ان شاء الله تعالى. وعدد أيام السنة الشمسية عند جميع الطوائف من المنجمين والتبطين والسريان والروم والفرس ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما وربع يوم. فتكون زيادتها على العربية عشرة أيام وثمانية أعشار يوم وخمسة أسداس يوم. وقد قال بعض حذاق المفسرين في قوله تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) أنه ان حمل على السنين القمرية فهو على ظاهره من العدد؛ وان حمل على السنين الشمسية فالتسع الزائدة هي تفاوت زيادة الشمسية على القمرية لأن في كل ثلاثمائة سنة تسع سنين لا تخل بالحساب اصلا. قال في مناهج الفكر: ولذلك كانوا في صدر الاسلام يسقطون عند رأس كل ثلاثين سنة عربية سنة ويسمونها سنة الازدلاف، لأن كل ثلاث وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنة شمسية تقريبا. قال: وانما حملهم على ذلك الفرار من اسم النسب الذي أخبر الله تعالى أنه زيادة في الكفر. واعلم ان المعتبرين للسنة الشمسية اختلفت مصطلحاتهم فيها بحسب اصطلاح مقاصدهم على مصطلحات:

منها مصطلح المنجمين. والسنة عندهم من حلول الشمس في أول رأس الحمل الى حلولها في آخر نقطة من الحوت. ومنهم من يجعلها من حلول الشمس في أول نقطة من رأس الميزان الى حلولها في آخر نقطة من السنبلة. والاول هو المعروف. وتساهل بعضهم فقال: هي من كون الشمس في نقطة ما من تلك البروج الى عودها الى تلك النقطة. ويقال ان سنة الجند والمرزقة بالديار المصرية كانت اول اعلى هذا المصطلح وبه يعملون في الاقطاعات ونحوها

ومنها مصطلح التبطين. وقد اصطالحوا على ان جعلوا شهرهم ثلاثين يوما كما تقدم فاذا انقضت الاثنا عشر شهرا اضافوا اليها خمسة أيام يسومونها أيام النسب. يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية فاذا كانت السنة الرابعة اضافوا الى خمسة أيام النسب المذكورة ما اجتمع من الربع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية فتصير ستة أيام فيجعلونها كيسة في تلك السنة. قال اصحاب الزيجات: وأول ابتدأهم ذلك في زمن اغشطش ملك الروم فكانوا من قبل يتركون الربع الى ان تجتمع منه أيام سنة كاملة وذلك في الف سنة وأربعمائة واحد وستين سنة ويسقطونها من سنينهم. وعلى هذا المصطلح

استقر عوامهم بانديار المصرية في الاقطاعات والزرع وجباية الخراج وما شا كل ذلك ومنها مصطلح السريان والروم . وشهورهم على ما تقدم من كون بعضها ثلاثين يوما وبعضها زائدة عليها وبعضها ناقصة عنها . وانما فعلوا ذلك حتى لا يلحقهم النسيء في شهورهم اذ الأيام الخمسة الزائدة على شهور القبط موزعة على رؤوس الزوائد من شهورهم وذلك أن من شهورهم سبعة أشهر يزيد كل منها يوما على الثلاثين وهي: تشرين الاول ، وكانون الثاني ، وأذار ، وإيار ، وتموز ، وآب فتكون الزيادة سبعة أيام يكمل منها شباط وهو ثمانية وعشرون يوما بيومين يبقى خمسة أيام وهي نظير النسيء في سنة القبط والفرس . ويبقى بعد ذلك الربع يوم الزائد على الخمسة أيام في السنة الشمسية فإذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأربع الثلاثة الملقاة الى الربع الرابع فيجتمع منها يوم فيجعلونه نظير اليوم الذي كبسه القبط ويضيفونه الى شباط فيصير تسعة وعشرين يوما

ومنها مصطلح الفرس - وشهورهم كشهور القبط في عدد الأيام على ما تقدم كل شهر منها ثلاثون يوما . وإذا كان آخر شهر « أبان ماه » وهو السابع من شهورهم أضافوا اليه الخمسة الأيام الباقية وجعلوه خمسة وثلاثين يوما . وتسمى الفرس هذه الأيام الخمسة « الاندركاه » . ولما لم يجز في معتقدهم كبس السنة باليوم الواحد المجتمع من الربع الباقي بعد ثلاث سنين كما تفعل القبط كانوا يؤخروه الى أن يتم منه شهر كامل في مائة وعشرين سنة فيلقونه وتسمى السنة التي يلقى فيها « بهرك » . قال المسعودي في مروج الذهب وانما أخروا ذلك الى مائة وعشرين سنة لأن الأيام عندهم منها سعود ونحوس ، فكروها أن يكبسوا في كل أربع سنين يوما وتنقل بذلك أيام النحوس ، ولا يكون الزبور أول يوم من الشهر . قلت : وعلى هذا الاصطلاح كان يجبي الخراج للخفاء وتمشى الأحوال الديوانية في بداية الأمر وعليه العمل في العراق وبلاد فارس الى الآن واعلم أن شهور اليهود وان تقدم عدتها في القميرية فقد اضطروا الى أن تكون سنهم شمسية يأتون فيها بالكبيس ؛ وذلك لأنهم أمروا في التبراة أن يكون عيد الفطر في زمن الفريك فلم يأت لهم الا بذلك

فصول السنة

وأما فصول السنة فقد جعلوها أربعة فصول :

الأول منها -- فصل الربيع . وابتدأؤه عند حلول الشمس برأس الحمل ، ومدته أحد وتسعون يوماً وربع يوم ونصف ثمن يوم وآخره عند قطعها برج الجوزاء . وهو حار رطب وفيه تنحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وتزهو الأشجار وتورق ويتبيج الحيوان للسفاد وتدوب الثلوج وتنبع العيون وتسيل الاودية وأخذت الارض زخرفها وازينت واختالت في وشيها وتبرجت للنظارة في معرض الحسن والنضارة حتى قال الوزير المغربي : لو كان الربيع شخصا لكان مقبلا ولو أن الأيام حيوان لكان لها حلياً . وكان عبدوس الخزامي يقول : من لم يتهيج بالربيع ولم يستمتع بأنواره ولا استروح بنسيم أزهاره فهو فاسد المزاج . وكانت ملوك الفرس اذا عدته استعملت ما يضاهي زرعه من البسط المنقشة والمارق المرقشة حتى اتخذوا شروان بساطا سماه بساط الربيع ورصعه بأزرق الياقوت والجواهر واصفره وأبيضه وأخضره فجعل أخضره مكان اغصان الاشجار وألوانه بموضع الزهر . وأخذ هذا البساط في وقعة القادسية وحمل الى عمر فقال : ان أمة أدت هذا الى أميرها لأمانة . والكلام في فصله وفضله يطول

الثاني -- فصل الصيف . وهو في المقدار مقدار زمن الربيع . وأوله اذا حلت الشمس برأس السرطان ؛ وآخره اذا أتت على آخر درجة من السنبلة . وطبعه حار يابس فيه يشتد الحر ويقوى الوهج . وللعرب فيه وقرات ، وهي الحرور : منها وغرة الشعرى . يقال ان الرجل يعطش بين الحوض والبر فأذا طلع سهيل ذهبت الوقرات

الثالث -- فصل الخريف . وأوله عند حلول الشمس رأس الميزان في الثامن عشر من توت ؛ وآخره اذا أتت على آخر درجة من القوس . وطبعه بارد يابس . فيه يبرد الهواء ويتغير الزمان وتنصرم الثمار ويتغير وجه الارض وتهزل البهائم وتصير الارض كأنها كهلة مدبرة ؛ الا انه ميقات الأقوات وموسم الثمار وأوان شباب الاشجار . قال ابن سبيل : كل ما يظهر في الربيع نواره ففي الخريف تجني ثماره . ومن ثم يقال فصل الخريف

ربيع النفس كما ان فصل الربيع ربيع العين . وبالغ بعضهم فضله على فصل الربيع الذى هو أحسن الفصول فقال

محاسن للخريف لهن فخر على زمن الربيع وأى فخر
به صار الزمان أمام برد يراقب نزحه وعقب حر

وناقضه آخر فقال

خذ فى التدبر فى الخريف فإنه مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الايام جرى نفاقها كصديقتها ومن الصديق يخاف

الرابع فصل الشتاء - ومدته كمدة الذى قبله . وأوله عند حلول الشمس رأس الجدى وذلك فى الثانى عشر من كيهك ، وهو اذا بقى من كانون الاول من شهور السريان ثمانية أيام ، وآخره اذا أتت الشمس على آخر درجة من الحوت . وهو بارد رطب ؛ فيه يهب الريح الدبور ، ويشتد البرد ويخشى الهواء ، ويتساقط ورق الشجر ، وتكثر الانواء ، ويظلم الجو ، ونصير الأرض كأنها عجوز هرمة قد دنامنها الموت . ومن أحسن ما قيل فيه قول بعضهم

شتاء تقاص الأشداق منه وبرد يجعل الشبان شيئا
وأرض تزلق الاقدام فيها فما تمشى بها الا ديبيا!

وذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب طريقاً آخر فقال : الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذى يتبع الشتاء ، ويأتى فيه الورد والكأمة والنور ولا يعرفون الربيع غيره . قال : والعرب تختلف فى ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف ، وبعده فصل الشتاء ، ثم فصل الصيف وهو الوقت الذى تسميه العامة الربيع ، ثم فصل القيقظ وهو الذى تسميه العامة الصيف . ومنهم من يسمي الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذى يلي الشتاء وتأتى فيه الكأمة والنور الربيع الثانى ؛ ثم قال : وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع . وفى ذلك كلام آخر لغير ابن قتيبة يطول ذكره ، ذكرته فى الاصل

❦ اعياد الامم ومواسمها ❦

وأما اعياد الامم ومواسمها فتختلف باختلافهم فى تعظيم الأزمنة وتفضيل بعضها

على بعض . والعيد ، قيل ، مأخوذ من العود لعوده في كل سنة ، وفيه نظر ؛ لأن العيد من ذوات اليباء ، والعود من ذوات الواو . ويحتاج الكاتب اليها في الأيمان وتحليف أرباب الملل والنحل على ما استتف عليه في موضعه ان شاء الله تعالى . وقد اشهر منها اعياد للأمم

﴿ اعياد المسلمين ﴾

واعلم ان الذي وردت به الشريعة وجاءت به السنة عيدان : الأول عيد الفطر وهو في اليوم الأول من شوال وسمي بذلك لوقوعه عند الفطر من صوم رمضان * الثاني عيد الاضحى - وهو في اليوم العاشر من ذى الحجة . والاضحى جمع اضحاة وهي الاضحية ؛ سمي بذلك لوقوعه في اليوم الذي يضحي فيه . والأصل فيها ما رواه أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيها ؛ فقال ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله قد بدلكم خيرا منهما ، يوم الاضحى ويوم الفطر . وأول ما بدئ به منهما عيد الفطر في سنة اثنتين من الهجرة . وقد زادت الشيعة ثالثا هو عندهم من أعظم الأعياد ، وهو عيد « الغدير » محتجين بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من حجة الوداع نزل بغدير « خم » وأخي بين الصحابة ولم يؤاخ بهن على وبين أحد منهم ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم منه انكسارا فقال : أما ترى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لابني بعدى . والتفت الى أصحابه وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه . وكان ذلك في الحادى عشر من ذى الحجة سنة عشر من الهجرة . فأتخذ الشيعة ذلك اليوم عيدا . وشعارهم فيه لبس الجديد ، وعتق العبيد ، وذبح الأغنام ، والحاق الاجانب بالأهل في الأكرام . والشعراء والمرسلون يهنتون أكابرهم بالرسائل والشعر في هذا اليوم

(أعياد القبط (١))

(اعلم ان أعياد القبط كثيرة ونحن نقتصر في هذا الفصل على المشهور منها دون غيره
ونبين أوقاتها ونشرح أسبابها وهي على قسمين : كبار وصغار : فأعيادهم الكبار سبعة
أعياد : الاول عيد البشارة) ويعنون به بشارة جبريل عليه السلام لمريم بعيسى صلوات
الله عليه . ويعملونه في التاسع والعشرين من برمهات من شهر القبط * الثاني عيد
الزيتونه وهو عيد الشعانين ، وتسميره بالعربية التسييح ؛ يعملونه في سابع أحد من
صومهم . وهم يزعمون ان المسيح عليه السلام في مثل ذلك اليوم ركب اليعفور ، وهو
الحمار ، في القدس ودخل صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه وهو يأمر
بالمعروف وينهي عن المنكر * الثالث عيد الفصح ، بكسر الفاء ، وهو عيدهم الأكبر
يعملونه يوم الفطر من صومهم ويزعمون ان المسيح عليه السلام قام فيه بعد الصلبوت
بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام في الارض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ، ثم
صعد الى السماء قاتلهم الله أنى يؤفكون * الرابع خميس الأربعين ، ويسميه الشاميون
السلاق ، وهو في يوم الثاني والأربعين من فطرم : يقولون ان المسيح عليه السلام تسلق
فيه من بين تلاميذه الى السماء بعد قيامه من الصلب ووعدهم بأرسال الفارقليط وهو
عندهم روح القدس * الخامس عيد الخميس ، ويسمونه العنصرة ، يعملونه بعد
خمسین يوماً من القيام . وهو في السادس والعشرين من بشنس ؛ ثم يقولون ان روح
القدس حل في التلاميذ فيه وتفرقت عليهم السنة الناس فتكلم كل منهم بلسان ، وذهب
كل واحد منهم الى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم الى دين المسيح * السادس الميلاد ،
وهو اليوم الذي يقولون ان المسيح عليه السلام ولد فيه بيت لحم ، وهي قرية من قرى
فلسطين . وهم يعملونه في التاسع والعشرين من كيهك من شهر القبط ؛ ويقولون انه
ولد فيه يوم الاثنين فيجعلون عشية الاحد ليلة الميلاد ، فيوقدون فيها المصابيح بالكنائس
ويزينونها * السابع عيد الغطاس ، وهو في الحادى عشر من طوبه من شهر القبط :

(١) عنوان هذا الفصل وما وضع بين أقواس من مفتحة ترك على ياض في «الضوء»

فأخذناه من «الصحح» مختصراً على طريقة المؤلف

يزعمون أن يحيى بن ذكربا عليه السلام ، وهم يسمونه يوحنا المعمدان ، غسل عيسى عليه السلام ببجيرة الأردن ؛ وأنه حين خرج من الماء ، اتصل به روح القدس على هيئة حمامة . والنصارى ينغمسون فيه في الماء ، ويغمسون فيه أولادهم على أنه يقع في شدة البرد ﴿ وأعيادهم الصغار ﴾ سبعة أيضا : أحدها الختان ، وهو في سادس بونه * والثاني الاربعون ، يعملونه في الثامن من امشير * والثالث خميس العهد وهو قبل الفصح بثلاثة أيام ، وهو الذى تسميه العامة خميس العدس * والرابع سبت النور ، وهو قبل الفصح بيوم * والخامس حد الحدود ، وهو بعد الفصح بثمانية أيام * والسادس التجلى ، وهو في الثالث عشر من مسرى * والسابع الصليب ، وهو في السابع عشر من توت قلت : ولكل واحد منها سبب . ولهم أعياد أخرى ؛ وقد ذكرت الجميع فى الاصل

﴿ أعياد اليهود ﴾

(وهى عندهم على ضربين)

﴿ الضرب الاول ﴾ — ما نطقت به التوراة بزعمهم ؛ وهى خمسة أعياد : الاول رأس السنة ، يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه عيد « رأس هيشا » أى رأس الشهر . وهو أول يوم من تشرى من شهورهم ؛ وهو منزل عندهم منزلة عيد الاضحى عندنا ؛ ويزعمون انه اليوم الذى امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده اسحاق فيه وفداه بذبح عظيم * الثانى عيد « صوماريا » ويسمونه الكيبور ، وهو عندهم الصوم العظيم الذى يقولون ان الله فرض عليهم صومه ، ومن لم يصمه منهم استحق القتل . ومدته خمس وعشرون ساعة ، اولها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرى المذكور ، ويختم بمضى ساعة بعد غروبها فى اليوم العاشر منه ؛ وربما سموه العاشور . ولا يجوز عندهم ان يكون فى يوم الاحد ، ولا يوم الثلاثاء ، ولا يوم الجمعة . ويزعمون ان الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم الا الزنا بالمحصنة ، وظلم الرجل أخاه ، وجحد ربوبية الله تعالى * الثالث عيد « المظلة » ، وهو سبعة أيام اولها خامس عشر تشرى المقدم ذكره وآخرها يسمى « عرابا » ومعناه شجر الخلاف يجلسون فيه تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون والخلاف ونحوها ؛ ويزعمون أن ذلك تذكارة منهم بنظيلهم بالعام فى التيه * الرابع عيد « الفطير »

ويسمونه الفصح، وهو في الخامس عشر من نيسان من شهرهم . ومدته سبعة أيام من حينئذ . ينظفون فيه بيوتهم من خبز الخمير ويزعمون أن هذه الايام هي التي نحي الله فيها موسى من فرعون وأغرقه ، وأنهم خرجوا بعد ذلك الى التيه فجعلوا يأكلون الخبز الفطير باللحم وهم فرحون بذلك « الخامس عيد « الاسابيع » ويسمى عيد الغنصره ، وعيد الخطاب . وهو بعد عيد الفطير بسبعة ايام وهو في السادس من « سيوان » من شهرهم ؛ ويوافق الثالث والعشرون من بشنس من شهر القبط . وهم يزعمون انه اليوم الذي خاطب الله تعالى فيه نبي اسرائيل من طور سيناء . وهم يأكلون فيه القطائف ويتفنون في عملها ، ويجعلونها بدلا من المن الذي انزل عليهم في هذا اليوم (الضرب الثاني) ما لم تنطق به التوراة - وهو عيدان : احدهما عيد « الفوز » وهو يوم النصف من « أدار » ؛ وهم يزعمون ان موسى عليه السلام ولد فيه . وهذا العيد عندهم عيد سرور وهو وخلاعة يهادون فيه ويزعمون ان محتصر لما أجلى اليهود من بيت المقدس الى عراق العجم واسكنهم اصفهان بقوا هناك الى ايام ازدشير بن بابك وكان له وزير اسمه هيمنون فهم يقتلهم في ذلك اليوم وكان الملك قد تزوج منهم فاحتالت لخلاص قومها بأن حسنت للملك قتل هيمنون فقتله ونجاهم من القتل فاتخذوا ذلك اليوم عيداً « الحنكة » وهو ثمانية أيام يوقدون في الليلة الاولى من لياليها سراجا ، وفي الثانية سراجين ، ويزيدون في كل ليلة سراجا الى آخر الثمانية . وهم يقولون ان سبب اتخاذه أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وقتك باليهود فوثب عليه ثمانية منهم فقتله اصغرههم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا سيرا فوزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة الى ثمان ليال . فاتخذوا هذه الايام عيداً سموه الحنكة ، ومعناها التنظيف ؛ لانهم نظفوا فيه الهيكل من أقدار ذلك الجبار

(أعياد الفرس)

وكان دينهم المجوسية ؛ وأعيادهم كثيرة للغاية حتى ان علي بن حمزة الاصفهاني صنف فيها كتاباً . والمشهور منها سبعة اعياد : الأول النيروز ، وهو تعريب نوروز ؛

ومعناه اليوم الجديد . وهو اول يوم من « افريدون ماه » من شهرهم وهو رأس سنتهم ؛ ويمتد عندهم الى سبعة أيام . وهم يزعمون ان سبب اتخاذه أن دينهم كان قد فسد ؛ فلما ملك « جم شاد » أحد ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس جده وأظهره ؛ فسمى اليوم الذى ملك فيه « نوروز » . وقيل ان « جم شاد » كان يخفى عنهم فأبرز لهم وجهه في هذا اليوم، وكان فائقا في الجمال، فاتخذوا يوم رؤيته عيداً . وبعض الفرس يزعم أنه اليوم الذى خلق الله فيه النور، وأنه كان معظما عندهم قبل « جم شاد » . وبعضهم يزعم أنه اليوم الذى ابتداء فيه دوران الفلك . وكانت عاداتهم رفع النار في ليلته تنويرها بذكره وإشهارا لأمره ويرشون فيه الماء فتطهر الأبدان من دخان النار الموقدة في ليلته . وقيل ان يروز بن يزدجرد أحد ملوكهم بقى سبع سنين لم تمطر في ملكه ، فأمرت في هذا اليوم، ففرح الناس بالمطر وصبوا من مائه على أبدانهم، فصار صب الماء فيه سنة عندهم في كل عام . وما أحسن قول القائل يخاطب محبوبه

كيف ابتهاجك باليروزيا سكنى وكل ما فيه يحكىنى وأحكيه
فتارة كليب النار في كبدى وتارة كتمالى عبرتى فيه

وقد كان من عاداتهم فيه ان يهادى بعضهم بعضا، ثم حسم الاسلام مادة ذلك الى زمن الحجاج بن يوسف فأحدث المهادة فيه ثم أبطل ذلك عمر بن عبد العزيز ؛ واستمر المنع الى أن فتح باب المهادة فيه احمد بن يوسف الكاتب فأهدى فيه للأموان سفظ ذهب فيه قطعة عود هندی في طوله وعرضه وكتب معه « هذا يوم جرت فيه العادة ، بأتحاف الساده » واستمر الحال فيما بعد ذلك

الثانى المهرجان - قال المسعودى : وسبب تسميته هذا الاسم انهم كانوا يسمون شهرهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى « مهر » يدبر فيهم بالعنف فمات في النصف من هذا الشهر فسمى هذا اليوم مهرجان ، ومعناه : روح مهر ذهبت . وبعضهم يقول ان مهر بالفارسية معناه : حفاظ، وجان : الروح؛ فعناه حفاظ الروح . وقيل معناه : درك النار ؛ وذلك ان افريدون أحد ملوكهم أخذ ثار جده « جم شاد » من الضحاك في ذلك اليوم فسمى بذلك . ووقوعه في السادس من « مهر ماه » من شهر الفرس، وهو في السادس والعشرين من آشرى الأول من شهر السريان، وفي التاسع والعشرين

من أييب من شهور القبط ويبقى ستة أيام ؛ والأمر في المهادة فيه على ما تقدم في النيروز الثالث : السدق - ويسمى « آبان روز » وهو في ليلة الحادى عشر من شهر « بهمن ماه » من شهور الفرس . وهم فيه يوقدون الزيران بجميع الأدهان ويلقون جميع الحبوب فيها . ويزعمون ان سبب اتخاذه ان « كيومرت » وهو الأب الأول بزعمهم لما كمل له مائة ولد زوج الذكور منهم بالأنثى ، وصنع لهم عرساً أكثر فيه من وقود الزيران ، فوافق ذلك هذه الليلة فاتخذه الفرس سنة بعده

الرابع الشركان - ومعناه رمى سهمه . وهو في الثالث والعشرين من « تيرماه » من شهور الفرس ؛ يزعمون انه لما وقع الصلح بين « منوجهر » أحد ملوك الفرس وبين « فراسياب » ملك الترك على رمية سهم من المملكة رمى سهمها فامتد السهم من جبال طبرستان الى أعلى طخارستان :

الخامس - أيام الفرو دجان - وهي خمسة أيام أولها السادس والعشرون من « آبان ماه » من شهور الفرس . ومعناه ترية الروح لأنهم كانوا يعملون فيه أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ويزعمون انها تتغذى بها

السادس - ركوب الكوسيج - وهو في أول يوم من « أدرمه » من شهور الفرس ويمتد سبعة أيام ؛ وهو عندهم عيد لهو وخلاعة . قال الزرخشرى في ربيع الأبرار : وسبب ذلك أن كوسيجا كان يشرب في هذه الأيام الدواء ويطلى بدنه فيها فغلب عليها اسمه . وسنتهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم كوسيج يأكل الاطعمة الحارة كالجوز والثوم واللحم السمين ونحوها ، ويشرب مع ذلك الشراب الاطعمة الحارة كالجوز والثوم ؛ فإذا دخل الشهر لبس غلالة سابورية وركب بقرة وأخذ على يده غراباً وأوباش الناس حوله يصبون عليه الماء ، ويضربونه بالتلج ويروحون عليه بالمراوح وهو يصيح بالفارسية « كوم ! كوم ! » اى الحر ! الحر ! وهم ينتهبون ما يجدون في الحوانيت من الأمتعة . وللسلطان عليهم أتاوة مقررة ويقون كذلك سبعة أيام فمن وجد منهم بعد عصر اليوم السابع ضرب وحبس . قال في مروج الذهب : ولا يعرف ذلك الا بالعراق وأرض العمم ؛ اما الشام والجزيرة ومصر واليمن فلا يعرفون ذلك

السابع عيد بهمنجة - وهو في يوم بهمن من شهر « بهمن ماه » وعادتهم فيه

أنهم يأكلون البهمن الأبيض باللبن الحامض على أنه ينفع الحفظ . ورؤساء خراسان يعملون فيه الدعوات على طعام يطبخون فيه كل حب ما كؤل ولحم حيوان يؤكل ويحضر معه ما يوجد في ذلك الوقت من بقل أو نبات

○ الباب الثاني من المقالة الأولى ○

(فيما يحتاج اليه الكاتب من صناعة الخط ، والمقصود من وضعه ، وذكر آياته ، وأول من وضعه ، وتوابعه من النقط والشكل والهجاء ، والفرق بين الضاد والظاء ، وذكر الورق ، ومقادير قطع الورق المستعمل بديوان الانشاء ، وما يناسب كل قطع منها من الاقلام ، ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، وقدر ما بين السطور . وفيه سبعة فصول)

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ في المقصود من وضع الخط ﴾

اعلم ان المقصود من وضعه أداء اللفظ المقصود الواقع على المعنى المطلوب وتفهمه للناظر فيه . فاذا أردت تأدية الالفاظ الى أحد الناس بغير شفاه نقشت النقوش الموضوعه لتلك الالفاظ فينظر تلك النقوش ويفهم منها معاني تلك الالفاظ . قال في مواد البيان : وبين اللفظ والخط مناسبة ظاهرة : فكما ان اللفظ فيه الجزل الفصيح الذي يستعمله مصارع العلماء ، ومفاتيح الشعراء ، والمبتدل السخيف الذي يستعمله العوام في المكاتبة والمحاطبة فكذلك الخط فيه المحرر الذي تكتب به الكتب السلطانية والامور المهمة ، وفيه المطلق المرسل الذي يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم ؛ وكما ان اللفظ يقع فيه لحن الإعراب الذي يزيل بهجته ، كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء ؛ وكما ان اللفظ اذا كان مقبولا حلوا رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس ، وان كان غثا مستكرها وضع المعنى الرفيع وبعده من القلوب كذلك الخط إذا كان جيدا حسنا بعث الأنسان على قراءة ما اودع فيه ولو كان قليل الفائدة ، وان كان ركيكا قبيحا صرفه عن تأمل ما تضمنه ولو كان جليل الفائدة . ولما اشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آتيهما : إذ آلة اللفظ اللسان ، وآلة الخط القلم ؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر في الابانة عن المعاني . الا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جعلت آله آلة طبيعية ،

والخط لما كان دليلاً صناعياً جعلت آلهة صناعية . ولما تقاسمت الآتان الدلالة نابت
احدهما مناب الأخرى ، فأوقعوا اسم اللسان على القلم فقالوا : الأ قلام أسنة الافهام .
وشركو بينهما في الاسم فقالوا : القلم احد اللسانين

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في ذكر آلات الخط)

وسميتها الجامع لها الدواة . وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال : خلق الله النون ، وهي الدواة . ووقفه ابن جرير على ابن عباس .
وهذا هو المناسب لذكر القلم في قوله تعالى : « ن ، والقلم » وان فسر بالحوت . قال
محمد بن شعيب : مثل الكتاب بغير دواة مثل من يسير الى الهيجاء بغير سلاح . وقال
عبد الله بن المبارك : من خرج من بيته بغير دواة فقد غرم على الصدقة . قال أبو القاسم
ابن عبد العزيز : وتجمع في القلعة على « دويات » وفي الكثرة على « دوى » بضم
الدال وكسرها ، و « دوايا » مثل حوايا : ورجل دوا ، بفتح الدال وتشديد الواو ،
إذا كان يبيعها كقولك عطار وبنار ؛ ويقال لمن يحملها « دأو » على وزن واد . قال
الفضل بن سهل : وينبغي ان تتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمناً كالأبنوس ، والساسم ،
والصندل . قلت : وهذا اعتماد منه على ما كان يعتاده أهل زمانه ويتعاناه أهل عصره ؛
اما الآن فقد غلب على كتاب الانشاء اتخاذ دوى النحاس الاصفر والفولاذ مدورة
الرأسين ، وتغالوا في تحسينها . والنحاس أكثر استعمالاً من الفولاذ لعزّة الفولاذ واختصاصه
بأكابر الأعيان . وصارت دوى الخشب مخصوصة بالقضاة وكتاب الحكم ومن في معناهم
وأكثر ما يتعانونه دوى الأبنوس والصندل الأحمر

قال الحسن بن وهب : وسبيل الدواة أن يكون عليها من الحلية أخف ما يكون
ويمكن ان يحلّى به الدوى في وثاقه ولطف ليأمن من أن تنكسر أو تقصم في مجلسه .
قال : وحق الحلية أن تكون ساذجة بغير حفر ولا ثنيات ليأمن من مسارعة القذى
والدنس اليها ، ولا يكون عليه نقش ولا صورة . قلت : وحق هذه الحلية مع ما ذكره
ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه بخلاف الذهب والفضة فإنه يصير حكماً يحكم

الضبة في الاناء فتحرم مع الكبر والزينة ، وتكرد مع الصغر والزينة والكبر والحاجة ، وتباح مع الصغر والحاجة من كسر ونحوه وكذلك التمويه اذا كان يحصل منه بالعرض على النار شئ على ما قرره اصحابنا الشافعية . وقد اوضحت ذلك في شرحي على جامع المختصرات ومختصر الجوامع في الفقه .

قال ابن وهب : وسبيلها ان تكون متوسطة في قدها لا بالقصيرة فتقصر أقلامها وتقبح ، ولا بالكثيفة فيثقل حملها اذ لا بد لصاحبها أن يحملها بنفسه حتى يضعها بين يدي ملكه أو أميره في أوقات مخصوصة ولا يحسن أن يتولى ذلك غيره . قال الفضل بن سهل : ويكون طولها بمقدار عظم الذراع أو فويق ذلك قليلا ليكون مناسباً لمقدار القلم . وينبغي للكاتب ان يجهد في تحسين الدواة ويجوئدها وصونها والله در المدائني حيث يقول
جود دواتك واجتهد في صونها ان الدوى خزان الكتاب

﴿ الآلات التي تشتمل عليها الدواة ﴾

ثم الدواة تشتمل على خمس عشرة آلة ، مما يحتاج اليه كاتب الانشاء :

﴿ الأولى المحبرة ﴾

بكسر الميم وفتح الباء - وهي الجونة التي تستمد منها للكتابة . قال بعض فضلاء الكتاب : وينبغي ان تكون شكلا مدور الرأس يجتمع على زوايتين قائمتين ، ولا يكون مربعا بحال ؛ لانه اذا كان مربعا تكاثف المداد في زواياه وفسد ، واذا كان مستديرا كان أبقى للمداد وأسعد في الاستمداد . قلت : وأهل العصر يجعلونها مستديرة من جانب الاستمداد ، مربعة من الجانب الذي يقابله فيجتمع ما يلقبه الاستمداد من كدر الجبر وما لعله يصل اليها من الغبار في ركني التربع ويسلم جانب الاستمداد من ذلك . ثم المحبرة تشتمل على « الليقة » وهي مأخوذة من قولهم : فلان ما يلقى كفه درهما ، أى لا يجسه ولا يمسه . سميت بذلك لامسا كها الجبر ومنعها اياه من السيلان . ويقال منه ألت الدواة ، ولقمتها : اذا جمعت فيها الليقة . قال الجاحظ : ولا تستحق اسم الليقة حتى تلاق في الدواة بالنفس ، وهو المداد . قال بعض الكتاب . وتكون من الحرير الحشن لتنتفش في المحبرة فلا تلبد فتكون أعون على الكتابة . وعلى الكاتب ان يتفقد

الليقة ويطيبها فأنها تتغير رائحتها على طول الزمن . وقد كان بعض الكتاب يطيب
دواته بأجود طيب نفسه ويقول : أنا أكتب بها اسم الله تعالى ، واسم رسوله صلى الله
عليه وسلم ، واسم امير المؤمنين ، وبما سبق القلم بغير المراد فلنحسه بألسنتنا . قال السمرى :
ويتعين على الكاتب تجديدها في كل شهر ، وأنه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة
تحرزا عن الزراب ونحوه مما يفسد الحبر . وقد نظم ذلك في أرجوزته فقال

وجدد الليقة كل شهر فشيخنا كان بهذا يعرى

لاجل ما يقع فيها من قذى فينتشى من ذلك في الخط أذى

وحكى محمد بن عمر المدائنى في كتاب « القلم والدواة » ان بعض العلماء رأى صبيا
ييصق في دواته فزجره وقال لمعلمه امنع الصبيان من مثل هذا فانهم يكتبون به كلام
الله . قال : وما روى ان ابن عباس كان ييصق في دواته فكذب ؛ أنكره البراز وقال : وضعه
عاصم بن سليمان الكودن وكان كذابا . وذكر عن أبى داود نحوه

﴿ الآلة الثانية المداد ﴾

وسمى بذلك لانه الذى يمد القلم ، أى يعينه . وقد قال تعالى « قل لو كان البحر
مدادا لكتبت ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » قال
ابن قتيبة : هو من المداد ، لامن الأمداد . ويقال : أمدته القلم في الخير مثل « وأمددناهم
بفاكهة ولحم » ، ومدته في الشر مثل « ومدله من العذاب مددا » . وقد اصطلح الكتاب
على تسمية المداد جبزا ، بكسر الحاء ، لخلوص سواده عما يخالطه : يقال فلان ناصع الحبر ،
أى اللون الخالص من كل شىء . سمي المداد بذلك لخلوص لونه في السواد ونقاؤه عما
يخالطه . قال الثورى سألت الفراء عن المداد ، لم سمي جبزا ؟ فقال : يقال للعالم حبر ، وحبر
بفتح الحاء وكسر ها ، فأرادوا : مداد حبر ، أى مداد عالم ؛ فخذفوا مداد وجعلوا مكانه
جبزا . فذكرت ذلك للأصمعى فقال : ليس هذا بشىء ، إنما هو لتأثيره : يقال على أسنانه
حبر ، اذا كثرت صفرتها حتى صارت تضرب الى السواد ، سمي جبزا لتأثيره في القرطاس .
قال المبرد : وأنا أحسب أنه سمي بذلك لان الكتب تجبر به ، أى تحسن ، أخذنا من
قولهم : جبرت الشىء تحبيرا ، أى حسنته . قال بعض العلماء : وإنما اختير للكتابة السواد

دون غيره لمضادته للون الصحيفة ، قال ، وليس شئ من الالوان يضاد صاحبه كمضادة
السواد للبياض . ولا خفاء أن الخبر أحد أركان الكتابة والله در القائل
ربع الكتابة في سواد مدادها والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم تسوى برية وعلى الكواغد رابع الاسباب
واعلم ان المداد في أصل اللغة يطلق على كل ما امددت به الليقة ليكتب به على
أى لون كان من سواد أو غيره . والمعتبر استعماله من ذلك السواد كما تقدمت الإشارة
اليه : وهو صنفان :

الصنف الاول - ما غلب عليه اسم المداد، وبه كانت كتابة الاولين . قال ابن مقلة : وأجود
المداد ما اتخذ من سخام النفط بأن يؤخذ منه ثلاثة أرطال ، فيجاء بنخله وتصفيته ، ثم يلقى
في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله ، ومن العسل رطل واحد ، ومن الملح خمسة
عشر درهما ، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما ، ومن العفص عشرة دراهم ، ولا يزال
يساط على نار لينة حتى يشخن جرمه ويصير في هيئة الطين ، ثم يترك في اناء ويرفع الى
وقت الحاجة . وذكر في الحلية أنه يحتاج مع ذلك الى الكافور لطيب رائحته ، والصبر
ليمنع وقوع الذباب فيه . ويقال ان الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب . واستحسن
احمد بن يوسف الكاتب فيه دهن بزر الفجل لرطوبته . وهذا الصنف يصلح للكتابة
في السفر لا مكان حملته في أي شئ كان لجموده

الصنف الثاني - ما غلب عليه اسم المبر وهو إما جبر دخان . أو جبر راس . فخير اندخان
هو المناسب للكاغد أى الورق . والدخان الذى أضيف اليه هذا المبر هو دخان بزر
الكنتان ونحوه . وطريق استخراجها ان يوضع منه في مسارج قدر صالح ، وتوقد تلك
المسارج ، ويجعل عايمها طاس يعلق عن النار قليلا ؛ فأذا نفذ الدهن رفع الطاس وجمع
ما فيه . وصفة صنعته أن يؤخذ من العفص الشامي رطل فيدق جريشا ، وينقع في ستة
أرطال من الماء مع قليل من الآس وهو المرسين أسبوعا ، ثم يغلى على النار حتى يصير
على النصف أو الثلثين ، ثم يصفى من مبرز ويترك ثلاثة أيام ، ثم يصفى ثانيا ويضاف لكل
رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي ، ومن الزاج التبرسي كذلك ، ثم يضاف اليه
من الدخان السابق ذكره لكل رطل من المبر ثلاث أوقية . بهد أن تسحق الدخان

بكاوة الكف بالسكر النبات، والزعفران الشعر، والزنجار حتى تجيد سحته، ولا تسحقه في صلاية ولا هاون يفسد عليك . . . قال ابن العفيف : وان جعل مكان العفص اهلياج أصفر جاء الخبر مطوسا مائلا الى الخضرة . قال ابن الوحيد : ولا بد له مع ذلك من الملح ليمنعه من التعفن ، والكافور ليحسن رائحته ويمنعه من نفوذ في الكاغد على طول الزمن . قال بعض الكتاب : ويحتاج مع ذلك الى العسل ليحفظه على طول الزمان، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه

واما الخبر الراس فهو المناسب للرق ولا دخان فيه، ولذلك يجيء بصا صا وفيه أضرار للبصر من جهة بريته؛ وإذا كتب به في الكاغد نفذ فيه على طول . وصفته أن يؤخذ من العفص الشامي رطل فيجروش، ويلقى عليه من الماء ثلاثة أرتال، ويجعل في طنجير ويوضع على النار، ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج، وعلامة نضجه ان تكتب به فتكون الكتابة حمراء، ثم يلقى عليه من الصمغ العربي ثلاث اواق، ومن الزاج أوقية، ثم يصفى ويودع في إناء جديد . ويستعمل عند الحاجة

ثم لتعلم أنه قد يستعمل في ديوان الانشاء للكتابة أشياء أخرى غير ما تقدم : أحدها ماء الذهب - ويحتاج اليه في مكاتبات الملوك العظام لقنانات الشرق ونحوهم كما سيأتي . وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب ويضرب كل عشرين أوقية منه في أوقية من شراب الليمون أو عسل النحل حتى يختلط به اختلاطا جيدا، ثم يجعل في سكرجة صيني أو نحوها، ويصب عليه قدر رطل من الماء الصافي، ويقتل فيه حتى تخالط أجزاءه أجزاء الماء ويترك حتى يرسب الذهب في أسفل السكرجة فيراق الماء عنه، ويؤخذ ما رسب فيجعل في مقلاة زجاج واسعة الأعلى ضيقة الأسفل ليجتمع فيها، ويجعل فيه قليل ليقة مع يسير من ماء الصمغ العربي ويكتب به، فأذا جف صقل بجزعة حتى تظهر صقالته، ثم يزمك بالسواد

الثاني المغرة العراقية - ويحتاج اليها في مكاتبات بعض القنانات أحيانا كما سيأتي . وهي معروفة؛ وطريقها ان تسحق بالماء على رخامة حتى تنعم، ويضاف اليها قليل من ماء الصمغ، وتجعل في مقلاة زجاج كما في الذهب ويكتب بها

﴿ الآلة الثالثة المزبر ﴾

بكسر الميم واسكان الزاى المعجمة وفتح الباء الموحدة ، وهو القلم كما قاله الجوهري وغيره . وفي حديث أبي بكر رضى الله عنه أنه دعا فى مرضه بدواة ومزبر ، سمى بذلك أخذاً من قولهم : زبرت الكتاب ، إذا أتقنت كتابته . ومنه سميت الكتب زُبْرًا قال تعالى : « وإنه لى زُبْرُ الاولين » . قال الراغب فى مجمع البلاغة : ويقال فيه أيضاً المرقم ، والمرقش . واختلف فى تسميته « قلمًا » : فقيل سمى بذلك لاستقامته كما سميت القداح أقلاماً فى قوله تعالى « اذ يلقون أقلامهم » ، والقـداح يضرب بها المثل فى الاستقامة . وقيل أخذاً من « القلام » وهو شجر رخو ؛ فلما ضارعه القلم فى الضعف سمي بذلك . والتحقيق انه انما سمي قلماً لـقـلم رأسه من حيث أنه لا يسمى قلماً حتى يبرى ، والا فهو قصبه . وقد نص اصحابنا الشافعية أنه اذا حلف لا يكتب بهذا القلم فانكسر ، ثم براه وكتب به لم يحنث . ويحكى انه قيل لأعرابي : ما القلم ؟ ففكر ساعة ثم قال : لا أدرى . فقيل له : توهمه . فقال : هو عود قلم من جوانبه كتقليم الظفر ، فسمى قلماً . وقد روى الامام احمد وابو داود والترمذى وابن أبى حاتم من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان أول ما خلق الله القلم . وأخرج الطبرى من حديث ابن عباس ان أول ما خلق الله القلم والحوت ؛ ووقفه ابن جرير على ابن عباس . وناهيك بشرفه أن الله تعالى أقسم به فقال « ن ، والقلم وما يسطرون » والله درابى الفتح البسى حيث يقول

إذا أقسم الابطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقد قال عبد الحميد الكاتب : القلم شجرة ثمرها الألفاظ . ومن كلام ابن المعتز : لم تحظ دولة بالقلم الاخرت على الدول واستغنت عن الخيل والحول . وما أحسن قول القائل

فلكم يفل الجيش وهو عمرم والبيض ماسلت من الانعام
وهبت له الآجام حين نشأ بها كرم السيول وصولة الآساد

وقد أكثر الأدباء من مدحه نظماً ونثراً ، وأوردت بعض ذلك فى الاصل ، وفيما

ذكر مقنع . ثم للقلم أوصاف لا يستغنى عن وجودها فيه نبه علمها أهل الصناعة
منها ما يرجع الى ذاته - وقد اعتبروا فيه عدة أوصاف . قال ابراهيم بن محمد الشيباني :
ينبغي للكاتب ان يتخير من أنابيب القصب أقلها عقدا ، وأكثفها لحما ، وأصلبها قشرا ،
وأعدلها استواء . وقال ابراهيم بن العباس لغلام يكتب بين يديه يعلمه الخط : ليكن
قلمك صلبا ، بين الدقة والغلظ ، ولا تكتب بقلم ملتوى ، ولا ذى شق غير مستوى .
وقال الوزير ابو على بن مقلة : خير الأقلام ما استحکم نضجه في جرمه ، ونشف ماؤه
في قشره ، وقطع بعد إلقاء بزره ، وبعد أن اصفر لحاؤه وورق شجره ، وصاب شحمه ،
وثقل حجمه ، وكان طوله من ستة عشرة اصبعاً الى اثنتي عشرة ، وامتلاؤه ما بين غلظ
السبابة الى الخنصر . وقال في موضع آخر : أحسن قدود القلم أن لا يتجاوز به الشهر بأكثر
من جلفته . وقال الشيخ عماد الدين الشيرازي : أحمد الأقلام ما توسطت حالته في
الطول والقصر والغلظ والدقة ؛ وقال في «الحلية» : اذا كانت الصحيفة لينة ينبغي ان يكون
القلم لين الأنبوب ، وفي لحمه فضل ، وفي قشره صلابة ؛ وان كانت صلبة كان يابس الأنبوب
صلبه ، ناقص الشحم ؛ لأن حاجته الى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته
اليه في الصحيفة الصلبة ؛ فرطوته ولحمه يحفظان عليه غزارة الاستمداد ، ويكفي في الصحيفة
الصلبة ما وصل اليها في القلم الصاب الخالي من المداد

ومنها ما يرجع الى برايته - يقال برت القلم ، أبريه برياً وبراية ، والقلم مبري ،
وأنا بار للقلم ، بغير همز في الجميع . قال الشاعر

يا باري القوس برياً ليس يحكمه لا تفسد القوس أعط القوس بارياً

وربما قيل : بروت ، بالواو ؛ والياء أفصح . ويقال لما سقط منه حالة البري ، برياً ،
بضم الموحدة على وزن نزالة ، وحالة ؛ ويقال في الامر : أبر قلمك . وقال ابو اسحاق
ابن حماد : لاحق لغير ميمز لصنوف البراية . ويحكى ان الضحاك كان اذا أراد ان
يبري قلماً تورى بحيث لا يراه أحد ويقول : الخط كله القلم

إذا علمت ذلك فقد قال ابراهيم بن محمد الشيباني : يجب ان يكون البري من
جهة نبات التمصة ، يعني أعلاها اذا كانت قائمة على أصلها ، فأن محل القلم من الكاتب
محل الرمح من الفارس . وقال ابو القاسم ابن شعبة : اذا أخذ القلم لبريه فأن كان

مستويا فالبراية من رأسه وهو حيث استدق ، وان كان معوجا فالبراية من أسفله لأن أسفله أقل التواء من اعلاه . قال ابن البربري : اذا بدأت بالبراية فأمسك السكين باليد اليمنى ، والانبوبة باليسرى ، وضع ابهامك اليمنى على قفا السكين ، ثم اعتمد على الانبوبة اعتمادا رقيقا . والمرجع في البراية الى أربعة أمور :

أحدها : الفتح ومقداره في الطول والتعير - قال ابن مقلة : ويجب ان يكون في القلم الصلب أكثر تعيرا ، وفي الرخو أقل ، وفي المعتدل بينهما . وصفته أن تتبدى بالسكين على الاستواء ، ثم تميل القطع الى مايلي رأس القلم ؛ ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام أو كمناقير الحمام . والى ذلك أشار الشيخ علاء الدين السمرمري في أرجوزته بقوله

وطولها كعقدة الابهام لا أعلى ولا أدنى يكون اردلا

قال ابن البواب : وكل قلم تقصر جلفته فإن الخط يجيء به اوقص . والوقص قصر العنق . ورأى عبد الحميد زغبان يكتب بقلم قصير البراية فقال : أتريدان تجود خطك ؟ قال : نعم . قال : أطل جلفه قلمك وأيمنها . قال : ففعلت ، فجاد خطي . وقال ابن العفيف : اذا طالت البرية فإنه يجيء الخط بها أخف وأضعف وأجلى ، واذا قصرت جاء الخط بها أصفى وأثقل وأقوى

الثاني : النحت - قال ابن مقلة ، وهو نوعان : نحت حواشيه ، ونحت بطنه . فأما نحت حواشيه فيجب ان يكون متساويا من جهتي السن معاً ، ولا يجعل على احدى الجهتين فيضعف سنه ؛ ويجب ان يكون جانبا مسيفين بأن يكون اعلاه ذاهبا نحو رأس القلم أكثر من أسفله فيحسن جرى المداد منه وأما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الاقلام في صلابه الشحم ورخاوته : فصلب الشحمة ينبغي أن ينحت وجهه فقط ، ثم يجعل مسطحا ، وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب ان يكتبه . والرخو يجب أن تستأصل شحمته حتى ينتهي الى الموضع الصلب من جرم القلم ، اذ متى كتبت بشحمته تشظى القلم ولم يصف جريانه . ثم الجلفه تكون على الحاء : منها ان يرهف جانب البرية ويسمن وسطها شيئا يسيرا ؛ وهذا يصلح للمبسوط والمعلق والمخفف . ومنها ما تستأصل شحمته كلها ؛ وهو يصلح للمرسل والمزوج والمفتح . ومنها

ما يرهف من جانبه الأيسر وتبقى فيه بقية في الأيمن ؛ ويصلح للطوامير وما شابهها .
ومنها ما يرهف من جانبي وسطه ويكون مكان القطعة منه معرض مما تحته ؛ ويصلح في
قلم الثلث وفروعه

الثالث : الشق - وفائدته توالي جرى القلم . قال ابن مقلة : لو كان القلم غير مشقوق
ما استمرت به الانامل ، ولا اتصل الخط للكاتب ، ولكثر الاستمداد وعدم المشق ، ولما لم
المداد الى أحد جانبي القلم على قدر فتل الكاتب له . قال : ويختلف بحسب اختلاف
القلم في صلابته ورخاوته . فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه الى مقدار ثلث الفتحة ،
والرخو يجب ان يكون شقه الى نصف الفتحة لأنه لو زاد على ذلك انفتحت سنا القلم
حال الكتابة وفسد الخط ، والصلب ينبغي ان يكون شقه الى آخر الفتحة وربما زاد على
ذلك بمقدار افراطه في الصلابة . وقال ابن مقلة : ويجب ان يكون الشق متوسطاً
لجلمة القلم غاظ أو دق . وعليه جرى أبو الحسن البواب : فقال وليكن غلظ السنين جميعاً
سواء ، قال ، ويجوز ان يكون الأيمن أغلظ من الأيسر دون العكس بكل حال .
وهذا انما يتأتى في الخطوط التي تبدأ الكتابة فيها من اليمين الى اليسار ، أما اذا
كانت آخذة من اليسار الى اليمين كالخط القبطي والرومي فإنه ينبغي ان يكون الأمر
فيه على العكس

الرابع : القط - وهو في اللغة القطع . يقال قططت القلم ، أقطه ، فأنا قاط ، وهو
مقطوط وقطيظ اذا قطعت سنه . والقط هو المقصود الاعظم من البراية وعليه مدار الكتابة .
قال الضحاك بن عجلان : من وعي كثرة اجناس القط كان مقتدرا على الخط . ثم
هو على نوعين في الجملة : محرف ومستوي .

فالمحرف هو ان يكون السن الايمن اطول من السن الايسر في الكتابة العربية
ونحوها . قال ابن العفيف : وطريق برية ان تحرف السكين في حال القط . قال : وهو
اما قائم او مصوب : فالقائم ما جعل منه ارتفاع الشحمة مثل ارتفاع القشرة ؛ والمصوب
ما كان القشر فيه أعلى من الشحم . ثم قال : وكان بعض من لا يعتمد به يقط القلم على
ضد ذلك فيجعل الشحم هو المشرف على ظاهره فكان خطه لا يجي الا رديئاً
والمستوي ما تساوى سناه . قال ابن مقلة : وأجودهما المحرف . قال ابن العفيف :

واجود المحرف المعتدل التحريف ، وأشد القطاط المستوية ، لان المستوى أقل نصرفاً من المحرف . قال ابن مقلة : واذا عزمتم على القط فاضجع السكين قليلا ولا تنصبها نصبا . يريد بذلك ان تكون القطعة مائلة الى التحريف . قال ابن العفيف والرقاع والتواقيع أميل الى التدوير من قطعة مربعة ، والنسخ والمحقق والمشرع أميل الى التحريف والمحقق أكثر تحريفاً منهما . قال ابن الوحيد : وقطة الريحان أشد القطاط تحريفاً ، وقطة الرقاع أقلها تحريفاً واعلم أن ابن العفيف قد ذكر للقلم وجهاً وصدرًا وعرضًا وحرفًا : فوجهه حيث تضع السكين وأنت تريد قطه وهو ما يلي شحمة القلم ، وصدره ما يلي قشرته ، وعرضه نزولك به على تحريفه ، وحرفه هو السن اليمنى المرتفعة . ثم اعلم ان رؤوس الاقلام تختلف باختلاف الأ قلام التي جرى الاصطلاح عليها بين الكتاب وأعضائها مساحة في العرض قلم الطومار . وهو قلم كان الخلفاء يعلمون به في المكائبات وغيرها ، قال في منهاج الاصابة : وصفته ان يتخذ من لب الجريد الاخضر ، ويؤخذ منه من اعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأصابع ليتمكن الكاتب من امساكه . قال : ويتخذ ايضا من القصب الفارسي ، ولا بد فيه من ثلاثة شقوق لتسهيل الكتابة به ويجري المداد فيه . قلت : والذي استقر عليه الحال الآن انه ينتقى من البوص الابيض من جزائر الصعيد ما فيه غلظ ، ويحمل الى ديوان الانشاء ، فيتخذ منه اقلام السلطان التي يكتب بها . وقد قدروا مساحة عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرزون معترضات . وهو أصل لما دونه من الأ قلام : فقلم الثلثين مقدر بست عشرة شعرة ، وقلم النصف بقدر اثنتي عشرة شعرة ، وقلم الثلث بقدر ثمان شعرات ، وخفيف الثلث دون ذلك قليلا . ودون ذلك قلم يسمى مختصر الطومار به تكتب عهود السلاطين بالديار المصرية والكتب التي تكتب عن السلطان الى قانات الشرق كصاحب الرأي ونحوه ، وبه يعلم النواب والوزراء ومن ضاهاهم على المراسيم ونحوها ، ومساحته ما بين الكامل والثلثين . قال ابن مقلة : وينبغي للكاتب ان يكون في دواته من الأ قلام بعدد ما يؤثر الكتابة به يعني من الثلث والتوقيعات والرقاع وغيرها

﴿ الآلة الرابعة المدية ﴾

قال الجاحظ : تقال بضم الميم وفتحها وكسرهما ؛ وتجمع على مدى . وسميت مدية لأنها تقطع مدى الأجل بالذبح . وتسمى السكين أيضاً ، بكسر السين ، وسميت بذلك لأنها تسكن حركة الحيوان بالذبح ؛ وهي تذكر وتؤنث ، تقول هذا سكين ، وهذه سكين . قال الكسائي : ومن أنث أراد المدية . وربما قيل ، سكينته ، وهو قليل ؛ وتجمع على سكاكين . قال بعض الكتاب : هي مسن الاقلام تستحدها اذا كتبت ، وتطلقها اذا وقفت ، وتلمها اذا تشعثت . فتجب المبالغة في سقيها وإحداها لتمكن من البرى فيصفو جوهر القلم ولا يتشظى قطعه . ولا ينبغي ان تستعملها في غير البراية لئلا تكل وتفسد . قال ابن مقلة : واستحد السكين حدا ، وتكن ماضية جداً ، فأما اذا كانت كالة جاء الخط رديئاً مضطرباً . وما أحسن قول القائل على لسانها

انا في السلم خادم لداواة ويحدي تقوم الاقلام

قال صاحب كتاب القلم والدواة : وينبغي ان تكون لطيفة القد معتدلة الحد . ولا عيب في حملها في الكم والخنف بل قد عد بعضهم حملها في الخنف من المروءة . قال ابن العفيف : ورأيت والدي وجماعة من الكتاب يستحسنون العقابية ، وهي التي صدرها أعرض من أسفلها

﴿ الآلة الخامسة المتقط ﴾

قال الجوهرى هو بكسر الميم ، الا انه قال مقطعة بالتأنيث . ويتعين فيه ان يكون املس صلباً غير مثلم ولا خشن لئلا يتشظى القلم . قال ابن العفيف : وينبغي ان يتخذ من الآبنوس والعاج ونحوهما ، ويكون مسطح الوجه الذى يقط عليه ، ولا يكون مستديراً لئلا يتشظى القلم ، وربما هلمت القطة فتأني الأدارات والتشبهيرات في الخط غير جيدة . قلت : وينبغي ان لا يكون مع ذلك مانعاً كالحديد والنحاس ونحوهما ، فان ذلك مما يفسد السكين ، فلا تجيء معه القطة سالحة

﴿ الآلة السادسة المسن ﴾

هو بكسر الميم وفتح السين . وهو آلة تتخذ لأحداد السكين من حجارة صلبة أحسنها الرومي ، وهو أكلب اللون ؛ وبلية الأخضر ، وهو حجازى وقوصى ؛ والحجازى أفضلها

﴿ الآلة السابعة الملزم ﴾

بكسر الميم وسكون اللام وفتح الزاي ؛ ويقال الملزمة بالتأنيث . وهي آلة ذات دفتين يلتقيان على رأس الدرج حالة الكتابة، ويحبسان بحبس ليمعنا الدرج من الرجوع على الكاتب بالريح . وتتخذ من النحاس ونحوه . وأصل ذلك منقول عن الملزم الذي يكون مع الصياقلة والأبارين . قال الجوهرى وهو خشبتان تشداً وسطهما بحديدة

﴿ الآلة الثامنة المسححة ﴾

بكسر الميم الاولى وسكون الثانية، وهي آلة تتخذ من خرق متراكبة ذات وجهين يكونان من صوف أو حرير أو غيرهما من نفيس القماش، يمسح القلم بياطها في تلك الخرق عند الفراغ من الكتابة لتلا يجف عليه الحبر فيفسد ؛ وتسمى الدقتر ايضاً . والغالب في هذه الآلة أن تكون مدورة الشكل ، مخزومة من وسطها، وربما كانت مستطيلة؛ وتكون سعتها على قدر سعة الدواة . وما أحسن قول المولى زين الدين شافع الكاتب فيها
ومسححة تناهى الجسن فيها فأضحت في الملاحاة لاتبارى
ولا نسكر على القلم الموائى اذا في وصلها خلع العذارا

﴿ الآلة التاسعة المسقاة ﴾

بكسر الميم ؛ وهي آلة لطيفة تتخذ لسقى المحبرة الماء ، وربما سميت « الماوردية » أيضاً، لان الغالب ان يجعل في المحبرة الماورد عوضاً عن الماء لتطيب ريحها . وتكون هذه الآلة من الخلزون الصغير المستخرج من البحر الملح ؛ وربما كانت من نحاس ونحوه

﴿ الآلة العاشرة الملوقة ﴾

بكسر الميم . وهي آلة مستديرة عريضة الرأس تلاق بها الدواة ، أى تحرك بها الليفة . قال بعض الكتاب : والأحسن ان يكون من الآبنوس لتلا يغيره لون المداد . وربما كانت من نحاس ونحوه

﴿ الآلة الحادية عشرة المقامة ﴾

بكسر الميم . وهي الجونة التي تكون فيها الاقلام ونحوها من آلات الدواة ؛ وربما كانت من جلد منقوش تجعل فيها الاقلام خارج الدواة . قال بعض الكتاب : وينبغي

ان لا تقصر جدا لثلا تقصر الاقلام بقصرها

﴿ الآلة الثانية عشرة المفرش ﴾

بكسر الميم؛ ويقال المفرشة بالتأنيث وهي الفرش الذي يفرش في باطن الدواة تحت الاقلام وما معها. وتكون من حرير أو صوف أو غيرها على حسب تكوين الدواة

﴿ الآلة الثالثة عشرة المرملة ﴾

بكسر الميم الاولى، وفتح الثانية. وهي الظرف الذي يجعل فيه الرمل، ويكون من جنس الدواة ان كانت الدواة نحاسا، او من النحاس وغيره ان كانت خشبا، على حسب ما يختاره ربه. ومحملها من الدواة ما يلي الكاتب مما بين المحبرة وباطن الدواة، مما يقابل المنشأة الآتية ذكرها. ويكون في فيها شبك يمنع من وصول الرمل الخشن الى باطنها؛ وربما اتخذت مرملة أخرى اكبر منها تكون في باطن الدواة، لاحتمال ان تضيق تلك عن الكفاية بصغرها. وأر باب الرياسة من الوزراء والامراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب جوزة الهند، لها عنق في أعلاها، يكون في الغالب من جنس الدواة من نحاس أو غيره. ومما ألفز فيها القماضي شهاب الدين بن بذت الأعر

ظريفة الشكل والتمثال قد صنعت تحكي العروس ولكن ليس تغتم
كأنها من ذوى الالباب خاشعة تبكي الدماء على ماسطر القلم
وتسمى المتربة أيضا، أخذاً من التراب، اذ الاصل في الكتب التريب. وفيها يقول
الوجيه المنلوى

يامادحا أمرا ولم يأتها ولم ينل منه ولا جربه

لا تغبط الكاتب في حاله فإنه المسكين ذو المتربة

وقد اختار الكتاب لذلك الرمل الاحمر دون غيره، لانه يكسو الخط الاسود من البهجة مالا يكسوه غيره من انواع الرمل؛ وربما رمل بالاصفر ونحوه

﴿ الآلة الرابعة عشرة المنشأة ﴾

وهي الظرف الذي يجعل فيه النشا الذي يوصل به الورق. ويختم به الجواب، وحالها كحال المرملة في الهيئة والمحل من الدواة؛ الا انه لاشباك في فيها، بل تكون مفتوحة الغم

لأخراج اللصاق منها؛ وربما فتحت من أسفلها واستغنى بذلك عن فتح أعلاها؛ وربما أخذ بعض الكتاب منشأة أخرى في باطن الدواة من نحاس مرصعة الباطن على هيئة حق لطيف ليسهل تناول النشا منها . وللصاق الذي يجعل فيها يكون من النشا المطبوخ الكثيف وربما جعل من «الكثيرا» المبلولة بالماء . قال في مواد البيان : و يكون من الصمغ أيضاً

(الآلة الخامسة عشرة المقص)

بكسر الميم، وهو معروف . ويسمى الجلم، بفتح الجيم واللام، ويحتاج إليه الكاتب في قص الورق للسهولة ونحوها . ويتعين أن يكون لطيفاً بحيث يدخل في باطن الدواة مع بقية آلاتها

﴿ آلات أخرى ﴾

قلت : وقد زيد على هذه الخمس عشرة آلة خمس آلات أخرى من آلات الدواة اول كل منها ميم مما لا يحتاج إليه كاتب الانشاء .
احدها المنفذ، بكسر الميم وفتح الفاء و بالذال المعجمة . وهي آلة تشبه الخرز وتتخذ لخرز الورق . وأكثر ما يحتاج لهذه الآلة كتاب الاموال الثانية الخيط . وهو ما يخاط به الورق عند الحاجة الى ذلك . الثالثة الملف . وهو ما يلف عليه الخيط الذي يحزم به الدقتر . الرابعة المسطرة . وهي التي يسطر بها الورق للكتابة او للتذهيب . الخامسة المصقلة . وهي التي يصقل بها الورق لازالة ما فيه من الخشونة . أو بصقل بها الذهب بعد الكتابة لتظهر بهجته واذا ضمت هذه الخمس الى الخمس عشرة السابقة صارت عشرين آلة، اول كل منها ميم

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في اول من وضع الخط ومن هو واضع الخط العربي ومن نقله عن الكوفي الى ما هو عليه الآن)

اما اول من وضع الخطوط في الجملة فيروى أن آدم عليه السلام كتبها في طين وطبخه قبل موته بثلاثمائة سنة، فلما أظلم الارض الفرق أصاب كل قوم كتابتهم وقيل : أول من وضعها أخنوخ، وهو ادريس عليه السلام . وذكر أبو عمرو الداني في كتابه التنبيه

على نقط المصاحف أنها أنزلت على هود عليه السلام . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من برلان، وبولان قبيلة من طيء ، كانوا نزولاً بمدينة الانبار؛ وهم مرار بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جذرة : اجتمعوا فوضعوا حروفاً مفصولة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية . فرار وضع الصور، وأسلم فصل ووصل ، وعامر وضع الإعجام . ثم نقل ذلك الى مكة وتعلمه من تعلمه، وكثر في الناس وتداولوه . وحكى الجوهري أن أول من وضعه رجال من طيء منهم مرار بن مرة ، وأنشد عليه

تعلمت باجاد وآل مرائر وسودت اثوابي ولست بكاتب
ثم قال : وإنما قالوا آل مرار ، لأنه كان قد سمي كل واحد من اولاده بكلمة من « أبي جاد » ، وهم ثمانية . وقيل أول من وضعه ستة أشخاص من طسم من العرب البائدة، كانوا نزولاً عند عدنان بن أدد، وكانت أسماءهم : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلن وسعفس ، وقرشت . فوضعوا الخط على أسماءهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسماءهم ألحقوها بها ، وسموها « الروادف » وهي : تخذ ، ضفغ . وقيل أول من وضعه نفيس ، ونصر ، وتيم ، ودومة ، بنو اسماعيل عليه السلام : وضعوها سطرًا واحدًا ، موصول الحروف ثم فرقها بعد ذلك نبت ، وهيمسح ، وقيدار ، وجعلوا الاشباه والنظائر . وقيل أول من وضعه حير بن سبا : علمه في المنام ؛ وأتهم كانوا قبل ذلك يكتبون بالسند ، سمي بذلك لأنهم كانوا يسندونه الى هود عليه السلام . قال السهيلي في « التعريف والاعلام » : والأصح مارويناه من طريق ابن عبد البر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول من كتب بالعربية اسماعيل . ثم قيل أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قبل ابى سفيان ابن أمية عم ابى سفيان بن حرب ، وهو تعلمها من قبل رجل من الحيرة ، وأهل الحيرة تعلموها من أهل الانبار . ويروى أنه قيل لابن عباس : من أين تعلمتم الهجاء والكتابة ؟ قال من حرب بن أمية . قيل : ومن أين علمه حرب بن أمية ؟ قال من طاري طراً علينا من اليمن . قيل : ومن أين علمه ذلك الطاري ؟ قال : من كاتب الوحي لهود عليه السلام . ولما تعلمه حرب بن أمية تعلمه منه ابنة ابوسفيان بن حرب ، ثم تعلمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعته من قریش ، وتعلمه معاوية بن أبى سفيان من عمه سفيان . اما أهل

المدينة فكانت الكتابة العربية قليلا فيهم . وكان يهودى من يهود ماسكة تعلمها فكان يعلمها الصبيان فجاء الاسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبى بن كعب، وزهد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عدي، وأبو عبس بن كثير، وسعد بن الربيع، وأوس بن خولى، وبشير بن سعد . قال صاحب «الابحاث الجميلة» والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنه استنبطت الاقلام التي هي الآن . وذكر ابن الحسين في كتاب «قلم الثلث» أن الخط الكوفي فيه عدة أقلام مرجعها الى أصلين هما التقوير والبسط . فالمقرر هو المعبر عنه الآن باللين، وهو الذى تكون عراقاته منخفضة الى أسفل؛ والمبسوط هو المعبر عنه الآن باليابس . وعلى هذين الاصلين رتبنا الاقلام الموجودة الآن

وأما أول من نقله من الكوفي الى مبادئ ما هو عليه الآن، فقد ذكر صاحب «اعانة المنشى» أن أول ما نقل الخط العربي من الكوفي الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن فى أواخر دولة نبي أمية وأوائل الدولة العباسية . قال فى صناعة الكتاب : ويقال ان جودة الخط انتهت الى رجاين من اهل الشام هما الضحاك، واسحاق بن حماد، وكانا يخطان «الجميل» قال فى اعانة المنشى : وكان الضحاك فى خلافة السفاح، واسحاق بن حماد فى خلافة المنصور والمهدى . قال النحاس ثم أخذ ابراهيم الشحرى عن اسحاق بن حماد «الجميل» واخترع منه قلما أخف منه سماه «قلم الثلثين» وكان أخط اهل دهره به، ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه «قلم الثلث» . قال صاحب الابحاث الجميلة وأخذ يوسف اخو ابراهيم الشحرى القلم الجميل عن اسحاق أيضا . واخترع منه قلما ارق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذو الرباستين الفضل بن سهل وزير المأمون وأمر أن يجرر الكتب السلطانية به ولا يكتب بغيره، وسماه «قلم الرباسى» قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات . قال النحاس : ثم أخذ عن ابراهيم الشحرى الأحول «الثلثين» وقلم «الثلث» واخترع منهما قلما سماه «قلم النصف»، وقلما أخف من الثلث سماه «خفيف الثلث» ، وقلما متصل الحروف ليس فى حروفه شيء منفصل عن غيره سماه «المسلسل» ، وقلما سماه «غبار الحلية» وقلما سماه «قلم المؤامرات» وقلما سماه «قلم القصص» وقلما مقصوعا سماه «القلم الجوائمي» . قال : وكان خطه يوصف

بالبهجة والحسن من غير احكام ولا اتقان . وكان عجيب البرى للقلم . وكان وجه النعجة
 مقدهما في الجليل ، وكان محمد بن معدان ، يعني العروف بأبي ذرجان ، مقدهما في خط النصف وكان
 قلمه مستوى السنين ، وكان يشق الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف ويعطف
 مثل يا ويصل كل ياء من يساره الى يمينه بعرض النصف لا يرى فيه اضطراب وكان
 احمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجمل الكتاب خطا في الثلث وكان ابن
 الزيات يعجبه خطه ولا يكتب بين يديه غيره . وانتهت رياسة الخط بمصر في زمن ابن
 طولون الى طبطب المحر جودة واحكاما . قال في صناعة الكتاب وكان أهل مدينة
 السلام يحسدون أهل مصر عليه ، وعلى « ابن عبد كان » كاتب الانشاء ويقولون بمصر كاتب
 ومحمر ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلها . قلت : ثم انتهت جودة الخط ومحمره على
 رأس الثلاثمائة الى الوزير أبي علي بن مقله وأخيه أبي عبد الله . قال صاحب اعانة المنشى :
 وولدا طريقة اخترعها ؛ وكتب في زمانها جماعة فلم يقار بوهما وتفرد أبو عبد الله بالنسخ
 والوزير أبو علي بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذى هندس الحروف وأجاد
 تحريرها وعنه انتشر الخط في مشارق الارض ومغارها . ثم أخذ عن ابن مقله محمد بن
 السمساني ومحمد بن أسد وعنهما أخذ الاستاذ أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن
 البواب وهو الذى أكل قواعد الخط وتممها واخترع عدة أقلام واستقرت الاقلام
 الاصول على خمسة أقلام وهي الثلث ، والوقاع والتوقيعات والنسخ والمخفف وعنها تفرعت
 سائر الاقلام من الغبار والشعر والمنشور والحواشى وغيرها . ومن أخذ عن ابن البواب
 محمد بن عبد الملك ، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشيخة المحدثه الكاتبة زينب الملقبة
 بشهدة بنت الابرى ، وعنها أخذ أمين الدين ياقوت ، وعنه أخذ الولي العجمي ، وعليه كتب
 العفيف ، وعنه أخذ ولده الشيخ عماد الدين ، وعنه أخذ الشيخ شمس الدين بن أبي
 رقية محتسب الفسطاط وهو ممن عاصره ، وعنه أخذ الشيخ شمس الدين الزفتاوى
 المكتب بالفسطاط عنه تليقنا

﴿ الكلام في هذا الفن ﴾

اعلم ان الحروف التي تتركب منها الكلام العربي يسديها سيويه والحليل بحروف

العربية ، بمعنى حروف اللغة العربية ؛ وتسمى حروف الهجاء حروف الهجاء ، لان تمهجي الكلام يقع عليها ، وتسمى أيضا حروف المعجم اما لانها مقطعة لا تفهم الا بأضافة بعضها الى بعض اولاً أعجم بعضها بالنقط أخذنا من قولهم اعجمت الشيء اذا بينته فكأنها مبنية للكلام ثم لاختفاء انها تسعة وعشرون حرفا يسقط منها « اللام ألف » من حيث انها مركبة من حرفين : الألف واللام ، تصير ثمانية وعشرين حرفا . قال علماء الحرف وجعلت ثمانية وعشرين على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين . ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الارض اربع عشرة منزلة ويغيب تحت الارض اربع عشرة منزلة ، كانت هذه الحروف منها ما يظهر مع لام التعريف اربعة عشر حرفا بعدد المنازل الظاهرة ، وهي الألف ، والباء ، الموحدة ، والحاء ، المهملة ، والحاء ، المعجمة ، والعين ، المهملة ، والغين ، المعجمة ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والهاء ، والواو ، والياء ، آخر الحروف تقول الألف ، والباء ، والحاء ، فتظهر اللام في لفظك ، وكذلك في البواقي . وما يندغم منها اربعة عشر حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة وهي التاء ، المثناة فوق ، والتاء ، المثناة ، والدال ، المهملة ، والذال ، المعجمة ، والراء ، المهملة ، والزاي ، المعجمة ، والطاء ، المهملة ، والظاء ، المعجمة ، والسين ، المهملة ، والشين ، المعجمة ، والصاد ، المهملة ، والضاد ، المعجمة ، والنون : تقول التاء ، والتاء ، والذال ، فتخفي الالف في لفظك وكذلك البواقي

ثم ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ، ومزدوج . وفي كل من الضربين اختلاف بين اهل المشرق وأهل المغرب . فالمفرد يبدأ فيه اهل المشرق بالألف ، ثم الباء ، ثم التاء ، ثم التاء ، ثم الجيم ، ثم الحاء ، ثم الحاء ، ثم الدال ، ثم الدال ، ثم الراء ، ثم الزاي ، ثم السين ، ثم الشين ، ثم الصاد ، ثم الضاد ، ثم الطاء ، ثم الظاء ، ثم العين ، ثم الغين ، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم الكاف ، ثم اللام ، ثم الميم ، ثم النون ، ثم الهاء ، ثم الواو ، ثم اللام ألف ، ثم الياء على ما هو معلوم . وأهل المغرب يرتبونه على هذا الترتيب الى الزاي ، فيجعلون بعدها الطاء ، ثم الظاء ، ثم الكاف ، ثم اللام ، ثم الميم ، ثم النون ، ثم الصاد ، ثم الضاد ، ثم العين ، ثم الغين ، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم السين ، ثم الشين ، ثم الهاء ، ثم الواو ، ثم اللام ألف ، ثم الياء . والمزدوج اهل المشرق يرتبونه على هذا الترتيب : أجد ، هوز ، حطى ، كلن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضطغ ، وأهل المغرب يرتبونه

على هذا الترتيب الى، كلن، فيقولون: سعض قرشت ثمخذ ظغش (هكذا)
ثم اعلم ان تحسين الخط مطلوب للكاتب لا يجوز له اغفاله اذ هو من احسن
صفات الكاتب التي ترفع قدره عند الناس، وتكون وسيلة الى نجاح مقاصده وبلوغ
ماربه. وقد قال امير المؤمنين على رضى الله عنه: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا. وقال
بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد، فاذا كان الانسان وسيا جسيما حسن الهيئة كان
في العيون اعظم وفي النفوس أفخم، واذا كان على ضد ذلك سئمه النفوس ومجته القلوب
فكذلك الخط: اذا كان حسن الوصف، مريح الرصف، مفتوح العيون، امس المتون، كثير
الاتلاف، قليل الاختلاف، هشت اليه النفوس واشتهته الارواح، حتى ان الانسان ليقراه
وان كان فيه كلام دنى؛ واذا كان قبيحا مجته الافهام، ورفضته العيون والافكار وان
كان فيه من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها. قال في مواد البيان: ولما كان
لخط قسما للفظ، في امتنان الله تعالى بتعليمه على الانسان، وجب على الكاتب ان يعنى
بأمر الخط، ويراعى من تجويده وتصحيحه ما يراعى من ترتيب اللفظ وتنقيحه، ليدل
على سرعته وسهولته كما يدل اللفظ البليغ البين؛ لان الخط وان كان على الاطلاق في المنزلة التي
لا تساوى من الشرف فأنما تحصل فضائله للجيد منه كما ان النطق وان كان من الشرف
في هذا الحد فأنما تتحصل فضائله التامة لنطق البليغ اللسن، دون منطق الغبي الالكن،
وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الاطلاق انما يحصل فضائلها لله في دار المبتدى
اذا علمت ذلك فاعلم ان لاكتابة قوانين يجب اعتبارها:

﴿ كيفية امسك القلم ﴾ -- قال ابن مقلة: يجب ان تكون أطراف الاصابع الثلاثة:
السيابة، والوسطى والابهام على القلم. قال ابن العفيف، وتكون الأصابع مبسوطة غير
مقبوضة، ليتمكن من ادارة القلم؛ ولا يتكبي على القلم الاتكاء الشديد المضعف له، ولا
يمسكه الامسك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط، لكن يكون اعتماده في ذلك اعتمادا
معتدلا. وقال حنون: اذا اراد ان يكتب أخذ القلم واتكأ على الخنصر، واعتمد سائر
اصابعه على القلم، ويعمل الابهام في دورانه وتحريره. قال ابن مقلة: ويكون امساكه فويق
الفتح بمقدار عرض شعيرتين او ثلاث، وتكون أطراف الأصابع متساوية حول القلم لا تفضل
احدها عن الاخرى. قال ابن العفيف: وعلى حسب تمكن الكاتب من ادارة قلمه

وسرعة يده في الدوران يكون صفاء جوهر حروفه
 ﴿ كيفية الاستمداد ﴾ وهو أصل عظيم من أصول الكتابة . قال ابن العفيف
 وإذا مد الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة امساكه له حين الكتابة ، ولا يديره
 للاستمداد ، لان أحسن المذاهب فيه أن يكون وضعه في يد الكاتب على صورة وضعه في
 الكتابة ؛ ويحرك رأس القلم من باطن يده الى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من
 الاصابع ، ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة في نقل نصبة الاصابع في كل مرة . قال : وهذا
 من أكبر ما يحتاج اليه الكاتب ، وعليه مدار جودته ؛ وقلما يدرك علم هذا الفصل الا
 العالم الحاذق بهندسة الخط مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية . قال المقر العلاءي
 ابن فضل الله : وينبغي ان لا يكثر الاستمداد ، بل يمد مدا معتدلا ، ولا يحرك اللقمة من
 مكانها ، ولا يرد القلم الى اللقمة حتى يستوعب ما فيه من المداد ، ولا يدخل منه الدواة
 الا الى حد شقه ، ولا يجاوزه الى آخر الفتحة ليأمن تسويد أنامله وليس ذلك من خصال
 الكتاب . قال ابن مقلة : ويجب ان يكون اول ما يضع من القلم على الدرج موضع القطعة
 منكباً . قال محمد ابن عمر المدائني : ويستحب للكاتب اذا فكر في حاجة ان يضع القلم
 على أذنه . ويساق بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية : اذا كنت كاتباً
 فضع القلم على أذنك ، فإنه أذكرك والمعملى . وأنه قال لزيد بن ثابت رضى الله
 عنه : ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك .

﴿ حسن التشكيل ﴾ - قال ابن مقلة : وتحتاج الحروف في تصحيح اشكلها
 الى خمسة أشياء :

الاول التوفية - وهو أن يوفي كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي تركب
 منها من مقوس ، ومنحن ، ومنسطح ، الثاني الاتمام - وهو أن يعطى كل حرف قسمته من
 الاقدار التي يجب ان يكون عليها من طول ، او قصر ، أو دقة ، أو غلظه الثالث الاكمال -
 وهو أن يوفي كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي ان يكون عليها من انتصاب ، وتسطيح
 وانكباب ، واستلقاء ، وتقويس ، الرابع الاشباع - وهو ان يوفي كل خط حظه من صدر
 القلم حتى يتساوي به فلا يكون بعض اجزائه أدق من بعض ، ولا أغاظ ، الا فيما يجب
 ان يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة على خلاف باقيه مثل الألف

والراء ونحوهما هـ الخامس الارسال - وهو ان يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه

﴿ حسن الوضع ﴾ قال ابن مقلة : ويحتاج الى تصحيح اربعة اشياء : الاول الترتيب - وهو فصل كل حرف متصل الى حرف هـ الثاني التأليف - وهو جمع كل حرف غير متصل الى غيره على افضل ما ينبغي ويحسن هـ الثالث التسطير - وهو اضافة الكلمة الى الكلمة حتى تصير سطرا منتظما الوضع كالمسطرة هـ الرابع التتصیل - وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة

﴿ معرفة مواقع المدات ﴾ قال في مواد البيان : والمدات في الخط تستعمل لأمريين : أحدهما انها تحسن الخط وتفخمه في مكان كما يحسن مد الصوت اللفظ ويفخمه في مكان هـ الثاني أنه ربما أوقعت ليم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر، لان السطر ربما ضاق عن كلمتين وفضل عن كلمة فتمد التي تقع في آخر السطر لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه . وقال ابن العفيف : مواضع المدات أو آخر السطور ، ويكره إذا كانت في وسطها ، قال ، ويجوز ان تكون في أول السطر اذا كانت سيدنا مدغمة . قال في مواد البيان : ويجب على الكاتب أن يعرف أحكامها للتأليف بها في غير المواضع الثلاثة ، فيشتبه الحرف بغيره ويفسد المعنى ، مثل ان يقع المد في متعلم بين الميم والتاء فيشتبه بمستعلم ، أو يقع المد في متعلم بين الميم والتاء فيشتبه بمستسلم ؛ ثم قال : فالكلمة الأصلية اسما كانت أو فعلا أو حرفا لا تخرج عن اربعة اصناف : ثنائية ، وثلاثية ، ورباعية ، وخماسية . فالثنائية نحو يد ، وصر ، وسر ، وشر ، وظل ، وظل ، وما أشبه ذلك من الاسماء ، وقل ، وكل ، وقم ، وعد ، ونم ، وسر ، وما أشبهها من الافعال ، وهل ، وبل ، وقط ، وقد ، ومن ، وعن ، ولو ، ولم ، وما يجري مجراها من الحروف ؛ فلا يحسن المد في شئ منها الا في سر وشر من الاسماء ، وسر من الأفعال ، لأن السين والشين وان كان كل منهما حرفا على حياله في صورة ثلاثة أحرف ، قال ، وقد يحسن في نحو ظل وظل في بعض المواضع . أما الحروف فإنه لا يحسن المد في شئ منها . وحكي صاحب منهاج الاصابة ان بعض الكتاب كان يمد في أواخر السطور مثل : ما ، وهل ، وعن . ثم حكى عن ابن تلويف أن ذلك لا يجوز في أول سطر ، ولا

في آخره * والثلاثية مثل: بيع، وقطع . قال في مواد البيان: والمد فيها على الاكثر قبيح، لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين؛ على أن منها ما يسامح في مده للضرورة كما اذا وقع في آخر سطر يحتاج الى التتميم فيمد كبيع وقطع ونحوهما . وعلى ذلك جرى في منهاج الأصابة ثم قال: ويجوز أن تمد اذا كان ثائها الفاء أو لاماً . قال ابن العفيف: وكان والذى رحمه الله يمد في الكلمة الثلاثية اذا كان أولها ابيم وأختيها، والطاء، والظاء، والعين، والغين، قال في مواد البيان: وينبغي اذا مد أن يقدم الحرفين الأولين ويوقع المدة بينهما وبين الثالث؛ أما متى، وفتى، وعسى، ونحوها فأنها لا تحتمل مداً بحال * والرباعية مثل محمد وجعفر . قال ابن خلوف: والمد فيه جائز؛ بل هو أحسن من القصر . قال في مواد البيان: ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الرابع، ولا بالعكس؛ بل يوقع المد بين الجرتين الأوليين والجرتين الأخيرتين فقط؛ على أن منها ما لا يحسن المد فيه مثل ثعاب، وعنبر، وقبر، ونحوها * والخماسية نحو: مشتمل، ومستقل، ومسيطر، ومهيمن . وقد اختلف فيها: فذهب صاحب مواد البيان الى منع المد فيها لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين، فيمتنع المد فيها كما في الثلاثية؛ وذهب ابن خلوف الى لزوم المد فيها . ثم اذا مد، فالذى في مواد البيان انه لا يحسن ان يقدم حرفين ويوقع المد بينهما وبين الثلاثة الأخرى . قال في مواد البيان: ويصح المد فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولاً بضمير كناية، مثل كلمته، وعلمته وفيه، ومنه، وعليه، واليه، اذا وقعت المدة بين تمام الكلمة والضمير؛ قال ومشق السين يحسن الخط في بعض المواضع . ويقبح اذا وقعت طرفاً نحو مشق السين من القياس، وأقبح من ذلك مشقها اذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدمها نحو أنس، وعانس؛ واذا توالى سينان، أو سين وشين، فالأحسن ان يفصل بينهما في الخط المحرر بمدة لطيفة نحو مسست، وعششت، ورششت . قال ابن خلوف: ومن الحروف ما لا يحسن المد بعده اذا كان مبتدأ وهي الباء وأختاها، والياء، والفاء، والقاف، واللام، والكاف المشكولة؛ فإنه لا يجوز مد ما بعدها في ابتداء ولا توسط . قال ابن العفيف: و«على» تمد اذا كانت الياء معرفة، فإن كانت راجعة لم يجز المد أصلاً . قال في مواد البيان: ويقبح أن تمد حرفين توالى بينهما في سطر واحد، وان توقع حرفين ممدودين في سطرين: أعلى وأسفل، على

تقابل وتحاذ. قال السمرى وان كان في آخر الكلمة ياء لم يجز المد قبل الياء. قال: ولذلك لا يجوز المد بعد السين في اسم موسى، ولا قبل السين في اسم عيسى
 ﴿مراعاة فواصل الكلام﴾ بأن يميز الفصول المشتمل كل فصل منها على نوع من الكلام
 عما تقدمه لتعرف مبادئ الكلام ومقاطعته فأن الكلام ينقسم فصولا طوالا وقصارا؛
 فالفصول الطوال كتقسيم منشور المرسل الى رسائله، ومنظوم الشاعر الى قصائده، قال، ومثل
 هذا لا يحتاج الى تفصيل لانه لا يشكل الحال فيه في الرسالة أو القصيدة بغيرها اتصالا وانفصالا
 والفصول القصار كأنقسام الرسالة الى الفصول، والقصيدة الى الآيات. ومثل هذا قد
 يشكل، فينبغي ان يميز تمييزاً يوهن معه من الاختلاط؛ فأن ترتيب الخط يفيد ما يفيد
 ترتيب اللفظ؛ وذلك أن اللفظ اذا كان مرتباً يخلص بعض المعاني من بعض، واذا كان
 مختلطاً أشكلت معانيه وتعذر على سامعه إدراك محصوله؛ وكذلك الخط اذا كان متميز
 الفصول وصل كل فصل منه الى النفس على صورته، واذا كان متصلاً دعا اعمال الفكر
 في تخليص اعراضه. وقد اصطلح كتاب الرسائل على ان يجعلوا للفواصل بياضا يكون
 بين الكلامين من سجع، أو فواصل كلام، بقدر رأس خنصر. قال في مراد البيان: وينبغي
 ان لا تكون الجملة، يعنى التي ينتهى بها الكلام الأول، في آخر السطر، والفاصلة في أول
 السطر الذى يليه؛ فانه يلبس لاتصال الكلام، بل لا يجعل في أول السطر بياضاً أيضاً
 لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور، ولا أن يفسح بين السطر والذى يليه افساحاً
 زائداً عما بين كل سطرين، لكن يراعى ذلك من أول شروعه في كتابة السطر بقدر
 الخط بالجمع والمشتق حتى يخلص من هذا العيب

﴿ومنها حسن التدبر في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها﴾ لأن
 السطور في المنظر كالفصول؛ فإذا قطع السطر على شئ يتعاقب بما بعده كان قبيحاً
 ولذلك حالتان:

الحالة الاولى- أن يكتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول
 السطر الذى يليه، أو يقع في آخر السطر الذى يليه مثل ان يقع معه لفظ «كتاب» في آخر
 السطر فيكتب الكاف والتاء والالف في آخر السطر، والباء في أول السطر الذى يليه
 أو يقع في آخر السطر لفظ «مسرور» فيكتب الميم والسين والراء فيه، والواو والراء الثانية

في أول السطر الذي يليه ونحو ذلك . قال في مواد البيان : وهو قبيح جدا لانه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه؛ قال، واكثر ما يوجد في مصاحف العامة وخطوط الوراقين عند ضيق آخر السطر عن الكلمة بكاملها . ومن ثم احتاج الكتاب الى النظر في ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه في كتابة أول سطر على ما تقدم . قال صاحب منهاج الاصابة وانما وقع مثل ذلك في المصاحف التي كتبت في زمن امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط؛ فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها في السطر الثاني

الحالة الثانية - ان يفصل الكلمة التامة ويصلها مثل ان يكتب «وصل كتابك» مفصولا، فيكتب وصل في آخر السطر، وكتابك في أول الذي يليه ونحو ذلك . قال في مواد البيان والأحسن تجنبه اذا أمكن فإن لم يمكن فيتجنب القبيح منه وهو الفصل بين المضاف والمضاف اليه كعبد الله، وغلام زيد، وما أشبه ذلك، لأن المضاف والمضاف اليه بمنزلة الاسم الواحد؛ والفصل بين الاسم وما يتلوه في النسب كقولك : زيد بن محمد، فلا يجوز أن يفصل بين المنسوب والمنسوب اليه كما لا يجوز ان يفصل بين المضاف والمضاف اليه . قال : فإن كان المراد بلفظ الابن ثبت البنوة كقولك « لزيد ابن » جاز قطع الابن عما تقدمه لأن « لزيد » لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس، بخلاف غلام زيد ونحوه . قال : ومما يقبح فصله الفصل بين كل اسمين جعلنا اسما واحدا نحو حضرموت، وتأبط شرأ، وذى يزن، وأحد عشر، وما أشبه ذلك . قالت : وقد ذكرت في الاصل هنا هندسة الحروف وصورة وضع حروف كل قلم وكيفية التصرف في ذلك مما لا يحتمله هذا المختصر

﴿ الفصل الرابع - في نقط الخط وشكله ﴾

﴿ اما النقط ﴾ فقد تقدم في الكلام على وضع الحروف العربية ان أول من وضعها ثلاثة من طيء هم مرار بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة ؛ وأن مرارا وضع الصورة، وأسلم فصل ووصل، وعامرا وضع الأعجام . وبمقتضى ذلك يكون النقط موضوعا مع وضع الحروف . وهو أمر مطلوب عند خوف اللبس لأنه انما وضع لذلك . قال

محمد بن عمر المدائني: ينبغي للكاتب ان يعجم كتابه، وبين اعرابه، فإنه متى اعراه عن النقط كثير فيه التصحيف وغلب عليه التحريف. وأخرج بسنده الى ابن عباس انه قال: لكل شئ نور ونور الكتابة العجم. وعن الأوزاعي، نحوه. ومن كلام ابي مالك الحضرمي: قلم لم تعجم فصوله، استعجم محصوله. ومن كلام بعضهم: الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة. وذلك انما هو مطلوب مع خوف اللبس أما مع أمن اللبس فإن الاولى تركه لتلا يظلم الخط من غير فائدة. فقد حكى أنه عرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب فقال: ما أحسنه لولا أنه كثير شونيزه. وحكى محمد بن عمر في كتاب القلم والدواة عن بعض الأدباء أنه قال: كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالملكتوب اليه. قلت: ولذلك لا تنقط عهد الخلفاء والملوك

واعلم انه قد تقدم ان حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً، وقد وضعت اشكلها على تسعة عشر شكلاً، فمنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الحرفان كالذال والراء، والزاي، والسين والشين، ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الثلاثة كالباء، والتاء والثاء، والجيم والحاء، والحاء؛ ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألف. ومنها ما لا يتبس حالة الافراد، فأذا ركب ووصل بغيره التلبس كالنون والقاف؛ فإن النون في حالة الافراد لها صورة تخصصها فإذا ركبت مع غيرها في أول كلمة أو وسطها اشتبهت بالباء وما في معناها؛ والقاف اذا كانت منفردة لا تلتبس، فإذا وصلت بغيرها التبتت بالفاء، فاحتيج الى ميميز يميز بعض الحروف عن بعض من نقط أو اهمال ليزول اللبس ويذهب الاشتراك. قال الشيخ أبيه الدين: ولذلك ينبغي ان القاف والنون اذا كتبتا في حالة الافراد على صورتها الخاصة بهما لا ينقطان؛ لأنهما لا شبه بينهما، ولا يشبهان غيرهما فيكونان اذ ذلك كالكاف واللام. قال: ومنع بعض مشايخنا الاشتراك في صورة الحروف وقال ان الصورة والنقط مجموعهما دال على كل الحرف

ثم ما عدا الالف واللام من الحروف فهي ثمانية وعشرون حرفاً مرتبة على منازل القمر على ما تقدم. ومنازل القمر أبداً منها اربع عشرة ظاهرة فوق الارض، وأربع عشرة مختفية تحت الارض، ثم لا بد أن يبقى فوق الارض أيضاً منزلة مختفية تحت الشفق، فتصير المنازل المختفية خمس عشرة منزلة، والظاهرة ثلاث عشرة منزلة؛ وكانت الحروف المنقوطة

خمسة عشر حرفاً بعدد المنازل الختفية اشارة الى أنها تحتاج الى الاظهار لاختفائها وهي
 الباء، والتاء، والثاء، والياء، والحاء، والذال، والزاي، والشين، والضاد، والظاء، والغين،
 والفاء، والقاف، والنون، والياء. وكانت الحروف العاطلة ثلاثة عشر حرفاً بعدد المنازل
 الظاهرة وهي الألف، والحاء، والذال، والراء، والسين، والصاد، والطاء، والغين،
 والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو: فالألف لا تنقط لانفرادها بصورة واحدة من
 حيث أنه ليس في الحروف ما يشبهها في الأفراد والتركيب: والباء تنقط بوحدة من
 أسفل لتخالف التاء المثناة فوق، والتاء المثناة في حالي الأفراد والتركيب، والياء المثناة
 تحت والنون في حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً: والتاء تنقط باثنتين من فوق لتخالف
 ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الأفراد وتخالفها مع الياء والنون في حالة
 التركيب: والتاء تنقط بثلاث من فوقها لتخالف ما قبلها من الصورتين في الأفراد
 وتخالفها مع النون والياء أيضاً في التركيب ابتداءً ووسطاً: والجيم تنقط بوحدة من تحتها
 لتخالف الصورتين بعدها: والحاء لا تنقط ويكون الأهمال لها علامة: وحذاق الكتاب
 يجمعون لها علامة حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم: والحاء تنقط بوحدة من فوقها
 لتخالف ما قبلها من الياء والحاء، والذال لا تنقط ولا تعلم، ويكون ترك العلامة لها علامة
 والذال تنقط بوحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها: والراء لا تنقط، ويكون الأهمال لها
 علامة: والزاي تنقط بوحدة من فوقها فرقاً بينها وبين الراء: والسين لا تنقط، وتكون
 علامتها الأهمال كغيرها، وبض الكتاب ينقطها بثلاث من أسفلها: والشين تنقط بثلاث
 من فوقها فرقاً بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من جرة فوقها، والصاد لا تنقط
 إلا أن حذاق الكتاب يجمعون لها صاداً صغيرة تحتها كما في الحاء، والضاد تنقط بوحدة
 من فوقها فرقاً بينها وبين أختها. والطاء لا تنقط لكن لها علامة كالصاد والحاء، وهي طاء
 صغيرة تحتها، والظاء تنقط بوحدة من فوقها فرقاً بينها وبين أختها، والغين لا تنقط ولها
 علامة كما في الحاء والصاد والطاء، وهي عين صغيرة في بطنها: والغين تنقط بوحدة من
 فوقها فرقاً بينها وبين أختها: والغاء أهل الشرق ينقطونها بوحدة من أعلاها، وأهل المغرب
 ينقطونها بوحدة من أسفلها: والقاف لا خلاف بين أهل الخط أنها تنقط من أعلاها،
 إلا أن من نقط الغاء بوحدة من أعلاها تنقط القاف باثنتين من أعلاها للفرق بينهما، ومن

نقط الفاء واحدة من أسفلها تنقط القاف واحدة من أعلاها للفرق بينهما أيضا وقد تقدم من كلام ابي حيان أنها إذا كتبت على صورتها الخاصة بها في حالة الافراد ينبغي ان لا تنقط؛ والكاف لا تنقط الاً أنها اذا كانت مشكولة علمت بشكلة، وان كانت معرفة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما التبت باللام؛ واللام لا تنقط ولا تعلم، وترك العلامة لها علامة؛ والميم لا تنقط ولا تعلم أيضاً لانفرادها بصورة؛ والنون تنقط بوحدتها من فوقها، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداءً ووسطاً لالتباسها حينئذ بالباء والتاء والتاء اوائل الحروف والياء آخر الحروف، بخلاف حالة الافراد والتطرف في التركيب آخراً فإنها تختص بصورة ولا تلتبس كما أشار اليه ابو حيان؛ والهاء لا تنقط في جميع أشكالها وان كثرت لأنه ليس لها في أشكالها ما يلتبس بغيره هـ والواو لا تنقط وان كانت في حالة التركيب تقارب الفاء، وفي حالة الافراد تقارب القاف، لأن الفاء لاتشابهها كل الشبه، ولأن القاف أكثر مساحة منها؛ واللام ألف لا تنقط لانفرادها بصورة لا يشاركها فيها غيرها؛ والياء تنقط بنقطتين من أسفلها وان كانت في حالة الافراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها، لأنها حالة التركيب في الابتداء والتوسط. تشابه الباء والتاء والتاء والنون فيحتاج الى بيانها بالنقط تعليياً لحالة التركيب على حالة الأفراد كما في النون، وربما نقطها بعض الكتاب في حالة الأفراد بنقطتين في بطنها

اذا تقرر ذلك فلننقط صورتان نبه عليهما ابن مقلة: احدهما شكل مربع على هذه الصورة (••) والثانية شكل مستدير على هذه الصورة (•••). قال ابن مقلة: واذا كان على الحرف نقطتان فإن شئت جعلت واحدة فوق أخرى على هذه الصورة (:). وان شئت جعلتهما في سطر معاً على هذه الصورة (••) الا أن يكون بجوار الحرف حرف ينقط فإنه لا يجوز الا أن يكون النقط واحدة فوق أخرى، لأن النقط اذا كن في سطر واحد خرجن عن حروفهن فوق اللبس في الاشكال، فإذا جعل بعضها فوق بعض كان على كل حرف قسطه من النقط فزال الاشكال، واذا كان على الحرف ثلاث نقط فإن كان ثاءً مثلثة جعلت واحدة فوق اثنتين وان كان شيناً فبعض الكتاب ينقطه كذلك، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطر السعة الشين بخلاف التاء المثلثة. اما السين المهملة اذا نقطت من أسفلها فالأولى جعل نقطها الثلاث سطرًا تحتها، واذا كانت

محققة (١) فاللائق التأسيس بنقطتين من تحت وجعل نقطة ثالثة اعلاهما
 ﴿ واما الشكل ﴾ فبفتح الشين . قال اهل اللغة : وهو مأخوذ من شكل الدابة
 وهو تقيدها لأن الحروف تضبط بقيد فلا يلتبس اعرابها كما تضبط الدابة بالشكل
 فيمنعها من الهرب . قال ابو تمام

ترى الامر معجوما اذا كان معجا لديه ومشكولا اذا كان مشكولا
 وقد اختلف في اول من وضع الشكل ، فذهب قوم إلى ان أول من وضع ذلك أبو
 الأسود الدؤلي حين وضع الاعراب وبدأ يشكل المصحف فأحضر من يمسك
 المصحف وأحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال الذي يمسك المصحف عليه اذا فتحت
 فإى فاجعل نقطة فوق الحرف، واذا كسرت فإى فاجعل نقطة تحت الحرف، واذا ضمنت
 فإى فاجعل نقطة امام الحرف : فان أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة، يعنى تنويناً،
 فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف . وذهب آخرون إلى ان أول
 من وضعه نمر بن عاصم الليثي ، وأنه الذي خمس آيات القرآن وعشرها ؛ وذهبت
 طائفة إلى أن أول من وضعه يحيى بن يعمر . قال ابو عمرو الداني : وهو لاء الثلاثة من
 جملة تابعي البصريين . أما الهمة والتشديد فإن واضعهما الخليل بن احمد . وقد اختلفت
 مقاصد الكتاب في التقييد بالشكل ، فذهب بعضهم إلى الترغيب فيه ؛ قال هشام بن
 عبد الملك : اشكلوا قرآن الآداب لئلا تند عن الصواب . وقال علي بن منصور :
 حلوا غرائب الكلام بالتقييد وحصنوها عن شبه التحريف . وذهب بعض إلى كراهة
 ذلك . قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن تشكل الحروف على القارئ أحب إلى من
 أن يعاب الكاتب بالشكل . ونظر محمد ابن عبيد إلى كاتب وهو يقيد ما كتب
 بالشكل فقال : لو عرفته ما شككته

واعلم أن الشكل جار مع الاعراب كيفما جرى : فيرجع إلى السكون وهو الجزم،
 وإلى الفتح وهو النصب ، وإلى الضم وهو الرفع ، وإلى الجر وهو الحذف . ثم اعلم أن
 المتقدمين كانوا يجعلون الشكل نقطاً يكون مخالفاً للون الحبر من حمرة ونحوها كما
 تقدمت الإشارة في الكلام على ابتداء أبي الأسود ذلك . والمتأخرون اصطالحوا
 (١) هذه العبارة مذكورة في الصبيح في آخر الكلام على نقط الشين ومحلها هنا في الضو ،

لذلك على صور مختلفة الأشكال أتوا بها بالحبر لمناسبة تخص كل شكل منها .
ويتعلق المقصود من ذلك بسبع علامات : الأولى علامة السكون ، والمتقدمون يجعلونها
جرة بالحمرة فوق الحرف سواء كان الساكن همزة كما في هذه الصورة « لم يشأ » أو
غيرها من الحروف كالذال من قولك « اذهب » ، والمتأخرون يسمون لها دائرة
تشبه رأس الميم إشارة الى الجزم على هذه الصورة « ب » من حيث ان الميم آخر
حرف من لفظ الجزم ، ويحذفون عراقة الميم استخفافاً ، ويسمون تلك الدائرة « جرمة »
أخذاً من الجزم الذي هو لقب السكون ، ويحتمل ان يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة
الضمر في حساب الهند إشارة الى الخلو عن الحركة ، اذ الضمر هو الخالي عن الشيء :
وحذاق الكتاب يجعلون الجرمة جماً لطيفة بغير عراقة إشارة للجزم على هذه الصورة
(د) الثانية علامة الفتح . والمتقدمون يجعلونها نقطة بالحمرة فوق الحرف على هذه الصورة
« ب » فان اتبعت حركة الفتح تنوبنا جعلت نقطتين احدها للحركة والاخرى
للتنوين على هذه الصورة « زيد » والمتأخرون يجعلون علامتها ألفاً مضطجعة بقدر ثلث
الف ذلك الخط تقف فيها بالنقطة مائلاً الى اليسار بقدر نقطة من ذلك الخط على هذه
الصورة « ب » لما تقدم من أن الالف علامة الفتح في الاسماء المعتلة ، ورسومها بأعلى
الحرف موافقة للمتقدمين في ذلك ، وسموا تلك الالف المضطجعة « نصب » أخذاً من
النصب ، ويجعلون حالة التنوين خطين مضطجعتين من فوق الحرف كما جعل المتقدمون
لذلك نقطتين من فوق على هذه الصورة « ما » وعبروا عنهما بنصبتين * الثالثة علامة
الضم ، والمتقدمون يجعلونها نقطة بحمرة وسط الحرف على هذه الصورة « ن » أو
أمامه على هذه الصورة « ن » ، فان لحقه تنوين رسموا لذلك نقطتين احدها للحركة
والثانية للتنوين على هذه الصورة « ب » ، والمتأخرون يجعلون علامة الضم واواً صغيرة
على هذه الصورة « ب » لما تقدم ان الواو علامة الرفع في الاسماء المعتلة ، وسموها
« رفعة » لذلك ورفعوها بأعلى الحرف دون وسطه كي لا تشين الحرف بخلاف المتقدمين
لمخالفة اللان ولطافة النقطة فان احق حركة الضم تنوين رسموا لذلك واواً صغيرة بخط
بمدها : الواو إشارة للضم ، والنقطة إشارة للتنوين على هذه الصورة « ن » وعبروا عن تينك

الواو والخطة برفعتين و بعضهم يجعل عوض الخطة واواً أخرى مردودة الآخر على رأس
الاولى على هذه الصورة (-) وربما جعلوا الواو ين سطرًا على هيئتها على هذه الصورة
(-) « الرابعة علامة الكسر والمتقدمين يجعلون علامته نقطة بالحرمة تحت الحرف
على هذه الصورة - ويسمونها كسرة فأن لحق حركة الكسر تنوين رسموا لذلك
نقطتين على هذه الصورة - : والمتأخرون جعلوها شظية من أسفل الحرف اشارة الى
الياء التي هي علامة الجرفي الاسماء المعتلة على ما مر رسموا تلك الشظية «خفضة» أخذًا
من الخفض الذي هو لقب الكسر ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محالهما
الا أنهم اختلفوا في صورهما فبعضهم يجعلها على صورة ما تقدم في الفتحة من الختم بالقطة
والامالة الى اليسار على هذه الصورة (-) ومنهم من يجعلها مسبلة الى أسفل مخرمة بسن القلم
على هذه الصورة (-) « فأن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطين من أسفله احدهما
للحركة والاخرى للتنوين اما مطوحتان على هذه الصورة (-) واما مسبلتان على هذه
الصورة (-) « والخامسة علامة التشديد والمتقدمون اختلفوا فيها فاهل المدينة رسموها
على هذه الصورة () ١ ولا يجعلون معها علامة الاعراب بل يجعلون علامة الشد مع
الفتح فوق الحرف، ومع الكسر تحت الحرف، ومع الضم امام الحرف، ومنهم من يجعل
مع ذلك نقطة علامة للاعراب . قال أبو عمرو الداني : وهو عندي حسن . وعامة اهل
الشرق اصطالحوا على أنهم يرسمون علامة التشديد صورة شين من غير عراقة على هذه
الصورة (-) كأنهم يريدون اول شديد . ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدًا ،
ويعربونه بالحركات : فأن كان مفتوحا جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح
على هذه الصورة (-) « وان كان مضمومًا جعلوا مع الشدة نقطة امام الحرف علامة الضم
على هذه الصورة (-) . وان كان مكسورًا جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة
الكسر على هذه الصورة (-) . وعلى هذا المذهب استقر رأى المتأخرين أيضاً غير
أنهم جعلوا بدل النقطة الدالة على الاعراب التي اصطالحوا عليها من النصب والرفعة
والخفضة فيجعلون النصب بأعلى الشدة على هذه الصورة (-) ويجعلون الخفضة بأسفل
الحرف الذي عليه الشدة على هذه الصورة (-) وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق

الحرف على هذه الصورة (-) وربما جعل بعضهم في آخر علامة الشدة شظية بمقدار أحد أسنانها على هذه الصورة (-) وربما نقص مقدار الشظية عن ذلك في الثالث والتوقيعات فإن كان مع الشدة تنوين من نصب أو جر أو رفع جعل مع الشدة علامة ذلك التنوين هـ السادسة علامة الهمزة والمتقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقطة الاعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحمرة سواء كانت صورة الهمزة وواو أو ياء أو ألفاً اذ حق الهمزة ان تلزم مكاناً واحداً من السطر لأنها حرف من حروف المعجم والمتأخرون يجعلونها عيناً بلا عراققة تقرب مخرج الهمزة من العين على هذه الصورة (أ) ثم ان كانت الهمزة مصورة بصورة حرف من الحروف فإن كانت ساكنة جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جرمة بأعلاه على هذه الصورة (لم يشأ) وان كانت مضمومة جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها على هذه الصورة (أ) وان كانت مكسورة جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها على هذه الصورة (ا) . وقد اختلف المتقدمون من النحويين في أي الطرفين من « اللام ألف » هو الهمزة : فحكى عن الأول منها هو الهمزة . والثاني هو اللام . قال أبو عمرو الداني : واليه ذهب عامة أهل النقط استدلوا بأن رسمها في الاصل لا مأمبسوطة هكذا (لا) الا انه استعمل رسم ذلك كذلك في « اللام ألف » خاصة لا اعتدال طرفيها لمسابهة كتابة الاعاجم فحسن رسمها بالتضفير فضم احد الطرفين الى الآخر . فأيهما ضم الى صاحبه كان الهمزة وخالف الاخفش فزعم ان الطرف الاول هو اللام والثاني ، هو الهمزة ، استشهد اذاً بأن ما تلفظ به أولاً هو المرسوم أولاً وبالعكس . قلت : والحق ان ذلك يختلف باختلاف تصوير « اللام ألف » على ما رتبته متأخرو الكتاب : ففي المصورة بهذه الصورة (لا) الأول هو الهمزة وفي هذه الصورة (لا) على العكس ؛ وان كانت الهمزة غير مصورة بحرف كالهمزة في « جزء وخب » جعلت العلامة في محل الهمزة من الكلمة مع علامة الاعراب من سكون وفتح وضم وكسر : فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوين جعل مع الهمزة علامة التنوين من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على ما مر في غير الهمزة هـ السابعة علامة الصلة في ألفات الوصل . والمتقدمون رسموا لها جرة بالحمرة في سائر أحوالها وجعلوا محلها تابعاً للحركة التي قبل ألف الوصل لأن وايها فتحة كما في قوله

تعالى « ينفقون الذى » جعلت الصلة عند المتقدمين جرة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (أ)؛ وان ولها كسرة كما في قوله تعالى « رب العالمين » جعلت جرة حمراء تحت الألف على هذه الصورة (ا) وان ولها ضمة كما في قوله تعالى (نستعين اهدنا) جعلت جرة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) فأن لحق شيء من الحركات التنوين جعلت الصلة أبداً تحت الألف. والمتأخرون رسموا لذلك صاداً لطيفة إشارة الى الوصل وجعلوها بأعلى الحرف أبداً ولم يراعوا في ذلك الحركات اكتفاءً باللفظ على هذه الصورة (أ)

❦ الفصل الخامس في الهجاء ❦

ويقال فيه التهجى، وهو مما يضطر اليه الكاتب غاية الاضطرار. والمقصود هنا المصطلح العام وهو ما تقع به الكتابة في عامة الامور دون مصطلح الرسم وهو ما جرى عليه عرف كتابة المصاحف والمصطلح العروضى وهو ما اصطاح عليه العروضيون في تقطيع الشعر. واعلم ان الاصل في هذا المصطلح الذى نحن بصدد ذكره مطابقة المنطوق المفهوم. وقد يزيدون في وزن الكلمة ما ليس في وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له وينقصون من الكلمة ما هو في وزنها استخفاً واستغناءً بما أتى عما انتقص اذا كان فيه دليل على ما حذف. ثم المرجع فيه الى حالتين :

❦ الحالة الاولى حالة افراد اللفظ ❦

ويختلف الحال فيه باعتبار بقاء أصله، وتغييره بالزيادة والنقص والبدل. فاما الباقي على أصله في ذوات الحروف وعددها فيعتمد فيه أمور: أحدها اعتبار المنطوق به من الحروف عند الادغام دون المدغم منها، فيكتب «أمحى» من المحو بغير نون وان كان أمحى على وزن انفعال لوقوع الادغام من كلمة واحدة، بخلاف ما اذا كان من كلمتين نحو «من مال» فيكتب بنون في «من» منفصلة من ميم «مال» وان كانت النون الساكنة تدغم في الميم

الثاني -- اثبات النون عند الاخفاء والانتقال فيكتب لفظ «خلق» ولفظ «أنت»

وما شبهها بنون وان كانت النون مخفاة في القاف من «خفق» وفي التاء من «أنت» وكذلك في حالة التركيب نحو «من كافر» ويكتب غير وما شبهها بنون أيضا وان كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميمًا: وكذلك في حالة التركيب نحو «من بعد»
 الثالث ما يسقط في الدرج لالتقاء الساكنين، فيكتب «اضربوا القوم» و«يعزرو الرجل» بواو، وكذلك كل ما فيه حرف قد حذف الساكن يليه، لأنه لولا التقاء الساكنين لبقيت هذه الواو لغظًا

الرابع اعتبار حالة الوقف آخر الكلمة، فتكتب «انا» بالألف بعد النون وان كانت في وصل الكلام لا شباع في الفتحة، لأن الوقف عليه بألف؛ ومن أجل ذلك كتبت «لكننا هو الله ربى» بألف في «لكننا» من حيث ان أصله «لكن انا» * ويكتب المنون المنصوب مثل «زيداً وعمراً» من قولك، ضربت زيداً وعمراً، بالألف لأنه يوقف عليه بالألف، بخلاف المنون المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيد إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين واسكان الآخر على الصحيح * وتكتب اذن المنونة بالألف على رأى المازني، لأن الوقف عليها بالألف لضعفها؛ والمبرد والأكثرون على كتابتها بالنون، وصححه ابن عصفور، لان كل نون وقف عليها بالألف تكون بالألف وفصل الفراء فقال: ان ألغيت كتبت بالألف، وان أعامت كتبت بالنون لقوتها * ويكتب «لنسمعاً» بالألف لأن الوقف عليها بالألف * ويكتب، اضرباً زيداً ولا تضرباً وعمراً، بالانف عند الاكثر، وبذهب بعضهم الى كتابتها بالنون، وبه جزم ابو حيان * ويكتب كل اسم في آخره ياء، نحو قاضى وغازى وداعى وجارى وسارى ومشتري ومهتدى ومستدعى ومقتري، في حالتى الرفع والجر بغير ياء، فيكتب: جاء قاض ومررت بقاض، وكذا في الباقيات؛ وفي حالة النصب بالياء مع زيادة الألف كما في قولك رأيت قاضياً وغازياً وداعياً، وما أشبه ذلك؛ وان كان جمعاً، فان كان غير منصرف كتب في حالة الرفع والجر بغير ياء على ما تقدم، فتكتب في الرفع: هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسوارٍ ودواعٍ، وفي الجر: مررت بجوارٍ وسوارٍ وغواشٍ ودواعٍ، بغير ياء في الحالتين، ويكتب في النصب بالياء من غير ائف بعدها، فيكتب: رأيت جوارى وسوارى ودواعى ونحوها، فأذا دخلت الألف واللام في جميع هذه الأسماء أثبت فيها

الياء سواء المنصرف وغير المنصرف: فتكتب هذا الداعي والغازي والقاضي والمشتري، وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعي، بالياء في الجميع. قال ابن قتيبة: قد يجوز حذفها، وليس بمستعمل الا في كتابة المصحف؛ وكذلك إذا أضفت، كتبت بالياء، نحو مررت بقاضي زيد وداعي أخيك وغازي القوم، وما أشبه ذلك؛ كل ذلك اعتماداً على حالة الوقف. قال ابن قتيبة: فإن كانت الياء مثقلة لم يحذفها نحو بخاتي واماني وما أشبههما، وتكتب «ره» أمراً بالرؤية، و«لم يره» نفيًا للرؤية، و«قه» أمراً بالوقاية، و«لم يقه» نفيًا لذلك، وما أشبهه، بالهاء، وإن كانت الهاء تسقط منه حالة الدرج؛ لأن الوقف عليها بالهاء؛ وكذلك قولهم «مه انت؟ وحى مه؟» لأن الوقف على «ما» الاستهامية بعد حذف الفها بالهاء، فتكتب بالهاء؛ بخلاف ما اذا وقعت «ما» المحذوف الفها بعد الجار نحو حتام، والى م، وعلام، فإنه لا تلحقها الهاء لشدة الاتصال وتكتب التأنيث في نحو رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقحمة، بالهاء، لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح؛ وبعضهم يتف عليها بالتاء، وهي لغة قليلة فتكتب بالتاء، وقد وقع في رسم المصحف مواضع من ذلك نحو «افنعمت الله يكفرون». قال ابن قتيبة: «وهيات» يوقف عليها بالهاء والتاء، والاجماع على كتابتها بالتاء ثم اللفظ المفرد ان كان اسماً كحرف من حروف الهجاء فان كان اسماً قاصراً على الحرف لم يسم به غيره وقصد اسم ذلك الحرف لاسما كتب المفوظ به نحو «جيم» اذا سئل كتابته فيكتب جيم ويا، وميم؛ وان قصد مسماه لاسمه وجب الاقتصار في الكتابة على اول حرف من حروف الكلمة فيكتب بصورة ذلك الحرف؛ فان سعى به غيره كما اذا سعى رجل (بقاف) أو (بياسين) فلكاتب فيه مذهبان: أحدهما ان يكتبه على صورة الحرف هكذا «ق، و يس» والثاني ان يكتب المفوظ به هكذا (قاف، و ياسين) وهو اختيار ابن الحاجب. وان كان اللفظ المفرد اسماً لغير حرف من حروف المعجم فان كان له معنى كزيد كتب على هذه الصورة (زيد) وان كان له أكثر من معنى واحد كتب بحسب القرينة كما اذا قيل له اكتب (شعراً) فان دلت القرينة على ان المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعراً) والا فيكتب ما ينطبق عليه اسم الشعر اذ هو معنى الشعر

وأما ما تغير عن أصله فأما ان يتغير بالزيادة أو بالنقص أو بالبدل :
 ﴿ فالزيادة ﴾ تكون بثلاثة أحرف :

الأول ، الالف . وتزاد بعد الميم في مئة فتكتب على هذه الصورة (مائة) ،
 واختلف في زيادتها فيها في حالة التثنية فقليل لاتزاد ، والراجح الزيادة ؛ أما في حالة الجمع
 فقد اتفقوا علي منع الزيادة فكتبوا « مئين ومئات » بغير ألف بعد الميم . قال ابوحيان :
 وقد رأيت بخط بعض النحاة « مأة » على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء
 قال وكثيرا ما أكتب انا « مئة » كما تكتب « فئة » وتزاد أيضا بعد واو الجمع
 المتطرفة في آخر الكلمة اذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضربوا ، واضربوا
 وما أشبهها ، فتكتب بألف بعد الواو بخلاف ما اذا لم تقع الالف طرفا في آخر الكلمة
 نحو ضربوهم ، وكالوهم ، ووزوهم ، فإنه لا تلحق بها الالف ، فلوا اتصلت واو الجمع بفعل
 مضارع نحو لن يضربوا ، ولن يذهبوا ، فذهب الاخفش ، لحق الالف وذهب بعض
 البصريين الى عدم لحوقها . ولو اتصلت باسم نحو ضاربوهم ، وضاربوزيد ، فذهب
 البصريين عدم اللحق ، ورجحه ابوحيان ؛ ومذهب الكوفيين اللحق فيكتبون « ضاربوا
 زيد » و« هموا » بالالف بعد الواو « وتزاد عند الفراء في « يدعوا ويغزوا » في المفرد
 حالة الرفع خاصة تشبها بواو الجمع . وفصل الكسائي في حالة النصب فقال : ان لم يتصل
 بضمير نحو « لن يدعوك » كتب بغير ألف فرقا بين الحالين ، وأطلق ابن قتيبة النقل
 عن بعض كتاب زمانه أنها لا تلحق في مثل ذلك « وتزاد شذوذا بعد الواو المبسلة
 من الالف في الربا فتكتب بألف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تذيها على ان
 الأصل ان تكتب بألف . وقد زيدت في مواضع من المصحف كما في قوله تعالى « ان
 امرؤ هلك » وقوله « ولأضعوا خلا لسم » فلا يقاس عليه

الثاني — الواو . فتزاد في « عمرو » بعد الراء اذا كان علما في حالتي الرفع والجر
 نحو جاءني عمرو ، ومررت بعمرو . أما في حالة النصب فلا تزاد ويكتب « عمرا » بالالف ،
 وكذلك لاتزاد في المحكي باللام كالعمر ، والمضاف كعمره ، والواقع قافية شعر كقول الشاعر
 انما أنت في سليم كواو الحقت في الهجاء ظلما بعمر
 وفي معنى ذلك « عمر » ، واحدمور الاسنان ، وهو اللحم الذي يليها ، وما هو بمعنى

المصدر مثل قولهم لعمر الله، فلا تلحق الواو في شيء منها * وتزاد في أولئك بين الالف واللام. قال أبو حيان: وحمل التأنيث في «أولات» على التذكير في «أولى» * وتزاد في (أُوخِيَّ) تصغير (أخى) بين الالف والخاء على رأى بعض أهل الخط فرقا بينه وبين (أخى) المكبر. قال أبو حيان: وأكثر أهل الخط لا يزيدونها

الثالث الياء: المشاة تحت - وقد زيدت في مواضع من المصحف فكتبوا قوله تعالى (بنيناها بأيد) ياءين بين الالف والداد، وقوله «من نبأ المرسلين» ياء بعد الالف، وقوله «من ملأته» ومن ملأهم» قبل الهاء فيهما. قال أبو حيان: وهذا مما يجب الاتقياد اليه في المصحف اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم. أما في غير المصحف فتكتب «بأيد» ياء واحدة، وتكتب «من نبأ، وملأه، وملأهم» بغير ياء. وكذلك إذا اضيفت الى الضمير نحو: كلاًه وخطأه. وذهب بعضهم الى أنها تكتب على ما يناسب حركتها ياء سواء اضيفت نحو «من كلاًه» أو لم تضاف نحو «من الكلاى» قال بعضهم: والأقيس ان تكتب ياء مع الضمير المتصل نحو «من خطئه» لأنها صارت معه كالموسطة وتكتب الفاء إذا تطرفت نحو «من خطأ»

﴿ واما النقص ﴾ فهو اما غير مختص بحرف من الحروف، أو مختص بحرف. فأن كان غير مختص وهو المدغم فيكتب كل مشدد من كلمة واحدة حرفاً واحداً نحو شد، ومد، وادكر، واقشعر، ومفر وما أشبه ذلك سواء كان المدغم ادغام مثل نحو «رد» أو متقارب نحو «اضطجع» وأجروا نحو «قنت» مجرى ما هو من كلمة واحدة وان كان من كلمتين لشدة اتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين. قال ابن الحاجب: وكذلك نحو مم وعم * وان كان الادغام مختصاً بحرف من الحروف فذلك في خمسة أحرف:

الاول الألف - اذا دخلت عليها لام الجر فتكتب للقوم، ولالغلام، وللناس، وما أشبه ذلك بالامين متواليين من غير ألف بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجر فأهـا لا تحذف، فتكتب؛ بالقوم وبالغلام، وبالناس، بألف بين الباء واللام، فأن كان في أول الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ولم تنصل الكلمة بلام الجر وبائه لم تحذف شيئاً فتكتب (الاتفات، والاتباس) بالامين ولامين، وكذلك اذا وصلت بلام الجر أو بانه

فتكتب (بالتفات) و(لاتباس الامر)

وتحذف بعد اللام الثانية من اسم (الله) تعالى ، وبعد الميم من (الرحمن) اذا دخلت عليهما الألف واللام فتكتب (الله) بلامين بعدها هاء . وان كانت المدة على اللام الثانية توجب ألفا بعدها ، وتكتب (الرحمن) بنون بعد الميم وان كانت المدة على الميم توجب ألفا بعدها لأنه لا التباس في هذين الاسمين مع كثرة الاستعمال ؛ ولو تجردا عن الألف واللام كتبوا بالألف كما قالوا (لاه أبوك) 'يريدون (الله أبوك)' ، فحذفوا حرف الجر والألف واللام وكتبوه بالألف ، وكقولك (رحمان الدنيا والآخرة) فتكتب بالألف

وتحذف بعد اللام من السلام في (عبدالسلام) وفي (السلام عليكم) . وتحذف بعد اللام من (ملائكة) وبعد الميم من (سماوات) ؛ أما الألف الثانية منه وهي التي بعد الواو فأنها لا تحذف . قال ابو حيان : وقد كتب في المصحف بحذف الألفين جميعا ، فيجب اتباع ذلك فيه خاصة

وتحذف بعد اللام في (أولئك) ، وبعد الذال في (ذلك) ، فلو تجرد (أولى) و(ذا) عن حرف الخطاب وهو (الكاف) كتبوا بالألف وتحذف بعد (هاء التنبيه) اذا اتصلت بـ (ذا) اتى للأشارة وكانت خالية من (كاف) الخطاب في آخر الكلمة فتكتب « هذا ، وهذه ، وهذان ، وهؤلاء » بغير ألف ؛ فإن اتصلت باسم الاشارة (الكاف) نحو (ذاك) امتنع الحذف فتكتب (هذالك) . ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة للأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . اما « تا » في الاشارة للمذكر ، و(تي) في الاشارة للمؤنث ؛ فالألف لا تحذف معها اذا اتصلت بهما هاء التنبيه فتكتب « هاتا ، وهاتي ، وهاتان » ، وذكر ابو حيان عن احمد بن يحيى انها تحذف من « هاتنم ، وهاتنا ، وهاتن » أيضا فتكتب الجميع بألف واحدة ، ثم قال : وهو القياس ، وكان الأصل ان يكتب بالألفين . قال ابن قتيبة : ويكتب (ايها الرجل ، وأيها الأمير) بالألف وإن كان قد كتب في القرآن بالألف وغيرها . والذي أشار اليه أنه كتب بغير ألف في ثلاثة مواضع : في النور ، آية (المؤمنون) ، وفي الزخرف آية (الساحر) ، وفي الرحمن آية (الثقلان)

وتحذف من « ثمانية وثمانية » مع ثبوت الياء فيهما فتكتب « ثمانية رجال، وثمانية عشر رجلاً » وثنى نساء « بخلاف ما اذا حذفت الياء منها فتكتب « ثمان عشرة، وعندي من النساء ثمان » فمثل قول الشاعر

ولقد شربت ثمنيا وثمانيا وثمان عشرة واثنين وأربعا

تكتب الاولين بغير ألف والثالثة بالالف . واختلف في (ثمانين) فذهب ذاهبون الى اثبات الألف فيها بعد الميم ، وذهب آخرون الى حذفها . وفي « ثمانون » في حالة الرفع الخلاف أيضاً « وتحذف بعد اللام من « ثلاث » سواء كانت منفردة نحو عندي ثلث من البسط ، أو مضافة نحو ثلث نساء ، أو مركبة نحو ثلث عشرة امرأة ، أو معطوفة نحو ثلث وثلثون جارية . وفي حكمها « ثلاثة » بالتاء فتكتب بغير الف في جميع الصور . وكذلك تحذف من « الثلاثاء » اسم اليوم وتحذف أيضاً من « ثلاثين » بالياء و « ثلاثون » بالواو . اما « ثلاث » المعدول كما في قوله تعالى (مثنى وثلاث) فقال ابو حيان لم أقف على نقل ، واختار أن يكتب بالالف . على ان ابن قاسم نقل عن « المقنع » في الرسم الحذف « وتحذف من « يا » التي للنداء اذا اتصلت بهمزة نحو « يا احمد ، يا ابراهيم ، يا أبا بكر ، يا أبانا » فتكتب « يا احمد ، يا ابراهيم . . . » وهكذا في الباقيات . وقد اختلفوا : هل المحذوف همزة الوصل ، أم ألف « يا » ؟ فالأظهر عند أبي حيان ان المحذوف هو ألف « يا » لا صورة الهمزة : وقال احمد بن يحيى المحذوف صورة الهمزة لا ألف (يا) . فأن كانت الهمزة المتصلة (ييا) كهمزة آدم امتنع الحذف وكتبت بألفين على هذه الصورة : (يا آدم) ؛ اما اذا لم يكن بعد (يا) همزة البتة ، نحو « يا زيد ويا جعفر » فالذى يستعمله الكتاب فيه اثبات الالف في (يا) وجوز احمد بن يحيى كتابته بغير الف

وتحذف من « الحارث » اذا كان علماً ودخلت عليه الالف واللام فتكتب « الحرث » بخلاف ما اذا عرى عن الالف واللام فإنه تثبت فيه الالف لئلا يلتبس « بحرب » بالموحدة

وتحذف مما كثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف اذا لم يحذف منها شيئاً سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية كملك ، وصالح ، وخالد ، أو من اللغة

العجمية كإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون . فتكتب ملك ، وصالح ، وإبراهيم وإسماعيل ، وهكذا في الباقيات بخلاف ما إذا لم يكتب استعماله كحاتم ، وجابر ، وحامد ، وسالم ، وطالوت ، وجالوت ، وهاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون فإنه يكتب في جميعها بالألف . قال أبو حيان : وذكر بعض مشايخنا أن اثباتها في نحو صالح ، وخالد ، ومالك ، جيد . ونقل عن أحمد بن يحيى أنه يجوز فيه الوجهان ، وعليه ينطبق كلام ابن قتيبة . وأما إذا كان العلم الذي كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو هالة ، وأوس ، وألف ، ولام ، فإنه لا تحذف الفه ؛ وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو إسرائيل ، وداود ، فإنهم حذفوا من إسرائيل صورة الهمزة ، ومن داود الواو ، فامتنع حذف الألف لثلاثا يتوالى الحذف . ويتحقق بذلك في الإثبات ما لو خيف بالحذف التباسه كعامر وعباس ؛ فلا تحذف الألف ، لأنه لو كتب بغير ألف لالتبس عامر بعمر ، وعباس بعبس

وتحذف استحسانا مما كثر استعماله مما في آخره الألف والنون نحو شعبان ، وعثمان ، وما أشبههما ، فيكتبان « شعبان ، وعثمان » ، قال أبو حيان ، إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمران . قال ، والإثبات في نحو شعبان حسن . قال ابن قتيبة ، فأما شيطان ، ودهقان فأثبتت الألف فيهما حسن ، قال ، وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبتا بغير ألف ، إلا أن الكتاب مجتمعون على ترك القياس في ذلك

وتحذف من كل جمع على وزن « مفاعل » أو « مفاعيل » حيث لم يحصل بالحذف لبس بين الواحد والجمع مثل خوتهم ، ودونق (في خواتم ، ودوانق) في وزن مفاعل ، ومحريب ، وتمثيل ، وشيطين ، ودهقين (في محاريب ، وتمثيل ، وشيطين ، ودهاقين) في وزن مفاعيل . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد مثل « مساكين » فإنه يكتب بالألف لثلاثا يلتبس بالواحد ؛ على أنه قد كتب في المصحف بغير ألف للقراءة فيه بالافراد . فلو كان الحذف يؤدي إلى موافقته للواحد في الصورة لكنه في غير موضع المفرد نحو « ثلاثة دراهم ، ودرهم جيات ، ودرهم معدودة » حذف منه الألف ، لأنه لا يلتبس حينئذ ، بخلاف « عندى درهم » ونحوه فإنه لو حذف منه الألف لالتبس بدرهم المفرد

وتحذف الألف الأولى مما فيه ألفان مما جمع بالالف والتاء المزيدتين نحو: صالحات وعابدات ، وقائتات ، وذاكرات ؛ وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين ، والقائتين ، وإن لم تكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث . واختار بعضهم أنه إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات ، والصالحات ، حذفت ألف الجمع وأبقيت الأخرى ؛ وإن كان ليس فيه ألف أخرى كالسلمات ، اختير اثبات الألف .

وثبت في المصحف الحذف فيهما جميعا فكتب « سموت ، ومسلمت » ونحو ذلك وتحذف أيضا في جمع المذكر السالم في الصفات المستعملة كثيرا كالشاكركين ، والصادقين ، والخامسين ، والكافرين ، والظالمين ، إلا أن يخاف اللبس فيما جمع بالالف والتاء ، مثل « طالحات » فيمتنع الحذف ؛ لأنه لو حذف لالتبس « بطلحات » جمع طلحة . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون نحو حاذرين ، وفارهين ، وفارحين ، فإنه لو حذفت الألف لالتبس بمحذرين ، وفرهين ، وفرحين . وإن كان مضاعفا مثل شابات ، والعاذون ، فإنه لا يجوز فيه حذف الألف . وثبت فيما ألفه همزة كالحائنين . على أنها قد كتبت في بعض المصاحف بحذفها . قال ابن قتيبة : ولا يجوز الحذف فيما كان من ذوات الياء والواو ، نحو « هم القاصون ، والرامون ، والساعون »

وتحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل آدم ، وآزر ، وآمن ، وآمنين ، وآتين ، وآنفا ، وشنان ، بألفين لئلا يلتبس بفعل الواحد المفرد . وذهب قوم إلى الإقتصار في التثنية أيضا على الف واحدة .

وتحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث الفات مثل « برأت » جمع براءة ، و « مسأت » جمع مساءة ، فتكتب برأت ، ومسأت ، بألفين فقط ؛ لأنهم لو حذفوا اثنتين أدخلوا بالكلمة

وتحذف من أول الكلمة في الاستفهام في اسم ، أو فعل ، نحو : الله أذن لكم السحر ؟ ، الذكركين حرم أم الاثنيين ؟ ، أصطفي البنات على البنين ؛ الرجل في الدار أم زيد ؟ الآن (وقد حصص الحق) ؛ فتكتب بألف واحدة . وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بألفين ، قال ابن الحاجب : وجاز في نحو « الرجل » الامران . ورسمت في المصحف بألف واحدة ، نحو « الذكركين ؟ »

وتحذف من «ما» الاستفهامية عند دخول حرف الجر عليها، نحو «عم تسأل؟
وفيم تفكر؟» فتكتب بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين «ما» الموصولة. وحكي
الكوفيون ثبوتها

وتحذف اذا تصورت بها الهمزة في مواضع: فتحذف بعد الباء من البسمة لكثرة
الاستعمال، وثبتت في باسم الله مفردا، وفي باسم ربك؛ وجوز الفراء في قوله تعالى
«بسم الله مجراها ومرساها» الحذف والأثبات. فأن أضيفت الى «الرحمن»،
والقاهر» ونحوهما من أسماء الله تعالى، حذفت عند الكسائي خلافا للفراء

وتحذف في «ابن» مما وقع فيه «ابن» مفردا صفة بين علمين غير مفصول
فتكتب: جاء فلان بن فلان، بغير ألف سواء كان العلمان اسمين نحو: أحمد بن عمر،
أو كنيهين نحو: أبو بكر بن أبي عبد الله، أو لقبين نحو: هذا بنته بن بطة، أو اسم
وكنية نحو: هذا زيد بن أبي قحافة، أو لقب واسم نحو: هذا أنف الناقة بن زيد،
أو كنية ولقب نحو: هذا أبو الحارث بن بطة، أو لقب وكنية نحو: هذا بدر الدين بن
أبي بكر. ولا تحذف فيما عدا ذلك، فلو قلت: هذا زيد ابنك، أو ابن أخيك،
أو ابن عمك، ونحو ذلك مما ليس بين علمين أثبت الألف في «ابن». وكذلك
إذا كان خبرا نحو قولك: أظن زيدا ابن عمرو، وكان بكر ابن خالد، وإن زيدا ابن
عمرو، فثبتت الألف في الجميع. ولو ثنيت الابن ألحقت فيه الألف صفة كان أو
خبرا فتكتب: قال عبد الله وزيد ابنا محمد كذا وكذا، وأظن عبد الله وزيدا ابني محمد
فعلا ذلك، بالألف. وكذا اذا كتبت «ابنا» بغير اسم، نحو: جاء ابن عبد الله
فثبتت فيه الألف. وحكم «الابنة» مؤنثا حكم «الابن» في جميع ما ذكر على المشهور
تقول: جاءت هند بنته قيس

﴿الثاني — اللام﴾ فتحذف من «الذي» و«الذين» في الجمع، فيكتبان
بلام واحدة بخلاف «الذين» في التثنية، فأنها ثبتت فرقا بينه وبين الجمع وتحذف
من «آتي» ومن تثنيتهما وهي «التتان» وجمعها وهي «اللاتي»

وتحذف من «الليل»، واللييلة» على أجود الوجهين * وتحذف من «اللطيف»
فيكتب بلام واحدة بخلاف «اللهو»، واللعب، واللعبة، واللاعبين، واللغو، واللؤلؤ،

واللات ، واللهم ، واللب ، والوامة « فأنها لا تحذف منها . قال ابن قتيبة : وكل اسم أوله لام أدخلت عليه لام التعريف ككتبته بلامين نحو : اللهم ، واللبن ، واللجام ، واللحم ، وما أشبه ذلك

﴿ الثالث ، النون ﴾ - فتحذف من « عن » اذا وصلت بـ « مَن » أو « ما » فتكتب : عن ، وعماء ، وعم ، على ما سيأتي ، وتحذف من « من » الجارة اذا وصلت بـ « مَن » أو « ما » فتكتب بمن ، ومما ، وتحذف من « إن » اذا وصلت بـ « لم » فتكتب « لِمَ » ، وتحذف من « أن » المفتوحة اذا وصلت بـ « لا » فتكتب : ألا

﴿ الرابع ، الواو ﴾ - فتحذف لأمن اللبس مثل ما كتبوا من قوله : يدع الداعي ، ويح الله الباطل ، غير واو في يدعو ويمحو ، لأنه يمتنع في الحالتين ان يكون الفاعل جماعة ؛ بخلاف : لاتضرر وا الرجل ، فإنه لو حذف لالتبس الجمع بالواحد ، وتحذف مما توالى فيه « واوان » في كلمة واحدة مثل داود ، وطاوس ، ونحوهما : فتكتب الجميع بواو واحدة . وكتب بعضهم طاووس ، ونحوه بواوين على الاصل ، قال ابو حيان : والقياس الاقتصار على واو واحدة كراهة اجتماع المثنيين ؛ واستثنى ابن عصفور من ذلك ما لا يؤدي الى اللبس نحو قول ، وصـ وول على وزن فعول ، فقال : يكتب بواوين لأنه يلتبس بـ « قول رسول . واختره أحمد بن يحيى » وتحذف مما توالى فيه ثلاث واوات في كلمتين ككلمة مثل ليسوا ، وبنون ، بواوين فقط ، وتكتب : لواء ، واحتوا ، بواوين لأنه لو حذف احدهما لالتبس الجمع بالمفرد

﴿ الخامس ، الياء ﴾ وتحذف للجزم كما في قوله « لم يقض » وتحذف في مراعاة الفواصل نحو قوله تعالى « والليل اذا يسر » حذف الياء من « يسر » لمراعاة ما قبله من قوله « والفجر » وتحذف لأمن اللبس فتكتب « قارين » جمع قارىء ياء واحدة فرقا بينه وبين « قارين » تثنية قارىء ، فأنها تكتب بياءين

﴿ ما يغير بالبدل ﴾

وأما ما يغير بالبدل فالحروف التي يدخلها البدل ثلاثة احرف هي الألف ، والواو ، والياء (فالالف) أكثرها تعاقبا ويختلف الحال في ذلك : فأن كانت الكلمة اسما وكانت

الالف فيه رابعة فصاعدا نحو المعزى ، والمستدعى ، وحبلى ، وملهى ، وما أشبه ذلك
كتبت الالف فيها ياء . ولا تبدل بياء فيما قبلها فيه « ياء » نحو : الدنيا ، والعليا ،
ورؤيا ، وسقيا ونحو ذلك ، فتكتب بالالف في آخرها كراهة اجتماع ياءين ، الا انه يغتفر
ذلك في نحو يحيى ، ورئى ، علمين ، للفرق بين يحيى علما وبينه فعلا ، وبين ربي علما
وبينه وصفا ؛ فان كان مهموزا نحو مستقرنا ومستنبثنا ، أو قبل آخره ياء نحو خطايا ،
وزوايا ، والحوايا ، والحيا وما أشبهه كتبت بألف . وتنوب الياء عن الالف أيضا من
الاسم اذا كانت الالف فيه ثالثة وكانت مبدلة عن ياء نحو قى ، ورحى وما أشبه ذلك
فتكتب بالياء ؛ فان كان منقلبا عن واو نحو عصا ورجا ، لجانب البئر ، كتب بالالف .
وطريق التفريق بين ما هو منقلب عن ياء وما هو منقلب عن واو التثنية ، فتقول في الاول :
فتيان ورحيان ؛ ومن ثم كتبت « متى » بالياء لانها لو سعى بها وثبتت لقليل « متيان » ؛
وتقول في الثانى : عصوان ورجوان ، تبين انه من ذوات الواو ؛ فان اشكل شيء من
ذلك فلم يعلم هل هو من ذوات الياء أو من ذوات الواو نحو « خسا » بالخاء المعجمة
كتب بالالف لانها الأصل . ومنهم من يكتب الباب كله بالالف على الاصل . قال
ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها الى المؤنث ، فما كان فى المؤنث بالياء نحو العمى
والظمى ، كتب بالياء لانك تقول عمياء وظمياء ؛ وما كان المؤنث فيه بالواو كالعشا
فى العين ، والقناتى الانف كتب بالف ، لانك تقول : عشواء ، وقنواء . قال ، وكل
جمع ليس بين جمعه ومفرده فى الهجاء الا الهاء نحو الحصى والقنطار والنوى فما كان
جمعه بالواو كتب بالالف وما كان جمعه بالياء كتب بالياء ، وتكتب « لدى » بالياء
لانقلابها ياء فى « لديك » . اما « كلا » فالصحيح من مذهب البصريين انها تكتب
بالالف ، لان ألفها منقلبة عن واو ، ومن قال انها بالياء كتبها بالياء ، وقياس كلتا عند
البصريين ان تكتب بالياء ، وشذ كتابتها بالالف . قال ابن قتيبة : والذي استحسنته
ان تكتب كلا وكلتاني حال الرفع بالالف ، وفى حالتى الجر والنصب بالياء . وتكتب
« تبرى » مع التنوين وعدمه بالياء خلافا لبعضهم . ولو اتصل الاسم الذى يكتب
بالياء بضمير متصل نحو رحاك ، وقفاك ، فقليل يكتب بالياء كحال انفصاله فيكتب
« رحيك ، وقفيك » ؛ وقيل بالالف . فان كانت الالف فى الاسم ثانية نحو « ما »

و «ذا» اذا كانا اسمين ، كتبت بالالف ؛ وان كانت الكلمة فعلا فأن كانت الالف رابعة فصاعدا نحو أعطى ، واستعلى ، وشبههما كتبت بالياء الا ان يكون مهموزا نحو أخطأ ، وانبا فإنه يكتب بالالف ؛ وإن كانت الالف ثالثة رددته الى نفسك فان ظهرت فيه الواو نحو غدا ، ودعا ، وغزا كتبته بالالف لانك تقول فيه غدوت ، ودعوت ، وغزوت ؛ وشذ «زكي» فكتب بالياء وان كان من ذوات الواو لما فيه من معنى الامالة. وان ظهرت فيه الياء كتب بالياء نحو قضى ، ومشى ، وسعى ؛ لانك تقول فيه : قضيت ، ومشيت ، وسعيت . علي انه يجوز كتابته بالالف أيضا . فلو اتصل بالفعل ضمير متصل نحو رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقيل يكتب بالياء على هذه الصورة « رميه ، وجزيه ، ورعيه » والصحيح كتابته بالالف . قال ابن قتيبه : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم ينظر الى أصله ، فيكتب : أغزى فلان فلانا ، وادنى فلان فلانا بالياء وان كان من : غزوت ، ودنوت ؛ لانك تقول : أغزيت ، وأدנית . وان كانت الكلمة حرفا في آخره ألف كتب ألفا على صورة لفظه نحو « ما ، ولا ، وألا » وما أشبهها ؛ واستثنوا من ذلك « بلى ، والى ، وعلى ، وحتى » فكتبوها بالياء . فلو وليت « ما » الاستفهامية « حتى ، أو الى ، أو على » كتبن بالالف ، فكتب : حتام ، والام ، وعلام لشدة اتصالها . قال ابن الحاجب : فان وصلت في حتام وأختبها الماء الحائرة فلك ان تكتبها بالالف ، فكتب : حتامه ، والامه ، وعلامه ؛ ولك ان تكتبها بالياء : حتى مه ، والى مه ، وعلى مه

واعلم انه قد يكتب بالياء ما هو من ذوات الالف للمجاورة كما في قوله تعالى « والضحي والليل اذا سجي ماودعك ربك وما قلى » فقل من ذوات الياء لانها من قلت فكتب بالياء ، وسجي من ذوات الواو لانها من سجوت فكتب بالياء المجاورة « قلى » ، والضحي من ذوات الواو أيضا لانها من ضحوت فكتب بالياء المجاورة المجاور ثم اعلم ان الواو قد نابت عن الألف في مواضع من رسم المصحف ، وهي : الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، والنجوة ، ومشكوة ، ومنوة ، فكتب بالواو بدل الالف ، ومنهم من كتبها كذلك في غير المصحف أيضا ؛ ومنهم من كتبها بالالف وهو القياس عند ابى حيان . أما نظائر ذلك مما ليس في القرآن كالتقاء ، والقطاة ، والغلاة ونحوها

فإنما تكتب بالالف . فإن اتصل شيء مما أبدلت ألفه بضمير ، نحو : صلاتهم ، وزكاتهم ،
وحياتك ، ونجاته ، ومشكاته ، ورباه ، كتبت بالالف دون الياء

❦ الحالة الثانية - حالة التركيب ❦

(وما يترتب على ذلك من الفصل والوصل)

واعلم ان الاصل فصل الكلمة من الكلمة ؛ لان كل كلمة تدل على معنى غير معنى
الكلمة الاخرى . ويستثنى من ذلك مواضع : فترصل فيما اذا كانت الكلمتان لشيء
واحد وذلك في صور : احداها - ان تكون الكلمتان قد تركيبنا مخرج مثل
بعلبك ، فتوصل الثانية بالاولى لتدل على اتحاد مدلول اللفظين ، بخلاف ما اذا تركيبنا
تركيب اسناد نحو زيد قائم ، أو تركيب اضافة نحو غلام زيد ، أو تركيب بناء لم يتحد
فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشر ، وصباح مساء ، وبين بين ، فإنه يكتب مفصولا
لا توصل فيه كلمة بأخرى . الثانية : ان تكون احدى الكلمتين لا يبتدأ بها في اللفظ
نحو الضائر البارزة المتصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التأنيث ، والتثنية والجمع في لغة
« أكلوني البراغيث » فيكون متصلا وان كان من كلمتين « الثالثة : أن تكون احدى
الكلمتين لا يوقف عليها نحو باء الجر ، وفاء العطف ، ولام التوكيد فتكتب متصلة
وان كانت في الحقيقة كلمتين

وتوصل « من » الجارة وهي المكسورة في مواضع : احدها - - توصل بعد حذف
النون بـ « من » المفتوحة الميم مطلقا سواء كانت موصولة نحو : أخذت الدراهم من
أخذت منه ، أو موصوفة كما في المثال المذكور فإنها فيه تحتمل المعنيين جميعا ، أو
استفهامية نحو : ممن أنت ؟ ، أو شرطية نحو : ممن تأخذ درهماً آخذ منه . وقال ابن
عصفور : ان كانت « من » استفهامية ، كتبت مفصولة . الثاني توصل بعد حذف النون
بـ « ما » اذا كانت موصولة ، نحو : عجبت مما عجبت منه ، أو استفهامية نحو : مم
هذا الثوب ؟ ، أو زائدة كما في قوله تعالى « مما خطيأتهم أغرقوا » أما اذا كانت
شرطية نحو : من ما تأخذ آخذ ، أو موصوفة نحو : أكلت من ما أكلت منه ، فإن القياس

فصلها، وصححه أبو حيان؛ وقال ابن عصفور: إذا أتت «ما» استفهامية كتبت «من» معها. قال أبو حيان: وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا في حالة الاستفهام، بخلاف ما عداها وتوصل «عن» بما بعدها بعد حذف النون في موضعين: أحدهما - توصل «من» الموصولة غالباً نحو: رويت عن رويت عنه؛ وجوزوا فصلها مع ثبوت النون في عن. أما «من» غير الموصولة فالقياس فصلها فتكتب في الاستفهام: عن من تسأل؛ وفي الشرط: عن من ترض أرض عنه. وزعم ابن قتيبة أن «عن من» تكتب موصولة بكل حال سواء الموصولة وغيرها - الثاني - توصل بـ «ما» الاستفهامية كما في قوله تعالى (عم يسألون؟) وتحذف الألف بحسب ما تقدم في الكلام على الحذف وتوصل (مع) بـ (ما) إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة كما قال ابن قتيبة

وتوصل (في) في موضعين: أحدهما توصل بـ (من) الاستفهامية دائماً نحو قولك: فيمن تفكر؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت النون من (عن) و(من) إذا لا ادغام هنا - الثاني - توصل بـ (ما) إذا كانت موصولة في الغالب نحو: فكرت فيما فكرت فيه؛ ولا تسقط الياء على مامر. وجوزوا فصلها في هذه الحالة فتكتب كل من «في، وما» على انفرادها. وكذلك توصل إذا كانت استفهامية نحو قوله تعالى «فيم أنت من ذكرها» ولا تحذف الياء كما تقدم. أما «مع» إذا اتصلت بـ «ما» أو بـ «من» فإنها تكتب منفصلة، قاله ابن قتيبة. قال بعضهم: وكأن الفرق قلة الاستعمال.

وتوصل الحروف النواصب للأسم الروافع للجزاء إذا دخلت على «ما» الزائدة نحو: أما، وكانما، وليتما؛ فتكتب ان، وكان، وليت؛ متصلات بـ «ما» نحو: أما قلت كذا، فكأنما وجهه قر، وليتما هذا الشيء لي، ونحو ذلك. فإن كانت «ما» موصولة كتبت مفصولة نحو: إن ما قلت الحق؛ وكان ما حدثت صحيح، وليت مالك لي على أنه قد جاء في القرآن كثير من ذلك متصلاً.

وتوصل قل بـ (ما) إذا دخلت عليها نحو: قلما أتيتك مائة مرة وتوصل «ان» الشرطية بـ (ما) إذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو: وإما

تخافن من قوم خيانة . وتوصل (ان) الشرطية ؛ (لا) إذا دخلت عليها بعد حذف النون أيضا نحو : **الَّا تنصروه فقد نصره الله ، الَّا تفعلوه تكن فتنة في الارض** وتوصل (أين) ب (ما) نحو : **أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا .** فان كانت (ما) موصولة فصلت نحو : **اين ما اشتريت ، يريد أين الذي اشتريت ؟**

أما متى فلم يصلوها ب (ما) بل كتبوها منفصلة عنها اذ لو وصلت للزم قلب الياء . ألفا كما في حتام ، فتكتب متام فيتعذر ادراكها وتوصل (حيث) أيضا ب (ما) نحو : **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .** قال ابن قتيبة : وكتبها بعضهم مفصولة ، وهو خطأ

وتوصل (كل) بما المصدرية اذا دخلت عليها نحو : **كلما جئتنى أحسنت اليك .** فان كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة نحو : **كل ما تفعل حسن .** وقال ابن قتيبة : **كلُّ من ، مقطوعة على كل حال**

وتوصل (هل) ب « لا » بعد حذف احدى اللامين فتكتب على هذه الصورة : **هلاَّ فعلت .** وتقطعها من (بل) فتكتب : **بل لا تفعل**

وتوصل « بين » بما الزائدة نحو : **بينما أنا جالس ، وبينما أنا أمشي** وتوصل (أى) بما ، اذا كانت ما زائدة كما في قوله تعالى : **أيما الاجلين قضيت** وكما تقول : **أيما الرجلين لقيت فأكرم .** وان كانت ما موصولة فأنها تقطع عنها فتكتب : **أى ما تراه أوفق لك ، أى ما عندك أفضل ، مفصولة**

ويوصل يوم ، وحين ب (إذ) فتكتب : **يومئذ ، وحينئذ .** قيل وتكتب : **حالتئذ** كذلك موصولة

وتوصل (لأين) و « لآلآ » فتكتب : **لئن ، ولئلا ؛** وقد تقدم أنها تكتب حينئذ بالياء لا بالالف

وتوصل (أن) المفتوحة بلا ، اذا دخلت عليها على اقوال بعد حذف النون : فتكتب (ألآ) ؛ وتفصل منها وثبتت النون على الثاني فتكتب أن لا ؛ ويفرق بين ان تكون مخففة من الثقيلة فتكتب مفصولة نحو : **علمت ان لا يقوم زيد ،** وعلمت ان لا ضرر عندك ، والتقدير انه لا يقوم زيد وان لا ضرر عندك ؛ وبين ان تكون ناصبة الفعل فتكتب

موصولة مع حذف النون نحو يعجبني ألا تقوم ، على رأي الأخفش وابن قتيبة وابن السيد ؛ ويفرق بين ان تدغم بغنة فتكتب منفصلة أو بغيرغنة فينوي الاتصال وتحذف النون خطأ وهو رأي الخليل . وقد وقع في القرآن مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف

وتوصل نعم ، بما ، للادغام . وحكى ابن قتيبة فيها الفصل والوصل . وقد وصلت بثس بما في بعض المواضع من المصحف نحو : بثسا اشبروا به انفسهم .
ووصلت إن بلم مع حذف الين في قوله تعالى : فإلم يستجيبوا لكم ؛ ووصلت أن بان في قوله تعالى : ألن يجعل لكم موعدا ؛ ووصلت أن : (مَنْ) في قوله : أتمن هو قانت . ووصلت كي بلا في مواضع من المصحف منها : لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

﴿ الفصل السادس ﴾

(في بيان ما يكتب بالطاء مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد وقد بنيته على حروف المعجم ليقرب تناوله)
مما يكتب بالطاء : أظله الشيء إذا غشيه ؛ وبهظه الامر إذا أتعبه ؛ والتقرىظ ، وهو المدح ؛ والتلظ ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل ؛ والجواظ وهو الجاني المتكبر ، وقيل الاكرل ؛ والجحوظ وهو نتو العين وندورها ، وبلاشتماق منه سمي ابو عثمان الجاحظ ؛ والحفيظة وهي الموجودة ؛ والحظ وهو الغنى والنصيب ، ومنه قوله تعالى انه لذو حظ عظيم ، وقوله : لذكركم مثل حظ الانثيين . والحظوة وهي الرفعة . والحظر وهو المنع ، ومنه قوله تعالى : وما كان عطاء ربك محظورا ، وقوله كهشيم المحظور . وفي معناه الحظير ، وهو المحرط من قصب ونحوه ؛ والحنظل ، وهو النبات المعروف ؛ والشظية ، وهي القطعة من الشيء ؛ والشظاظ ، وهي عيدان لطاف يجمع بها العدلان ؛ والشظف ، وهو خشونة العيش ؛ والشواظ ، وهو لهب النار ، ومنه قوله تعالى : يرسل عليكم شواظ من نار ؛ والشيطم ، وهو الفرس الطويل الظهر ؛ والظن بمعنى التخمين ؛ والظنة ، وهي التهمة ، ومنه قوله تعالى : وما هو على الغيب بظنين ، على قراءة من قرأها بالطاء ؛ وظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ، ومنه قوله تعالى : فظلوا فيه يعرجون ، وقوله : فظلم تفكهنون ، وقوله :

وانظر الى اهلك الذي ظلت عليه عاكفا ؛ والغال خلاف الحر حثما وقع ؛ وما اشتق منه . والظلم خلاف العدل ، وما يتفرع منه . والظلم وهو ماء الاسنان ، والظلم وهو ذكر النعام . والظبي واحد الظباء ؛ والظبية الاثني منه . والظبة ، حد السيف ؛ والظرف الوعاء ؛ والظراب وهي المضاب ؛ والظالع وهو الغمز في الشيء ومنه : ناقة ظالع ، والظعن . ومنه قوله تعالى : يوم ظعنكم ، والظعينة . والظلف وهو للبقر والغنم كالحافر للخيل . والظائف وهو نزاهة النفس . والظفر واحد الاظفار . والظفر وهو النصر . والظمأ وهو العطش . والظهر وهو العضو المعروف . والظهير وهو المعين ومنه قوله تعالى : ولو كان بعضهم لِبعض ظهيرا . والظهيرة وهي وسط النهار ؛ والظأمر وهي المرضعة ؛ والعظم وهو معروف ؛ والعظمة وهي الكبرياء ؛ وما تصرف منها . والعظل وهو الشدة . ومنه تعاضل الجراد والكلاب في الفساد والغيظ بمعنى الحق ، وما تفرع منه . والعلاظوما تصرف منه . والفضاظة وهي القسوة . ومنه قوله تعالى : ولو كنت فضا غليظ القلب . والفضيع وهو الشنيع . وفاظ الرجل اذا مات ؛ ومنه فاظت نفسه اذا قصد أنها ماتت ؛ والقيظ وهو صميم الحر وكل ما تصرف منه . والقرظ وهو ثمر شجر السنط الذي يدبغ به ؛ والكظم وهو كتمان الحزن ، ومنه قوله تعالى والكاظمين الغيظ ؛ والكظ شدة الحرب ؛ وكاظمة اسم مكان بالبحرين ؛ ولظى اسم جهنم ؛ ومنه قوله تعالى : كلالها لظى ؛ والظ وهو اللزوم ، ومنه : أظوا بياذا الجلال والاكرام ، أي التزموا هذا الاسم في الدعاء ؛ واللاحظ وهو النظر بمؤخر العين ؛ والامظ وهو بياض الجحفة السفلى من الفرس ، يقال : فرس أمظ ؛ والنظم وما تصرف منه . والنظر بالعين وما تصرف منه ؛ والنظير وهو المثل ؛ والنظافة وهي خلاف القذارة . والوظيف وهو ما فوق الرسغ من الدابة . والوظيفة وأصلها الطعام الراتب ثم استعملت فيما هو أعم ؛ واليقظة وهي خلاف النوم وما تصرف منها قلت : ووراء ذلك ألفاظ غريبة من هذا الباب تركت لقلة استعمالها

اما ما يشبهه بالظاء مما يكتب بالضاد فمنه : الضلال ، خلاف الهدى ، وما تصرف منه وان كان أظله بمعنى غشيه بالظاء . والماض بمعنى الحث ، ومنه قوله تعالى : ولا يحض على طعام المسكين ؛ وما في معناه . والحضور الذي هو خلاف الغيبة . والضن بمعنى البخل ؛ ومنه قوله تعالى : وما هو على الغيب بضنين ؛ على قراءة من قرأها بالضاد . والضراب

بمعنى ضرب الفحل ؛ والمضاربة في المال ونحو ذلك ، والضرب بمعنى الأعمى ، والضلع أحد الاضلاع ؛ وضفر الشعر وما تصرف منه ، والضهر وهو صخرة في الجبل يخالف لونه ، والعضل بمعنى المنع ، ومنه قوله تعالى : فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ، وأعضل الامر اذا صعب ، ومنه الداء العضال وهو الذي عسر برؤه ، وغاض الماء اذا غار في الارض ، ومنه قوله تعالى : وغيض الماء ، وقوله : وما تقيض الارحام ، والغیضة وهي منبت الشجر في الماء ، وانفضاض الجمع ومنه قوله تعالى : لانفضوا من حولك ، وقوله : حتى ينفضوا ، وفض الكتاب وهو فك ختمه ، ومنه افتضاض البكر وهو ازالة بكراتها ، والفيض بمعنى السيلان ، ومنه فاض الماء والدمع ، ومنه قولهم فاضت نفسه اذا قصد بهاسالت ، والقيض وهو القشرة العليا من البيض ، وقيض الله له كذا أى اتاحه ، ومنه قوله تعالى : نقيض له شيطانا فهو له قرين ، والقرض بمعنى القطع ، ومنه قرض المال والقراض فيه ، كأنه يقطع له من ماله قطعة ، والنضارة بمعنى البهجة والنعيم ، ومنه قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة ، ومنه اشتقاق بنى النضير ، والنضار وهو الذهب ، والنضر بمعناه

المقالة الثانية

(فيما يحتاج اليه من معرفة احوال الارض وجهاتها ورياحها وبحارها . ويحتاج الكاتب الى ذلك في معرفه الممالك والطرق الموصلة اليها . وفيها ثلاثة أبواب)

الباب الاول

(في شكل الارض والبحر المحيط بها وجهاتها والرياح التي تهب منها والبحار المنبثة في ارجائها . وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الاول

(في ذكر شكل الارض وما ينخرط في سلك ذلك)

اما شكل الارض فقد تقرر في علم الهيئة ان الارض كرية الشكل ، وقيل مسطحة ، وقيل كالترس ، وقيل كالطبل . والراجح الأول . وبكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها الا ما اقتضت الحكمة الالهية كشفه من اعلاها لوقوع العارة فيه . وقد شبهوها

بيضة ملقاة في وسط طشت مملوء ماء قد ظهر أعلاها والماء محيط بياقيها وهو البحر المحيط الذي هو أحد العناصر الأربعة

وأما جهاتها فلها أربع جهات : الأولى المشرق ، وهي التي تشرق الشمس منها ، ويقال لها الشرق أيضا . وتسمى الريح التي تهب منها الشرقية نسبة إلى الشرق ، وتسمى أيضا القبول لمقابلة مستقبل المشرق لها ، وتسمى الصبا أيضا . الثانية المغرب وهي التي تغرب فيها الشمس ، ويقال لها الغرب أيضا . وتسمى الريح التي تهب منها الغربية نسبة إلى الغرب ، وتسمى أيضا الدبور لاستبدال مستقبل المشرق لها . الثالثة الشمال ، بفتح الشين ، وهي التي على شمال مستقبل الشرق . وتسمى الريح التي تهب منها شمالا باسم الجهة ، وشمالا بالهمز ؛ وأهل مصر يسمونها البحرية . قال أبو جعفر النحاس : وسميت بذلك لأنها يسار بها في البحر كيف كان . الرابعة الجنوب ، بفتح الجيم ، وهي التي عن يمين مستقبل الشرق كأنها سميت بذلك لكونها على الجانب الذي لم تسم له جهة إذ لم يبق من جهات الأرض إلا الجانب الأيمن . وتسمى الريح التي تهب منها الجنوب باسم الجهة ، وأهل مصر يسمونها هذه الريح الرئيسية لهبوبها من جهة بلاد المريس وهي بلاد النوبة

ثم كرة الأرض يقسمها خط متوهم في وسطها بنصفين : نصف جنوبي ، ونصف شمالي . وهذا الخط يسمى خط الاستواء لاستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول السنة ؛ ويقاطعه خط آخر متوهم يقسمها بنصفين : نصف شرقي ، ونصف غربي . ويسمى هذا الخط «خط نصف النهار» لسامته الشمس له في نصف النهار ، وتصير الأرض حينئذ مقسومة إلى أربعة أرباع . وكل خط من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجة ، والدرجة ستون دقيقة . والذي حققه القدماء كبطليموس تقدير الدرجة بست وستين ميلا وثلاثي ميل : وقدره ابن الشاطر في تاريخه بمسير يومين ، وبخمس برود ، وبعشرين فرسخا ، وبستين ميلا ، وبمائتي الف ذراع - كل ذلك على سبيل التقريب . قلت : وهي كما بين الفسطاط ودماط من الديار المصرية فإن بينهما في العرض درجة

واعلم أن النصف الجنوبي من الأرض لا عمارة فيه إلا فيما قارب خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة وما إلى ذلك ، بل أكثره مغمور بالماء . وأكثر المعمور

أما هو في النصف الشمالي . وأقصى الشمال أيضا لاعماره فيها لاستيلاء البرد عليها
ثم غالب العماره واقع في أوساط النصف الثاني

❦ الفصل الثاني ❦

(في البحر المحيط والبحار المنبثه في ارجاء الارض)

❦ البحر المحيط ❦

أما البحر المحيط فإنه يسمى من الجانب الغربي بحر اوقيانوس، وفيه الجزائر الخالدات
الواقعات فيه . وناقي الامتداد من بحر اوقيانوس المذكور من سواحل بلاد المغرب
الاقصى الى جهة الجنوب حتى يجاوز صحراء لتونة وهي برارى البربر بين طرف بلاد
المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال؛ ثم يمتد جنوبا على أراضي
خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الاستواء في الجنوب عنه، ثم يعطف
على جهة الشرق وراء جبال القمر التي منها ينابيع نيل مصر فيصير البحر المذكور جنوبيا عن
الارض، ثم يمتد شرقا على أراضي خراب وراء بلاد الزنج، ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل
ببحر الصين والهند ثم يأخذ مشرقا حتى يسامت نهاية الارض الشرقية المكشوفة
وهناك بلاد الصين، ثم يعطف في شرقي الصين الى جهة الشمال، ثم يمتد شمالا على شرقي
بلاد الصين حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج، ثم يعطف ويستدير
على أراضي غير معلومة الاحوال ويمتد مغربا ويصير في جهة الشمال عن الارض ويسامت
بلاد الروس ويتجاوزها، ثم يعطف غربا وجنوبا ويستدير على الارض ويصير في جهة
الغرب منها ويمتد على سواحل امم مختلفة من الكفار حتى يسامت بلاد رومية من غربها،
ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية الى مسامته البلاد التي بين رومية وبين الأندلس
حتى يتجاوز الأندلس ويسامت سبته من بر العدو من حيث وقع الابتداء . قال
الشريف الإدريسي : والبحر المحيط من جهة الجنوب غليظ لا يعيش فيه حيوان ولا
تسير فيه سفينة

❦ البحار المنبثه في الارض ❦

وأما البحار المنبثه في أرجائها فأشهرها بحران :

﴿ البحر الاول ﴾ الخارج من البحر المحيط الغربى ويعرف ببحر الروم ، ويقال له
 البحر الرومى لسكنى ام الروم عليه ، وربما قيل فيه البحر الشامى لوقوع بلاد الشام عليه
 من شرقه . ومخرجه من البحر المحيط الغربى المعروف ببحر أوقيانوس بين جزيرة الاندلس
 وبر العدو من بلاد الغرب الاقصى . ويسمى هناك بحر الزقاق ، وربما قيل « زقاق
 سبتة » لمجاورته لها ، وهو هناك فى غاية الضيق . قال الادريسى : والثابت فى الكتب
 القديمة ان سعته عشرة اميال ، ولكنه اتسع بعد ذلك . قال ابن سعيد : وهو فى زماننا
 ثمانية عشر ميلا . قال فى الروض المعطار : ويقال انه كان عليه قنطرة مبنية بالحجر
 غطاها الماء . ويمتد من بحر الزقاق هنا على سواحل الغرب فيمر على طنجة ، ثم يعطف
 جنوبا وشرقا الى مدينة سلا ، ثم يمتد شرقا وشمالا الى سبتة ، ويمتد كذلك حتى يسامت
 مدينة فاس قاعدة الغرب الاقصى على بعد ، ثم يمتد الى حدود مدينة تلمسان قاعدة
 الغرب الاوسط ، ثم يأخذ شرقا بشمال الى الجزائر فترضة بجاية ويمر حتى يسامت بجاية
 من الغرب الاوسط ، ثم يمتد حتى يجاوز مرسى الخرز الذى به مغاص المرجان شرقى
 قسنطينة آخر مملكة بجاية الى اول حدود افريقية ، ويمر فى سمت الشرق حتى يقابل
 تونس قاعدة افريقية من شمالها ، ويدخل منه جون الى تونس ، ثم يمتد نحو تسعين ميلا
 شرقا نصبا ، ثم يعطف جنوبا ويصير له دخلة كبيرة فى الجنوب وفى فم هذه الدخلة
 جزيرة قوصرة مقابل جزيرة صقلية ، ثم يمتد فى الجنوب الى قرب سوسة ، ثم يشرق
 الى سوسة المذكورة ، ثم يأخذ شرقا بجنوب الى المهديّة ، ثم يمر شرقا بجنوب حتى يجاوز
 صفاقس ، ويمتد حتى يجاوز جزيرة جربة ، ثم يعطف شمالا حتى يبلغ مدينة طرابلس وهى
 آخر مدن افريقية ، ثم يمتد شرقا حتى يجاوز حدود افريقية ، ثم يمتد شمالا على سواحل
 برقة الى طاميثا ، ثم يعطف شمالا ويكون للبر فى البحر دخلة الى رأس أوتان وهو جبل
 داخل فى البحر ، ثم يشرق الى رأس تبنى وهو جبل فى البحر قبالة رأس أوتان من الشرق ،
 ثم يعطف الى الجنوب ويمتد حتى يسامت عقبة برقة حد الديار المصرية من افريقية ،
 ثم يمتد على سواحل مصر ويمر شرقا وجنوبا الى مدينة الاسكندرية ، ثم يأخذ شرقا
 الى قرية اسمها رشيد عند مصب فرقة النيل الغربية ، ويمتد كذلك الى مدينة دمياط
 عند مصب فرقة النيل الشرقية ، وأخذ شرقا الى الطينة ، ثم الى الفرما ، ثم الى العريش

ثم الى رفح عند حد الديار المصرية من الشام على نحو مرحلة من غزة . ومن هنا ينقطع
تشريقه ، ثم يعطف ويأخذ شمالا على سواحل الشام فيمتد الى غزة ، ثم الى عسقلان ، ثم
الى يافا ميناء الرملة ، ثم الى قيسارية الشام من حد فلسطين ، ثم الى عثليث من عمل
صفد ، ثم الى عكا ، ثم الى صور من عملها ، ثم الى بيروت من عمل دمشق ، ثم الى جبيل
وهي مدينة قديمة خراب ، ثم الى مدينة طرابلس ، ثم الى انطربوس من عملها ، ثم الى
السويدية ميناء انطاكية من عمل حلب ؛ ثم يأخذ البحر غربا بشمال الى سواحل بلاد
الارمن فيمر الى رصص ، ثم الى باب سكندرية حيث در بند بلاد الروم ، ثم الى
باناس ، ثم الى المصيصة ، ثم الى أدنه ، ثم الى طرسوس ، ثم يمتد شمالا بغرب حتى يجاوز
حدود بلاد الارمن ويمتد على سواحل بلاد الروم التي هي الآن بيد التركان فيمر
الى الكرك ، بضم الكاف الاولى وسكون الراء المهملة ، وهي بلدة بساحل بلاد المسلمين
بيد صاحب قبرس الآن ؛ ثم يمتد شمالا الى العالايا ، ويقابلها من البر الآخر مدينة دمياط
تقريبا ؛ ثم الى انطاكية ، ثم الى بلاط ، ثم الى طنفرلو ، ثم الى اياس لوق ، ثم الى مغنيسيا
ثم الى أبزو وهي بلدة على فم الخليج القسطنطيني من الشرق وربما نسب فم الخليج
اليها فيقال فم أبزو ، ويقابلها من البر الآخر غربى مدينة الاسكندرية فيما بينهما وبين برقة
ثم يجاوز الخليج المذكور ويمتد غربا بجنوب على سواحل الروم والفرنجية فيمر على
بلاد « المرا » وهي مملكة أولها من الشرق الخليج القسطنطيني كانت في الايام الناصرية
ابن قلاوون مشتركة بين القسطنطينية والكيكلان ، ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى
يجاوز بلاد الملفجوط وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ويقابلها من البر الثاني
شرقى برقة ، ثم يمتد في الغرب الى بلاد الباسليسة وهي امرأة ملكت هذه البلاد بعد
السبعائة فعرفت بها ويقابلها من البر الآخر اوساط برقة وبآخر هذه المملكة من
جهة الغرب جون البنادقة وهو خليج يخرج من بحر الروم المذكور نحو سبعائة ميل ويمتد
غربا بشمال حتى يصير طرفه غربى رومية وعلى طرفه مدينة البندقية ، ثم يجاوز فم الخور
المذكور الى مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر طليما فرضة برقة ، ثم يمتد في الغرب
الى بلاد قلفريه من مملكة بوليه ويقابلها من البر الآخر بلاد طرابلس من افرقية ،
ثم يمتد الى ساحل رومية ويقابلها من البر الآخر شرقي تونس قاعدة افرقية ، ثم ينقطع

تغريبه وبأخذ جنوبا الى بلاد التسقان وهم جنس من الفرنج ينبت الزعفران ببلادهم ويقابلها من البر الآخر مدينة تونس، ثم يمتد في الجنوب الى بلاد يزرقة وهي بلدة على الركن الشمالى من جزيرة الاندلس اليها ينسب الفرنج البيازنة والحديد البيزانى ويقابلها من البر الآخر مرسى الخرز من عمل بجاية ثم يمتد الى بلاد جنوه ثم يأخذ غربا الى جبل ألبرن الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأعم المختلفة، ثم يتقطع تغريبه ويعطف شرقا ويدخل الركن الشرقى من الاندلس فيه ويمتد في الشرق ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتد على سواحل الاندلس فيمر الى برشلونه ثم الى طرطوشه ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية، ثم يمتد بين الغرب والجنوب الى بلنسية، ثم يعطف غربا الى دانية، ثم يمتد غربا بجنوب الى مالقة، ثم الى الجزيرة الخضراء ويقابلها من البر الآخر ساحل سبتة وطنجة من بلاد الغرب الاقصى حيث وقع الابتداء

يقال ان طول هذا البحر من البحر المحيط الى سواحل الشام الف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا وغاية عرضه في بعض الأماكن ستمائة ميل
قلت: وفيه جزائر كبيرة يأتي الكلام عليها عند مكاتبة ملوكها في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

ويتصل بالبحر الرومى المقدم ذكره بحر نيطش، بنون مكسورة وباء مشاة تحت ساكنة وطاء موهلة مكسورة وشين معجمة فى الآخر، وهو المعروف فى زماننا ببحر القرم لوقوع بلاد القرم على ساحله الشمالى، وربما عرف بالبحر الارمنى لوقوع بعض بلاد ارمنية على ساحله الجنوبى. وربما قيل فيه البحر الاسود ويتركب عليه من آخره بحر مانيتش بزيادة لفظ « ما » فى أوله وهو المعروف فى زماننا ببحر الأزق لوقوع بلاد الأزق على ساحله الشرقى. وليس وراءه بحر يتصل به وهو يصب فى بحر نيطش المقدم ذكره، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم ولذلك تسرع المراكب فى سيرها من القرم الى بحر الروم وتبطل فى سيرها من بحر الروم الى القرم لاستقبالها جريان الماء. وأول بحر نيطش المذكور مما يلى بحر الروم من شمالى بحر الروم الخليج القسطنطينى وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الانسان صاحبه من البر الآخر ويمتد شمالا على سواحل

بلاد الروم من البر الشرقي منه الى قلعة الجرون وهي قلعة خراب تقابل القسطنطينية ويمتد شمالا بميلة يسيرة الى الشرق الى مدينة كزلي، ثم يمتد شرقا بشمال الى مدينة كنزو وهي آخر مدن القسطنطينية على هذا الساحل، ثم يمتد الى مدينة كينولى، ثم يأخذ بين الشمال والغرب ويكون للبر دخلة في البحر الى جهة الغرب على طرفها فريضة سنوب من سواحل الروم؛ ثم يأخذ في الاتساع الى مدينة سامسون من سواحل الروم أيضاً؛ ثم يمتد مشرقا الى مدينة طرابزون وهي فريضة الروم بهذا الساحل؛ ثم يمتد شمالا بغرب الى مدينة سحوم، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد ويقال انها من بلادهم؛ ثم يمتد شرقا بشمال الى مدينة المحاس؛ ثم يتضايق البحر مغربا ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البران ويصير الماء بينهما مثل الخليج وهو مصب بحر مانيطش في بحر نيطش؛ وعلى ساحل هذا الخليج مدينة الطامان من سواحل الروم، وهي حد بلاد الروم من بلاد مملكة بركة التي قاعدتها مدينة السراي؛ ثم يأخذ البحر في الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة ويمتد على سواحل بلاد الأزق، ومنها ينتهي تشريقه؛ ثم يعطف الى الشمال ويأخذ الى مدينة الازق؛ ثم يستدير من الازق حتى يصير الى الغرب وينتهي الى الخليج الذي بين بحر نيطش وبحر مانيطش المقدم ذكره، وهناك مدينة الكرش من بلاد الأزق مقابل مدينة الطامان المقدمة الذكر من البر الآخر؛ ثم يمر جنوبا ويمتد على سواحل القرم الى مدينة الكيفا، فريضة القرم ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون المقدمة الذكر؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة صوداف وهي فريضة ببلاد القرم، ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المقدمة الذكر؛ ثم يأخذ في الانضمام جنوبا ويعطف شرقا حيث يكون للبر دخلة في البحر ويمتد على سواحل بلاد البلغار الى مدينة « صارى كومان » من بلاد البلغار ويقابلها من البر الآخر مدينة سنوب المقدمة الذكر؛ ثم يأخذ في الاتساع غربا بجنوب ويمتد الى مدينة « أق قجبا كومان » من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتد على سواحل بلاد القسطنطينية الى بلدة تسمى « صقحي » عند مصب نهر طنا، وهو نهر بقدر مجموع دجلة والفرات؛ ثم يتضايق ويأخذ جنوبا ويتقارب البران ويمتد كذلك الى مقابل مدينة كزلي المقدمة الذكر؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة القسطنطينية قاعدة ملك الروم ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون الخراب

المقدمة الذكر؛ ثم يمتد حتى يقع في بحر الروم حيث وقع الابتداء.

﴿ البحر الثاني ﴾

(الخارج من البحر المحيط الشرقي الى جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أقصي بلاد الصين الشرقية الجنوبية مما يلي خط الاستواء ويمتد غربا بشمال على سواحل بلاد الصين الجنوبية ثم على المفاوز التي بين الصين والهند حتى ينتهي الى جبال قامرون الفاصلة بين الصين والهند، ويمتد على سواحل بلاد الهند من الجنوب ويمر على سفالة الهند وهي سوفاره ويمتد حتى ينتهي الى آخر الهند؛ ثم يمتد على مفازة السند الفاصلة بينه وبين البحر حتى ينتهي الى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر الى جهة الشمال، ويجاوزه الى بلاد اليمن ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبه الى عدن فرضة اليمن؛ ثم يمر شمالا بغرب حتى ينتهي الى باب المنذب، وهو فرضة بين جبلين هي أول بحر القلزم؛ ويخرج منه ويمتد غربا بشمال الى اثني عشر ميلا؛ ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية الى علاقة فرضة مدينة زبيد؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة «حلى» المعروفة بحلى ابن يعقوب من أطراف اليمن من جهة الحجاز؛ ثم يمتد شمالا على ساحل الحجاز الى جدة، فرضة مكة المشرقة؛ ثم يمتد الى الجحفة، ميقات الاحرام لاهل مصر؛ ثم يمتد شمالا بغرب الى ساحل ينبع؛ ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز مدين، ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب أيلة تحت العقبة؛ ثم يعطف جنوبا حتى يجاوزها الى مكان يعرف برأس أبي محمد ويكون للبر دخلة في البحر في جهة الجنوب، ثم يعطف شمالا الى فرضة الطور وهي مكان حط واقلاع لمرآكب الديار المصرية وما يصل اليها من اليمن وغيره ويمر في الشمال الى فرضة السويس وهي مكان حط واقلاع لالديار المصرية أيضا وعندها ينتهي برالعرب ببحر القلزم ويبتدى بر العجم. وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم المقدم ذكره ثم يعطف الى الجنوب على سواحل الديار المصرية ويمتد موزايا لصعيدها حتى ينتهي الى مدينة القلزم وهي مدينة خراب وتقابلها أيلة من بر الحجاز، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بشرق حتى يسامت فرضة الطور المقدم ذكرها وتصير فرضة الطور بين أيلة والقلزم غرب دخلة البر المقدم ذكرها، ثم يمتد كذلك حتى ينتهي الى التصير فرضة قوص ثم يتسع البحر في جهتي الجنوب والشرق

حتى يكون اتساعه تسعين ميلا، وتسمى تلك القطعة المتسعة بركة الغرندل، وهي التي اغرق الله تعالى فيها فرعون؛ ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة الى الغرب الى عيذاب فرضة قوص ايضا، ويقابلها من بر المجازجة فرضة مكة المكرمة؛ ثم يمتد في سمت الجنوب على سواحل السودان حتى يصير عند سواكن من بلاد البجاية ثم يمتد كذلك حتى يحيط بجزيرة دهلك وأهاها حبشة مسلمون، ويقابلها من بر اليمن حلى المقدم ذكرها، ثم يمتد الى رأس جبل المنذب المقدم ذكره وهناك يضيق البحر حتى يرى الرجل صاحبه من البر الآخر، ويقال انه مقدار رميتي سهم، ومن هناك ترى جبال عدن في وقت الصحو؛ ثم يتجاوز باب المنذب ويأخذ شرقا بجنوب ويتسع قليلا حتى يمر بمدينة زبلع من بلاد الحبشة المسلمين، ويقابلها عدن من بر اليمن، وهي عن عدن في الغرب بميلة الى الجنوب؛ ثم يمر الى مدينة مقدشو؛ ثم يمتد كذلك حتى ينتهي الى خليج بربرا الخارج من بحر الهند في جانبه الجنوبي، ويتجاوزه ويمتد على سواحل بلاد الزنج الى آخرها ثم يمتد الى سواحل بلاد الواق واق ثم على أماكن مجهولة حتى ينتهي الى مبدئه من البحر المحيط الشرقي واعلم ان هذا البحر يسمى في كل مكان باسم ما يسامته من البلاد أو باسم بعض البلاد التي هي عليه فيسمى فيما يقابل بلاد الصين بحر الصين، وفيما يقابل بلاد الهند وما جاورها الى بلاد اليمن بحر الهند، وفيما دون باب المنذب الى غايته في الشمال والغرب بحر القلزم، نسبة الى مدينة القلزم المقدمة الذكر. قال في تقويم البلدان: وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرقي الى القلزم الفان وسبعائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب

ويخرج من بحر الهند من شماليه بحر فارس، اضافة الى بلاد فارس لتركبها على جانبه الشمال، ويمتد شمالا بغرب غربي مفازة السند الفاصلة بينه وبين الهند على ما تقدم ذكره، ثم على أرض مكران من نواحي الهند. ويخرج منه من آخر مكران جون يمتد شرقا بجنوب على ساحل مكران والسند حتى يصير السند غريبه؛ ثم يعطف آخره على سواحل بلاد كرمان من شماليها حتى يعود الى بحر فارس، فيمتد شمالا الى مدينة هرمز وينتهي الى آخر كرمان، فيخرج منه جون يمتد على ساحل كرمان من شماليها، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبها حتى يتصل ببحر فارس

ويمتد شمالاً ثم يعطف غرباً الى حصن ابن عمارة من بلاد فارس وقيل من كرمان؛ ثم يمتد مغرباً في جبال متقطعة ومفاوز الى مدينة سيراف؛ ويمتد كذلك الى سيف البحر، من سواحل فارس؛ ثم يمتد الى جنبابه من بلاد فارس؛ ثم الى شينيز منها وقيل من الأهواز؛ ثم يمتد الى مدينة بهروبان من سواحل خوزستان، وقيل من فارس؛ وهي فرضة أرجان وما والاها؛ ثم يمتد غرباً بميلة يسيرة نحو الشمال الى مدينة عبادان، من أواخر بلاد العراق من الشرق على القرب من البصرة عند مصب دجلة في هذا البحر؛ ثم يعطف ويمتد جنوباً الى كاظمة وهي جون على سواحل البحرين على مسيرة يومين من البصرة؛ ثم يمتد الى القطيف من البحرين؛ ثم يمتد كذلك الى مدينة عمان فرضة البحرين، وإليها تنتهي مراكب السند والهند والزنج؛ ثم يمر حتى يتصل ببلاد الشحر من اليمن، وإليها ينسب العنبر الشحري؛ ثم يمتد على سواحل مهرة من شرقي بلاد اليمن حتى ينتهي الى مبدئه من بحر الهند . قال ابن الأثير في عجائب المخلوقات : وطول هذا البحر اربعمائة فرسخ وأربعون فرسخاً وعمقه ثمانون باعاً . وبهذا البحر عدة جزائر . وفيه مغاصات اللؤلؤ الجيد ، ومنها يصير الى البحرين فيجلب الى الحجاز وغيره ويخرج من بحر الهند أيضاً من جنوبيه الخليج البربري ، وهو بحر ينبعث منه في جنوبي جبل المنذب المقدم ذكره ، ويمتد في جنوبي بلاد الحبشة ، وأخذغر باحتي ينتهي الى مدينة بربرا وهي قاعدة الزغاوة من السودان ، وإليها ينسب هذا البحر . قال في تقويم البلدان : وطوله من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة ميل . قال الأدريسي : وموجه كالجبال الشواحق ولكنه لا ينكسر . قال : وإنما يركب فيه الى مدينة قنبلو ويقال قنبلة . قال الأدريسي وأهلها مسلمون

❦ الفصل الثالث ❦

(في الاقاليم السبعة الحقيقية)

قد قسم الحكماء المعمور الى سبعة أقاليم ممتدة من المشرق الى المغرب . وقد اختلفوا في ترتيبها بحسب الغرض ، فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خط الاستواء وآخر السابع منتهي العمارة في الشمال ، وهو ست وستون درجة من خط الاستواء . قال في تقويم

البلدان والذي عليه المحققون ان ابتداء الاقليم الأول حيث العرض اثنتا عشرة درجة وثلاثا درجة، وما وراء ذلك الى خط الاستواء خارج عن الاقليم الاول في جهة الجنوب . وآخر الاقليم السابع حيث العرض خمسون درجة وثلاث درجة ، وما وراء ذلك الى نهاية العمران في الشمال خارج عن الاقليم السابع الى الشمال ، فيكون من العمران ما لم يدخل في الاقاليم السبعة . وعليه وقع الترتيب في هذا الكتاب

الاقليم الاول منها سبعة درجات وثلاثا درجة وثمان درجة . الثاني سبعة سبع درجات وثلاث دقائق . الثالث سبعة ست درجات وثمان درجة . الرابع سبعة خمس درج وسبع عشرة دقيقة . الخامس سبعة أربع درجات وربع وثمان وعشر درجة . السادس سبعة ثلاث درجات ونصف وثمان وخمس درجة . السابع سبعة ثلاث درجات وثمان دقائق

❦ الباب الثاني - من المقالة الثانية ❦

في مملكة الديار المصرية ومضافاتها وما ينخرط في سلكها من بلاد الثغور والعوامم المعروفة الآن ببلاد الأرمين وأطراف الجزيرة الفراتية مما يضاف للأعمال الخليفة وحدودها المنطبقة عليها من سائر جهاتها وفيه فصول

❦ الفصل الاول ❦

(في مملكة الديار المصرية)

وهي مصر ، نطق به القرآن الكريم في غير موضع؛ ويقال له الديار المصرية . وقد اختلف في سبب تسميتها بمصر فقبل سميت باسم مصر بن تقراوس بن براجيل بن رزائيل بن عزاب بن آدم عليه السلام، وهو أول من عمرها قبل الطونان . وقال الجاحظ انها سميت مصر لمصير الناس اليها . قلت ويجوز ان تكون سميت مصر لكونها حدا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب ، اذ المصري في اللغة اسم للحد . وكيفما كان فهو اسم غير مصروف سواء كان عربيا أو اعجميا لاجتماع العلمية والتانيث

وموقع الديار المصرية بجماحتها في الأقليم الثاني والأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . ويذكر في مسالك الابصار ان آخر اثني دهر ووط من البهنسائية جنوبها الى

آخر حدها من الجنوب من الأقليم الثاني، وما هو عن شمالها الى آخر حدها من الشمال
من الاقليم الثالث

وقد اختلف للمصنفون في المسالك والممالك في تحديدها . فالجمهور على أن حدها
الشمالى وهو المعبر عنه عند أهل الديار المصرية بالبحرى يبتدىء ما بين الزعقة ورفح
عند حدها من الشام حيث الشجرتين . قال في التعريف: وإنما هو موضع الشجرة التي تعلق فيها
العوام الخرق وتقول هذه مفاتيح الرمل، حيث الكشب المجنبة عن البحر الشامي قريب الزعقة،
قال، فأما الاشجار المعروفة الآن بالخروبة وهي المعروفة قديما بالعش فأنها وان عظمت
محدثه من زمان من حدود الاقليم، وليست في موضع ما ذكره؛ ثم يمتد هذا الحد على
البحر الرومي مقربا الى رفح، ثم الى العريش أخذاً على الجفار الى الفرما، الى الطينة، الى
دمياط، الى ساحل رشيد، الى الاسكندرية، وهي آخر العماره بهذا الحد، ثم الى اللينونة،
الى العميدين، الى برقة، الى العقبة الفاصلة بين الديار المصرية وافريقية و حدها
الغربي يبتدىء من ساحل البحر الرومي حيث العقبة المذكورة ويمتد جنوباً وأرض
افريقية غريبه على ظاهر الفيوم والواحات من الديار المصرية من غريبها حتى يقع على
حدود النوبة على ثمان مراحل من اسوان، ووقع في التعريف في حدود النوبة صحراء
الحبشة و حدها الجنوبي وهو الذي يعبر عنه أهل الديار المصرية بالقبلى يبتدىء من
آخر هذا الحد من حدود النوبة ويمتد شرقاً حتى ينتهى ببحر القلزم و حدها الشرقي
يبتدىء من آخر هذا الحد ويمتد شمالاً ببحر القلزم شرقه الى عيذاب، الى القصير،
الى مدينة القلزم، الى السويس، ثم يأخذ شرقاً عن بركة الغرندل التي أغرق فيها
فرعون من بحر القلزم الى تيه بنى اسرائيل، ثم يعطف شمالاً ويمر على أطراف الشام
حتى ينحط على ما بين الزعقة ورفح بساحل البحر الرومي حيث وقع الابتداء . وعلى
هذا النحو جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة في تقويم البلدان وخالفه القضاعي
في خطه في بعض ذلك، فجعل ابتداء الحد الشمالى من العريش، وليس فيه بعد عن
رفح؛ وجعل الحد الجنوبي يقطع بحر القلزم وينتهى الى ساحل الحجاز بالخوراء أحد
منازل طريق حجاج مصر . والحد الشرقي يمتد على ساحل البحر الشرقي الى مدين،
الى أيلة، الى تيه بنى اسرائيل، الى العريش . فأدخل بحر القلزم من هذا الخور الى

نهايته الشمالية وما على ساحله من بر الحجاز مما يسامت العريش كأهلة ونحوها في حدود الديار المصرية

﴿ النيل ﴾

وبها النيل وهو النهر العظيم الذي لا نظير له في الوجود . وقد ذكر بطليموس أنه ينحدر من جبل القمر، اما بفتح القاف والميم على ما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم على ما ضبطه ابن سعيد، ويسير الى جهة الشمال حتى يصب في بحيرة مدورة عند خط الاستواء تسمى بحيرة « كورى » ويخرج منها شمالا ويمر على زغاوة من بلاد السودان، ويمتد حتى يأتي على النوبة ويجاوز مدبتها دنقلة؛ ثم يمر حتى ينحدر من الجنادل ويمتد شمالا حتى يجاوز أسوان، ويمضى حتى يمر على الفسطاط من غربيه ويتجاوزها الى قرية على شاطئها تسمى شظوف، فيفترق منها شطرين، ويمر الغربي منهما الى بليدة تسمى رشيدا ويصب في البحر الرومى؛ ويمر الشرقي منهما حتى يفترق بفرقتين عند قرية تسمى المنصورة ويمر الغربي منهما الى مدينة دمياط عن غربها ويصب في بحر الروم أيضا، ويمر الشرقي منهما الى اشوم طنح ويصب في بحيرة هناك شرقي دمياط تسمى بحيرة نيس، وبحيرة دمياط المتصلة بالبحر؛ وتصير دمياط بين هاتين القريتين

﴿ جبال مصر ﴾

ويكتنف الديار المصرية جبالان من شرقيها وغربيها :

﴿ فأما الشرقي منهما ﴾ فيمتد بين النيل وبحر القلزم حتى يجاوز الفسطاط وينعطف وبأخذ مشرقا حتى يأتي على آخر بحر القلزم من الشمال يرتفع في موضع وينخفض في آخر . وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قوص معدن الزمرد الذي ليس في الدنيا الا فيه . وعلى القرب منه مقطع الرخام الملون من السماقي، والزرزورى، والذبابي، والابيض وغيرها من الالوان التي لا تساوى قيمة ولا تسمى حسنا . وتسمى القلعة المطلة منه على الفسطاط « الجبل المقطم »؛ وتسمى القلعة المطلة منه على القاهرة « الجبل الاحمر »، ويقال لها « اليحاميم » . وفي شرقيه على بحر القلزم طور سيناء الذي كلف الله موسى عليه وهو جبل مرتفع للغاية داخل في البحر

﴿ وأما الغربي منها ﴾ فيبتدئ من الجنادل أيضا ويمر في الشمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والواحات ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والفيوم حتى ينتهي الى مقابل الفسطاط مقابل الهرميين العظيمين ، ثم ينعطف وبأخذ غربا بشمال فيما بين بلاد ريف الوجه البحري والبرية حتى يجاوز بركة النظرون ويمضي الى قريب من الاسكندرية ويتصل به من جنوب الواحات جبل اللازورد ، قيل أن به معدن اللازورد

﴿ قواعد مصر ﴾

واعلم أن للديار المصرية قواعد قديمة وحديثة وهي على ثلاثة اضرب:

﴿ الضرب الاول ما قبل الطوفان ﴾ — وهي مدينة أمسوس قال ابراهيم بن وصيف شاه: وهي مدينة بناها تقراوس بن براجيل بن رزائيل بن عزاباب بن آدم عليه السلام حين عمر مصر لابتداء أمرها قبل الطوفان . بناها شمالي الاسكندرية وقد غطى البحر الرومي مكانها

﴿ الضرب الثاني — قواعد ما بعد الطوفان ﴾ وهي أربع قواعد :

(الاولى — مدينة منف) — قال في تقويم البلدان بكسر الميم وسكون النون وفاء في الآخر . وهي أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان غربي النيل ، بناها مصر ابن بيسر بن حام بن نوح المقدم ذكره . قال في الروض المعطار : وأصلها بالسريانية « مافه » ومعناها ثلاثون . وذلك أنه حين بناها كان في ثلاثين رجلا من قومه فسامها بعددهم . قال ابن الانباري : وهي على اثني عشر ميلا من الفسطاط ، يعني من جنوبيه . وقال في تقويم البلدان : ولما فتح عمرو بن العاص مصر خربها وبنى الفسطاط من البر الشرقي بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه . وبها آثار قديمة من الصخور المنحوتة المصورة ، وبها اصنام كبار طول كل صنم منها نحو عشرين ذراعا . وقد ذكر القضاعي في خططه ان قبر مصر ، بانها ، فيما يقابلها بالجبل الغربي على القرب من الهرم المدرج . قلت : ووهم المقر الشهابي فضل الله في كتابه « التعريف » فجعل منف هذه هي مدينة منوف التي بالوجه البحري الآتي ذكرها ، وانه كان بها فرعون موسى

(الثانية ، مدينة الاسكندرية) - وهي مدينة عظيمة على ساحل بحر الروم ، بناها الاسكندر بن فيلبس اليونانى حين ملك مصر ، وكان بها منارة عظيمة ، قال فى تقويم البلدان : طولها مائة وثمانون ذراعا ؛ وذكر المسعودى أن طولها اربعمائة ذراع . وكان بالمنارة مرآة من الحديد الصينى يرى فيها المرآكب على بعد ، فاحتال النصرارى فى أول الاسلام حتى كسروها ، وقد هدم الآن جميعها . وبها عمود السوارى قائم الى الآن ، طوله نحو ثلاثة وأربعين ذراعا

(الثالثة ، مدينة عين شمس) - وهي خراب شمالى المطرية بها آثار عظيمة . قال المؤيد صاحب حماة : ويقال أنها كانت مدينة لفرعون . وذكر ابن وصيف شاه ان الربان ، فرعون يوسف عليه السلام ، نزلها ؛ وان الملوك قبله كانت تنزل بمنف . وفيها وجد أحمد بن طولون الكنز الذى بنى به جامعه المعروف به بين مصر والقاهرة

(الرابعة قصر الشمع) الذى هو داخل الفسطاط ، بناه جوس الفارسى أحد نواب الفرس بالدبار المصرية بعد غلبة بخت نصر عليها ، قال القضاغى ، ولم يكمله وإنما أكمله الروم بعد ذلك . وكانه سمي قصر الشمع لأبقاد الشمع فيه تعظيما لشأن النار على معتقد الفرس من دين المجوسية . قلت : ويقال ان الفتح الاسلامى وقع بالمقوقس مقيم بالاسكندرية اربعة اشهر من السنة ، وبقصر الشمع اربعة أشهر ، وبمنف اربعة أشهر

﴿ الضرب الثالث قواعدها فى الاسلام ﴾ - وهي اربعة قواعد :

(القاعدة الاولى الفسطاط) بضم الفاء وسكون السين وفتح الطاء المهملة وألف وطاء ثانية . وهي مدينة على ضفة النيل حول قصر الشمع المقدم ذكره . بناها عمرو ابن العاص عند الفتح . واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقال ابن قتيبة : ان كل مدينة تسمى فسطاطا ، ولذلك سميت مصر الفسطاط . وقال الزنجشردى : الفسطاط اسم لضرب من الابنية فى القدر دون السرادق . والذى عليه الجمهور أنها سميت بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص من حيث أنها اختطت حول فسطاطه ، وهي خيمته التى كانت مضروبة له ، واسمها القديم « أليون » قال ابن الأثير ، بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناه تحت وسكون الواو ونون فى الآخر . قال القضاغى وهو اسمها بلغة الروم والسودان . وموقعها فى الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قلت : ومن نظر الى

خطط الكندي والقضاعي والشريف وابن المتوج علم ما كان عليه الفسطاط من العماره .
ولقد ذكر ابن المتوج عن بعضهم أنه عد الاسطال النحاس المؤبده في البكر والرابع
لاستقاء الماء في الطاقات المطلة على النيل في وقت فكانت ستة عشر ألف سطل ،
والكلام في أمره يطول

واعلم ان عمرو بن العاص لا ابتداء الامر نزل بداره على القرب من الجامع العتيق ؛
ولم ينزل كل أمير ينزل بداره التي يسكنها الى ان ولي عبد العزيز بن مروان مصر في
خلافة أخيه عبد الملك بن مروان ، فبنى دارا عظيمة للأماره وزخرفها ونمقها ونزل بها
بنوه من بعده الى ان صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وهرب من بني
العباس الى مصر فنزل بها ؛ فلما أرقه القوم أحرقها . فلما صارت الخلافة الى بني
العباس وولى اماره مصر على بن صالح بن علي الهاشمي في خلافة السفاح أول خلفائهم
ابتنى بها داراً للأماره ونزلها، وصارت منزلاً للأمراء بعده الى أن ولي أحمد بن طولون
فتحول عن الفسطاط على ماسياتى ذكره

(القاعدة الثانية منازل ابن طولون) على القرب من جامع ، وذلك ان احمد بن
طولون لما ولي مصر بنى قصرا بين المشهد النفيسي ومكان قلعة الجبل الآن ونزله في
سنة ٢٥٦ وكانت له عدة أبواب بعضها عند المشهد النفيسي وبعضها عند جامع ، بعد
ان نزل بدار على بن صالح بالفسطاط . واقتطع كل أحد قطعة ابتنى بها داراً فكان يقال
قطيعة هارون (بن خمارويه) ، وقطيعة السودان ، وقطيعة الفراشين ، وغير ذلك فعرف المكان
بالقطائع وتزايدت العماره حتى اتصلت بالفسطاط الى ان خرب ذلك محمد بن سليمان الكاتب
حين قدومه بالعساكر من قبل المستكفي بالله في سنة ٢٩٢ . ونزل محمد بن سليمان
المدكور دار بدر الخفيفي (غلام احمد بن طولون) بالفسطاط واستقرت هذه الدار
منزلة لأمراء مصر بعده الى ان غلب الخلفاء الفاطميون على مصر وابتنوا القاهره

(القاعدة الثالثة القاهره) - فاعلة من القهر ، ويقال فيها القاهره المعزبه نسبة
الى المعز الذي بنيت له ، وربما قيل المعزبه القاهره ، سميت بذلك تفاؤلاً وهي
المدينة العظمى التي ليس لها نظير في الآفاق ولم يسمع بمثها في مصر من الامصار .
وبناها جوهر المعزى لمولاه المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور ابي الظاهر اسماعيل

ابن القاسم أبي القاسم ، محمد بن المهدي بالله عبيد الله الفاطمي في سنة ٣٥٨ وقيل ٣٥٩ حين وجهه الى الديار المصرية من المغرب ففتحها واقتلعها من ايدي الاخشيدية . وقد حكى ابن عبد الظاهر ان المعز لما خرج لتشيع قائده جوهر قال للمشايع الذين معه : والله لو خرج جوهر وحده الى مصر لأخذها وليدخلها بلا روية من غير قتال ، وليبين مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا . وكانت دار الملك بها بقصر اختطه جوهر بوسطها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٥٨ حال نزوله . ومكانه الآن بالمدرسة الصاحية بين القصرين الى رحبة الأيدمرى طولاً ، ومن السبع خوُخ الى رحبة باب العيد عرضاً ؛ وكان له تسعة أبواب بعضها أصلي وبعضها مستحدث قد ذكرناها في الاصل . ولما اختط جوهر القصر اختطت كل طائفة خطة وبنوا بها فعرفت بهم كحارة زويلة وحارة الروم وغيرها ، وقد ذكرت خططها في الاصل . وكان باب زويلة هو القوس الموجود الآن على القرب من المسجد المعروف بسام بن نوح . وكان باب الفتوح هو القوس الموجود الآن على رأس حارة بها الدين . وباب النصر يقابله من الجانب الآخر . وكان سور القاهرة من لبن ، وبعضه الى الآن موجود بقرب من سوق الغنم . فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية ابنتى السور الحجر الدائر عليها وعلى القلعة . قال في التعريف : وهي اليوم أم الممالك وحاضرة البلاد ، ثم قال : وهي في وقتنا دار الخلافة . ولم يزل منزل خلفاء الفاطميين بقصرهم بالقاهرة الى حين انقراض دولتهم . وكان الوزير ينزل بدار الوزارة التي ابنتها بدر الجمالي مكان الخانقاه الركنية يبهرس الآن

(القاعدة الرابعة القلعة) المعروفة بقلعة الجبل تميزها من القلعة التي كانت بالصناعة المعروفة بالروضة . وقلعة الجبل هذه هي الآن مقر السلطان ودار ملكه ، بناها بها الدين قراقوش للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والغسائط وما يليه من القرافة متصلة بعمارة القاهرة والقرافة . وهي على نشز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم يرتفع في موضع وينخفض في آخر وكان موضعها قبل ذلك مساجد من بناء الفاطميين منها مسجد ردهني الذي هو بين آدر (١)

(١) آدر ، جمع دار على القالب ، ومثله أدور على البدل ، والاصل أدور

حريم السلطان . على أن السلطان صلاح الدين لم يسكنها ، بل لما استولى على قصر
الفاطميين بعد موت العاضد آخر خلفائهم سكن بالقصر ، انتقل اليه من دار الوزارة .
ويقال ان ابنه العزيز سكنها في حياة أبيه ثم انتقل الى دار الوزارة . وذكر في مسالك
الأبصار انه لما ملك أخوه العادل ابو بكر بعده سكنها . وذكر القاضي محيي الدين
عبد الظاهر ان أول من سكنها الكامل محمد بن العادل ابى بكر حين استنابه أبوه على
الديار المصرية . ولما سكنها احتفل بأمرها واهتم بالعمارة وعمر بها ابراجا منها البرج
الأحمر وغيره وصارت مسكناً للسلطين بعده الى الآن . ولما ملك المنصور قلاوون
عمر بها برجاً عظيماً على باب السر الكبير وبني عليه مشرفات حسنة في أواخر سنة ٦٨٢
وسكنها في صفر سنة ٦٨٣ فلما ملك الملك الناصر محمد بن قلاوون عمر بها جامع الخطبة
والايوان الذي يجلس فيه السلطان ايام المواكب والقصر الذي يجلس فيه في عامة الأيام وبني
الاشرف شعبان بن حسين في جانبه مقعداً بارزاً على الاصطبلات السلطانية جاء في نهاية
الحسن والبهجة وكرمت بعمارة هذه الاماكن معانيها واستحقها بكاملها على بانها . وقد ذكرنا
في الأصل من محاسنها أنها وإن كانت على قمة جبل فلما العذب يحمل اليها من النيل
بالسواقى والتقالات حتى ينتهي الى الأدر السلطانية . . . إذا علم ذلك فلديار
المصرية وجهان :

❦ الوجه الاول القبلى ❦

وهو المبرع عنه بالصعيد لصعوده من أسافل الارض الى أعاليها . قال في التعريف:
وهو أجل الوجهين قدراً وأطولهما مدى وأكبرهما حداً ، ثم قال ، وهو صعيديان : صعيد
أعلى ، وصعيد أدنى . فالأدنى كل ما سفل من الاشمونيين الى القاهرة ، والأعلى
كل ما علا الأشمونيين الى أسوان ؛ وغالب زرعه ورفعه وجلب قوته وحلب ضرعه
غربي النيل ، وما يوجد شرقي النيل فهو تابع لا متبوع الا في بلاد قوص فأجل العمارة
وموضع الحرث والزرع عن شرقي النيل . ويشتمل على عشرة أعمال
❦ العمل الاول — الجزيرة ❦ وهو أقربها الى الفسطاط والقاهرة ومقر ولايته
مدينة الجزيرة وهي مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل الفسطاط . قال في الروض
المعطار : اختطها عمرو بن العاص ؛ وكلام القضاء يوافقه . ويقال ان بها قبر كعب

الأخبار . وبعض هذا العمل آخذ في الجنوب عن الجزيرة معدود في الوجه القبلي ،
وبعضه آخذ في الشمال عنها معدود في الوجه البحري الا أنه غلب عليها غيره

﴿ العمل الثاني -- الأطفحية ﴾ - وهو شرقي النيل في جنوب الفسطاط مصائب
لبركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة اطفيح ، وربما قلبت الطاء فيه تاء
فقلبت اطفيح ؛ وهي مدينة لطيفة في البر الشرقي وعملها ما بين المقطم والنيل آخذاً عن
اطفيح جنوباً وشمالاً

﴿ العمل الثالث -- البهناوية ﴾ - وهو مما يلي عمل الجزيرة من الجهة الجنوبية ؛
ومقر ولايته مدينة البهنا ، وهي مدينة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربي من النيل
تحت الجبل الغربي بطوق المزدرع مركبة على ضفة بحر الفيوم

﴿ العمل الرابع -- عمل الاشمونين ﴾ - وهو مصائب لعمل البهناوية من جنوبيه
وهو عمل واسع كثير الزرع واسع الفضاء . ومقر ولايته مدينة الاشمونين ، وهي مدينة
لطيفة بالبر الغربي من النيل بنيت عوض المدينة القديمة المسماة بالاشمونين المقدم
ذكرها في قواعد الديار المصرية القديمة . ويدخل في هذا العمل عمل « طحا » منضمًا اليه
﴿ العمل الخامس -- المنفلوطية ﴾ - وهو مصائب لعمل الاشمونين من جنوبيه ،

وهو من أخص خاص السلطان الجارى في ديوان وزارته . ومقر ولايته مدينة منفلوط ،
وهي مدينة لطيفة في البر الغربي عن النيل بالقرب من شطه

﴿ العمل السادس -- الاسيوطية ﴾ - وهو مصائب لعمل منفلوط من جنوبيه ،
وهو عمل جليل . ومقر ولايته مدينة أسبوط ، قال السمعاني ، بضم الالف وسكون
السين ؛ وهذا هو الجارى على الألسنة . والذي في دواوين الديار المصرية : سيوط ،
بضم السين من غير ألف في أولها ؛ وعليه جرى ابن الساعاتي في شعره فقال

لله يوم في سيوط ليلة عمر الزمان بمثلها لا يعلط

وهي مدينة حسنة رائقة المنظر ذات أسواق وحمامات بالبر الغربي من النيل

﴿ العمل السابع -- الاخميمية ﴾ - وهو مصائب لعمل اسبوط من جنوبيه ،
وهو عمل ليس بالكبير ؛ وبلاده أكثرها بالبر الغربي عن النيل . وقاعدته مدينة اخميم ،
وهي مدينة لطيفة بالبر الشرقي عن النيل على مرحلتين من اسبوط وبها كانت البرابي

العظام المضروب بها المثل في اقطار الارض . وليس لها ولاية الآن بل واليهما مضاف الى قوص

﴿ العمل الثامن - القوصية ﴾ - وهو مصاقب لعمل اخميم من جنوبيه؛ وهو عمل متسع في البر الشرقي والغربي . وهو بلاد التمر، ومنها يجلب الى سائر بلاد الديار المصرية . وقاعدته مدينة قوص ، وهي مدينة جسيمة في البر الشرقي عن النيل ذات ديار فائقة ورباع انيقة ومدارس وأربطة وحمامات ، يسكنها العلماء والتجار وذوو الاموال، وبها البساتين والحدائق ، الا انها شديدة الحر كثيرة العقارب و« سوام أبرص » . ومن أحسن بلادها بالبر الغربي : غرب قولاً ، واسنا ، وأرمنت ، وأدفو . قال في التعريف : ووالى قوص أعظم ولاية مصر وأجلهم (ووالى اسوان من قبله) . قلت : وقد آل أمرها الى ان صار لها وال مستقل بنفسه دون والى قوص وربما جعل بها كاشف . ويقابل اسوان من عمل قوص في الشرقى عنها عيذاب ، بفتح العين المهملة والذال المعجمة . قال في التعريف : وهي قرية حاضرة البحر ، وكان لها وال من قبل والى قوص أيضا لا يزال مقيما فيها من لدن زمن الفاطميين والى حين انقطاع ورود التجار من البحر اليها . قال في تقويم البلدان : والأشبه انها داخله في حدود مصر لوقوع الولاية عليهما منها وبعضهم يجعلها من بلاد التجار وبعضهم من بلاد الحبشة

﴿ العمل التاسع - الفيوم ﴾ - وهو مصاقب جنوبي الجيزة وشمالى البهنساوية من الغرب ، وبينه وبينهما منقطع زمل نحو مرحلة . ومقر ولايته الفيوم . قال في العزى : وبين الفسطاط وبينها ٢٨ ميلا . والفيوم من أعظم أعمال الديار المصرية وأحسنها ، كثير العارة والبساتين ، غزير الفواكه ، وله نهر ينبع من عيون فيه يجرى صيفا وشتاء يسقى مزارعه وبساتينه مقسما عليها بقصبات معلومة . ويدخل اليه ماء النيل من مدة من فوهته على القرب من ذروة سرنام بالأشمونين ويصب في بركة عظيمة شمالى الفيوم ويقال انه (الفيوم) كان متصل مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعل فيه ٣٦٠ قرية لتمير كل قرية منها بلد مصر عند المحل يوما من السنة

﴿ العمل العاشر - الواح ﴾ - قال في اللباب ، بفتح الهمزة وسكون اللام ، وقال في المشترك ، واح ، بغير ألف ولام ، ويجمع على واحات . وهو مصاقب جنوبي البهنساوية

والمنفلوطة والسيوطية، وبينها الجبل الغربي عن النيل ومسيرته ثلاثة مراحل فما دونها يزيد في موضع وينقص في آخر. قال في مسالك الابصار: وهي بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة. قال في تقويم البلدان: والبرارى محيطتها من جميع جهاتها وهي بينها كلجزيرة بين رمال ومفاوز. قال البكرى: وهي اقليم مستقل غير مفتقر الى ماسواه. قال في الروض الممطار: وهي آخر بلاد الاسلام، وبينها وبين بلاد النوبة ست مراحل، قال، وفي هذه الارض ارجية وعيون حامضة الطعوم، ولكل نوع منها منفعة وخاصة. وبها العيون الجارية والبساتين والثمار. قال في المشترك، وهي ثلاث كور: واحة الاولى، واحة الوسطى، واحة القصى. والاولى ما يقابل البهنساوية، ويعبر عنها بالواحة الخاص؛ والوسطى تقابل شمالى السيوطية، وتعرف بالواحة الداخلة، وبها مدن مشهورة منها المسلمون، والهنداد، والقلمون، والقصير؛ والقصى تلو الواحة الوسطى، وتعرف بالخارجة. قال في التعريف: وهي جارية في اقطاع امراء مصر وهم يولون عليها من قبلهم. ومعها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله اسوة بقية ديار مصر لوقوعه منقطعاً في البلاد النائية والتفارق النازحة. قال في مسالك الابصار: ولا تعد في الولايات ولا الاعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان

❦ الوجه الثانى البحرى ❦

سمى «الوجه البحرى» اخذاً من تسميتهم الريح التي تهب من الشمال: البحرية. وهو كل ما سفلى عن القاهرة الى البحر الرومى. وهو اربط الوجهين وأقلهما حراً وأكثرهما فاكهة. ويشتمل على تسعة أعمال:

❦ العمل الاول - الضواحي ❦ - جمع ضاحية، وهي في أصل اللغة البارزة للشمس، كأنها سميت بذلك لبروز قراها للشمس؛ وهي ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى. وولايتها مضافة الى ولاية القاهرة داخلة في حكمها، فليس لها مقر ولاية تخصها

❦ العمل الثانى - القليوبية ❦ - وهو عمل جليل حسن القرى كثير البساتين غزير الفواكه. ومقر الولاية به مدينة قليوب، وهي من القاهرة على دون نصف مرحلة. لمت: ومن بلاده بلدتنا قلقشندة، قال ابن خلكان، بفتح القاف، وسكون اللام، وفتح

القاف الثانية والشين المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، وهاء في الآخر ؛ وهكذا هي موجودة في دواوين الديار المصرية . ووقع في كلام القضاعي وياقوت بالراء ، بدل اللام ؛ وهو الجارى على الألسنة . قال ابن خلدكان : وهي على ثلاثة فراسخ من القاهرة ، واليهما ينسب الليث بن سعد الامام الكبير . قال ابن يونس في تاريخه : انه ولد بها ؛ ثم قال ، وأهل بيته يذكرون ان أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثبات عندنا . وقد ذكر القضاعي في خططه انه كان له بها دار ، وكان يلي امانة مصر يومئذ ابن عمه عبد الملك ابن رفاعة ، فهدم تلك الدار عنادا له ، فعمرها : فهدمها ؛ فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم واذا بهاتف يهتف به : « قم يا ليث ، وتريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فأصبح ابن رفاعة وقد أصابه فالج ، فأوصى الى الليث وبقي ثلاثا ومات

﴿ العمل الثالث - الشرقية ﴾ - وهو مصاقب للضواحي من شمالها مما يلي المقطم ، والقليوبية من جهة الشمال وجبهة الشرق ؛ وهو من أعظم الاعمال وأوسعها . وآخر العمران فيه من جهة الشمال الصاحية ، وما وراء ذلك منقطع رمال . ومقر ولايته مدينة بليس ، قال في تقويم البلدان ، بكسر الباء الموحدة . وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق ، وعلمها مرور أهل الدرب الشامي . وفي آخر هذا العمل من الشرق قطيا ، بألف في الآخر كما قال في التعريف : ومسالك الابصار ، وفي تقويم البلدان ابدال الالف في آخره هاء ؛ وهي قرية بالرمل المعروف بالجفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومي . قال في التعريف : وقد جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات وأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر

﴿ العمل الرابع - الدقهلية ، والمرتاحية ﴾ - وهو مصاقب لعمل الشرقية من شمالها وأواخره تنتهي الى السباخ والى بحيرة تينيس المتصلة بالطينة بطريق الشام . ومقر ولايته مدينة أشموم ، بضم الهمزة وميم في الآخر كما ضبطه في تقويم البلدان ونقله عن خط ياقوت ؛ والذي في اللباب ابدال الميم في آخرها نونا ، وهو الجارى على الألسنة ؛ ويقال لها اشموم الرمان . قلت : وفي آخر هذا العمل من الشمال مدينة دمياط ، بكسر الدال المهملة ، ووقع في الروض المعطار اعجامها . وهي مدينة جليلة عند مصب الفرقة الشرقية

من النيل في بحر الروم ذات جوامع وأسواق وحمامات . وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل ، أحد خلفاء بني العباس ، فلما سلطت عليها الفرنج وملكتها مرة بعد مرة خرب المسلمون أسوارها في سنة ٦٤٨ خوفا من استيلائهم عليها . وهي على ذلك الى الآن . قال في التعريف : وهي أحد الثغور والضالمة المنشودة بعد طول الدهور

﴿ العمل الخامس - المنوفية ﴾ - وأولها من الجنوب القرية المعروفة بشطنوف على أول الفرقة الغربية من النيل مقابل شرق الجزيرة . ومقر ولايته مدينة منوف ، وهي مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت تسمى بهذا الاسم ، وأثارها باقية الى الآن . وقد تقدم في الكلام على منف من قواعد مصر القديمة ان المقر الشهابي بن فضل الله وهم فيها ، فجعل منوف هذه منف تلك ، وأن فرعون موسى كان بها . ومن مضافاتها عمل جزيرة بني نصر ، وحاضرتها مدينة أيار ، قال في الروض المعطار ، بفتح الهمزة

﴿ العمل السادس - الغربية ﴾ - وهو مصاقب للمنوفية من جهة الشمال ، ويمتد الى البحر الملح بين مصبي النيل الا ما هو من عمل المزارحيتين على فرقة النيل الغربية من الشرق . ومقر ولايته مدينة المحلة . قال في المشترك : وتعرف بمحلة الدقلا ، بفتح الدال والقاف ؛ وتسمى الآن بالمحلة الكبرى . قلت : وهم المقر الشهابي ابن فضل الله في التعريف فسميها محللة المرحوم ، وانما محللة المرحوم قرية من قراها . وهو عمل عظيم القدر جليل الخطر به البلاد الحسنة والقرى الزاهية والبساتين الرائقة . وفي آخره مما يلي بحر الروم ثغر البرلس

﴿ العمل السابع - البحيرة ﴾ - وهو مصاقب لعمل الجزيرة المتقدم ذكره من شماليه . ومقر ولايته مدينة دمنهور ، وتعرف بدمنهور الوحش ، وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس وأسواق وحمامات ، وهي على نحو مرحلة من الاسكندرية بين الشرق والجنوب . ويدخل في هذا العمل خوف رمسيس والكفور التاسعة . قال في التعريف : وهذه البلاد تشمل على برمقفر وطوائف من العرب وبها بركة النظرون . قلت : وبآخر هذا العمل من الغرب والشمال مدينة الاسكندرية المقدم ذكرها في القواعد القديمة . ومن مضافات هذا العمل عمل المزارحيتين ، وهو ما جاور خليج الاسكندرية من جهة الشمال الى البحر الرومي

وبعضه بالبر الشرقي من الفرقة الغربية من النيل . وقاعدته مدينة فوّة ، قال في تقويم البلدان ، بضم الفاء وتشديد الواو . وهي مدينة متوسطة بالبر الشرقي من فرقة النيل الغربية ذات بساتين وأشجار ومنظر رائع

﴿ العمل الثامن - بركة ﴾ - قال في تقويم البلدان ، والفاصل بينها وبين افريقية العقبة . وهي أرض متسعة الأرجاء مديدة الفضاء ، وهي من أزكى الاراضي دواباً وأمرأها مرعى . قال في مسالك الأبصار : أخبرني بعض من رآها أنها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها وماهى عليه ، وأنها لو عمرت وتأهلت بالزراع كانت إقليمياً كبيراً يقارب نصف الشام ، قال ، وبها الماشية والسائمة الكثيرة من الأبل والغنم والحيل ، ثم قال ، ولها المدن المبنية والقصور العلية والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة . قال في الروض المعطار : وبها النخل والزيتون والتوت الكثير وبعض شجر التين ، قال ، وكان بها فواكه وأعشاب فذهبت باستيلاء العرب عليها . قال ابن سعيد : وكان سربرها في القديم مدينة طبرق ؛ وذكر في الروض المعطار أن قاعدتها كانت مدينة انطابلس . قال في مسالك الأبصار : ومن مدنها سوت ، وطميثا ، ولبدة . قلت : وقد كان في الزمن القديم تولى بها وال وقاض من صاحب الديار المصرية ، كتب له تقليد بذلك . أما الآن فقد استولت عليها العرب وصارت لا يؤخذ منها إلا زكاة الواصل من أغنامهم الى الاسكندرية وما في معناها . ﴿ العمل التاسع - ساحل بحر القلزم ﴾ - على ما كان عليه الحال في الزمن القديم . وبه كورتان :

الاولى ماهو من بر الديار المصرية وهو كورة القلزم والطور . فأما القلزم فهي مدينة قديمة على ساحل بحر القلزم ، وبها عرف البحر المذكور ، وعلى القرب منها اغرق فرعون ببركة الفرندل . وأما الطور فهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام . قال الأزهرى : سمي بطور اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وعنده فرضة مصر ببحر القلزم المذكور

الثانية ماهو من بر الحجاز وهو كورة أيلة ، وهي مدينة صغيرة من جزيرة العرب بالبر الغربي من بحر القلزم على طريق حجاج مصر ، وهي مدينة اليهود الذين جعل الله

منهم القردة والخنازير ، قال ، وهي في زماننا برج ، وبها وال من مصر وكان بها قلعة في البحر وأبطلت ، ونقل الوالى البرج بالساحل ؛ وكان بها في القديم زرع يسير والآن لا مزروع فيها . قلت : وقد أبطل الوالى منها أيضاً . وقد ذكر القضاعي أن بلاد مصر تمتد بهذا الساحل الى الحوراء

— قاعدة (١) —

(ترتيب الديار المصرية وحال سلطانها وأمرائها ووظائفها)

اعلم ان أصل ترتيب مملكة الديار المصرية مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببلاد و ترتيب الخلفاء الفاطميين بمصر ثم ترتيب الدولة الأيوبية . وقد ذكرنا ترتيبها في الاصل . وقد انتقى ملوك الدولة التركية من مجموع ترتيب أولئك أحسنه وأبهجه حتى صارت أحسن الممالك ترتيباً وأبهجها منظرًا وأجملها هيئة . ويتعلق الغرض من ذلك (باثنى عشر مقصدًا)

﴿ المقصد الاول — في رسوم الملك وآلاته ﴾

وهي أنواع كثيرة بعضها عام في الملوك أو أكثرهم ، وبعضها خاص بهذه المملكة : أحدها سير الملك — وهو من رسوم الملك القديم . وأول من أخذه في الاسلام

(١) هذه القاعدة مترجمة بالقاعدة الرابعة من المقالة الثالثة في ترتيب مملكة الديار المصرية وقد وردت في النسخة الموجودة بدار الكتب الخديوية بعد فراغ القول في المملكة المصرية ومضافاتهما من الشام والحجاز مقسمة الى ثلاثة فصول الاول في ترتيب الديار المصرية الثاني في ترتيب الديار الشامية والثالث في ترتيب الديار الحجازية ويظهر ان المؤلف أراد ان يتبع كل ديار بترتيبها الخاص عقب الكلام عليها فأتى بما يختص بمصر من تلك القاعدة في هذا المحل وذكر في ترجمته انه مقسم الى فصول ولم يترجم غير فصل واحد قال انه يشتمل على خمسة مقاصد ولكنه بعد ان استوفى خمسة المقاصد اردفها بسادس وسابع ثم اضطرب فأورد مقاصد أخرى ترجم أولها بالثالث ، ثم السابع ثم الثامن ثم التاسع الى الخ وذلك في النسختين جميعاً ولم يكن هذا الاضطراب ناشئاً عن سقوط شيء من الموضوع ولكن عن سهو في تأصيل الفصول وتفصيل مقاصدها لهذا رأينا ان نجعلها كلها مقاصد ونوالى بين اعدادها بالترتيب فكانت ١٢ مقصدًا

معاوية بن ابي سفيان في خلافته حين بدن ، ثم تنافس الخلفاء والملوك فيه . وكانت أسرة خلفاء بني العباس يبلغ علوها نحو سبعة أذرع ، والذي يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رسول ونحوه من رخام وعلوه ثلاثة أذرع . وهو في سائر الأيام يجلس بدار العدل على كرسي من خشب مغشى بالحرير إذا جلس عليه تكاد رجلاه تسان الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسي صغير من حديد يحمل معه الى حيث يجلس

الثاني المقصورة لصلاة الجمعة - وأول من اتخذها في الاسلام معاوية ، وقيل عثمان . والمقصورة التي يصلى فيها سلطان الديار المصرية مقصورة من حديد مشبك بحكم الصنعة يصلى فيها هو ومن معه من أخصاء خاصيته

الثالث - الدعاء للسلطان بعد الخليفة على المنابر في آخر الخطبة الثانية . وأول من دعى له مع الخليفة على المنبر عضد الدولة ابن بويه في خلافة الطائع

الرابع - نقش اسم السلطان على ما ينسج ويرقم من الكسوة والطرز المتخذة من الحرير أو الذهب . وهو منقول عن خلفاء الدولتين ، بنى أمية وبني العباس حين كانت الخلافة قائمة ، وكذلك خلفاء الفاطميين بمصر

الخامس الغاشية - وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب يحاها الناظر جميعها مصوغة من الذهب تحمل بين يدي السلطان في المواكب الحفلة كالميادين والاعياد ونحوها ، يحملها بعض المهاترة بين يديه وياقتها يمينا وشمالا

السادس المظلة - ويعبر عنها بالچنز ، بحجم مكسورة بين الجيم والشين المعجمة . وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب . على أعلاها طائر من فضة مطلاة بالذهب ، تحمل على رأسه في العيدين ، وتكون مع راكب فرس ، وحاملها من أكبر الأمراء

السابع الرقبة - وهي رقبة من أطلس أصفر مزركش بالذهب بحيث لا يرى الحرير أصلا ، تجعل على رقبة الفرس في الميادين من تحت أذني الفرس الى نهاية عنقه الثامن الحفلة - وهما اثنان من أوجاقية اسطبل السلطان قريبان في السن عليهما

قباوان أصفران ، من حرير مطرزان من زركش ، على رأسيهما قبعان من زركش وتحتها فرسان أشهبان برقتين وعدة نظير مركوب السلطان كأنهما معدان لأن يركبهما يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كالركوب في الميادين ونحوه

التاسع الاعلام - وهي راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب تسمى العصابة ، وراية ثانية في رأسها خصلة من شعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صفار تسمى السناجق

العاشر الطبلخاناه - وهي طبول متعددة معها أبواق وزمر مختلف الأصوات على ايقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صحبة الطلب في الأسفار والحروب . وهي رسم قديم للملك

الحادى عشر الخيام في الاسفار - ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير من القطن الشامي والجوخ المختلف الألوان مما يدهش حسنه العقول . قلت : والملك آلات أخرى من آلات الملك سوى ما تقدم نذكرها في أماكنها

﴿ المقصد الثاني ﴾

(حواصل السلطان المعبر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها الى لفظ « خاناه » ومعني خاناه البيت . وهي ثمانية بيوت :

الاول ، الشراب خاناه - ومعناه « بيت الشراب » . ويشتمل على الاشربة المعدة لخاص السلطان والمشروب الخاص من السكر والأقما وغير ذلك . وبها الأواني النفيسة من الصينى اللازوردى وغيره ، وبها مهتار متسلم لحواصلها يسمى مهتار الشراب خاناه

الثانى ، الطشت خاناه - ومعناه « بيت الطشت » . والطشت هو الذى يغسل فيه القماش أو اليد وغيرها ؛ وهو آلة من نحاس ، وأصلها في اللغة بالسين المهملة فاستعملوها بالسين المعجمة . وبها ملبوس السلطان من الكاوتات والأقبية وسائر الثياب والسيف والحف والسرموزه وما يجلس عليه من المقاعد وما يلحق بذلك من الخاد وغيرها . ولها مهتار كبير يسمى مهتار الطشت خاناه

الثالث ، الفراش خاناه - ومعناه « بيت الفراش » ويشتمل على أنواع البسط والخيام . ولها مهتار متسلم لحاصلها يسمى مهتار الفراش خاناه

الرابع ، السلاح خاناه - ومعناها « بيت السلاح » وربما قيل « الزرد خاناه » ومعناها « بيت الزدر » لما اشتملت عليه من أنواع الزرد . وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقمى والنشاب والرماح والدروع والخوذ وغير ذلك . وبها غلمان وفراشون بسبب خدمة القماش وافتقاده

الخامس ، الركاب خاناه - ومعناه « بيت الركاب » ويشتمل على عدد الخيل من السروج واللحم والكنائش وعبي المراكيب والعبي الاصطبلات وغير ذلك من عدد الخيل . وفيها من نفائس العدد ما يحير العقل ويدهش النظر

السادس ، الحوائج خاناه - ومعناه « بيت الحوائج » وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، بل هي جهة تحت يد الوزير منها يصرف اللحم الراتب للمطبخ السلطاني في الدور السلطانية ورواتب الامراء والماليك السلطانية وأرباب الوظائف من المتعممين وغيرهم . ولها مباشرون منفردون بها

السابع ، المطبخ - وهو الذي تطبخ فيه الاطبخة السلطانية في الغداء والعشاء ؛ للطارئ في الليل والنهار ، والاسمطة التي تمتد بالايوان في أيام المواكب . ويحمل اليه اللحم وسائر الاحتياجات من الحوائج خاناه المقدمة الذكر

الثامن ، الطبخاناه - ومعناه « بيت الطبل » وتشتمل على الطبول والابواق وتوابعها من الآلات . ولها متسلم من المهارة يسمى مهتار الطبخاناه

﴿ المقصد الثالث ﴾

في ذكر مراتب ارباب السيوف لهذنه المملكة على سبيل الاجمال . وهي على ست طبقات :

الأولى ، امراء المئين - وهم مقدمو الالوف ، وعدة مضافات كل منهم مائة فارس . قال في مسالك الابصار : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ، وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الامراء . وهذه الطبقة هي أعلى مراتب الامراء على تفاوت درجاتهم . والذي كان عليه الحال في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فما حولها ان يكون بالديار المصرية اربعة وعشرون مقوماً ، ثم تغير الحال بعد ذلك بالنقص .

الثانية ، أمراء الطبلخاناه - وإمارة كل منهم في الغالب أربعون فارسا ، قال في مسالك الابصار ، وقد يزيد بعضهم على ذلك الى سبعين فارسا ، بل قد ذكر في التعريف في أواخر المكاتبات أن يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال في مسالك الابصار : ولا تكون الطبلخاناه لأقل من أربعين . وهذه الطبقة أيضا لا ضابط لعدد أمراءها ، بل تزيد وتنقص

الثالثة ، أمراء العشرات - وإمارة كل منهم عشرة فرسان ، قال في مسالك الابصار ، وربما كان فيهم من نه عشرون فارسا ولا يعد الا في أمراء العشرات . وهذه الطبقة أيضا لا ضابط لعدد أمراءها ، بل تزيد وتنقص

الرابعة ، أمراء الخمسات - وهي أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية . وأكثر ما يقع ذلك في أولاد المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم وهم في الحقيقة كأكبر الاجناد الخامسة ، المماليك السلطانية - وهم أعظم الاجناد شأنا وأرفعهم قدرا وأشدهم الى السلطان قربا وأوفرهم اقطاعا ؛ ومنهم توأم الامراء رتبة بعد رتبة

السادسة ، أجناد الحلقة - وهم عدد جم وخلق كثير وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم . قال في مسالك الابصار : ولكل أربعين نفسا منهم مقدم منهم فليس له عليهم الا اذا خرجت العسكر كانت موافقهم معه وترتيبهم في موافقهم اليه . قلت : ومن الاجناد طائفة أخرى يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان في السفر كالحرس . وأول من رتبهم وسماهم هذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب

﴿ المقصد الرابع ﴾

في أرباب الوظائف من الامراء وهم خمسة وعشرون أميراً

الأول ، النائب الكافل - وهو النائب بحضرة السلطان . قال في التعريف : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ، وسائر النواب لا يعلم أواحد منهم الا على ما يتعلق بنيابته ، قال ، وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التمييز . قال في مسالك

لابصار: وجميع نواب الممالك تكتبه فيما يكتب فيه السلطان، ويعين بعض ارباب الوظائف الجلييلة كالوزارة وكتابة السر وقل ان لا يجب فيمن يعينه، قال، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان. قلت: وهذه النيابة كانت تبطل تارة وتستمر أخرى ولها الآن مدة طويلة من اندولة الظاهرية برقوق والى الآن معطلة. قال في التعريف: أما نائب الغيبة وهو الذى يترك اذا غاب السلطان والنائب الكافل فليس الا لأخذ الثوائر وخلاص الحقوق، وحكمه فى رسم الكتابة اليه رسم مثله من الامراء

الثانى، الاتابك - وأصله بالغة التركية أطابك، ومعناه «أمير أب»، والمراد «أبو الامراء» وهو أكبر الامراء المقدمين بعد النائب الكافل بل لا يكون غالباً الا مع عدم الكافل. قال المؤيد صاحب حماة فى تاريخه: وأول من لقب بذلك وزير ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى حين فوض اليه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ فلقب بألقاب منها هذا

الثالث، رأس نوبة - وهو الحاكم على الممالك السلطانية. وقد جرت العادة ان يكونوا اربعة امراء: واحد مقدم الف، وثلاثة طبلخاناه
الرابع، أمير مجلس - وهو من جملة امراء الالوف ومن يتحدث على الأطباء والكحالين ومن فى معانهم ولا يكون الا واحدا فقط
الخامس، أمير سلاح - وهو الذى يحمل سلاح السلطان فى المجمع الجامعة، ولا يكون الا واحدا من مقدمي الالوف؛ وهو الحاكم على «السلاح دارية» من الممالك السلطانية، والمتحدث فى السلاح خاناه

السادس، امير اخور - وهو المتحدث على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال. وعادته أن يكون مقدم ألف ويكون ساكنا باصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من امراء الطبلخاناه، ويتبعهم جماعة من امراء العشرات والأجناد
السابع، الدوادار - قال فى مسالك الابصار: وهو الذى يباغ الرسائل وعامة الأُمور عن السلطان، ويقدم القصص اليه، ويشاوره على من يحضر الى الباب الشريف، وعليه تقديم البريد هو أمين جاندار وكاتب السر، يأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب، ويحمل الرسالة عن السلطان مما يكتب. وقد كانت هذه الوظيفة فى الدولة

لناصرية محمد بن قلاوون بها جماعة ليس فيهم مقدم ألف بل طبلخاناه عشرات وأجناد
وبقي الأمر على ذلك الى الدولة الناصرية حسن، فاستقر فيها طغتمير النجمي مقدم ألف،
ثم صار الغالب أن يكون أكثرهم مقدم ألف وربما كان طبلخاناه

الثامن، الحاجب - وهو من أركان الملك القديمة من الدولة الايوبية فما بعدها.
قال في مسالك الابصار: وهو يتصف بين الامراء والجنود تارة بنفسه وتارة بمراجعة
السلطان وتارة بمراجعة النائب، واليه تقديم من يعرض ومن يرد، وعرض الجند
وما ناسب ذلك، ثم الذي جرت عليه العادة خمس حجاب. وربما نقص الحال عن
ذلك وربما زاد. قال في مسالك الابصار: وعند فقد النائب يكون هو المشار اليه
من الباب الشريف والقائم مقام النائب في كثير من الامور

التاسع، امير جاندار - وهو الذي يستأذن على دخول الامراء للخدمة ويدخل
أمامهم الى الايوان، ويقدم البريدي مع الدوادار وكاتب السر. وهو كالمستلم الباب، وله
به البرد دارية والطوائف الركابية والحازندارية، واذا أراد السلطان تعزير أحد
أو قتله كان على يده، وهو المسلم الزردخاناه التي هي أرفع قدر في الاعتقالات من السجن
المطلق، وهو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره صباحا ومساء. وقد جرت
العادة ان يكون فيها أميران: مقدم الف وطبلخاناه

العاشر، استادار (استاذ دار) - قال في مسالك الابصار: وهو المتحدث في بيوت
السلطان كما من المطبخ والشراب خاناه، والحاشية والعلمان، وهو الذي يمشی بطلب السلطان
ويحكم في غفانه وباب داره. وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه
كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى ونحوها للماليك وغيرهم. وقد جرت
العادة ان يكونوا أربعة: واحد مقدم ألف، وثلاثة طبلخاناه. وربما نقصوا عن ذلك

الحادي عشر، الجاشنكير - وهو المتحدث في أمر السماط مع الاستادار
والعادة ان يكون مقدم الف، ودونه من هو دون ذلك من امراء وأجناد
الثاني عشر، الحازندار - وهو المتحدث في خزائن الاموال السلطانية من نقد
وقماش وغير ذلك. وكانت عاداتها طبلخاناه، ثم استقرت لمقدم ألف
الثالث عشر، شاد الشرابخاناه - وهو المتحدث في أمور الشراب خاناه السلطانية

وما عمل اليها من السكر والفواكه والحلوى وغير ذلك مما يشتمل عليه . وهو تارة يكون مقدم الف ، وتارة طبلخاناه

الرابع عشر ، استادار الصحة - وهو المتحدث في المطبخ السلطاني، وله الاشراف على ما يطبخ فيه من الاطعمة مع المشي أمام الطعام الى حين يمد السماط والوقوف بذيل السماط مع مقدم المالك . والعادة ان يكون أمير عشرة

الخامس عشر مقدم المالك - وهو المتحدث على المالك السلطانية والحكم فيهم والعادة ان يكون طبلخاناه وله نائب أمير عشرة

السادس عشر ، زمام الدور السلطانية - ولا يكون إلا من أكبر الخدام وعادته ان يكون أمير طبلخاناه . وله نائب أمير عشرة

السابع عشر ، نقيب الجيوش - قال في مسالك الأبحار : وهو الذي يحل الجند في عرضهم ومعه يمشي النقباء واذا طلب السلطان أو النائب أو الحاجب أميراً أو غيره أحضره ، وهو كأحد الحجاب الصغار ، وله التظليل في الخزانة في التوكيب والسفر الثامن عشر ، المهمندار - وهي التي يتلقى الرسل الواردين وأمرء العربان وغيرهم ممن يرد على الابواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها

التاسع عشر ، شادّ الدواوين - وهو رفيق الوزير في استخلاص الاموال وما في معنى ذلك ، وعادته أمير عشرة

العشرون ، امير طبر - وهو الذي يحمل الطبر في المواكب هو وجماعته حول السلطان . وعادته امرأة عشرة

الحادي والعشرون ، أمير علم - وهو المتحدث على الطبلخاناه السلطانية وأهلها متصرفا في أمرها . وعادته امرأة عشرة

الثاني والعشرون ، أمير شكار - وهو المتحدث في الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيد السلطانية . وعادته امرأة عشرة

الثالث والعشرون ، حارس الطير - وهو المتحدث على حراسة الطير الذي هو بصدد أن يصيده السلطان من الكراكي وغيرها في الاماكن التي ينزل بها الطير من المزارع وغيرها وعادته امرأة عشرة

الرابع والعشرون ، شادّ العائر - وهو المتحدث في العائر السلطانية مما يختار السلطان احداثه أو تجديده من التصور والمنازل والاسوار وغيرها . وعادته امره عشرة الخامس والعشرون ، الوالى - وهو المعبر عنه في الدول القديمة بصاحب الشرطة والمستقر بالحضرة واليان : احدهما والى القاهرة وضواحيها ويتحدث في السرقات وغيرها وعادته امره طبلخانة ه الثاني والى مصر ، وهو يحكم فى مصر وقد أضيف اليها الآن القرافة . وعادته امره عشرة . قلت : ووراء ذلك واليان آخران الا انهما لا يتحدثان فى دم ولا سرقة : احدهما والى القلعة وهو الذى يتحدث على باب القلعة الكبير الذى منه طلوع عامة العسكر ونزولهم فى الفتح والغلق ونحو ذلك ، وعادته امره طبلخانة ه والثاني والى باب القلعة وله يتحدث على الباب المذكور وأهله كما لو والى القلعة يتحدث على الباب الكبير وعادته امره عشرة

* (المقصد الخامس) ه

(فى الوظائف الدينية وهى عشرة وظائف)

الاولى قضاء القضاة - وموضوعها أن صاحبها يتحدث فى الاحكام الشرعية والفصل بين الخصوم ونصب النواب فيما يعسر عليه استيعابه بالنظر . وهى أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا . واعلم ان الديار المصرية فيما تقدم من الزمان من حين الفتح الاسلامي والى أثناء الدولة الظاهرية يبرس كانت قاصرة على قاض واحد من أى مذهب كان من المذاهب الاربعة . ثم استقر الحال فى الدولة الظاهرية يبرس على ان يكونوا اربعة قضاة من كل مذهب قاض ويكون لكل من الاربعة يتحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ونصب النواب بالوجهين القبلى والبحرى . ثم استقر فى الدولة المنصورية قلاوون على ان قاضي القضاة الشافعي يستقل بتولية النواب بالوجهين القبلى والبحرى دون غيره من قضاة سائر المذاهب

الثانية قضاء العسكر - وموضوعها أن صاحبها يحضر دار العدل ويسافر مع السلطان اذا سافر . وبها ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، ومالكي . وليس للحنابلة معهم حظ الثالثة افتاء دار العدل - وموضوعها على نحو ما تقدم فى قضاء العسكر . وبها اربعة ،

من كل مذهب واحد

الرابعة، وكالة بيت المال - وموضوعها التحدث فيما يتعلق ببيعات بيت المال ومشترواته من أراض ودور وغير ذلك والمعاقدة على ذلك وما يجرى هذا المجرى . قال في مسالك الابصار: ولا يليها الا اهل العلم والديانة، قال ومجلسه بدار العدل تارة يكون دونه المحتسب وتارة فوqe بحسب رفعة قدر كل منهما في نفسه

الخامسة، الحسبة - وموضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع والاخذ على يد الخارج عن الصلاح في معيشته وصناعته . وبالخضرة محتسبان: أحدهما بالقاهرة وهو أعظمهما قدرا وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكامله خلا الاسكندرية فإن لها محتسبا يخصها . والثانى بالفسطاط ورتبته منحطة عن الأول وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بكامله . والذى يجلس منهما بدار العدل هو محتسب القاهرة فقط السادسة، نقابة الاشراف - وموضوعها التحدث على ولدعلى بن أبى طالب رضى الله عنه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أوقافهم والأخذ على يد المتعدى منهم ونحو ذلك . وكانت في الزمن المتقدم في الدولة العباسية هذه النقابة تقع على نقابة الطالبين

السابعة، نظر البيارستان - والمراد به البيارستان المنصورى ، انشاء المنصور قلاوون بخط بين القصرين . وهو من أجل الوظائف لاسيما في الزمن المتقدم . وعادة النظر فيه يكون من أرباب السيوف لأكبر الامراء المقدمين ، ومن المتعممين للوزير ونحوه ؛ ثم انحطت رتبته عن ذلك . . . قلت : أما الوظائف العالية كالخطابات والتداريس ومشیخة شيوخ الخانقاه الناصرية من الخوانق ونحوها فأنها لا تخص كثره ، ولكن لا تصدر الولاية عن السلطان فيها الا فى القايل

الثامنة، نظر الاحباس - وكان موضوعها فى الاصل التحدث فى الأوقاف، ثم صار موضوعها الآن ، التحدث على رزق تفرد من الاراضى السلطانية للخطابات وإمامة المساجد والبر والصدقة وما فى معنى ذلك . وهى تارة يتحدث عنها السلطان وتارة النائب الكافل وتارة الدوادر وتارة غير هؤلاء

التاسعة، مشیخة الشيوخ - والمراد هنا مشیخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس وشيخها

أكبر مشائخ الصوفية والخوانق من حين استحدثت . ثم كانت قبل ذلك تطلق على مشيخة الخانقاه الصلاحية المسماة سعيد السعداء
 العاشرة ، نظر الاوقاف - وموضوعها التحدث على أوقاف الحرمين وما في معناها .
 وغالب الاوقات المتحدث فيها قاضي القضاة الشافعية ، وربما فوض التحدث فيها في بعض الاحيان الى بعض الامراء

❖ المقصد السادس ❖

في الوظائف الديوانية . وهي كثيرة لا يسع استيفؤها ، وبها خمسة عشر وظيفة :
 الاولى ، الوزارة - قال في مسالك الابصار : وربها ثانی السلطان لو أنصف وعرف حقه . لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له في التصرف مجال ولا تمتديده في الولاية والعزل لتطلع السلطان الى الاحاطة بمجزئيات الاحوال ، قال ، وقد صار يليها أناس من ارباب السيوف والاقلام بأرزاق بحسب الاتفاق وقطيعتها أشهر من أن تذكر . ثم للوزارة اتباع كثيرة أجلاها نظر الدواوين ، واستيفاء الصحبة ، واستيفاء الدولة ، : فأما نظر الدواوين وهو المعمر عنه بنظر الدولة فصاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له . وان كان الوزير صاحب سيف كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات وما يتعلق بها ، والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ . وأما استيفاء الصحبة فهي وظيفة جليلة . قال في مسالك الابصار : وصاحبها يتكلم في جميع المملكة بمصر والشام ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان تارة بما يعمل في البلاد وتارة بالاطلاقات وتارة باستخدامات كبار في صغار الاعمال ومن هذا وما يجري مجراه . قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الاموال وفيه تثبت التوقيع والمراسيم السلطانية وكل من دواوين الاموال فرع تحته واليه يرجع حسابه . وأما استيفاء الدولة فصاحبها يتحدث في أموال الدالة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الاموال ووجوه مصارفها ، ويكون فيها مستوفيان فأكثر
 الثانية ، كتابة السر - قال في مسالك الابصار : وموضوعها قراءة الكتب الواردة

على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها فيما كان يوقع عليه قلم الوزارة إلى أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والتقصا وأخذ علامة السلطان على مناشير الاقطاعات والمراسيم التي تكتب من ديوان استيفاء الخصاص وغيره . ولكتاب السر أتباع من كتاب الدست وكتاب الدرج وغيرهم من قد تقدم ذكره في الكلام على ديوان الانشاء في مقدمة الكتاب

الثالثة ، نظر الخاص - وهي وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة . وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان . قال في مسالك الابصار : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، بل كان قد صار اليه في زمن تعطيل الوزارة تدبير جملة الامور وتعيين المباشرين ، قال ، وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر الا بمراجعة السلطان

الرابعة ، نظر الجيش - وموضوعها التحدث في أمر الاقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه وهي وظيفة جليلية رفيعة المقدار وديوانها أول ديوان وضع في الاسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة عشرين من الهجرة ولناظر الجيش أتباع أجلمهم صاحب ديوان الجيش وعادته إذا كان نائب كافل أن يكون عنده ملازماً لبابه

الخامسة ، نظر الخزانة - قال في مسالك الابصار : وكانت الخزانة أولاً كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملوك فلما استحدثت وظيفة الخاص صغر أمر الخزانة وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه ، لانه لم يكن بها الآن إلا خلع تخلع منها او ما يحضر عليها ويصرف أولاً فأولاً ، قال ، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة او من يلتحق بهم . قلت : وقد صارت العمدة الآن على خزانة ديوان الخاص . ولناظر الخاص أتباع من الكتاب كغيرها من الدواوين

السادسة ، نظر البيوت والحاشية - وهو نظر جايل . وكل ما يتحدث فيه الاستادار

يشاركه في التحدث فيه

السابعة ، نظر بيت المال - وموضوعها حمل حمل المملوك الى بيت المال والتصرف

فيه تارة قبضا وتارة صرفا وتارة بالتسوية محضرا وصرفا . قال في مسالك : الابصار ولا يليها الا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة

الثامنة ، نظر الاصطبلات السلطانية -- وموضوعها التحدث في أنواع الحيوان الحاصلة من الخيل والبغال وغيرها مما يتعلق بذلك وضبط عدتها وعليقها وما لها من الاستعمالات والاطلاقات وكل ما يبتاع لها ويبيع منها وأرزاق المستخدمين فيها ونحو ذلك التاسعة ، نظر دار الضيافة والأسراق - وموضوعها التحدث في امر ما يتحصل من أسواق الرقيق والخيل ونحوهما وصرف ذلك في كلفة من يرد الى الأبواب السلطانية من رسل الملوك ونحوهم وصرف مرتبات مقررة لانس في كل شهر . والتحدث فيها راجع الى الدوا دار وللوزير المشاركة معه في المتحصل في شيء مخصوص

العاشر ، نظر خزائن السلاح - وموضوعها التحدث على ما يستعمل من السلاح . وعادته ان يجمع ما يتحصل من كل سنة ويجهز في يوم معين ويمثل على رؤوس الحاملين الى خزائن السلاح بالقلعة فيخلع عليه وعلى رفقة من المباشرين

الحادية عشرة ، نظر الاملاك الخاصة بالسلطان من ضياع ورباع وغير ذلك الثانية عشرة ، نظر البهار والكارمي - هكذا هو موجود في الدواوين ، قالوا ، ولا معنى له في اللغة ؛ ويقال ان أصله الكامي ، بالنون نسبة الى الكام فرقة من السودان على ماسياتي بيانه في المكاتبات ان شاء الله تعالى . وذلك ان طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر شأنهم المتجر في البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم ، وهو صفة لمحذوف ، والتقدير والمتجر الكارمي . وموضوعها التحدث على واصل التجار من هذه الاصناف . وهي وظيفة جليلة تارة تضاف الى الوزارة وتارة تفرد عنها

الثالثة عشرة ، نظر الاهراء - وهي شونة الغلال السلطانية التي يتحدث عنها الوزير وموضوعها التحدث فيما يصل اليها من النواحي من الغلال وفيما يصرف منها على الاصطبلات السلطانية والمناخات وغيرها

الرابعة عشرة ، نظر الموارث الحشرية - وموضوعها التحدث على ديوان الموارث ممن يموت ولا وارث له أو له وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث في أطلاقات جميع

الموتى من المسلمين وغيرهم

الخامسة عشرة ، نظر المرتجعات - وموضوعها التحدث على ما يرتجع ممن يموت من من الامراء ونحو ذلك . وقد رفضت هذه الوظيفة وتركت وتعطلت ولايتها في الغالب ، وصار أمر المرتجعات موقوفاً على مستوفى المرتجع ، وهو الذى يفصل في المحاكمات الديوانية ويقضى في الاقطاعات ونحوها

السادسة عشرة ، نظر الجهات - وموضوعها التحدث في امر جهات الوزارة من متحصل ومصروف أو حمل لبيت المال ونحو ذلك قلت : ووراء هذه الوظائف وظائف صغار لا حاجة الى استيفائها

﴿ المقصد السابع ﴾

في هيئة السلطان مما هو مأخوذ عن مسالك الابصار . وانه سبع هيئات

﴿ الهيئة الاولى ﴾ هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص الحقوق وازالة المظالم - قال في مسالك الابصار : عادة هذا السلطان اذا كان في القلعة في غير شهر رمضان ان يجلس بكرة يوم الاثنين بأيوانه الكبير المسمى بدار العدل على الكرسي الذى هو موضوع تحت سرير الملك ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ، ثم وكيل بيت المال ، ثم الناظر فى الحسبة ؛ ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكلمة حاتمة دائرة . وان كان الوزير من ارباب الاقلام كان بينه وبين كاتب السر ، وان كان من ارباب السيوف كان واقفاً على بعد مع بقية ارباب الوظائف ، ويقف من وراء السلطان ممالك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والبدارية والخاصكية . ويجلس على بعد بقدر خمسة عشر ذراعاً من يمينه ويساره ذوو السن من اكابر المئين وهم امراء المشورة ، وخلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان - اجاب والدوادية لاحضار قصص ارباب الضرورات واحضار الشاكيين وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه الى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقاً بالعسكر تحدث فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر فى البقية بما يرى . قلت : وقد استقر الحال على ان يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الاربعة وهما الشافعى ثم المالكي وعن يساره قاضيان وهما الحنفى ثم الحنبلى .

ويلى القاضي المالكي من الجانب الأيمن قضاة العسكر الثلاثة : الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ، ويلهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب ، ويلهم وكيل بيت المال اذا علا قدره على المحتسب بعلم أورياسة ثم المحتسب ويصيرون صفاً واحداً عن يمين السلطان مستدبرين جدار الأيوان مستقبليين بابه والقاضيان الحنفي والحنبلي كذلك من الجانب الايسر، والوزيران كان من ارباب الاقلام الى جانب الكرسي من الجانب الايسر بانحراف، وكاتب السر يليه وتستدير ائتمنة حتى يصير الجالس بها مستدبراً باب الأيوان على ما تقدمت الإشارة اليه في مسالك الابصار . فإذا انقضى المجلس خرج ارباب الاقلام جملة ويمد السماط في الأيوان وتجلس الامراء والماليك السلطانية على السماط على قدر مراتبهم علي التعاقب . قال في مسالك الابصار : وذلك في يوم الخميس في مثل هذه الهيئة إلا أن السلطان لا يتصدى فيه لسماع القصص ولا يحضر أحد من القضاة وناظر الجيش والموقعين الا ان عرضت حاجة لأحد منهم وان كان جلوسه لقدم رسل من احد الملوك كان جلوسه على السرير الذي هو تحت الملك وربما جلس عليه عند أخذ البيعة بالسلطنة ونحو ذلك من المهمات

﴿ الهيئة الثانية - هيئته في بقية الايام ﴾ عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الايام أن يخرج من قصوره الجوانية الى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته ثم تارة يجلس على تحت الملك الذي بصدرة وتارة يجلس على الارض وتقف الامراء حوله كما في الجلوس في الأيوان خلا امراء المشورة والقرناء فإنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس الا من دعت الحاجة الى حضوره . ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل الى قصوره الجوانية بمصالح ملكه ويعبر عليه بها خاصته من ارباب الوظائف كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش في الاشغال المتعلقة به علي ما تدعو الحاجة اليه

﴿ الهيئة الثالثة - هيئته في صلاة الجمعة والعيدين ﴾ أما صلاة الجمعة فإن عادته أن يخرج الى الجامع ومعه خاصة امرائه ويدخل من أقرب ابواب الجامع الى القصر فيصلي في مقصورة الجامع عن يمين المحراب ويصلي عنده أكبر خاصته ويجي بقية الامراء خاصتهم وعامتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها وشمالها على مراتبهم . فاذا فرغ من الصلاة دخل الى دور حريمه وذهب الامراء كل واحد الى مكانه

وأما صلاة العيدين فعادته ان يركب من باب قصره و ينزل من منفذه الى الاصطبل الى الميدان الملاصق له وقد ضرب له فيه دهايز على اكل ما يكون من الهيئات ويحضر فيه خطيب جامع القلعة الى الميدان فيصلى فيه العيد ويخطب، فاذا فرغ من سماع الخطبة ركب فرساً بكنبوش ورقبة من زركش وخرج من باب الميدان والامراء والماليك يشون حوله والعصائب السلطانية على رأسه والغاشية محمولة أمامه والجنز محمول على رأسه مع أحد أ كابر الامراء المقدمين وهو راكب فرساً الى جانبه والأوجاقيان الجففة راكبان امامه وخلفه الجنائب وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه والطيردارية امامه مشاة بأيديهم الاطبار و يطلع من باب الاصطبل الى الأيوان الكبير الذى يجلس فيه في يومي الاثنين والخميس ويمد السماط ويخلع على حامل الجنز وأمير السلاح والاستادار والباشكبير وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العيد كنواب استادار وصغار الجاشنكير وناظر البيوت ونحوهم

﴿ الهيئة الرابعة - هيئة الركوب للعب الكرة بالميدان الأكبر ﴾ عادته ان يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية في كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الاصطبل وهو راكب على الهيئة المذكورة في العيد ما عدا الجنز فإنه لا يحمل على رأسه وتحمل الغاشية أمامه في أول الطريق وآخره ويصير الى الميدان فينزل في قصوره و ينزل الامراء منازلهم على قدر طبقاتهم في جوانب الميدان ثم يركب للعب الكرة الى أذان العصر ويرمي الجو كان قصداً فمن بادر فنزل لمناولته خلع عليه عند الطلوع فركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار و يطلع الى قصره بالقلعة ويخلع على اكابر الامراء الخلع النفيسة من الأقبية المفرج واكثر ما يكون ذلك في الموكب الثالث وفي الثاني دونه ٠٠٠ قلت: وقد ترك هذا الركوب من أثناء سلطنة الظاهر برفوق الثانية واستمر الحال على ذلك الى الآن وفات بذلك أبهة عظيمة من أبهات الملك

﴿ الهيئة الخامسة - هيئة الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل ﴾ تارة يكون الذى يتصدى لكسر الخليج هو السلطان نفسه وتارة بعض اكابر أمرائه كالنائب ونحوه فإن كان هو الذى يتصدى لذلك فلم تجر العادة ان يركب فيه بمظلة ولا رقبة فرس ولا غاشية ولا مافي معنى ذلك بل يقتصر على السناجق والطيردارية والجاويشية ونحوها.

ويركب من القاعة عند طلوع أمين المقياس بالوفاء فيدخله من بابه ويجلس فيه فيمد هناك سباط بأكل منه من معه من الامراء وغيرهم ثم يذاب زعفران في اناء ويتناوله صاحب المقياس ويخلق به المقياس على العادة وتكون قد زينت حراقة السلطان الكبرى المعروفة بالذهبية وحراقة الصغرى وحراريق الامراء باحسن الزينة، وينصب الستر على شباك المقياس المطل على النيل من جهة الفسطاط فيؤتى بحراقة الساطان الصغرى الى الشباك الذى عليه الستر فينزل فيها السلطان منه وتسير حراقة الى جهة فم الخليج وحوله حراقة الذهبية وحراريق الامراء وما لا يحصى من مراكب المتفرجين حتى يصل الى السد فيكسره ويركب من هناك وينصرف الى قصره

﴿ الهيئة السادسة - هيئته فى أسفاره ﴾ جرت عادته اذا اراد سفرا أن يركب فى عدة كبيرة من أمرائه الأكارب والأصاغر وخواص مماليكه . ولا يركب فى السير برقية ولا عصائب ولا يتبعه جنائب ويقصد فى الغالب تأخير النزول الى الليل فإذا دخل الليل حملت أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل فإذا قارب مخيمه تلقى الشموع المركبة فى الشمعدانات المكفنة ويصيح الجاويشية بين يديه ويتبرجل الناس كافة الاحملة السلاح والأوجاقية وراءه ويمشى الطردارية حوله حتى يدخل الدهائز الاول من مخيمه فينزل ويدخل الى الشقة وهى خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة ثم منها الى اللاجوق الذى يبنت فيه وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور خركاه من خشب وفى صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للمبيت فيه وينصب بأزاء الشقة حمام بقدر من رصاص وحوض على هيئة حمام المدن . فإذا نام طافت به الممالك دائرة وطاف بالجميع الحرس وتدور الزفة حول الدهائز فى كل ليلة مرتين عند نومه وعند استيقاظه من النوم ومعها امير من أكارب الامراء وحوله القوانيس والمشاعل ويبنت على باب الدهائز أرباب الوظائف من النقباء وغيرهم . فإذا دخل الى مدينة ركب على هيئة ركوبه فى صلاة العيد بالمظلة والرقبة والغاشية ويكون فى حال السير جمهور مماليكه معهم مقدم الممالك والاستادار وأمامهم الجنائب والهجمن ويكون صحبته فى السفر كل من يحتاج اليهم من الاطباء والكحالمين وأنواع الادوية والاشربة وما يجرى مجرى ذلك لمن يعرض له مرض فى الطريق

﴿ الهيئة السابعة .. هيئته فى نومه ﴾ جرت العادة ان يبنت عنده خواص مماليكه

من الامراء وأرباب الوظائف من الجدارية وغيرهم يسهرون عليه بالنوبة مقسمة بينهم بمقادير معلومة بما كيب الرمل كلما انقضت مدة قوم ايقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم ويتعاني كل منهم ما يشاغله عن النوم فقوم يقرؤن في المصاحف وقوم ياعبون بالشطرنج (وآخرون يتلاهون) بالأكل وغير ذلك

﴿ المقصد الثامن ﴾

﴿ في عادته في اجراء الارزاق وهي على سبعة انواع ﴾

﴿ النوع الاول - الاقطاعات ﴾ - اعلم ان الاقطاعات في هذه المملكة تجري على الامراء والجند . وعامة اقطاعاتهم بلاد وأراض يستغلها ومقطعها ويتصرف فيها كيف شاء . وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل . ويختلف الحال فيها باختلاف حال أربابها . فأما الامراء بالديار المصرية فقد ذكر في مسالك الابصار أن أكبر الامراء يبلغ اقطاع الواحد منهم ٢٠٠,٠٠٠ دينار جيشية وربما زاد على ذلك ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة الى ٨٠,٠٠٠ دينار . ويبلغ اقطاع الواحد من امراء الطبلخانات ٣٠,٠٠٠ دينار فأكثر وينقص الى ٢٣,٠٠٠ دينار . ويبلغ اقطاع الواحد من امراء العشرات ٩٠٠٠ دينار الى مادون ذلك . ويبلغ اقطاع الواحد من مقدمي الحلقة ١,٥٠٠ دينار . ولجميع الامراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم والتوابل والخبز والعليق والزيت ، ولأعيانهم الكسوة والشمع وكذلك المماليك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصياتهم . بالسلطان . قال في مسالك الابصار : واذا نشأ لاحد الامراء ولد أطلق له دنائير وخبز ولحم الى أن يتأهل للاقطاع في جملة الحلقة ثم منهم من ينقل الى امرة العشرة والطبلخاناه على حسب الحظوظ والارزاق

واما اقطاعات الشام فقد قال في مسالك الابصار انها لا تتقارب بل تكون بقدر الثلثين في جميع ما تقدم خلا أكبر الامراء المقدمين بالديار المصرية فليس في الشام من يبلغ شأوم الا نائب الشام فانه يقاربهم في ذلك - قلت : والدنائير الجيشية الموزعة على الاقطاعات بمصر والشام يتفاوت متحصلها بحسب العارة والخراب وربما

كان متحصل القليل منها بقدر أضعاف الكثير

﴿ النوع الثاني - رزق أرباب الاقلام ﴾ وهو مبلغ يصرف لهم مشاهرة . قال في مسالك الابصار : وأكبرهم كالوزير له في الشهر ٢٥٠ ديناراً جيشية ومن الرواتب والغلة ما اذا بسط وثمان كان مثل ذلك ثم دون ذلك ودون دونه ولا أعيانهم الرواتب الجارية من اللحم والخبز والعليق والشمع والسكر والكسوة ونحو ذلك الى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والاراضي المؤبدة وما يجري مجراها يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد مثله بمملكة من الممالك

﴿ النوع الثالث - الخلع والتشريف ﴾ وكان المعنى بالخلع ان السلطان يخلع من ملبوسه فيلبسه غيره ومعنى التشريف ظاهر، والمراد ان السلطان يشرف من يلبسه بما يلبسه . قال في مسالك الابصار : ولصاحب مصر في ذلك اليد الطولى حتى كاد ذلك ينهك المملكة ويودي بمتحصلاتها عن آخرها ، قال ، وغالب هذا مما قرره سلطاننا ، يعني الناصر محمد بن قلاوون، ولقب أتعب من يحيى بعده من كثرة الاحسان . وهي على ثلاثة اصناف : تشريف أر باب السيوف ، وتشريف الوزراء ، والكتاب ، وتشريف القضاة والعلماء . فأما تشريف أر باب السيوف فعلى طبقات :

الأولى ، وهي أعلاها - المختص بالامراء المقدمين من النواب وغيرهم . وهي فوقاني أطلس أحمر بطرز زر كمش مغرى بسنجاب بدائر سجع من ظاهره مع غشاء قدس ، وتحته قباء اطلس أصفر وكلونه زر كمش بكلايب ذهب وشاش رفيع موصول بطرفين من حرير أبيض مر قومين بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ومنطقة ، ذهب مر كبة على حاشية حرير تشد في وسطه . ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب : فأعلاها ان يعمل من عمدتها بوا كبير وسطا و مرصعة بالبخش والزمرد واللؤلؤ ثم ما كان ببيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان ببيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مغمضة زيد سيفاً محلي بذهب وفرسا مسرجا ماعجا بكنبوش زر كمش وبما زيد أكبر النواب كنائب الشام تركيبة زر كمش على العباء فوقاني وشاش حرير سكيندرى مموج بالذهب ويعرف ذلك بالتمتر . وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة من بقايا الملوك الأيوبية ويكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر . ودون ذلك من التشريف

اقبية طرد وحش من عمل الاسكندرية ومصر والشام مجوخ جاخات مكتوبة بالقباب
السلطان وجاخات صور وحوش او طيور صغار النقش وجاخات ملونة بموجة بقصب
مذهب يفصل بين جاخاته نقوش يركب على القباء طراز زر كمش مسنجب مقدس كما تقدم
وتحتها قباء طرح سكندري مفرج وكاوتة زر كمش بكلايب وشاش كما تقدم وحياسة ذهب
تارة تكون بيكارية وتارة بغير بيكارية . وهذه التشاريف لا صاغراً أمراء المثين ومن يلحق
بهم . ودون ذلك كنجي نقش من لون آخر غير لونه وقد يكون من نوع لونه بتفاوت
بينهما سنجاب مقدس كما تقدم الا أن الحياصه والشاش لا يكونان بأطراف رقم بل
بأطراف مجوخة أخضر وأصفر مذهب بغير بيكارية . ودون ذلك محرم لونه واحد والبقية
على ما تقدم خلا الكلوته والكلايب . ودون ذلك كنجي بلون واحد بسنجاب مقدس
والبقية على ما تقدم وتكون الكلوته خفيفة الذهب وجانبها يكاران يكونان خالين
منه بالجملة ويكون بغير حياصه . ودون ذلك محرم بقندس وتحتها قباء يكون بجاخات
من أحمر وأخضر وأزرق وغير ذلك من الألوان وسنجاب وقندس . وتحتها قباء نقش
إما أزرق أو أخضر أو شاش ابيض بأطراف من نسبة ما تقدم ذكره . ثم مادون هذا
من هذا النوع ولا بد من تنقيص قباء

ثم تشاريف أخرى في أوقات مخصوصة تكون اقبية من الحرير والكنجى أو نحوه
وأما تشاريف الوزارة والكتاب فأجل تشاريفهم كنجى ابيض مطرز برقم حرير
ساذج وسنجاب وقندس والقندس مبطن بسنجاب وتملاً الاكام به وتحتها كنجى
أخضر وبقيار كتان من عمل دمياط مرقوم وطرحه ودون ذلك عدم تبطين القندس
بالسنجاب واخلاء الاكام منه، ودون ذلك ترك الطرحه، ودون ذلك ان يكون التحتانى
محزماً ودون ذلك ان يكون الفوقانى من نوع الكنجى لكنه غير ابيض وتحتها تحتانى
طرح أو ما يجرى مجرى ذلك ودون ذلك أنواع أخرى ولاجلاتهم كالوزير وكاتب
السر وناظر الخاص تشاريف أخرى من جباب من الحرير الكنجى السكندري الخاص
بطراز من الزر كمش المزهر بالريش الازرق بغير طرحات
وأما تشاريف القضاة والعلماء فمن الصوف ابيض بغير طراز بطرحه . وأجلها أن
يكون الفوقانى ابيض وتحتها أخضر وما دون ذلك على ما تقدم

واعلم أن للتشاريف أما كن يقع اللبس فيها . منها اذاولى أمير أو صاحب منصب وظيفة فيلبس تشريفا يناسب تلك الولاية . ومنها عيد الفطر يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف من الامراء وأرباب الاقلام كالوزير وكاتب السر وناظر الخاص وناظر الجيش ونحوهم كل منهم بما يناسبه . قال في مسالك الابصار : ومن عادة السلطان ان يعد لكل عيد خلعة على انها للمبوسه من نسبة خلع اكبر المثين فلم يلبسها ولكن يختص بها بعض امراء المثين يخلعها عليه . ومنها الميادين : يخلع فيها على اكبر الامراء كل ميدان يختص بأمر أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفرج المذهب . ومنها دورة المحمل في شوال : يخلع فيه على أرباب الوظائف كناظر الكسوة ومباشرها كالقاضي والناظر والمحاسب والشاهد والمقدمين ومن في معانهم

﴿ النوع الرابع - الخيل ﴾ قال في مسالك الابصار : وقد جرت عادة صاحب مصر ان ينعم على امرائه بالخيول مرتين في كل سنة . أما المرة الاولى فعند خروجه الى مرابط خيوله على القرط في أواخر ربيعها ينعم على الاخصاء من امرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين منهم مسرجة ملجمة بكنائش من زركش ، وخيول امراء الطبلخاناه عريانا من غير قماش . وأما المرة الثانية فعند لعب الكرة بالميدان الكبير وتكون خيول امراء المثين والطلبلخاناه مسرجة ملجمة بفضة يسيرة بلا كنائش وكذلك يرسل الى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه وليس لأمرء العشرات في ذلك حظ الا ما يتقدمه به على سبيل الأنعام ، قال ، ولخاصة المقربين من الامراء المقدمين والطلبلخاناه زيادات في ذلك بحيث يصل بعضهم الى مائة فرس في كل سنة وله أوقات اخرى يفرق فيها الخيل على مماليكه . وربما أعطى بعض مقدمي الحاققة وكل من مات له فرس من مماليكه دفع اليه عوضه . وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من اكبر الامراء عند الخروج الى الصيد ونحوه وخيول الامراء في كل سنة اطلاقات اراض بالاعمال الجبزية لزراع القرط لخيولهم من غير خراج وللمالك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم وما يدفع اليهم من ذلك يكون بدلا من العليق الراتب من الشعير في غير زمن الربيع عوضاً عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله لمدة ثلاثة اشهر

﴿ النوع الخامس - الكسوة ﴾ قد جرت عادته ان ينعم على مماليكه وخواص اهل المناصب من أرباب الاقلام في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم وانه اذا ركب لعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الامراء المقدمين يفرق في كل موكب ميدان على أميرين بالنوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع نوبته في ذلك، قال في مسالك الابصار، أما امراء الشام فلاحظ لهم من الانعام في أكثر من قباء واحد يابس في وقت الشتاء الا من تعرض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما تقتضيه حالته

﴿ النوع السادس - الانعام والادار ﴾ وليس له قدر معين بل هو بحسب مزية المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في مسالك الابصار: ولخاصة الامراء المقدمين انواع من الانعامات كالعقارات الضخمة التي ربما انفق على بعضها فوق مائة الف دينار، وكساوى القماش المنوع، وفي أسفارهم في وقت خروجهم الى الصيد الملوقات والاموال الجملة . واذ اخرج الى العيد انعم على أكبر الامراء المقدمين سنا وقدر لكل واحد منهم بألف مثقال من الذهب . ولكل من يرد عليه أو يهاجر اليه من مملكة أخرى انواع الأدرارات والارزاق والانعام الذي لا يبلغه أهل البلاد وكذلك التجار الذين يجلبون الممالك والبضائع وبيعونها عليه لهم الرواتب الدائمة والمساحات والاطلاقات ولكل من باع عليه ولو رأسا واحدا من الرقيق خالصة مكالمة بحسب حاله خارجا عن الثمن والانعام . وكذلك جلابة الخيل من عرب الحجاز والشام والبحرين وبرقة وبلاد العرب لهم من ذلك الحظ الوافر وربما أعطى عن الفرس الواحد نظير ثمنه عشر مرات أو أكثر خارجا عن الخلع والرواتب والمساحات التي تكتب لهم . وكذلك البازدارية بالجوارح ومن يجري مجراهم لهم عوائد في كل سنة عند الاصطياد جارية لا تنقطع

﴿ النوع السابع - المأكول والمشروب ﴾ أعظم أسمطة هذا السلطان تكون بالايوان الكبير أيام المواكب اذا خرجت القضاة وسائر أرباب الاقلام من الخدمة مد السماط بالايوان الكبير من أوله الى آخره بأنواع الاطعمة الفاخرة وبمجلس السلطان على رأس الخوان والامراء يمنة ويسرة على قدر مراتبهم فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون ويجلس من دونهم طائفة فطائفة ثم يرفع الخوان . وأما بقية الايام فيمد

الخوان بالقصر في طرفي النهار لعامة الامراء خلا البرانيين فانه لا يحضر منهم الا القليل النادر ففي أول النهار يمد سباط لا يأكل منه السلطان شيئاً ، ثم سباط ثان بعده قد يأكل منه وقد لا يأكل ، ثم سباط ثالث بعده يسمى الطارى ومنه مأكول السلطان وفي أخريات النهار يمد سباطان الأول والثاني المسمى بالخاص ثم ان استدعي بطارى حضر والا فيحسب ما يؤمر به وفي كل هذه الاسمطة يسقى بعدها المشروب من الاقسما السكرية عقب الأكل وأما في الليل فيبيت بالقرب من ميته اطباق من انواع المأكول المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل اصحاب النوب بالاكل والشرب عن النوم . قال في مسالك الابصار : ولكل ذى إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحلوى في شهر رمضان والاضحية في عيد الاضحى على مقادير رتبهم

﴿ المقصد التاسع ﴾

في انتهاء الاخبار الى السلطان وهو على ثلاثة أنواع :

الأول ، أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبهم - جرت العادة انه اذا وصل رسول من ملك من الملوك الى أطراف مملكته كاتب نائب تلك الجهة السلطان يعرفه بوفوده ويستأذنه في أشخاصه اليه فتبرز المراسيم السلطانية بحضوره فان كان مرسله ذا مكانة عظيمة من الملوك كأحد القناتان من ملوك الشرق خرج بعض أكابر الامراء كالنائب وصاحب الحجاب ونحوهما للقائه وأنزل بقصور السلطان بالميدان الكبير الذي يلعب فيه بالكرة وهو أعلى منازل الرسل . وان كان دون ذلك تلقاه المهمندار واستأذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو بعض الاماكن على قدر رتبته ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بأيوانه ويحضر أعيان المملكة الذين شأنهم الحضور من أرباب السيوف والاقلام ويحضر ذلك الرسول وصحبه الكتاب الوارد معه فيقبل الارض ويتناول الدوادار الكتاب منه فيمسحه بوجه الرسول ثم يدفعه الى السلطان فيفضه ويدفعه الى كاتب السر فيقرؤه على السلطان ويأمر فيه بما يراه

الثاني ، الاخبار التي ترد عليه من جهة نوابه - عادة هذا السلطان ان يطالعه نوابه في مملكته بكل ما تجدد عندهم من مهمات الامور أو ما قاربها وتؤخذ أو امره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الانشاء بما يراه في ذلك او يبتدئهم هو بما يقتضيه رأيه وينفذ

على البرد أو اجنحة الحمام الرسائلى وقد جرت العادة أنه اذا ورد بر يد من بلد من بلاد المملكة او عاد المجهز من الابواب الشريفة بجواب أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدى السلطان فيقبل الارض ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدى ثم يناوله للسلطان فيفضه ويجلس كاتب السر فيقروءه عليه ويأمر فيه بأمره . وأما بطائق الحمام فأنه اذا وقع طائر من الحمام الرسائلى ببطاقة أخذها البراج وأتى بها الدوادار فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده ثم يحملها الى السلطان ويحضر كاتب السر فيقروءها كما تقدم

الثالث ، أخبار حاضرتة - جرت العادة ان والى الشرطة بالحضرة يستعلم متجددات ولايته فى كل يوم من نوابه ثم يكتب مطالعة جامعة بذلك تحمل الى السلطان صبيحة كل يوم فيقف السلطان عليها. قال فى مسالك الابصار : أما ما يقع للناس فى أحوال أنفسهم فلا

* (المقصد العاشر) *

(فى هيئة الامراء بالديار المصرية وترتيب امرتهم)

واعلم أن كل أمير من أمراء المثين والطلبخاناة سلطان مختصر فى غالب أحواله : فلكل منهم استادار ورأس نوبة ودوادار وأمير مجلس وجمدارية وأهراخور واستادار صحبة ومشرف وبيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطشت خاناه والفراس خاناه والركاب خاناه والزردخاناه والمطبخ والطلبخاناة . أما الخواج خاناه فأنها مختصة بالسلطان . ولكل بيت من هذه البيوت مهتار متسلم لحاصله وتحت يده رجال وغلمان لكل منهم وظيفة مختصة وكذلك لكل منهم الخواص من اصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشون الغلال . قال فى مسالك الابصار : ومن رسم الامراء ان يركب الامير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مسرح ملجم وربما ركب الامير من أ كبرهم بجنيبين فى الحضرة كان أو فى البر ويكون لكل منهم طلب يشتمل على أكثر مما ليك ولالطلبخاناة قدامهم خزانة محمولة على جمل واحد يجره راكب على جمل آخر وقد يكون على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك وامام الخزانة عدة جنائب تجر على أيدي ممالك راكبة على الخيل والهجن وركابة من العرب على هجن وامامهم الهجن والبخاتى مجنوبة، للطلبخاناة قطار واحد وهو أربعة ومركوب الهجان، وللألف قطاران وربما زاد بعضهم . وعدد

الجنائب في كثرتها وقتها الى رأي الامير وسعة نفسه وتلك الجنائب منها ما هو مسرج ملجم ومنها ما هو بعباء لا غير. ومن عادة امراء العسكر بالخرقة السلطانية انهم يركبون في يوم الاثنين والخميس في الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل ان كان، والا فعلى حاجب الحجاب، ويسرون تحت القلعة مرات، ثم يقفون بسوق الخيل، ثم يطلعون الى الخدمة على ما تقدم، فإذا انقضت الخدمة يخرج النائب ويذهب الى دار النيابة فيجلس بها ويمد عنده السباط كما يمد عند السلطان وبأكل عليه الامراء، ثم يجلس في شبك النيابة ويحكم بين الناس ويأخذ القصص ويكتب عليها وعلى المناشير وما يجري مجراها

* المقصد الحادي عشر *

في ولاية الامور بالوجهين القبلي والبحري، وهي على اربع طبقات:

﴿ الطبقة الاولى، النيات ﴾ وهي ثلاثة الاولى: نيابة السلطان بقر الاسكندرية المحروس. وهي نيابة مستحدثة، استحدثت في سنة ٧٦٧ بعد طروق الفرنج الاسكندرية، وكانت قبل ذلك ولاية طبليخاناه ونائبها من الامراء المقدمين في رتبة نائب طرابلس وجماه. وبها كرسي السلطان مرصع مغشي بالحبر الاصفر يوضع عليه نمجاء ويمد السباط تحته في أيام الموكب بعد نزول النائب من ركوبه في الموكب، وبها حاجب أمير عشرة وحاجب جندي وأجناد حلقة مائتا فارس يعرفون بأجناد المائتين، وبها قاضي قضاة مالكي وقاض خفي مستحدث وربما كان بها قاض شافعي والمالكي بها أكبر الكل وهو المتحدث في أموال الايتام والأوقاف، وبها موقع يهب عنه فيها بكتاب السر، وناظر يتحدث في الأموال الديوانية من جهة الخاص ومعه مستوف وكتاب وشهود، وبها محتسب، وليس بها قضاء عسكر ولا افتاء دار عدل ولا وكيل بيت مال بل نائب عن وكيل بيت المال بالقاهرة، ويركز بها الامراء من المقدمين والطباخانة في غير زمن امتناع سير المراكب الحربية في البحر لشدة الريح، وبها وال للبر يسمى الحاجب غير والى المدينة، وليس لها عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيها ولا محتسبها (بل حكمهم قاصر على المدينة)

الثانية، نيابة الوجه البحري — وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق وكان بها قبل ذلك كاشف يسمى « والى الولاية بالوجه البحري » ومقر ولايتها مدينة دمنهور الوحش. ونائبها من الامراء المقدمين، وهو في رتبة مقدم العسكر بقرعة من البلاد

الثامية، وهو يحكم على الوجه البحرى خلا الاسكندرية، ويكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها. وليست على قاعدة النيابات في ترتيب حجاب ولا ركوب واكب، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس نائبا تشرىف النواب وكتابة التقليد وكتابة الكتب اليه بما يكتب به الى النواب

الثالثة، نيابة الوجه القبلى - وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق أيضاً وكان بها قبل ذلك كاشف طبلخاناه يسمى « والى الولاية » كما في الوجه البحرى، ومقر ولايتها مدينة اسيوط من الوجه القبلى. ونائبا يحكم علي جميع الوجه القبلى. وهو في الترتيب والرتبة على ما تقدم من نيابة الوجه البحرى، ويكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها (الطبقة الثانية، الكشاف) - قد تقدم انه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بكل منهما كاشف يسمى والى الولاية. أما الآن فان بالوجه البحرى خاصة كاشفا من امراء الطبلخاناه على العادة المتقدمة، وهو في الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرى. وربما جعل للفيوم كاشف بمفرده، وربما أضيف اليه البهنساوية وربما أضيف اليه (الجيزية) أيضاً

(الطبقة الثالثة، الولاية بالوجهين القبلى والبحرى) ومراتبهم لا تخرج عن مرتبتين: المرتبة الاولى، الولاية من امراء الطبلخاناه - وهي سبع ولايات بالوجهين البحرى والقبلى على ما استقر عليه الحال، وكل من ولايتها يكتب اليه في خلاص الحقوق وغيرها. فأما الوجه البحرى ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة وهي: ولاية الشرقية، ومقر واليها مدينة بلبيس؛ وولاية المنوفية، ومقر واليها مدينة منوف؛ وولاية الغربية، ومقر واليها مدينة المحلة، وهي أعلى رتبة؛ وولاية البحيرة، ومقر واليها مدينة دمنهور الا انها قد عطلت باستقرارها نيابة. وقد تقدم ان الاسكندرية قبل ان تستر نيابة كانت ولاية طبلخاناه، وأما الوجه القبلى ففيه ثلاث ولايات من هذه المرتبة وهي: ولاية البهنساوية، ومقر ولايتها مدينة البهنسا؛ وولاية الاشمونين، ومقر ولايتها مدينة الاشمونين؛ وولاية قوص، ومقر ولايتها مدينة قوص وهي أعظم ولايات الدبار المصرية قدرا حتى ان واليها كان يركب في المواكب بالشبابه - قلت: وقد استحدثت ولاية اسوان وكانت قبل ذلك تحت امر والى قوص، ثم هي تارة تستقر وتارة تبطل

وتارة تكون كسفا * المرتبة الثانية، الولاية من الامراء العشرات - وهي سبع ولايات بالوجهين. فأما الوجه البحرى ففيه ثلاث ولايات من هذه الرتبة، وهي: ولاية الدقهلية والمرتاحية، ومقر ولايتها شعوم الرمان، وولاية دمياط، وليس لها عمل، وولاية قطيا وكانت قبل ذلك طبلخاناه وليس لها عمل أيضاً وإنما هي للمطالعة بالصادر والوارد كما تقدمت الاشارة اليه * وأما الوجه القبلي ففيه اربع ولايات من هذه المرتبة، وهي: ولاية الجيزة وكانت قبل ذلك طبلخاناه؛ وولاية اطفيج، ولم تزل امرة عشرة وولاية منفلوط وهي الآن امرة عشرين؛ وقد كان بعيداب في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وما والاها وال أمير عشرة يولى من قبل السلطان ويراجع الى قوص في الامور المهمة تجريباً على ما كان عليه الامراء اولاً في زمن الخلفاء الفاطميين وقد بطل ذلك الآن

﴿ الطبقة الرابعة، أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ﴾ - قد ذكرنا في الاصل أصول أنساب العرب ونبائلهم واقتصرنا في « تلائد الجمان في التعريف بقبايل عرب الزمان » المؤلف للمقر الاشرف الناصرى البارزى والدالمقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب على ذكر الموجودين منهم الآن . والمقصود هنا ذكر أمراء العربان بالوجهين البحرى والقبلى . فأما الوجه البحرى فقد ذكر الحمدانى ان الامرة فيه كانت في خمسة أعمال: الاول الشرقية، قال الحمدانى، والامرة فيها في قبيلتين ثعلبية وجذام . وقد ذكرنا في الاصل من كانت فيه الامرة من كل من القبيلتين - قلت: وقد آل أمرها في زماننا في ثعلبية في بنى علوية وفي جذام في بقر ثم صارت الى بنيه * الثانى المنوفية - والامرة فيه لأولاد نصير الدين وهم مستمررن الى الآن ولكن قد صارت امرتهم الى معنى مشيخة العرب * الثالث الغربية، والامرة فيه فى أولاد يوسف من الخزاعلة من سنبس من طىء ومقرتهم سخا من الغربية وهي باقية فيهم الى الآن إلا أنها في معنى مشيخة العرب أيضاً * الرابع البحيرة وقد ذكر في التعريف ان الامرة فيه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون كانت لخالد بن أبى سليمان وفايد بن مقدم . قال في مسالك الابصار: وكانا سيدين جليلين ذوى كرم وأمن بلاد - قلت: والامرة الآن فى المقادسة من بنى فايد بن مقدم * الخامس برقة . وقد ذكر في التعريف أنه لم يبق الى زمنه من أمراء برقة الا جعفر بن عمر وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ومحاشنة وليان

والجيش في كل وقت تمد اليه وقل أن نظفر منه بطائل أوردت منه بمغرم ، ثم قال ،
 وآخر أمره أنه ركب طريق الواح حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لا نداءً
 بالعفو ووصل ولم يسبق به خبر ولم يعلم السلطان به حتى استأذن له المستأذن عليه وهو في
 جملة الوقوف بالباب فأكرم اتم الكرامة وشرف بأجل التشريف وأقام مدة في قرى الاحسان
 واحسان القرى وأهله لا يعلمون ماجرى ولا أين يم ولا الى أي جهة لجأ حتى أتتهم
 وافدات البشائر منه فقال له السلطان : لم لأعلمت أهلك بقصدك لنا ؟ قال : خشيت
 أن يقولوا بفتك بك السلطان فأتشبب فاستحسن قوله وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد الى
 أهله فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ولا رثى له صاحب ولا شمت به عدو -
 قلت : وقد آلت الامرة في برقة الى عمر بن عريف وهو رجل دين ، وكان أبوه عريف
 ذا دين متين ، رأته بالاسكندرية بعد الثمانين والسبعائة وآثار الخير ظاهرة عليه
 وأما الوجه القبلي فقد ذكر الحمداني أن الامرة فيه كانت في ثلاثة أعمال : الاول
 عمل البهنسا ، قال ، وكانت الامرة فيه في بيتين : أحدهما بيت أولاد زعازع من بني
 جديدي من بني بلار من لوائه من قيس عيلان أو من البربر على خلاف فيهم . قال
 الحمداني ، وهم أشهر من في الصعيد * الثاني اولاد قريش ، قال الحمداني ، وهم أمراء
 بني زيد ومساكنهم نوبة دلاص ، قال ، وكان قريش عبداً صالحاً كثير الصدقة ،
 ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك - قلت : وبقايا بني زعازع موجودون
 هناك والامرة فيهم الى الآن الا أنها صارت في معنى مشيخة العرب * الثاني عمل
 الاشمونين ، وقد ذكر الحمداني ان الامرة كانت فيه في بني ثعلب من السلطنة
 وهم أولاد بني جحيش من الحيادة من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق من عقب
 الحسين السبط ابن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ، وكانت منازلهم بذروة سمر بام
 وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بذروة الشريف من يومئذ ،
 واستولى عليها وعلى بلاد الصعيد في أواخر الدولة الايوبية . فلما ملك المعز أيبك التركاني
 الديار المصرية جهز له جيوشاً فلم يظفر منه بطائل ، وتقى الى دولة الظاهر بيبرس فنصب
 له حبالل الحبل وصاده بها وشنقه بالاسكندرية * الثالث عمل قوص ، وقد ذكر الحمداني
 أن الامرة فيه في بيتين من بني من قضاة ، من القحطانية ، أحدهما بيت بني شاد ، وهم بنو

شادى ، وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف بقصر بنى شادى ، وربما قيل أنهم من بنى امية بن عبد شمس من قريش ؛ والثانى بيت بنى العجيل ، بن اندب منهم أيضاً ، وهم المعروفون بالعجالة وكانوا معهم هناك . واعلم ان المقر الشهابى بن فضل الله قد ذكر فى التعريف أن الامرة فى الوجه القبلى كانت فى زمانه لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقره ولا قبيلته . وذكر أن الأمرة فيما فوق اسوان كانت فى قبيلة يقال لهم الحدارية فى سمرة بن مالك وهو ذو عدد جم وشوكة منكية يغزو الحبشة وأم السودان ويأتى بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود وفضل ماثور وفد على السلطان فأكرم مشواه وعقد له لواء شرف بالتشريف وقلد وكتب الى ولاة الوجه القبلى عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاذته والركوب للغزو معه متى أراد وكتب له منشور بما يفتح به من البلاد وتقليد بأمره عربان القبلة مما يلي قوص الى حيث تصل غايته وترتكز رأيته . قلت : وقد كانت الامرة آلت فى طما وما حولها من الاسيوطية الى ابي بكر بن الأحدب وبقيت فى بنيه الى قريب وامراؤهم تكتاب عن الابواب السلطانية . أما الآن فمد وجهت هواره من البربر وجهها الى الوجه القبلى مدت رواقها على الصعيد بأسره واستقرت آخرها فى بيتين أحدهما : أولاد (عمر محمد) وإخوته ومنازلهم بمنشأة اخيم وما والاها من الاعمال القوصية ، والثانى بنو غريب بدهروط من البهنساوية وما أضيف اليها ، وكل من أمراء البيتين يكاتب عن الابواب السلطانية

﴿ المقصد الثانى عشر ﴾

فى المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية الى أهل المملكة على ما استقر عليه الحال وهى على ضربين :

(١) هذا المقصد ترجم فى الاصل بالفصل السادس ، وهو كذلك فى القاعدة التى بسط فيها القول على ترتيب المماكة بما فيها الشام والحجاز . ولما جرده المصنف منها ليضعه بعد القول فى الديار المصرية مباشرة نقله بترجمته الأصلية وتقسيمه الى قسمين وتقسيم اولهما الى أربعة مقاصد ولكنه لم يبسط منه فى هذا الموضوع الا المقصد الاول لاختصاصه بالديار المصرية . وترك سائر تقاسيمه ليدكرها فى محالها . فرأينا أن تقتصر من تسميته وتقاسيمه على ما رأيت حتى لا يحصل تشويش

﴿ الضرب الاول ﴾

المكاتبات المشتركة . وهي ما يشترك فيه الاثنان فأكثر من نواب السلطنة
فن دونهم ، وهي على ما استقر عليه عشر مراتب

المرتبة الاولى : « أعز الله تعالى أنصار المقر » وهي أعلاها في حق المكتوب اليه
والرسم فيها على ما ذكره في التثقيف : « اعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى المولوي
الأمرى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى الزعيمى العونى الغيانى المناغرى المرابطى المهدي
المشيدى الظهيرى العابدى الناسي الأتابكى الكفيلى الفلانى معز الاسلام والمسلمين
سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين
أتابك العساكر ممد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين عضد
أمير المؤمنين . . . (ثم الدعاء والصدر، مثل ان يقال) : ولا زال عزه مؤيدا وعزمه مؤيدا وسعده
على مرالجيدين مجددا . أصدرناها الى المقر الكريم تهدي اليه من السلام أتمه ومن الثناء
أعمه ، وتبدي لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للمقر الكريم أن يتقدم أمره الكريم
بكذا وكذا فيحيط علمه الكريم بذلك والله تعالى يجمل به الممالك بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى »
قلت : وفي معنى النائب الكافل أتابك العساكر فتكتب اليه : « أعز الله تعالى أنصار
المقر الكريم » . ويقال في تعريفه : « أتابك العساكر المنصورة »

المرتبة الثانية : « اعز الله تعالى نصره الجنباب الكريم » - والرسم فيها : « اعز الله تعالى
نصره الجنباب الكريم العالى الأمرى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى العونى الغيانى المناغرى
المرابطى المهدي المشيدى الظهيرى الكافلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء
في العالمين نصره الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول
مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . .
(ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال) : . . . ولا زالت عزه مؤيدة وأيام سعده مؤيدة
وأوامره السعيدة مسددة . صدرت هذه المكتابة الى الجنباب الكريم تهدي اليه سلاما
طيبا وثناء عظيما وتوضح لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للجنباب الكريم أن
يتقدم أمره الكريم بكذا وكذا فيحيط علمه الكريم بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »
قلت : والذي في التعريف : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » بأبدال نصره بأنصار
وكانت هي إذ ذاك أعلى المكاتبات الصادرة عن السلطان الى أهل المملكة

المرتبة الثالثة: « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي - والرسم فيها على ما في التثقيف: » ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي الأمير الكبير العادل المؤيدي العوني الزعيم الممهدي المشيدي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الأمة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين ٠٠٠ (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل أن يقال): ٠٠٠ ولا زال قدره عالياً ومدحه متوالياً وحيد الدهر بحسانه حالياً. صدرت هذه المكتبة الى الجناب العالي تهدي اليه سلاماً يروق وثناء يشوق وتوضح لعلمه الكريم كيت وكيت . ومرسومنا للجناب العالي أن يتقدم أمره العالي بكذا وكذا ويحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده باللائك بمنه وكرمه »

المرتبة الرابعة: « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي - والرسم فيها على ما في التثقيف: » أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي الأمير الكبير العادل المؤيدي الأوحدي النصيري العوني الهمامي المقدمي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخيرة الدولة عماد المملكة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ٠٠٠ (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل أن يقال): ٠٠٠ ولا زال قدره رفيعاً وعزده منيعاً وقطره مريعاً . صدرت هذه المكتبة الى الجناب العالي تهدي اليه سلاماً طيباً وثناءً صيباً وتوضح لعلمه المبارك كذا وكذا ومرسومنا للجناب العالي أن يتقدم أمره العالي بكيت وكيت فيحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة الخامسة: « أدام الله تعالى نعمة المجلس - والرسم فيها على ما في التثقيف: » أدام الله تعالى نعمة المجلس الأمير الكبير العادل المجاهدي المؤيدي العوني الأوحدي النصيري العادل المقدمي الظهيري الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ٠٠٠ (ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل أن يقال): ٠٠٠ ولا زال قدره نافذاً أمره جارياً على الألسنة حمده وشكره . صدرت هذه المكتبة الى المجلس العالي تهدي اليه سلاماً وثناءً بساماً وتوضح لعلمه المبارك كذا وكذا . ومرسومنا للمجلس العالي أن يتقدم أمره المبارك بكذا وكذا فيحيط علمه بذلك والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة السادسة: « صدرت هذه المكتبة الى المجلس العالي - والرسم فيها على ما في التثقيف: » صدرت هذه المكتبة الى المجلس العالي الأمير الكبير العضدي الذخري

النصيري الأوحدي العوني المقدمي الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الامراء
المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر ذخرة الدولة كهف الملة ظهير الملوك
والسلاطين . . . « ثم الدعاء والتصدير المناسب مثل ان يقال: » . . . ادام الله سعاده
وأجزل بره وإفادته . موصحة لعلمه المبارك كذا وكذا ومرسومنا للمجلس العالي ان
يتقدم بكذا فيحيط بذلك علماً . والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه »

المرتبة السابعة: « صدرت ، والسامي » . ويعبر عنها بالسامي بالياء، والرسم فيها:
« صدرت هذه المكتابة الى المجلس السامي الاميري الاجلي الكبير العضي الذخري
النصيري الأوحدي الفلاني مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء زين المجاهدين عضد
الملوك والسلاطين . . . « ثم الدعاء والصدر مثل ان يقال: » . . . ادام الله سعاده وأجزل
من الخير إرادته تتضمن اعلامه كذا وكذا »

المرتبة الثامنة: « هذه المكتابة الى المجلس السامي » ويعبر عنها بالسامي بغير ياء،
والرسم فيها على ما في التثقيف: « هذه المكتابة الى المجلس السامي الامير الاجل الكبير
الغازي المجاهد المؤيد الأوحدي المرتضى فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نحر الامراء
زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين . . . « ثم الدعاء مثل: » . . . ادام الله إقباله
وسدد في المصالح احتياله تعلمه كيت وكيت . ومرسومنا للمجلس ان يتقدم بكذا وكذا
فيعلم ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه »

المرتبة التاسعة: « يعلم مجلس الأمير » والرسم فيها: « يعلم مجلس الأمير الاجل
الكبير الغازي المجاهد المؤيد فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء زين المجاهدين
عمدة الملوك والسلاطين . . . « ثم الدعاء مثل: » . . . ادام الله سعاده وأمنح قصده
وشان ضده أن الأمر كيت وكيت . ومرسومنا لمجلس الأمير ان يتقدم بكذا وكذا فيعلم
ذلك ويعتمده والله الموفق بمنه وكرمه »^١

الضرب الثاني

المكتابات المختصة . وهي ما يختص بصورة المكتابة فيه الواحد فقط إما باعتبار
زيادة أو نقص أو تغيير أو غير ذلك . ويشترك فيها أرباب السيوف والاقلام . وسيأتي
ذكر كل مكتابة منها في موضعها ان شاء الله تعالى . وأعلم ان المملكة تشتمل على

(١) هذه تسع مراتب ولم يتعرض للعاشرة في الاصل

ثلاثة أقاليم لكل منها من يكاتب عن الابواب السلطانية (وكلامنا الآن على)
 اقليم الديار المصرية . والمكاتبون فيها على ضربين :
 ﴿ الضرب الاول ﴾ أرباب السيوف ، وهم ستة أصناف
 ﴿ الصنف الاول ﴾ ولاية العهد بالسلطنة - ورسم المكاتبه الى ولي العهد بها على
 ما ذكره في التثيف :

« أعز الله تعالى أنصار المقام العالي الملكي العالمي العادلي . أصدرناها الى المقام
 العالي تهدي اليه من السلام كذا ومن الثناء كذا وتطلع علمه الشريف على كذا »
 ثم قال : والعلامة « أخوه » سواء كان أخا أو غير أخ ، و « ولده » ان كان
 ولدا ، ولم يذكر تعريفه . والظاهر انه يكتب له : « ولي العهد بالسلطنة الشريفة »
 قال في التثيف : ولعل هذه المكاتبه نظير ما كتب الى الملك الصالح على بن المنصور
 قلاوون فإنه كان ولي عهد أبيه المذكور ، ثم قال ، ورأيت أمثلة كثيرة صدرت عنه
 بخلص الحقوق وعلامته عليها : « على بن قلاوون »

﴿ الصنف الثاني ﴾ ، نواب السلطنة الشريفة بها - وهم أربعة :
 الاول النائب الكافل ، وهونائب السلطنة بالحضرة . وقد تقدم ذكره في الكلام
 على أرباب الوظائف بالديار المصرية . قال في التثيف : وقل أن يكاتب الا اذا كان
 السلطان مسافرا في غزاة أو ممرحة للصيد . ورسم المكاتبه اليه على ما استقر عليه
 الحال فيما أورده في التثيف : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » باللقاب المتقدمة
 في المرتبة الاولى . والعلامة اليه « أخوه » . وتعريفه : « كافل الممالك الاسلامية
 أعلاها الله تعالى » . قلت وقد ذكر في التعريف أن المكاتبه اليه : « أعز الله تعالى
 أنصار المقر » وزيدت ألقابه على ما كانت عليه لما كتب بذلك الى نائب الشام في
 ولاية بيدمر الخوارزمي وكافل المملكة يومئذ الامير منجك فلزم أن يكتب له مثله
 لئلا يكون نائب الشام أميرا على كافل السلطنة . قال في التعريف : وقد رأيت
 بعض الكتاب يكتب في ألقابه بعد الامير « الأمرى » ، قال ، والكاتب المذكور
 كاتب صالح في المعرفة وليس بحجة . وكتابه « الأمرى » ليس بشيء وإنما حمله عليه
 كثرة الملق . وقد نقل في التعريف أيضا عن هذا الكاتب أنه كتب في تعريفه

نائب السلطنة « وكافل الممالك الشريفة الاسلامية » ، ثم قال ، وهو مقبول منه ولكن الذي أراه أن يجمع ذكر النيابة والكفالة في تقليده فيقال أن يقلد نيابة السلطنة المعظمة وكفالة الممالك الشريفة الاسلامية ، أو ما هذا معناه نحو : وكفالة الممالك الشريفة مصر او شاما وسائر البلاد الشامية أو الممالك الاسلامية ونحو ذلك . فأما في تعريف الكتب فقد جرت عادة نواب الشام أن تقتصر في كتبها اليه على « كافل الممالك الاسلامية المحروسة » ، قال ، ولعمري في ذلك مقنع ؛ فإن في الاقتصار عليهما ما هو اكبر فخامة . وعليه عمل اكثر الكتاب بديوان مصر أيضا . ويؤيده أنهم يقتصرون فيما يكتب بأشارته على هذا التعريف فاعلم ذلك

﴿ تنبيه ﴾ قال في التعريف : اما نائب الغيبة وهو الذي يترك اذا غاب السلطان والنائب الكافل فليس الا لأخذ الثوائر وخلاص الحقوق وحكمه في رسم المكاتبه اليه رسم مثله من الامراء

الثاني ، نائب الاسكندرية - وقد تقدم أن نيابتهما استحدثت في الدولة الاشرفية شعبان بن حسين في سنة ٧٦٧ عند طروق العدو المخدول من الفرنج لها . ورسم المكاتبه اليه « ضاعف الله نعمة الجنب العالي » على ما تقدم في المرتبة الثالثة إلا أنه لا يقال في ألقابه « الكافلي » والعلامة الشريفة اليه « والده » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة ، بغير الاسكندرية المحروس » . واعلم ان بالاسكندرية حاجبا يكتب عن الابواب السلطانية . قال في التنقيف : ورسم المكاتبه اليه « المجلس السامي » ان كان بطلخانا ، و « يعلم مجلس الامير » ان كان أمير عشرة ، والعلامة الاسم بكل حال ، وتعريفه : « الحاجب بغير الاسكندرية المحروس »

الثالث ، نائب الوجه القبلي بمدينة أسيوط - قد تقدم أنها نيابة استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق في سنة ٧٨٠ ورسم المكاتبه اليه « أدام الله نعمة الجنب » قلت : وكانت المكاتبه قبل ذلك « ضاعف الله تعالى نعمة الجنب » وهو الذي أورده في التنقيف الرابع ، النائب بالوجه البحري بمدينة دمهور الوحش - وقد تقدم أن نيابته استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق أيضا بعد حدوث نيابة الوجه القبلي ورسم المكاتبه اليه : « أدام الله نعمة الجنب » كنياب الوجه القبلي ، والعلامة له « والده » ،

وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالوجه البحرى » . قلت : ولم يتعرض له فى التثقيف
وكأنه حدث بعد تأليفه

﴿ الصنف الثالث - الكشاف ﴾ وهم كاشفا الفيوم والبهنساوية وكاشف الوجه
البحرى، وكل منهم امير طبلخاناه ورسوم المكاتبه اليهما « صدرت » ، والعلامة الاسم
الشريف ، وتعريف كل منهما : « الكاشف بالمكان الغلانى »

﴿ الصنف الرابع -- الولاة بالوجهين القبلى والبحرى ﴾ وهم ثلاثة عشر نفرا منهم
سته طبلخاناه : ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى قوص ، ووالى الاشمونين ، ووالى البهنسا ،
وثلاثة بالوجه البحرى وهم والى الغربية ، ووالى المنوفية ، ووالى الشرقية : وسبعة عشرات :
ثلاثة بالوجه القبلى وهم والى الجزيرة وكان قبل ذلك طبلخاناة ، ووالى اطفيح ، ووالى
منفلوط وكان قبل ذلك طبلخاناه وهو اليوم امير عشرين : وأربعة بالوجه البحرى
وهم والى قليب ، ووالى اشمووم الرمان ، ووالى دمياط ، ووالى قطيا . ورسوم المكاتبه
الى كل من الطبلخاناه منهم « السامى » بغير ياء ، والى العشرات « مجلس الامير » ،
والعلامة للجميع الاسم الشريف ، وتعريف كل منهم « والى مكان كذا » كوالى قوص
ووالى الغربية ونحو ذلك

﴿ الصنف الخامس ﴾ كشاف الجسور والمتوجهون لتحضير البلاد وقبض الغلال .
قال فى التثقيف : فمن كان منهم طبلخاناه فرسم المكاتبه اليه « السامى » بالياء ، ومن
كان عشرة فرسم المكاتبه اليه « السامى » بغير ياء ، والعلامة للجميع الاسم الشريف
قال ، ولا تذكر الوظيفة التى توجه بسببها ولا الأقليم الذى هو به

﴿ الصنف السادس ﴾ باقى الامراء بالديار المصرية — وقد ذكر فى التعريف أنهم
ان كانوا مقدمي ألوف فلكتابهم أسوة كبار النواب بالمالك الشاميه كالشام وحلب ،
ولا وسطهم أسوة أوسطهم كحاه وطرابلس وصفد ، ولا صغرم أسوة أصغرم كغزة وحمص ،
قال ، فأعلم ذلك وقس عليه : ثم قال ، والذى نقوله : لكبار المقدمين بالابواب السلطانية
« الجناب الكريم » ، ثم « الجناب العالى » ، ثم « المجلس العالى » . قلت وهذا على
ما كان عليه الامر فى زمانه أما على ما استقر عليه الحال آخره فانه يكتب لكبارهم
« المقر الكريم » كما يكتب للأتابك ، والا « فالجناب الكريم » ثم « الجناب العالى »

ثم « المجلس العالی » . وان كانوا طبلخانة فقد ذكر أن منهم من يكتب له « المجلس العالی » كن يكون معينا للتقدمة وله عدة ثمانين فارسا أو سبعين فارسا أو نحو ذلك ، وكالمقربين من الخاصكية ، او من له عراقة نسب كبقايا الملوك وأرباب الوظائف الجميلة كحاجب كبير أو أستاذار جليل أو مدبر دولة يصرح له بالوزارة ، أو وادار متصرف ، قال ، وهو لاء وان كتب اليهم ب « المجلس العالی » فإنه يكتب بغير افتتاح بالدعاء . والكتابة لهم ب « العالی » على وجه الغرض لا الاستحقاق ، والا فأجل رسم مكاتبة امراء الطبلخاناه « السامی » بالياء ولجمهورهم « السامی » بغير ياء . فان كانوا أمراء عشرات فذكر أن لكل منهم « مجلس الامير » وقال ، ان زهد قدر أحد بسبب ثمان كتب له « المجلس السامی » بغير الياء . وان كانوا من مقدمي الجند فقد ذكر أن لهم أسوة أمراء العشرات في المكاتبة ، ثم قال : أما الجند ف « الامير الاجل » وأما جند الامراء ف « الطواشي » قلت : وكأنه يريد ما اذا كتب بسببهم مكاتبة أو كتب لاحدهم توقيع ونحو ذلك والافالجند لا يكتب احد منهم عن الأبواب السلطانية ﴿ الصنف السابع العربان بالديار المصرية ﴾ وهم عرب البحيرة وعرب الشرقية وعرب الوجه القبلي وعرب الجيزة وعرب برقة فعرب البحيرة قد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة عن التعريف ان الامرة في زمانه كانت فيهم في محمد بن ابى سليمان وفائد بن مقدم وقال ان رسم المكاتبة الى كل منهما « هذه المكاتبة الى المجلس السامی الاميرى » ، والعلامة « اخوه » قلت : والامارة الآن فيهم في أولاد التركية من المقادمة من عقب مقدم المذكور آفغا ورسم المكاتبة الى أميرهم « هذه المكاتبة » أيضاً « وعرب الشرقية » قد ذكر في التعريف انه كان في زمانه منهم نجم بن هجل شيخ عايد ، وذكر انه دون محمد بن أبى سليمان وفايد بن مقدم أميرى عرب البحيرة المقدم ذكرهما ثم قال ، ورسم المكاتبة اليه « المجلس السامی الامير » - « قلت : ثم صارت إمرة العايد في الدولة الظاهرية برقوق الى محمد بن عيسى وهي الآن بيد سعاد بن محمد بن عيسى . ورسم المكاتبة اليه « هذه المكاتبة أيضاً » . وكانت إمرة جذام في الدولة الاشرفية شعبان بن حسين في الامير بقر ، وهي الآن بيد (١) بن أحمد

ابن بقر ، ورسم المكاتبه اليه مثله ؛ وكانت امرة ثعلبة في احمد بن حسن السلطاني ، ثم تنقلت بعده ، وهي الآن في بنى علوية بن ثعلبة * وعرب الوجه القبلي قد ذكر في التعريف انه كان منهم في زمانه اثنان : احدهما ناصر الدين بن عمر بن فضل ، والثاني سمرة بن مالك وانه كان ذو عدد جم وشوكة منكية يغزو الحبشة وأمم السودان وبأني بالنهاب و بالسبابا . و ذكر ان رسم المكاتبه الى كل منهما « هذه المكاتبه الى المجلس السامي » . قلت : ثم صارت الأمرة في الايام الظاهرية برقوق الى أبي بكر بن الاحدب وكان يكتب اليه « هذه المكاتبه » ، وهي الآن في هواره في بيتين أحدهما : بنو عمر بالصعيد الأعلى بمنشأة اخميم وما والاها . والثاني بنو غريب بدهروط وما حولها من البهنساوية ورسم المكاتبه الى كل منهما « هذه المكاتبه » أيضاً * وعرب برقة ، فقد ذكر في التعريف انه لم يكن في زمانه من يكتب منهم الا جعفر بن عمر ولم يذكر رسم مكاتبته . قلت : ولأمرتها الآن في عمر بن عريف ورسم المكاتبه اليه « هذه المكاتبه »

﴿ الضرب الثاني ، أرباب الاقلام ﴾ وهو صنفان :

الصنف الاول ، أرباب الوظائف الدينية من حملة الاقلام ... لم يذكر في التثقيف مكاتبه صدرت عن الأبواب السلطانية لأحد من أرباب الوظائف الدينية بالديار المصرية سوى ما كتب به قاضي القضاة تاج الدين الاخنائي المالكي حين حج في سنة ٧٦٧ في الدولة الناصرية حسن جوابا عما ورد منه ، وذكر انه كتب له الدعاء و « المجلس العالی » ، والعلامة الاسم ، ثم قال ، أما قاضي القضاة عز الدين بن جماعة فإنه كان يهيج ويجاوز كثيرا ولكن لم أره كتب له قط ، قال ، وأنا شك في أمره . قلت : رأيت في « ايقاظ المتغفل » لابن متوج انه كتب اليه وهو مجاور بمكة « اعز الله تعالى أحكام المجلس العالی » ولم يتعرض للعلامة ، والظاهر أنها « أخوه » ، وان يكون تعريفه « قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية »

الصنف الثاني ، أرباب الوظائف الديوانية من الوزراء ومن في معانهم - والمكتوب اليهم من هذا النمط ثلاثة نفر : الاول الوزير ، وقد ذكر في التعريف انه لم تنزل مكاتبه أجلاء الوزراء « بالمجلس العالی » ثم كتب لآخرهم بالديار المصرية « الجناب العالی » .

قلت : ولم يتعرض في التثقيف لمكاتبة الى الوزير إلا انه ذكر في الكلام على ألقابه في آخر الكتاب ان الدعاء له « ضاعف الله » وحينئذ فتكون مكاتبته : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي صاحب الكبري العالمى العادلي الاوحدى الاكلى القوامى النظامى الاثيرى البليغى المنفذى المسددى المتصر فى العونى المدبرى المشيرى الوزيرى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين شرف الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء اوحد الاصحاب ملاذ الكتاب قوام الدول نظام الملك مفيد المناجى معتمد المصالح عماد الملة عون الامة مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ... والعلامة « أخوه » وتعريفه « مدبر الممالك الشريفة الاسلامية المحروسة »

الثانى — كاتب السر اذا تخلف عن الركاب السلطانى لعارض . ورسم المكاتبة اليه على ماورد فى التثقيف : « ادام الله تعالى نعمة المجلس العالي القاضى الكبرى العالمى العادلي العلامى الافضلى الاكلى البليغى المسددى المنفذى المسيدى العونى اليمينى السفيرى الاصلبى العربقى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين قدوة العلماء العاميين جمال البلغاء أوحد الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب يمين المملكة لسان السلطنة والسلاطين ولي أمير المؤمنين ... والعلامة « أخوه » ، وتعريفه « صاحب دواوين الممالك الشريفة الاسلامية »

الثالث — ناظر الخاص . ورسم المكاتبة اليه كما قانه فى التعريف : « المجلس العالي القاضى الكبرى العالمى الفاضلى الاوحدى الاكلى الرئيسى البليغى البارعى القوامى النظامى الماجدى الاثيرى المنفذى المسددى المتصر فى الفلانى جمال الاسلام قوام المصالح نظام المناجى جلال الاكبر قدوة الكتاب رئيس الاصحاب عماد الملة صفوة الدولة خالصة الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين » قلت : أما ناظر الجيش فإنه لم يتعرض فى التثقيف للكتابة إليه فأن قدر كتابة اليه كتب له على نظير ناظر الخاص المقدم الذكر وزهد فى ألقابه ما يختص بناظر الجيش المقدم مثل « مرتب الجيوش » ونحو ذلك

الصف الثالث — الخوندات السلطانية من زوجات السلطان وأقاربه اذا دعت الحال الى ذلك لسفر أو نحوه . وقد ذكر فى التثقيف منهن جماعة كتب اليهن فيما تقدم ونحن نذكر مكاتبتهم لينسج على منوالها :

الاولى — ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون زوج أبى بكر بن أرغون ،

كتب اليها عن والدها وهي مع زوجها المذكور بحلب ورسم المكاتبة اليها :
« الذي يحيط به علم الحرمة الشريفة العالية المصونة الولدية عصمة الدين جلال النساء
شرف الخواتين سليلة الملوك والسلاطين ضاعف الله تعالى جلالها . . . والعلامة « والدها » ،
وتعريفها : « الدار السيفية بحلب » ، والكتابة تكون بأسطر متقاربة كاللطف
الثانية — طغاي زوجة السلطان الملك الناصر المتقدم ذكره المعروفة بأُم أنوك ،
كتب لها عنه لما توجهت الى الحجاز الشريف : « ضاعف الله تعالى جلال الحرمة
الشريفة العالية المعظمة المحجبة المصونة الكبرى خوندخاتون جلال النساء في العالمين سيدة
الخواتين قرينة الملوك والسلاطين . . . » والعلامة « الاسم » وتعريفها « والدة المقر الكريم
الولدي السيفي أنوك » والاسطر متضايقة على ما تقدم
الثالثة — اخت السلطان الملك الناصر حسن زوج الامير طافر ، كتب لها عن
أخيها المشار اليه لما كانت بالحجاز الشريف : « ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة
العالية الكريمة المحجبة المصونة الكبرى الخاتون جلال النساء في العالمين جميلة المحجبات
جديدة المصونات كريمة الملوك والسلاطين . . . » والعلامة « أخواها »
الرابعة — الحاجة الست حدق ، كتب لها عن الناصر حسن وهي بالحجاز الشريف :
« ضاعف الله تعالى جلال الجهة الشريفة العالية الكبرى المحجبة المصونة الحاجة الولدية
جلال النساء في العالمين بركة الدولة والدة الملوك والسلاطين . . . » ثم الدعاء ، والعلامة
الأسم ، وتعريفها « الحاجة ست حدق »
الخامسة — والدة الاشرف شعبان بن حسين ، كتب لها عن ولدها المشار اليه
حين سفرها الى الحجاز الشريف في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث الخفيف او قلم
التوقيعات : « ضاعف الله تعالى جلال حجاب الجهة الشريفة العالية الكبرى المعظمة
المحجبة جديدة المصونات والدة الملوك والسلاطين . . . » ثم الدعاء

— الفصل الثاني —

(في المالك الشامية — وهي الشام وملحقاته)

« الشام » بهمزة مقصورة وميم في الآخر ، قال في تهذيب الاسماء ، ويجوز فيه

فتح الصين والمد على ضعف وان كان مشهورا . قال الجوهري : ويجوز فيه التذكير والتأنيث ، قال النووي ، والمشهور التذكير . وموقع جميع بلاده في الأقليم الثالث والاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . وقد اختلف في تسميته شاما : فقيل تشاؤم بنى كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام اليه حين قسم نوح الارض بين بنيه ، ومن ثم قيل للشام أرض كنعان ؛ وقيل بل سمي بسام بن نوح اذ يقال أنه أول من نزله ، واسمه بالسريانية شام بشين معجمة فقلبتهما العرب سينا مهمله ؛ وقيل لان أرضه مختلفة الالوان بالحرارة والسواد واليباض فسمى شاما لذلك كما يسمى الخال في وجه الانسان شامة ؛ وقيل لأنه عن شمال الكعبة ، والشام لغة في الشمال . واختلف أيضا في تحديده فذكر في التعريف ان حده من القبلة الى البر المقفرتيه بنى اسرائيل وبر الحجاز والسمائة الى مرمى الفرات بالعراق ، قال ، وهذه المحاذ كلها من جزيرة العرب ؛ وحده من الشرق طرف السماء والفرات ، وحده من الشمال البحر الرومي ، وحده من الغرب حد مصر المتقدم الذكر . وذكر في تقويم البلدان أن حده من الجنوب من أول رفح في أول الجفار بين مصر والشام الى حدود تيه بنى اسرائيل الى ما بين الشوبك وأيلة الى البلقاء ؛ وحده من الشرق من البلقاء الى مشاريق صرخد ، الى نابلس ؛ وحده من الشمال من نابلس مع الفرات الى قاعة نجمة ، الى البيره ، الى شمساط ، الى حصن منصور ، الى بهسنا ، الى مرعش ، الى بلاد سيس ، الى طرسوس ، الى بحر الروم ؛ وحده من الغرب من طرسوس أخذنا على ساحل البحر الرومي الى رفح المتقدمة الذكر . فخالف التعريف في بعض الحد الشمالي وأدخل بلاد الارمن المتصلة بآخر بلاد حلب من الشمال في حدود الشام . على أنه قد صرح بذلك في التعريف فقال بعد ان أفرد الفتوحات الجاهانية التي هي أول بلاد الارمن من جهة حلب بالذكر : وأتيت بها هنا اذ لم يكن لها تعلق بمملكة تذكر فيها وليست من الشامات في شيء وانما هي من بلاد الارمن المسماة قديما ببلاد العواصم والثغور . على ان ما ذكره في التعريف وتقويم البلدان من التحديد لا يخلو من تساهل . قال التيفاشي : وطوله أكثر من شهر . وقال ابن حوقل : وطوله من ملطية الى رفح ٢٥ مرحلة ، ومن ملطية الى منيخ اربع مراحل ، ومن منيخ الى حلب مرحلتان ، ومن حلب الى حمص خمس مراحل ، ومن حمص الى دمشق خمس مراحل

ومن دمشق الى طبرية اربع مراحل ، ومن طبرية الى الرملة ثلاث مراحل ، ومن
الرملة الى رفح مرحلتان . قال : وأعرض ما فيه طرفاه . أما ما بين هذين الطرفين
من الشام فلا يكاد ، بين الاردن ودمشق وحمص ، يزيد على اكثر من ثلاثة أيام
* (أجناد الشام) *

واعلم ان المتقدمين قد قسموا نواحي الشام الى خمسة أجناد ، جمع جند بضم الجيم
وإسكان النون ودال مهملة في آخره كما ضبطه الجوهري وغيره
الاول - جند فلسطين ، بكسر الفاء وفتح اللام ؛ وهي بلدة كانت قديما .
فنسبت الكورة اليها . قال الزجاجي : وسميت بفلسان بن كلثوم من ولد فلان بن نوح
عليه السلام .

قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رفح الى حد
اللجون ، قال ، وعرضه من يافا الى أريحا نحو يومين أما زغر وديار قوم لوط والجبال
والشراة فمضمومة اليها وهي منها في العمل الى حدأيلة ، قال ابن حوقل وهي أرخي بلاد الشام
الثاني جند الأردن - قال في اللباب ، بضم الالف وسكون الراء وضم الدال
المهملتين وتشديد النون في آخرها ، قال ، وهي بلدة من بلاد الغور من الشام وبها نهر
كبير يقال له نهر الأردن وقد نسبت الكورة كما نسب النهر اليها . قال ابن حوقل :
وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة وزغز الى ييسا والى طبرية يسمى الغور لأنه بين جبلين
وسائر بلاد الشام مرتفعة عليه ، قال ، وبعضها من الاردن وبعضها من فلسطين

الثالث جند دمشق ، والرابع جند حمص ، والخامس جند قنسرين بكسر القاف
وفتح النون المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ، وهي قاعدة من قواعد الشام
القديمة على القرب من حلب كان ينزلها الجند في ابتداء الاسلام ثم ضعفت
بحلب وخربت وصارت قرية . قال الزجاجي : وسميت برجل من قيس يقال له
(ميسرة نزلها فمر به رجل فقال له ما أشبه هذا الموضع بقوسيرين فبنى منه اسم للمكان
فقليل قنسرين) . قال ابن الاعرابي : واختلف في إعرابها فقليل بحري مجرى قولك
الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو وفي النصب والجر بالياء فتقول : هذه قنسرين ، ورأيت
قنسرين ، ومررت بقنسرين ؛ وقيل تعربها بالياء بكل حال فتقول : هذد قنسرين ،

ورأيت قنسرين ومررت بقنسرين . ولا تصرفها قال ابن الاثير: وكل جند منها عرضة من ناحية الفرات الى ناحية فلسطين، وطوله من الشرق الى البحر اذا علم ذلك فقد حكاه في التعريف على وجه آخر . فقال: للناس في الشام اقوال، منهم من لا يجعله الاشاما واحدا، ومنهم من يجعله شامات: فيجعلون بلاد فلسطين والارض المقدسة الى حد الأردن شاماً، ويقولون الشام الاعلى؛ ويجعلون دمشق وبلادها من الاردن الى الجبال المعروفة بالطوال شاماً، ويقع على قرية النبك وما هو على خطها: ويجعلون سوريا وهي حمص وبلادها الى رحبة مالك بن طوق شاماً ويجعلون حماه وشيزر من مضافاتها، ثم من يجعل منها حماه دون شيزر، ويجعل قنسرين وبلادها وحلب مما يدخل في هذا الحد الى جبال الروم وبلاد العواصم والثغور وهي بلاد سيبس . فأما عكا وطرابلس وكل ما هو على ساحل البحر فكلما قابل شي منه شيئاً من الشامات حسب منه . اما ما عليه الحال الآن فان بالشام ست قواعد بكل قاعدة منها نائب سلطنة

❦ القاعدة الاولى دمشق ❦

بكر الدال المهملة وفتح الميم، وتسمى أيضاً جلق، بكسر الجيم وتشديد اللام المفتوحة، وجيرون بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت . وقد اختلف في بانها فقيل بناها نوح عليه السلام بالازل من السفينة بعد ان بنى حراف، وقيل بناها جيرون بن سعيد بن عاد وبه سميت بجيرون، وقيل بناها جيرون وأخوه بريد ابنا سعيد بن لقمان بن عاد وبهما يعرف باب جيرون وباب البريد من ابوابها، وقيل بناها العازر غلام ابراهيم الخليل عليه السلام الذي وهبه له عمرو بن كنعان حين خرج من النار وكان اسمه دمشق فسميت به، وفي كتاب فضائل الفرس لأبي عبيد أنه بناها سوراسب ملك الفرس، وقيل بناها ذو القرنين عند فراغه من سد يأجوج ومأجوج وكل بعمارتها غلاما له اسمه دمشق فسميت به وعربت دمشق، وقيل غير ذلك . وهي مدينة حسنة الترتيب جليلة الابنية ذات حواضر فسيحة وبها من الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والرباط والزوايا والاسواق ما لا يرى في غيرها، وغوطتها أحد مستنزهات الدنيا، وفي جانبها الغربي قلعتها وهي قلعة حسنة مرجلة على الارض تحيط بها بالمدينة جميعاً أسوار عالية يدور بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة واذا دعت الضرورة اليه أطلق على جميع الخندق

المحيط بالمدينة فيعمها؛ وفي الميدان القبلي منها القصر الابلق، وهو قصر عظيم مبنى بالحجر الأسود والاصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب، بناه الظاهر بيبرس البندقدارى فى سلطنته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الابلق بقلعة الجبل بمصر؛ وبجانبتها الشمالى مدينة مستقلة بنفسها تسمى الصالحية، ذات أبنية جليلة وعمائر ضخمة يسكنها كثير من الامراء والجنود، تشرف على دمشق وغوطها، ولكل من دمشق والصالحية البساتين الانيقة والمستنزهات الفاخرة. ومسقى دمشق من نهر يسمى بردا، بفتح الباء الموحدة والراء والذال المهملتين، ينقسم الى سبعة أنهر، اربعة منها غريبه وهي نهر داريا ونهر المزه ونهر القنوات ونهر باناس؛ واثنان شرقيه وهما نهر يزيد ونهر تورا، ونهر بردا ممتد بينهما فنهر باناس ونهر القنوات حاكنا على المدينة مساطان على ديارها. وبها جامع بنى أمية بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان لا نظير له فى الدنيا، يقال إنه أنفق فيه أربع مائة صندوق كل صندوق فيه ثمانية وعشرون الف دينار؛ وربما قيل إنه أنفق فيه خراج الشام سنة، وأنه اجتمع فى ترخيمة اثنا عشر الف مرخم.

قلت: ولم تزل دمشق زاهية البنيان تامة الاركان الى أن طرقها تمرلك فى سنة ٨٠٣ فخرق جميع داخل السور ولم يبق عامرا الا ظاهرها؛ ثم أعيد بعض بناها ما أحرق على القرب من الجامع، وباقى ذلك باقى الخراب وذكر فى التعريف أن ولايتها من العريش حد مصر الى آخر ساهية مما هو شرق بشمال، والى الرحبة مما هو شرق بجنوب. قال، وقد أضيف اليها فى زمن سلطاننا بلاد جعبر وحقها أن تكون مع حلب. وحينئذ نتكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المقدم ذكره، وما يليه، وما يلي ما يليه، وبعض الشام الادنى؛ وليس يخرج عنها من ذلك الا حماة، وما خرج مع صفد وطرابلس والكرك. قال ويكون فى نيابه نائبها نيابة غزة ونيابة حمص وبعض شي مما يقتضى الحق أن يكون فى نيابة حلب. ويشتمل على بر وأربع صققات

﴿ فأما برها ﴾ فالمراد به ضواحيها، وحده من القبلة قرية الخيارة المجاورة للكسوة وما هو على سمتها طولاً، ومن الشرق الجبال الطوال الى النيك (وما على سمتها من القرى آخذاً على عسال وما حولها من القرى الى الزبدانى، ومن الغرب ما هو من الزبدانى الى قرى القميران المسامطة للخيارة المقدم ذكرها، قال، ويدخل فى ذلك مرج دمشق وغوطها

(وأما صفقاتها) فأربع صفقات

﴿ الصفقة الاولى الساحلية والجبليّة ﴾

وهذه الصفقة هي الغربية عن دمشق . قال في مسالك الابصار : وهي عبارة عن بلاد غزة وما جاورها سهلا ووعرا . قال في التعريف : وهذه الصفقة هي الشام الاعلى ينقص منه ما هو من نهر الاردن الى أول حدود قاقون . وهذه الصفقة لها ناحيتان : (الناحية الاولى الساحلية) - وهي التي بساحل بحر الروم وتشتمل على أربعة أعمال : الاول ، عمل غزة - وهي على طرف الرمل بين مصر والشام آخذة بين البر والبحر ، مبنية على نشز عال على نحو ميل من البحر الرومي ، ذات جوامع ومساجد ومدارس وزوايا وبيمارستان ، صحيحة الهواء . وشرب أهلها من الآبار ، وبها أمكنة يجتمع فيها المطر إلا أنه يستثقل في الشرب فيعدل عنه الى الآبار الخفة مائها ، وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجل فاكهتها العنب والتين وبها بعض نخيل وبرها ممتد الى تيه بني اسرائيل من قبلها وهو موضع زرع وماشية

الثاني ، عمل الرملة - وهي مدينة من جنود الاردن بناها ساجان بن عبد الملك ابن مروان في خلافة أبيه عبد الملك . قال في الروض المعطار : وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها . وقال في مسالك الابصار : سميت باسم امرأة تسمى رملة وجدها ساجان هناك حين نزل يريد بناؤها فأكرمه . قال في العزيزي : وهي قصبه فلسطين ، وهي في سهل من الارض ، وبينها وبين القدس مسيرة يوم . وكان عبد الملك قد أجرى اليها قناة ضعيفة للشرب منها . وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر . وميناها على البحر الرومي بإفا ، وهي مدينة صغيرة بالساحل في الغرب عن الرملة وبينهما ستة أميال

الثالث ، عمل لدوهي واقعة شرقا بشمال عن الرملة ، وهي مدينة قديمة كانت قصبه فلسطين في الزمن الاول ؛ فلما بنيت الرملة تحول الناس اليها وتركوا لد . وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال بياها

الرابع ، عمل قاقون - وهي مدينة لطيفة غير مسورة بها جامع وحمام وقاعة لطيفة

وشربها من ماء الآبار وبينها وبين لد مسيرة يوم

﴿ الناحية الثانية -- من هذه الصفقة ﴾ الجبلية . وبها ثلاثة أعمال :

الاول ، عمل القدس - وهو لفظ غالب على مدينة بيت المقدس ، وهو المسجد الاقصى ؛ وأصل التقديس التطهير ، والمراد المطهر من الادناس . وهي مدينة من جند فلسطين مبنية على جبل مستدير ، وعرة المسلك . وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الاقصى ، ومن عين تجري اليها عن بعد ، ومن عين تعرف بعين سلوان ليس ماؤها بالكثير . وكان بها آثار قلعة قديمة خربت فجدها الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٦ وليس بها حصانة

الثاني ، عمل بلد الخليل عليه السلام واسمها « بيت حبرون » باضافة بيت ، واحد البيوت ، الى حبرون ، قال في تقويم البلدان ، بحاء مفتوحة وباء موحدة سا كنة وراء مهملة مضمومة بعدها واو سا كنة ونون ؛ وفي كلام صاحب الروض المعطار ما يدل على ابدال الحاء جيم والباء الموحدة بمثناه تحت فأنه ذكرها في حرف الجيم (حبرون) . وهي بلدة من جند فلسطين ، وبها قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ونسأتهم الثالث ، عمل نابلس - وهي مدينة من جند الاردن . قال في مسالك الابصار : وهي مدينة يحتاج اليها ولا يحتاج الي غيرها ، وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام ، وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد الا بها ؛ وبها الجبل الذي يحجون اليه ، وهو طور نابلس

﴿ الصفقة الثانية - القبلية ﴾

سميت بذلك لأنها قبلي دمشق . قال في مسالك الابصار : وتشتمل على بلاد حوران والغور وما مع ذلك . قال في التعريف : وحدها من القبلة جبال الغور القبلية المجاورة لمرج بني عامر ، ومن الشرق البرية ، ومن الشمال حد ولاية دمشق القبلي ، ومن الغرب الاغوار الى بلاد الشقيف ؛ قال ، والاغوار كلها داخله في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك . وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال :

الاول ، عمل بيسان - وهي مدينة من جند الاردن على الجانب الغربي منه

ذات بسايتين وأشجار وأعين ، وبها عين تشق المدينة وهي مدينة الغور ، قال في مسالك
الابصار ، وبها قلعة من بناء الفرنج

الثاني ، عمل بانياس - وهي مدينة من جند دمشق على مرحلة ونصف من دمشق
من جهة الغرب بميلة الى الجنوب ، وهي في لطف جبل الثلج ؛ وبها قلعة الصبية ، بضم
الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة . قال في التعريف ، وهي من أجل القلاع وامنها .
وكان لها نائب مفرد يولى من جهة نائب دمشق ، أما الآن فقد أضيفت الى والى
بيسان المقدم ذكرها

الثالث ، عمل الشعرا - وهي عن بانياس شرق بجنوب ، وطول هذا العمل ما بين
بانياس الى جبل الثلج . قال في التعريف : والولاية بها تارة تكون بقرية بيت حان ،
بالحاء المهملة ، وتارة تكون بقرية القنيطرة ، تصغير قنطرة

الرابع ، عمل نوى - وهي بلدة صغيرة في جهة الغرب الى الجنوب عن دمشق
على نحو مرحلة منها ، واليهما ينسب الشيخ محيي الدين النووي الشافعي ، وهي عن يمين عمل
الشعراء المقدم ذكره شرق بجنوب

الخامس ، عمل أدرعات - قال في الروض المعطار : ويجوز فيه الصرف وعدمه ،
قال ، والتاء (كذا) في الحالتين مكسورة . وقال الخليل : من كسر الالف لم يصرف ، وهذا
صريح في جواز كسر الالف . في أولها قال : ويقال لها يداعات ، بياء مشاة تحت بدا ، الالف .
وهي مدينة من أعمال دمشق بينها وبين الصنمين ١٨ ميلا . قال في التعريف : وبها
ولاية الحاكم على مجموع الصفقة .

السادس ، عمل عجولون - وهي قلعة من عمل الأردن مبنية على جبل يعرف
بجبل عوف يشرف على الغور . وهي محدثة البناء ، بناها أسامة بن منقذ أحد أمراء
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سلطنة العادل أبي بكر بن أيوب في سنة
٥٨٠ قال في مسالك الابصار : وكان مكانها راهب اسمه عجولون فسميت به . قال
في التعريف ، وهي حصن جبل على صغره ذو حصانة ومنعة منيعة . ومدينة هذه القلعة
الباعونة وهي على شوط فرس من عجولون . قال في مسالك الابصار : وكان مكانها دير به
راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به . وهما شرقي بيسان المقدم ذكرها

السابع ، عمل البلقا — قال في تقويم البلدان : وهي إحدى كور الشراة ، وهي عن اريحا في جهة الشرق على مرحلة . قال في الروض المعطار : وسميت بالبلقان سوريه من بنى عبيد بن لوط ، وهو الذي عمرها . ومدينة هذا العمل حسبان ، وهي بلدة صغيرة . ولها واد وأشجار وأرحبة وبساتين وزروع . قال في مسالك الابصار : ومن هذا العمل الصلت ، وهي بلدة لطيفة من جند الاردن في جبل الغور الشرقي في جنوب عجلون على مرحلة منها وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب قلت : ومقتضى كلامه في التعريف ان يكون الصلت عملا مستقلا بذاته ، وهو ما رأيت في التذكرة الآمدية نقلا عن ابن الفارقي أحد كتاب الانشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، بل أخبرني بعض كتاب الانشاء بان المستقر الآن الصلت فقط والبلقا مضافة اليها وعليه يدل كلام التثقيف فإنه قال : وممن يكتب اليه من الولاة بالممالك الشامية ، ولعله في الأيام الشهيدية يعني ابن قلاوون ، والى الصلت والبلقا

الثامن ، عمل صرخد — وهي بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم ، وليس بها ماء سوى ما يجتمع من ماء المطر في الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق الا البرية ، ومنها يسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق يصل المسافرون منها الى بغداد في نحو عشرة أيام . قال في التعريف : وبها قلعة ، وكان بها ملك من المماليك المعظمية فهدمتها عساكر هولاء كوثم جدها الظاهر بيبرس . قال في التعريف : وقد جعل بها من ينحط عن رتبة السلطنة أو نيابة معظمة . قلت : وممن وليها العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة وقبل ولايته نيابة حماة

التاسع ، عمل بصرى ، بضم الباء الموحدة ، ووقع في تقويم البلدان ضبطه بفتح أوله — وهي مدينة بحوران من أعمال دمشق ، قال ابن سعيد ، وهي على أربع مراحل من دمشق ؛ وفي شرقها صرخد على نحو ١٦ ميلا . قال في مسالك الابصار : وهي مدينة حوران السفلى ؛ بل حوران كلها ، بل الصنفقة جميعها ؛ وكلامه في التعريف يوافق . وهي مدينة أزلية ولها قلعة متينة البناء . قال في التعريف ، وكانت دار ملك لبعض بنى أيوب ، وبها وجد النبي صلى الله عليه وسلم بحيرة الراهب عند سفره للشام تاجرا لحديجة . وقبر بحيرة بها مشهور

العاشر، عمل زُرْع - وهي بلدة من حوران لها عمل مستقل . قال في التعريف:
وقد يتصل عمل بصرى بأدرعات لوقوع زرع متشاملة

﴿ الصفة الثالثة - الشمالية ﴾

سميت بذلك لأنها عن شمال دمشق . قال في مسالك الابصار: وهي ساحلية وجبلية . قال في التعريف: وحدها من القبلة حد ولاية دمشق الشمالى وبعض الغربى ؛ وحدها من الشرق قرية جوسية اتى بين القرية المعروفة بالقصب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالفيكة من عمل بعلبك ؛ وحدها من الشمال مرج الأسل المستقل عن قائم الهرمك حيث يمد نهر العاصى بطرابلس وكل ما شامل عن جبل لبنان الى البحر؛ وحدها من الغرب ماهو على سمت البحر منحدرًا عن صور الى حد ولاية بر دمشق القبلي والغربى . وتشتمل هذه الصفة على خمسة اعمال

الاول ، عمل بعلبك - قال في تقويم البلدان بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف ، والجارى على الالسنه فتح العين واسكان اللام - وهي مدينة من أعمال دمشق شمالى دمشق جليلة البناء نبيها الشأن قديمة البنيان ، يقال أنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في مسالك الابصار: وهي مختصرة من دمشق في كمال محاسنها ، بها المساجد والمدارس والربط والخواق والزوايا والبيارستان والاسواق الحسنه ، والماء جار فى ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق . وكانت دار ملك ومن عشها درج نجم الدين أيوب والد الملوك الايبية: ولها قلعة حصينة جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه، وهي مرجلة على وجه الارض كقلعة دمشق، قال في التعريف: إنما بنيت قلعة دمشق على مثلها وهيها لا تعد من أمثالها ، وأين قلعة دمشق منها وحجارتها تلك الجبال الثوابت وأعمدها تلك الصخور النوابت

قد يبعد الشيء من شئ يشابهه ان السماء نظير الماء في الزرق ثم قال: وبهذه القلعة من عمارة من نزل بها من الملوك الايبية آثار ملوكية جليلة ويستدير بها وبالمدينة سور عظيم، ويحف بذلك غوطة أنيقة ذات بساتين مشتبكة الاشجار بها الثمار الفاتحة والفواكه المختلفه، ويدخلها نهر من عين من خارجها وينقسم في بيوتها .

وجهاًتها ، وبخارجها جبل لبنان المعروف بعش الاولياء
 الثاني عمل البقاع العلبكي ، والثالث عمل البقاع العريزي بوصف البقاع بالعريزي
 نسبة الى العزيز ، وكان المراد الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
 قال في التعريف : ومقر الولاية به كرك نوح عليه السلام ، قال ، وبهايتين الولايتين
 الآن انفصال عن بعلبك وهما مجموعتان لوال جليل مفرد بذانه

الرابع ، عمل بيروت وهي مدينة بساحل دمشق على ضفة البحر الرومي ، عليها
 سوران من حجارة ، وفيها جبل به معدن حديد ، ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها
 ١٢ ميلا في التكسير تتصل بلبنان المقدم ذكره . قال في تقويم البلدان : وشرب أهلها
 من قناة تجرى اليها وقال في مسالك الابصار (شرب أهلها من الآبار)

الخامس ، عمل صيدا -- وهي مدينة بساحل البحر الرومي ذات حصن حصين
 قال ابن القطامي ، وسميت بصيدون بين صدفا بن كنعان بن حام بن نوح عليه
 السلام وهو أول من عمرها وسكنها . وقال في الروض المعطار : سميت بامرأة . وشرب
 أهلها من ماء يجرى من قناة . قال في العريزي وبينها وبين دمشق ٦٠ ميلا . قال في
 مسالك الابصار : وكورتها كثيرة الاشجار غزيرة الانهار وهي ولاية جليلية واسعة
 العمل ممتدة القرى تشتمل على نيف وسماثة ضيعة

﴿ الصفقة الرابعة الشرقية ﴾

سميت بذلك لأنها شرقى دمشق . قال في التعريف : وخطها من القبلة قرية
 القصب المجاورة لقرية جوسية المقدم ذكرها أخذاً على النبك ، الى القريتين ؛ وخطها
 من الشرق السماوة الى الفرات ، وينتهي الى سلمية ، الى الرستن ؛ وخطها من الغرب
 نهر الارنط ، وهو العاصي ، وتشتمل على ستة أعمال :

الاول ، عمل حمص - قال في الروض المعطار : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز
 في هند لأن هذا اسم أعجمي . وسميت برجل من العاليق اسمه حمص ، وهو الذي
 بناها ، قال الزجاجي ، هو حمص بن المهرب بن حاف بن مكنف ؛ وقيل برجل من عاملة
 هو أول من نزلها . واسمها القديم سوريا ، وبه كانت تسميها الروم . وهي مدينة جليلية

مبنية في وطأة من الارض ممتدة على القرب من النهر العاصي ، ومنه شرب أهلها، ولها منه ماء مرفوع يجرى الى دار النياحة وبعض مواضعها . قال في العززي: وليس يبلاد الشام أصح من هوائها . وبوسطها بحيرة صافية الماء . قال ابن حوقل: وليس بها عقارب ولا حيات . قال في التعريف : وكانت دار ملك للبيت الاسدي ، يعنى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قال ، ولم يزل للملكها في الدولة الأيوبية سطوة تخاف وبأس يخشى وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قال في الروض المعطار : ويقال ان بقراط الحكيم منها

الثاني ، عمل مصيف — وهي بلدة جليلة ولها قلعة حصينة في لحف جبل اللكام الشرقي عن حماة وطرابلس في جهة الشمال عن بارين على مسافة فرسخ وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم وبها أنهر صغار من أعين ، وبها البساتين والاشجار وهي قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها في أعمال طرابلس فكانت أولا مضافة الى طرابلس ثم افردت عنها وأضيفت الى دمشق وكانت نياحتها امرأة طبلخاناه

الثالث ، عمل قارا — هكذا مكتوب في التعريف وغيره وهو الجارى على الألسنة ، ورأيته مكتوبة في تقويم البلدان بها في الآخر بدل الألف الاخيرة . وهي قرية كبيرة قبلى حمص بينها وبين دمشق على منتصف الطريق تنزلها قوافل السفارة وغالب أهلها نصارى ، وبينها وبين حمص مرحلة ونصف ، وبينها وبين دمشق مرحلتان الرابع ، عمل سلمية — وهي بلدة من عمل حمص قال ، احمد الكاتب ، بناها عبدالله بن صالح بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب واسكن بها ولده . وهي بلدة على طرف البادية نزهة حصينة كثيرة المياه والشجر مياها من قنى ، قال في الروض المعطار ، وبينها وبين حمص مرحلة

الخامس ، عمل تدمر — قال السمعاني ، بفتح أولها، والجارى على الألسنة ضم أولها . قال في التعريف : وهي بين القريتين والرحبة ، ثم هي معدودة من جزيرة العرب . قال المؤيد صاحب حماة : وهي من أعمال حمص من شرقيها ، وغالب أرضها سباح ، وبها نخيل وزيتون ، وبها آثار عظيمة أزلية من الاعمدة والصخور ، ولها سور وقلعة . قال في الروض المعطار : وهي في الأصل مدينة قديمة بنها الجن لسليمان عليه السلام ولها

حصون لا ترام ، وسميت بتدمر بنت حسان بن أذينة وفيها قبرها وإنما سكنها ساليان
 عليه السلام بعدها قال في العزيزي : وبينها وبين دمشق ٥٩ ميلا ، وبينها وبين
 الرحبة مائة ميل وميلان . قال في تقويم البلدان ، وهي من حماة على ثلاث مراحل
 السادس ، عمل الرحبة — وهي مدينة على الفرات بين الرقة وعانة عدها في تقويم
 البلدان من ديار بكر من الجزيرة الفراتية ، وتعرف برحبة مالك بن طوق . وهو
 قائد من قواد هارون الرشيد قيل أنه أول من عمرها فنسبت إليه . قال في تقويم
 البلدان وقد خربت الرحبة المذكورة وصارت قرية وبها آثار المدينة من المآذن
 الشواهيق وغيرها ، واستحدث شيركوه بن محمد بن شاذي صاحب حمص من جنوبها
 الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات ، وهي بلدة صغيرة ، وهي قلعة على تل تراب .
 وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات ، وهي اليوم محط القوافل من
 الفرات والشام ، قال ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا ، قال في التعريف ، وبها
 قلعة نيابة وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين
 ومما يجب التنبيه عليه أمران : أحدهما قد تقدم تقلا عن التعريف ان مما أضيف
 الى الشام في دولة الناصر محمد بن قلاوون بلاد جعبر ، وأن حقها ان تكون مع حلب .
 قلت : وقد أضيفت بعد ذلك الى حلب ، وهي مستمرة على ذلك الى زماننا ، وسيأتي
 ذكر ذلك في الكلام على أعمال حلب ان شاء الله تعالى * الثاني ذكر في التعريف
 أنه كان قد استقر بتدمر والسخنة والقريتين نواب واستقر الحال على أن مكاتبة كل
 منهم ان كان مقدم الف نظير النائب بالرحبة يعني « صدرت » و « العالى » ، وان
 كان طبلخاناه فالاسم ، و « السامي » بالياء

❦ القاعدة الثانية ، حلب ❦

وهي مدينة عظيمة ، أم الاقاليم ، ذات بلاد وأغوار وأنجاد ، وبها معظم قلاع الشام
 وحصونه وثغوره . وموقعها وموقع جميع أعمالها في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . واختلف
 في سبب تسميتها بحلب على قولين حكاهما في الروض المعطار : أحدهما أنه كان مكان
 قلعتها ربوة وكان ابراهيم عليه السلام يأوى اليها ويحلب غنمه ويتصدق بابنها فسميت

بذلك * الثاني انها سميت برجل من العاليق اسمه حلب . قال الزجاجي : وهو حلب ابن المهر من ولد حاف بن مكنف . قال في مسالك الابصار : وهي من قواعد الشام القديمة ، وهي في وطأة حمراء على مدرج طريق العراق مبنية بالحجر الأصفر الذي ليس له نظير ؛ وتعرف بحلب الشهباء ، وبها المساكن الفاتكة والمنازل الأنيقة والاسواق الواسعة والحمامات البهجة ؛ ذات مساجد وجوامع ومدارس وخوانق وزوايا وغير ذلك . قال في مسالك الأبصار ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قويق وهو نهرها القديم ، والثاني يعرف بنهر الساجور ، ويجرى الى داخلها فرع ماء يتشعب في دورها ومساكنها ولكنه لا يبيل صداها ولا يشفي غلثها ، وشرب أهلها من صهاريج من ماء المطر ، ويدخل اليها الثلج من بلادها وليس لأهلها اليه كبير التفات لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ؛ وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب اليها ، وبظاهرها المروج الفيح والبر الممتد حاضرة وبادية ، وبها عسكر كثير وأمم من طوائف العرب والأكراد والتركان قال في اللباب : وكان الجندي ابتداء الاسلام ينزلون قنسرين التي ينسب اليها جنود قنسرين على ما تقدم ولم يكن لحلب معها ذكر ، قال ابن سعيد ، ثم ضعفت بقوة حلب عليها وصارت الآن قرية صغيرة . ونائبها من أكابر الامراء ومقدمي الألوف من الدولة الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن ؛ وهي ثانية دمشق في الرتبة ، وبوسطها قلعة جليلة بعيدة المنازل مبنية على تل مرتفع يقال ان به الربوة التي كان يأوي اليها ابراهيم الخليل عليه السلام بغمه ، وهناك شهيد يعرف بمشهد ابراهيم بقصده الناس للتبرك . قال في الروض المعطار : ومن فضائل هذه القلعة ان بها ماء نابعا لا يخاف فيها الظم ، وعليها سوران دونها خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه ، وهي معروفة بالخصابة والحسن . ثم لحلب أعمال متسعة ، قال في مسالك الأبصار ، وهي اوسع الشام ، بلادها متصلة ببلاد سويس والروم وديار بكر وبرية العراق - قلت : وقد اتسعت أعمالها عما كانت عليه اذ ذلك اتساعاً كبيراً على ماسياتي ذكره في مواضعه ان شاء الله تعالى . قال في التعريف : ويحدها من القبلة المعرة وما وقع على سمتها الى اليمين الخراب والسلسلة الرومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحيار والقرية المعروفة بقبة ملاعب ؛ ويحدها من الشرق البرحيت يحد برداً أخذ على جبل الثلج ونهر الحلاب على أطراف بالس

الى الفرات دائرة بجدها ، قال ، وبهذا التقسيم تكون بلاد جعبر داخلية في حدودها ؛
وبجدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بهسنى وبلاد الارمن مما وراء نهر جاهان ؛ وبجدها
من الغرب ما أخذ من بلاد الارمن على البحر الشامي . ثم أعمالها على ثلاثة أقسام :

﴿ القسم الأول ﴾

ما هو داخل في البلاد الشامية ، وهي سبعة وعشرون عملاً
الاول عمل برُّها - وهو ضواحيها المنسوبة اليها كما تقدم في دمشق
الثاني عمل بهسنى - وهي قلعة شمالي حلب على أربع مراحل منها قال في تقويم البلدان :
وهي قلعة مرتفعة حصينة لا ترام حصانة ، وبها بساتين ونهر صغير وأسواق ورستاق
متسع ، ثم قال ، وهي بلدة واسعة كثيرة الخير والخصب ، وهي في الغرب والشمال
عن عينتاب وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سيواس نحو ستة أيام . قال في
التعريف : وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل جمره في الحروب وبها عسكر من
التركان والأكراد ولا يزال لهم آثار في الجهاد ، قال ، ولنائبها مكانة جليلة وان كان
لا يلتحق بنائب البيره

الثالث عمل قلعة المسلمين ، المسماة قديماً بقلعة الروم ، وهي قلعة من جند قنسرين
في البر الغربي الجنوبي من الفرات ، في جهة الغرب الشمالي عن حلب على نحو خمس
مراحل منها والفرات بذيلها ؛ وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك ، ولها
ربض وبساتين ؛ ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب في الفرات . قال في التعريف :
وكان بها خليفة الأرمن ولا يزال بها طاغوت الكفر فقصدتها الأشرف خليل بن
المنصور قلاوون فنزل عليها ولم يزل بها حتى فتحها وسماها قلعة المسلمين ، قال ، وهي
من جلائل القلاع

الرابع عمل عينتاب - وهي مدينة من جند قنسرين شمالي حلب على نحو مرحلتين
منها ، وفي الجنوب عن قلعة الروم على نحو ثلاث مراحل . وهي مدينة حسنة واسعة الأرجاء
كثيرة المياه والبساتين ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين وبها قلعة حصينة
منقوبة في الصخر

الخامس عمل الراوندان - وهي قلعة من جند قنسرين في الغرب والشمال عن حلب على نحو مرحلتين منها، وهي مبنية على جبل أبيض مرتفع ذات أعين و بساتين وفواكه ووادٍ حسن ، ونهر عفرين يمر من تحتها ، وهي في الشمال عن حارم السادس عمل كحنتا ، وربما قيل الكحنتا بالألف واللام - قال في تقويم البلدان : وهي قلعة في أقصى الشام من جهة الشمال بشرق عن حلب ، وهي قلعة عالية البناء لا ترام حصانة . وبها نهر و بساتين ، وكر كرمها في جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور في زمن التتار (السابع عمل كركر (١) - وهي قلعة في شمالي حلب على خمس مراحل ، وفي غرب الكحنتا على مسيرة يوم . وهي شاهقة يرى الفرات منها كالجدول الصغير ، وهو منها في جهة الشرق)

الثامن عمل الدّرْبَسَاك - شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع منها . وهي قلعة حصينة ذات أعين و بساتين ، وبها من شرقها مروج متسعة حسنة المنظر كثيرة العشب ويمر بها نهر يعرف بالنهر الأسود التاسع عمل بغراس ، قال السمعاني ، بفتح أولها وسين مهملة في الآخر . وهي قلعة من جند قنسرين شمالي حلب على أربع مراحل منها ، وهي ذات أعين و بساتين وأشجار ، وهي في جهة الجنوب عن الدربساك وبينهما بعض مرحلة ، وهي عن حارم في جهة الشرق وبينهما نحو مرحلتين ، وبينها وبين كل من انطاكية وسكندرونة اثنا عشر ميلا قال في التعريف : وكانت ثغر الاسلام في نحر الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية قال ، وبها رُصص وهي عضو من أعضائها . ورصص المذكورة بلدة على ساحل البحر الرومي

العاشر عمل القصير - قال في مسالك الأبصار : وهي قلعة غربي حلب على نحو أربع مراحل منها ، قال في التعريف ، وهي لا انطاكية الحادي عشر عمل الشغرو بكاس ، بضم الشين المعجمة في الأولى وفتح الباء الموحدة في الثانية - وهما قلعتان من جند قنسرين مبيتان على جبل مستطيل ويحتهما نهر يجري ، وبها بساتين وأشجار وفواكه ولها رستاق ، قال في تقويم البلدان :

وهما في الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال

الثاني عشر، عمل شيزر - وهي مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه وأكثرها الرمان . قال في مراحل منها ، وهي مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه وأكثرها الرمان . قال في العزيزي : وبينها وبين حماة تسعة أميال ، وبينها وبين حمص ٣٣ ميلا ، وبينها وبين انطاكية ٣٦ ميلا

الثالث عشر ، عمل حجر شغلان ، بضم الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة - وهي قلعة شمالي حلب على نحو ثلاث مراحل منها . قال في مسالك الابصار : وهي بالقرب من بفراس في جهة الشمال على مسافة قريبة جداً

الرابع عشر ، عمل أبي قيس - وهي قلعة حصينة غربي حلب مما يلي الساحل على نحو ثلاث مراحل قصيرة منها كما أخبرني بعض أهل تلك البلاد

الخامس عشر عمل حارم - وهي قلعة حصينة في جهة الغرب عن حلب على نحو مرحلتين منها ذات أشجار وبساتين ، وبها نهر صغير كثير الماء ، وبحوارها بحيرة عظيمة يقال لها بحيرة حارم ، واليها يضاف العمق فيقال عمق حارم

السادس عشر عمل كفر طاب - وهي بلدة صغيرة من جند حمص على ثلاث مراحل منها . وهي على الطريق بين المعرة وشيزر . قال في العزيزي : وبينها وبين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلا

السابع عشر عمل فامية ، بفاء في أولها . قال في المشترك : ويقال لها أفامية بهمة في أولها يعني مفتوحة . وهي مدينة من أعمال شيزر غربي حلب على نحو أربع مراحل منها ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المغلوب (كذا في المختصر وفي الأصل : المقلوب)

الثامن عشر عمل سمرين - وهي مدينة في الغرب عن حلب على نحو يوم وليس عليها سور . وشرب أهلها من الماء المجتمع في الصهاريج من المطر . وعملها متسع . وتسمى هذه الجهة الغريات

التاسع عشر عمل الجبول - وهي بلدة شرقي حلب على نحو مرحلة منها وهي بالقرب من الفرات ، قال في تقويم البلدان : ومنها ينقل الثلج الى سائر بلاد حلب العشرون عمل جبل سمعان - وهي في جهة الشمال عن حلب على ساعة منها

الحادى والعشرون عمل عزاز، والجارى على الألسنة اعزاز، وعليه جرى ابن سعيد . وهي بلدة شمالى حلب بميلة الى الغرب على نحو مرحلة منها
 الثانى والعشر عمل تل باشر — وهي حصن شمالى حلب على مرحلة (في لاصل :
 مرحلتين) منها بالقرب من عينتاب . قال ابن سعيد وهي ذات مياه وبساتين
 الثالث والعشرون عمل منبج — وهي بلدة من جند قنسرين شرقى حلب على
 نحو مرحلة (في الاصل مرحلتين) منها . قال ابن سعيد بناها بعض الأكاسرة الذين
 غلبوا على الشام وسماها منبه فعربت منبج . وكان بها بيت نار للفرس . وهي كثيرة القنى
 السارحة والبساتين ، وأكثر شجرها التوت ، وحريرها من أحسن الحرير . وأكثرها
 الآن خراب

الرابع والعشرون عمل تيزين — وهي بلدة صغيرة غربى حلب على نحو مرحلة منها
 الخامس والعشرون — عمل الباب وبزاعا — وهما بلدتان متقاربتان من جند
 قنسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية . أما الباب فبلدة صغيرة
 لها البساتين الكثيرة والنزه . قال فى تقويم البلدان : وبظاهرها قبر عقيل بن أبى
 طالب رضى الله عنه . وأما بزاعا فضيعة من مضافاتها

السادس والعشرون عمل دركوش — وهي بلدة على النهر العاصى غربى حلب على
 نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر غراسها العنب ، وبها قلعة عاصية استولى هولاء كوعلى
 قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها

السابع والعشرون عمل أنطاكية بفتح المهمزة وباءها مشددة، وخالف فى الروض
 المعطار فذكر أنها مخففة . وهي مدينة عظيمة قديمة على ساحل بحر الروم بناها بطليموس
 الثانى من ملوك اليونان ، وقيل بناها ملك يقال له انطاكين فعرفت به . ولها سور
 عظيم من صخر ليس له نظير فى الدنيا مساحة دوره اثنا عشر ميلا ، قال فى الروض المعطار ،
 وعدد شرفاته ٢٢ الفاً (فى الاصل ٢٤ ألفاً) وعدد أبراجه ١٣٦ برجاً . قال فى
 تقويم البلدان : وهي قاعدة العواصم . نال فى العزيزى : وهي على منتصف الطريق
 بين حلب والمعرة ويمر بظاهرها العاصى والنهر الاسود مجموعين وبحرى مياههما فى دورها .
 وقد قيل أنها المذكورة فى سورة « يس » بقوله تعالى « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى »

وان ذلك الرجل هو حبيب النجار ، وقبره مشهور بها بزار . ومينائها السو يدية المقدم
ذ كرها في ساحل البحر الرومي

﴿ القسم الثاني ﴾

من الاعمال الحلبية ما اضيف اليها من البلاد المعروفة الآن ببلاد الأرمن مما
اقتلع منهم من بلاد الاسلام بعد ان غلبوا عليه من بلاد سيس وما والاها مما كان
قد يما يسمى بالثغور لما ثغرة العدو . وقد حدد في التعريف هذه البلاد بمجملتها فقال : وحدها
من القبلة وانحراف الجنوب بغراس وما يليها ؛ وحدها من الشرق جبال الدر بتدات ؛
وحدها من الشمال بلاد ابن قرمان ؛ وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية الى
العلايا وانطاكية . وتشتمل على ثمانية أعمال :

الاول عمل آباس — وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر وهي فرضة
ما حولها من البلاد ، وبينها وبين بغراس المقدم ذ كرها مرحلتان . قال في التعريف :
وكان أمرها قد جعل الى نائب الشام ثم جعل الى نائب حلب ، وهي المعبر عنها
بافتوحات الجاهانية لمجاورتها نهر جاهان وهو نهر جيحان . وكانت استعادتها من
الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ٧٨٣ (في الاصل ٧٣٨) ولذلك
قال في التعريف : والعهد بفتحها قريب

الثاني عمل طرسوس ، قال في اللباب ، بفتح الراء -- وهي مدينة مسورة من بلاد
الأرمن على ساحل بحر الروم شمالا بغرب عن حلب ، قال في الروض المعطار ، بناها
الرشيد في سنة ١٧٠ وأكملها في سنة ١٧٢ قال ابن حوقل : وبينها وبين حد الروم
جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين . وبها دفن المأمون بن الرشيد . وكانت استعادتها
من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن قلاوون — قلت : ولم تزل سجننا
لمن ينفيه السلطان الى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين

الثالث عمل أدنه — وهي مدينة من بلاد الأرمن ، قال احمد بن يعقوب الكاتب
في كتابه المسالك والممالك : وهي من بناء الرشيد . قال ابن حوقل : وهي مدينة
حصينة عامرة وبينها وبين طرسوس ١٨ ميلا

الرابع عمل سرفندكار ، قال في تقويم البلدان ، وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سرونديكار ؛ قلت : والموجود في الدساتير الآن اسفنديكار ، بهمزة في الأول وسقوط الراء الأولى - وهي قلعة من بلاد الأرمن ، قال في تقويم البلدان : وهي قلعة حصينة في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر . وهي على القرب من نهر جيحان من البر الجنوبي في الشرق عن تل حمدون على أربعة أميال الخامس عمل سيس - ووقع في كلام الصحاح كمال الدين بن العديم ان اسمها سيسه ، باثبات هاء في آخرها ، وكلامه في العزيزي يوافقته . بناها بعض خدام الرشيد وهو الذي سماها . وهي قاعدة بلاد الأرمن جميعها ، وبها قلعة حصينة عليها ثلاثة أسوار ، وهي على جبل مستطيل . قال ابن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال في العزيزي : وبينها وبين المصيصة ٢٤ ميلا . وكانت استعادتها من الأرمن في الدولة الاشرفية شعبان ابن حسين على يد قشتمر المنصوري نائب حلب يومئذ

السادس عمل ملطية - وهي مدينة من بلاد الروم شمالي حلب قبلة الى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال في الروض المعطار : وكانت قديمة فخر بها الروم ، فبناها ابو جعفر النصور سنة ١٨٧ (وفي الاصل ١٨٩) وجعل عليها سورا محكما قال ابن سعيد : وهي قاعدة الثغور ، وعدها ابن حوقل من بلاد الشام وقال انها على مرحلة من قرى بلاد الروم ، وعدها بعضهم من الثغور الجزرية . وهي بلدة مسورة في بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بعد ، ذات أنهار وأشجار وفواكه ، وبها نهر صغير يمر بسورها ويدخلها منه قتي تجرى في دروبها ، وهي شديدة البرد . وبينها وبين كل من سيس وسيواس نحو ثلاث مراحل . وهي في الغرب عن كحنتا وبينهما نحو مرحلتين . قال في تقويم البلدان : وكان فتحها سنة ٧١٥

السابع عمل درنده - وهي مدينة في جهة الغرب عن ملطية على نحو مرحلة ذات بساتين وأنهار وعيون ماء تجرى . وبينها وبين حلب نحو عشرة أيام الثامن عمل دبركي ، وقد يقال دوركي بأبدال الياء واوا - وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حلب على نحو عشرة مراحل منها ذات بساتين وأشجار وبينها وبين حلب ١٢ يوما

التاسع عمل الأبلستين - وهي مدينة عظيمة بالقرب من ملطية في الجهة الغربية على نحو مرحلتين منها، وبينها وبين حلب نحو ثمانية أيام فأكثر، وبها بساتين وأنهار وعيون تجري

واعلم ان بهذه البلاد ثمانية قلاع صغار ذكر في التثقيف بعضها: أحداها قلعة باري كروك، وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس على نحو نصف مرحلة. قال في التثقيف: واستجدت سنة ٧٦٠ هـ الثانية قلعة كاورًا، وهي قلعة في الشمال عن آباس على نحو ساعة. قال في التثقيف استجدت سنة ٧٦٩ هـ الثالثة قلعة كولاك، وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة منها يسكنها طائفة من التركمان هـ الرابعة قلعة كرزال، وهي قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كولاك المتقدمة الذكر هـ الخامسة قلعة ابن حمدون، وهي قلعة على تل عال على القرب من جيحان الى جهة الجنوب على نصف مرحلة كانت في الزمن القديم حصينة حسنة البناء لها سور مانع ووربض وبساتين ونهر يجري، وبينها وبين آباس نحو مرحلة، وبينها وبين سييس نحو مرحلتين ثم خربها المسلمون، ثم استجدت بعد ذلك هـ السادسة القلعة الهارونية، وربما قيل الهارونيتان. قال في التعريف: وهما حصنان بناهما هارون الرشيد، وقال في المشترك: الهارونية مدينة صغيرة اختطها هارون الرشيد بالثغور في طرف جبل اللكام هـ السابعة قلعة نجمة، بفتح النون وسكون الجيم، وهي قلعة على القرب من الفرات شاهقة كان يقال لها أولاحصن منبج ثم صارت تعرف بقاعة نجمة وهي من بناء السلطان محمود بن زنكي، وفي التعريف ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون هـ الثامنة قلعة لؤلؤة وهي شمالي كولاك

﴿ القسم الثالث ﴾

من الاعمال الحلبية ما أضيف اليها من بلاد الجزيرة الفراتية وهي ثلاثة أعمال

الاول عمل البيرة - وهي قلعة في البر الشرقي في الشمال عن الفرات، وفي الشرق عن قلعة الروم المقدم ذكرها على نحو مرحلة من الفرات. وقد عدها في تقويم البلدان من

جند قنسرين من أعمال الشام ذات ارتفاع وحصانة . قال ابن سعيد: وهي على صخرة قال في التعريف: ولها منعة وعسكر . قال في تقويم البلدان: ولها سوق وعمل الثاني عمل قلعة جعبر وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي عن الفرات أيضاً . قال القاضي جمال الدين بن واصل: وكانت هذه القلعة تعرف بالدوسرية نسبة الى دوسر عبد النعمان بن المنذر وهو الذي بناها لما جعله النعمان على افواه الشام، ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيري في أيام الملوك السلجوقية فعرفت به . قال صاحب حياة: وهي في زماننا خراب ليس فيها ديار، وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة المذكورة او بعدها بقليل، وقد أشار الى ذلك في التعريف حين تعرض لذكرها في آخر مضافات الشام فقال: وهي مجددة البنيان مستجدة الآن لأنها جددت منذ سنوات بعد أن طال عليها الأبد وأخني عليها الذي أخني على لبد . وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة الى دمشق ثم قال وحقها ان تكون مع حلب؛ وقد اضيفت بعد ذلك الى حلب وبقى الحال فيها على ذلك الى الآن

الثالث عمل الرُّها — وهي مدينة من ديار مضر في البر الشرقي في الشمال عن الفرات . قال في العزبى: وهي مدينة عظيمة رومية فيها آثار عجيبة . قال، في الروض المعطار: وهي ذات عيون كثيرة تجري منها الأنهار، وبها البساتين والأشجار الكثيرة، وعليها سور من حجارة، قال، وليس في بلاد الجزيرة أحسن منزهة منها ولا أكثر فواكه . والفرات منها في ناحية الغرب على مسيرة يومين، وفي ناحية الشمال على مسيرة يوم . قلت: وأكثر أعمال حلب كانت قد غلب عليها التركان والاكراد من بعد وقعة تمرلنك واستبدوا بامرها وملكوا قلاعها الى أن توجه اليها السلطان الملك المؤيد شيخ، سلطان العصر في سنة ٨٢٠هـ فاقبلها عن آخرها وانزعها بحملتها واستضافها الى المملكة واستناب فيها من أمراء الدولة وأجنادها

القاعدة الثالثة

من قواعد البلاد الشامية حماة . وقد ذكرها في مسالك الابصار: بعد دمشق

وهو أليق بها لقبها، ولكنه قد ذكرها في التعريف بعد حلب لكونها دونها في رتبة
النيابة . وهي مدينة قديمة لها ذكر في التوراة ، على ضفة النهر العاصي . وهي وأعمالها
واقعة في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة بين حمص وقنسرين . قال في الروض
المعطار : وبينها وبين حمص ٤٠ ميلا وهي مدينة مكينة البناء ، ولها سور جليل ، وبها
القصور الملوكية والدور الانيقة والجوامع والمساجد والمدارس والربط والزوايا والاسواق
التي لا تعدم نوعا من الانواع ، ودور ملوكها وشرفاتها مظلة على العاصي ، وبها قلعة
مبنية بالحجارة الملونة ، وغالب مبانيها العلية وآثار الخير والبر الباقية فيها من فواضل
نعم الدولة الايدية ؛ وبها نواعير مركبة على العاصي تدور بجريان الماء وترفع الماء الى الدور
السلطانية ودور الامراء والاكابر والبساتين ، وفي بساتينها الغراس الفائق والثمار الغربية . ولم
تزل عليه القدر رفيعة المحل الى ان كانت الدولة الاتابكية زنكي فزادت فخامتها وعظم
شأنها . فلما آلت الى ملوك بني أيوب مصر وها بالابنية العظيمة والقصور الفائقة والمسكن
الفاخرة وتأمير الامراء وتجنيد الاجناد فيها ، وعظموا أسواقها وزادوا في غراسها وجلبوا
اليها من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه الى ان كملت محاسنها وصارت معدودة
في أمهات البلاد وأحسن الممالك وهي في غاية رفاهية العيش ؛ واضمحلت حمص بعد نباهة
في جانبها ؛ وحوها مروج فيح ممتدة تكثر فيها مصائد الطير والوحش . قال في مسالك
الابصار : وليس في الممالك الشامية بعد دمشق لها نظير ولا يدانيها في لطف ذاتها
من مجاورتها قريب ولا بعيد — قلت : وقد زادت نباهة وعلوا ورفعة بانتساب المقر
الناصرى ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب وذويه اليها حتى جاوزت كيوان
وعلت قيمة على الثريا . وقد نظمت قصيدة دالية في مدح المقر الناصرى ولد المقر الكمالى
المؤلف له هذا الكتاب افتحتها بالتنويه بذكر حماة وتعظيم شأنها ونباهة ذكرها :

الا حبذا وادى حاة وأهله	ورعيا لغناها على القرب والبعد
ولا يبرح الوسمي يروى عهادها	سجالا وسحب الجود تأتى على عهد
ولا زال رباها يضوع لنا شق	ولا برحت للشكر أهلا وللحمد
لقد أبرزت بالبارزى مفاخرها	أنافت على الجوزاء في الطالع السعد
وجادت لدار الملك بالرعب كتبه	فغرزها والسيف ما سل من غمد

ويردى طغاة البغي وقع خطابه
 له سمر أقلام قنا الخط دونها
 لعاب الافاعي دون فعل لعابها
 إذا مسواد النقس حل بطرسه
 فتلك برود قد تناسق وشيها
 وتلك جنان بالعوارف اثمرت
 وتلك ظباة تتقى فتمكاتها
 الى رأيه تلقى الملوك زمامها
 وتعدت رأيا منه نجحا لقصدها
 فلا برحت علياه يروى حديثها
 ولا زال في الدنيا حليف مسرة

ثم لحمة أعمال قد جلت على أطافها واستغنت عن اتساع الارحاء بيديع حسنها
 ورفيع مكانتها . وقد حدها في التعريف فقال : حدها من القبلة مدينة الرستن وما
 سامتها أخذنا على سلمية الى ما استقل عن قبة ملاعب ؛ وحدها من الشمال آخر حد
 المعرة من الغرب ؛ وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة . وتشتمل
 على ثلاثة أعمال :

الاول عمل برّها ، وهو ظاهرها وما حولها كما تقدم في حلب ودمشق . الثاني عمل
 بارين وهي بلدة في الغرب عن حماة بميلة يسيرة الى الجنوب على مرحلة منها . الثالث
 عمل المعرة ، وتعرف بمعرة النعمان ، قال البلاذري ، إضافة الى النعمان بن بشير الأنصاري
 الصحابي . قال في العزيزي وهي مدينة جلييلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخصب ،
 وشرب أهلها من الآبار . ويقال ان بها قبر شيث بن آدم ويوشع بن نون ، وعلى القرب
 منها قبر عمر بن عبد العزيز . قال السمعاني : والنسبة اليها معرني - قلت : وهذا على
 مذهب من يرى أن النسب الى المركب من مضاف ومضاف اليه ينسب اليها جميعاً
 كما ينسب الى عبد شمس عبشمي ، وعبد قيس عبقيسي ، ونحو ذلك ؛ والمعروف في
 النسبة اليها معرني نسبة الى المضاف فقط

﴿ القاعدة الرابعة ﴾

من قواعد البلاد الشامية أطرابلس ، قال في تقويم البلدان بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة ؛ قال في اللباب قد تسقط الالف منها فرقا بينها وبين أطرابلس التي في الغرب ؛ وانكر ياقوت في المشركسقوطها، وعاب المنبجي على حذفها منها في بعض شعره . قال في الروض المعطار : ومعنى اطرابلس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حمص واقعة هي وسائر أعمالها في الاقليم الرابع من الأقاليم السبعة، وكانت في الاصل من بناء الروم ، وكان الفرنج قد استولوا عليها وأقامت بأيديهم ١٨٤ سنة فلما انتحها المسلمون في سنة ٦٨٨ في الدولة المنصورية قلاوون خربوها ونوعوا عونها مدينة علي نحو ميل منها وسموها باسمها وهي الموجودة الآن . وهي مدينة ممصرة كثيرة الزحام ذات مساجد وجوامع ومدارس وزوايا وبيارستان وأسواق جليلة وحمامات حسان . وجميع بنائها بالحجر والكلس مبيضا ظاهرا وباطنا، وغوطها محيطة بها، ويحيط بغوطها مزدراعها، ولها نهر يحكم على ديارها وطباقتها يتخزن الماء في مواضع من أعالي بيوتها التي لا يرقى إليها إلا بالدرج العلية ، ودمنتها تنسب الى الوخامة وحولها جبال شاهقة صحيحة الهواء خفيفة الماء ذات أشجار وكروم ومروج ومواش . ولها مينا جليلة تهوى إليها وفود البحر الرومي وترسى بها مراكبهم وتباع بها بضائعهم . وهي بلدة متجر وزرع كثيرة الفوائد ، ولها أعمال متسعة . وقد حدها في التعريف فقال : حدها من القبلة جبل لبنان ممتدا على ما يليه من مرج الاسد (في التعريف : الاسل) حيث يمتد النهر العاصي ؛ وحدها من الشمال قلاع الدعوة ؛ وحدها من الغرب البحر الرومي . وتشتمل على ثمانية عشر عملا ما بين كبار وصغار :

الاول عمل حصن الاكراد - وهو قلعة حصينة من جند حصص مقابلة لخص من غربها على الجبل المتصل بجبل لبنان على نحو مرحلة من حمص . قال في التعريف : وهي حصن جميل وقلعة شماء لا تبعد منها السماء وكانت محل النيابة ومقر العسكر قبل فتح طرابلس . الثاني عمل حصن عكا - وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة

الشرق بوسط جبل لبنان في واد والجبل محيط بها وشرب أهلها من عين تجرى إليها من ذيل لبنان ولها روض ليس بالكبير الثالث عمل بلاطس — وهي قلعة في جهة الشمال عن طرابلس على نحو مرحلتين، وفي الغرب من مصيف على نحو مرحلة * الرابع عمل صهيون وهي قلعة من جند قنسرين ذات حصانة ومنعة مبنية على صخر أصم في ذيل جبل يظهر من اللاذقية، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الامطار * الخامس، عمل اللاذقية — وهي مدينة من سواحل الشام وعدها في العزيزي من أعمال حمص، ثم قال، وهي مدينة جليلة بل هي أجل مدينة بالساحل متسعة ذات عمارة ولها ميناء حسنة * السادس، عمل المرقب — وهي قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومي حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر. ولم يتعرض لذكرها في التعريف ولا في مسالك الابصار * السابع عمل الرصافة — وهي إحدى قلاع الدعوة التي كانت بيد الاسماعيلية المعروفين الآن بالفداوية، وهم يسمون أنفسهم اصحاب الدعوة الهادية. وهي قلعة بالقرب من مصيف، وهي غير رصافة هشام التي على الجانب الغربي من الفرات * الثامن عمل الخوابي وهي من قلاع الدعوة أيضا واقعة في جهة الشمال من طرابلس على نحو مرحلتين منها * التاسع عمل القدموس — وهي قلعة من قلاع الدعوة على القرب من الخوابي المقدمة الذكر * العاشر عمل الكهف — وهي قلعة من قلاع الدعوة على القرب من القدموس على نحو ساعة منها على نشز من جبل مرتفع عال على بعد * الحادي عشر عمل المينقة وهي قلعة من قلاع الدعوة على جبل مرتفع بالقرب من الكهف على نحو ساعة * الثاني عشر عمل العليقة — وهي قلعة من قلاع الدعوة على الجبل المقدم ذكره على نحو ساعة من المينقة المتقدمة الذكر * الثالث عشر عمل أنطرسوس — وهي بلدة بالساحل. قال في تقويم البلدان: وهي ثغر لأهل حمص فتحها المسلمون وخرّبوا أسوارها، قال، وهي الآن أهلة * الرابع عشر عمل «جبة المنيطرة» وهي بلدة صغيرة * الخامس عشر عمل الظنين وهي كورة بين مصيف وفاميه * السادس عشر عمل بشريه، ويقال: بشراى بأبدال الهاء ياء مشناة تحت * السابع عشر عمل جبلة — وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي، قال في العزيزي، ولها أعمال واسعة. وبينها وبين اللاذقية ١٢ ميلا، وبينها وبين انطاكية ٤٨ ميلا، وبها مقام ابراهيم بن آدم *

الثامن عشر عمل أنفة - وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلة

○ القاعدة الخامسة صفد ○

من قواعد البلاد الشامية صفد ، قال في تقويم البلدان ، بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مشاة من فوق في آخرها ، ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس ان مكان التاء دالا مهملة . وقال السمعاني في تاريخ صفد : سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الدموية منهم ، وأصل الصفت في لغتهم العطية : ثم قال : ويجوز ان تكون سميت بذلك أخذاً من الصفد ، وهو القيد ، لأن ساكنها يتمتع من الحركة للظروع والنزول لارتفاع مكانها كما يتمتع المصفد بالقيد من الحركة السريعة . وهي مدينة من جند الأردن واقعة هي وأعمالها في الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في تقويم البلدان وهي بلدة متوسطة بين الكبر والصغر . وذكر العثماني أنه كان مكانها أولاً قرية فلما ملكتها الفرنج بنت مكانها هذا الحصن في سنة ٤٩٥ . وقلعتها من الحصون المنيعة تشرف على بحيرة طبرية وتحف بها جبال وأودية . قال الواسطي بنتها الفرنج سنة ٤٩٥ . قال في مسالك الأبحار : وهي جديرة بالتعظيم فقل ان يوجد لها شبيه ولا يعلم لها نظير ، ور بعضها منتشر العمارة على ثلاثة أجيال . وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي لقلة الماء بها وسوء بناء حماماتها . وبساتينها تحتمها في الوادي الى جهة بحيرة طبرية . وكل ما يوجد في دمشق يوجد فيها إما من بلادها وإما مجلوب من دمشق إليها . ولها نواح وأعمال تخصها . قال في التعريف : وحدها من القبلة الغور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية ؛ ومن الشرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانيناس ؛ وحدها من الشمال نهريطيا ؛ ومن الغرب البحر . وقد ذكر لها في التعريف ستة أعمال . وذكر لها في مسالك الأبحار اثني عشر عملاً : الأول عمل برتها وهو ظاهرها كما في دمشق وحلب وغيرها من القواعد السابقة . الثاني عمل الناصرة وهي بلدة صغيرة من جند الأردن ، قال في الروض المعطار ، على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية ، قال ، ويقال ان المسيح عليه السلام ولد بها وأهل القدس ينكرون ذلك ؛ والمعروف ان أمه حين عادت به من مصر وعمره ستة نزلت به هذه القرية وهي اليوم منبع الطائفة النصيرية . الثالث عمل طبرية - وهي

مدينة من جند الاردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فعرفت به، ثم عرفت
طبرية؛ والنسبة اليها طبراني للفرق بينها وبين طبرستان حيث النسبة اليها طبرى. وهي
في الغور في سفح جبل على ضفة بحيرتها. قال في مسالك الابصار: ومن عملها اقدس،
وكان معها قديماً السواد ويسان بجبل عاملة ثم خرجا عنها (الرابع عمل تبين وهو نين -
قال في مسالك الابصار: وهما حصنان بنيا بعد الخمسمائة) وجعل العثماني في تاريخ صفد
هونين من عمل الشقيف. وأهل هذا العمل شيعة رافضة * الخامس عمل عثيث - وهي
كورة بين قاقون وعكافها قرى متسعة، قال العثماني، وفي آخر هذا العمل بلاد قاقون
وهو آخر الاعمال الصفدية * السادس عمل عكا - وهي مدينة قديمة من سواحل
الشام، قال العثماني، بناها عبد الملك بن مروان (ثم غلب عليها الفرنج، ثم انتزعا
منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب) ثم استعادتها الفرنج ثم انتزعا منها
المنصور قلاوون وخر بها في سنة ٦٩٠ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صفد، فلما
خرت أقيمت صفد مقامها. وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام * السابع عمل صور
وهي مدينة قديمة بساحل دمشق وكانت من أحسن الحصون فلما استعادها المسلمون
في سنة ٦٩٠ مع عكا خربوها كي لا تصير حصناً للعدو. وهي خراب الى الآن. ويقال
انها أقدم بلد بالساحل وان عامة حكماء اليونان منها. قال في العزيزي: وبينها وبين
عكا اثنا عشر ميلاً قال في التعريف: وبصور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تملكهم
فيما يكون ملوكهم بها اعتقاداً أن تملكهم لا يصح الا فيها، وشرطهم أن يدخلوها عنوة،
ولذلك لا يزال عليها الرقبة؛ ومع ذلك يأتونها مباغثة فيقضون اربهم منها ثم ينصرفون.
وأهل هذا العمل الآن رافضة * الثامن عمل الشاغور - وهي كورة بين عكا وصفد
والناصرية بها قرى متسعة. وجعلها العثماني شاغورين: أحدهما شاغور النعبة وهي جبل به
قرى عامرة. والثاني شاغور غرابية وفيه عدة قرى وبه كان مقام أولاد يعقوب عليه السلام
التاسع عمل الاقليم - وهي كورة بين دمشق والشغرا والخربة بها قرى متسعة. قال العثماني
وغالب أهل هذه البلاد حاكية دهريّة دروز ينكرون الشرائع ويعتقدون التناسخ
ولا يرون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجاً ولا بعثاً ولا نشوراً، ويستبيحون الميتة ولحم
الخنزير ونكاح المحارم ولا يفتسلون من الجنابة، ويستحلون المسكر ولا يتنزهون عن

النجاسة ٥ العاشر عمل الشقيف ، ويعرف بشقيف أرنون ، بفتح الهمزة وسكون الراء
 وضم النون وسكون الواو ثم نون في الآخر . قال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف
 الشقيف اليه . ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير ، وهو حصن بين دمشق والساحل بفضه
 مغارة منحوتة في الصخر وبعضه له سور ؛ وهو في غاية الحصانة . قال العثماني وهو أكبر
 اعمال صفد وأطيبها وأهلها رفضة ٥ الحادي عشر عمل جينين - وهي بلدة قديمة متسعة
 مركبة على كنف واد لطيف به نهر ماء يجري ؛ وهي في الشمال عن قاقون على نحو
 مرحلة من رأس مرج ابن عامر ؛ وبها مقام دحية الكلبي الصحابي رضي الله عنه ٥
 الثاني عشر عمل اللجون - قال في مسالك الابصار : وكان معها السواد وبيسان وخرجا
 عنها . ومما يذكّر فيها حيفا وهي خراب على الساحل ، وقاعة كوكب وهي التي يقول فيها
 العماد الاصفهاني : راسية راسخة ، شامخة شامخة ؛ وقلة الطور وهي قلة على جبل الطور الذي
 هناك بناها العادل بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها

❦ القاعدة السادسة الكرك ❦

من قواعد البلاد الشامية الكرك ، بفتح الكاف والراء المهملة وكاف ثانية في
 الآخر ، وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها منه . قال في تقويم البلدان وهي من البلقا
 وهما وهي وأعمالها من الاقليم الثالث من الاقليم السبعة . قال في مسالك الابصار :
 وهي مدينة محدثة البناء كانت ديرا يتديره رهبان ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى اليهم من
 يجاورهم من النصارى فقامت به الاسواق ودارت لهم فيه معاش وأوت اليه الفرنج
 فأداروا أسواره وصارت مدينة عظيمة ؛ ثم بنوا به قلة حصينة من أجل المعامل وأحصنها .
 وبقي الفرنج مستولون عليه حتى فتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد
 أخيه العادل أبي بكر . قال في التعريف : وكانوا قد عملوا به مراكب ونقلوها الى بحر
 القلزم لقصد الحجاز الشريف لأمر سولتهم . اللهم أنفسهم فأوقع الله بهم بالفرائم
 الصلاحية والهمم العادلة فقبض عليهم وحملوا الى منى فنحروا بها على جرة العقبة
 حيث تنحر البدن ؛ واستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ واتخذها ملوك الاسلام
 حرزاً ولا موالمهم كنزاً . ولم تزل الملوكة في الزمن المتقدم يستخلفون به أولادهم ويعدونّه

لتحافظهم . وهو بلد خصب ، وتحتها بواديها بساين كثيرة وفواكه مفضلة وحمام . ثم لها نواح
واعمال . قال في التعريف : وحدها من القبلة عقبة الصوان : ومن الشرق بلاد البلقا ، ومن
الشمال بحيرة سدوم ، ومن الغرب تيه بنى اسرائيل . وتشتمل على أربعة أعمال :
الأول عمل برها ، وهو ظاهرها كما تقدم في غيرها من القواعد المتقدمة . الثاني
عمل الشوبك — قال في تقويم البلدان : وهي من جبل الشراة وموقعها وموقع أعمالها
في الأقليم الثالث من الأقاليم السبعة . وهي بلدة صغيرة داخلية في البرأ أكثر من الكرك
ذات عيون وجدول تجرى وبساين وأشجار وفواكه مختلفة . قال في العريزي :
ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل أبيض مرتفع مطل على الغور من شرقيه .
قال في تقويم البلدان : وينبع من تحت قلعتها عينان تحريان الى البلد ومنها يشرب أهلها
وبساينها . الثالث عمل زغر -- وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية بنمها زغر بنت
لوط عليه السلام فسميت بها . الرابع عمل معان — وهي مدينة صغيرة بناها معان بن
لوط عليه السلام فسميت به . قال ابن حوقل : كان يسكنها بنو أمية ومواليهم . قال
في تقويم البلدان : وبينها وبين الشوبك مرحلة . قال في مسالك الابصار : وقد خربت
هي وعملها ولم يبق بها أحد

❦ الفصل الثالث ❦

فيما أضيف الى مملكة الديار المصرية من جزيرة العرب من بلاد الحجاز وما
صاتها . وتشتمل هذه المملكة من الحجاز على ثلاث قواعد

❦ القاعدة الاولى مكة ❦

وهي بفتح الميم وتشديد الكاف المفتوحة وهاء في الآخر كما نطق به القرآن في
قوله تعالى « وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة » سميت بذلك
لقلة ماؤها أخذنا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه ، اذا امتصه ؛ ويقال فيها أيضاً
« بكة » بأبدال الميم باء ، وبه نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « ان أول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا » أخذنا من البك ، وهو اللق ، لأنها تبك اعناق الحبايرة اذا
بغوا فيها . وقيل هي بالميم الحرم ، وبالباء المسجد ؛ وقيل هي بالباء موضع الطواف

وقد ذكر العلماء لها ستة عشر اسما ذكرتها مع بيان ما أخذها في الاصل . وهي من جملة الحجاز ؛ وقيل من تهامة ، ورجحه في تقويم البلدان . وموقها هي وأعاليها في الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة . وهي مدينة في بطن واد الجبال محتفة بها : فأبو قبيس مشرف عليها من شرقها ؛ وأجباد ، بفتح الهمزة مشرف عليها من غربها ؛ والكعبة ، البيت الحرام ، بوسطها . قال في الروض المعطار : وسعتها من الشمال الى الجنوب نحو ميلين ، ومن أسفل أجباد الى ظهر جبل قينقاع مثل ذلك والحرم مطيف بها من جميع جهاتها وجوانبها ، ومقاديره تتفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده اعلام منصوبة . قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان بن أدخوفا من الاندلس والتغير . ومن حدوده المشهورة الحديدية والجرمانية .

قال ابن حوقل : وليس بمكة الحرم شجر يشمر الاشجر البادية . وقد ذكرنا في الاصل أن البيت بنى سبع مرات أولها بناء الملائكة ، والثاني بناء ابراهيم عليه السلام ، وآخرها بناء الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان وهو الموجود الآن وارتفاعه ٢٥ ذراعا ؛ وبينه وبين الركن الأسود والركن الشامي ٢٤ ذراعا ، وبين الركن الشامي والركن الغربي وهو جانب الحجر ٢١ ذراعا ، وبين الركن الشمالي وركن الحجر الأسود ٢٠ ذراعا أنقص من مقابله بذراع ثم لمكة قرى ومخالف وأكثرها جبال . وأوديتها معمورة مسكونة ذات عيون جارية وحدائق محدقة والمشهور منها عشرة أما كن : الأولى جدة — وهي فرضة مكة على بحر القلزم وهي بالغرب عن مكة بميلة الى الشمال ، قال في تقويم البلدان ، على مرحلتين ؛ وقال الادريسي : بينهما ٤٠ ميلا . الثاني بطن نخل ، ويقال فيه وادي نخلة ، والجارى على السنتهم نخل باسقاط وادى . قال الجوهري : وبه كانت القرى التي هي طواغيت قريش . وهي الآن بيد هذيل وهي قرى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . وغالب فواكه مكة وقطانها وبقولها منها ، ومنها يصب الماء الى بطن مره الثالث بطن مره — وهي وادى الشمال عن مكة على مرحلة منها يمر به حجاج مصر والشام ، وبه عيون ومياه تجري ونخيل كثيرة والمزدرع متصل من وادي نخلة اليها وفراكهها وبقولها تحمل الى مكة الرابع الهدية — وهي وادى القرب من بطن مر على مرحلة ونصف من مكة ، وهي بيد بني جابر .

الخامس عسفان - وهي واد معروف على طريق حجاج مصر على ثلاث مراحل من مكة ، بها عيون وحدائق ؛ والماء ينصب اليها من الهدنة السادسة البزرة - وهي واد بالقرب من عسفان على مرحلتين من مكة ، وهي بيد بنى سلوان و بنى معبد * السابع خليص - وهو واد على طريق حجاج مصر على أربع مراحل من مكة * الثامن وادى كلبة - وهو واد بالقرب من خليص وكان بيدسليم وقد خرب بعد الثمانين وسبعائة * التاسع الطائف - وهو بلد شرقي بطن نخل بينه وبين مكة ، قيل سميت بذلك لأنها في طرفان نوح انقطعت من الشام وحملها الماء وطاف بها الأرض حتى أرست بهذا الموضع واسمها القديم « وج » سميت برجل من العالقة اسمه « وج » ، ثم سكنها ثقيف فبنوا عليها حائطا مطيفا بها فسميت الطائف . وهي بلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيره مع رطوبة الهواء لانها شديدة البرد حتى انه ربما جمد الماء بها * العاشر مر الظهران - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ١٦ ميلا . وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلحه مع قريش ؛ وكان به ضياع كثيرة ، وهي الآن خراب . قال في الروض المطار : وبه حصن كبير كان يسكنه شكر بن الحسن ، يعنى أمير مكة

❦ القاعدة الثانية ❦

(المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)

والمدينة اسم غلب عليها ، وبه نطق القرآن الكريم في قوله تعالى « يقولون لمن رجعنا الى المدينة ليخرجننا الاعز منها الاذل » ؛ واسمها القديم يثرب ، وبه نطق القرآن في قوله تعالى « يا أهل يثرب لا مقام لكم » قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره: وحديث النهى عن تسميتها بذلك ضعيف . قال الزجاجي وسميت بذلك لان أول من سكنها يثرب بن قانیه بن مهائيل بن ارم بن عسل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . وسماها الله تعالى « الدار » بقوله « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم » . وسماها النبي صلى الله عليه وسلم « طيبة » و « طابة » ولها أسماء أخرى غير ذلك ذكرناها في الاصل . قال في تقويم البلدان : وهي من الحجاز ، وقيل من نجد ؛

وموقعها قريب من الاقليم الثاني من الاقاليم السبعة . وقد ذكر صاحب « الهناء الدائم » ان أول من بناها تبع الاول حين اعلمه من معه من الكهنة ان بها مظهر نبي يظهر في آخر الزمان اسمه « محمد » فبناها وأسكن بها جماعة من العلماء ، وكتب كتابا الى النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه ايمانه به قبل ظهوره وأودعه عند كبير تلك العلماء فتناقله عقبه واحدا بعد واحد حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقبه الذي صار اليه الكتاب بين مكة والمدينة ودفع الكتاب اليه صلى الله عليه وسلم . وقيل في بنائها غير ذلك . وهي مدينة متوسطة في مستومن الارض ، وكان عليها سور في القديم وبخارجها خندق وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب . وفي سنة ٢٢٠ (وفي الاصل ٢٣٦) بنى عليها اسحاق بن محمد الجعدي سورا منيعا وهو باق عليها الى الآن ولها أربعة أبواب : باب في الشرق ، وباب في الغرب ، وباب بين الشمال والغرب ، وباب يخرج منه الى أحد . وبظاهرها عيون جارية وحدائق زاهية وبوسطها المسجد وبه الحجرة الشريفة وبوسطها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما معه فيه دائر عليه مقصورة مرتفعة الى نحو السقف عليها ستر من حرير وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها روضة من رياض الجنة . ثم للمدينة حى ومخالف

أما حماها فهو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه ، قال في الروض المعطار : وهو اثني عشر ميلا . وخارج بابها الشرقي البقيع ، بالباء الموحدة ، وهو مدفن أكثر أمواتها وبه قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي والعباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وقبر الامام مالك بن أنس رحمه الله . واما مخاليقها فمشهور منها ثمانية بمخاليق : الاول قباء بالمد والقصر ، والمد أشهر . قال في الروض المعطار : ومن العرب من يذكره فيصرفه ، ومنهم من يؤثته فلا يصرفه . قال : وسميت بئر كانت هناك اسمها قبا . وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أنزل الله فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم بها مشهور « الثاني خيبر - وهي بلدة بالقرب من المدينة في جهة الشمال والشرق على نحو ست مراحل ؛ وقيل أربع ، والخيبر في لغة

اليهود الحصن . وهي ذات نخيل وحدائق ومياه تجري قال في تقويم البلدان : وهي بلد بني عنزة من اليهود . قال الادريسي وكانت في صدر الاسلام داراً لبني قريظة والنضير وبها كان السموءل بن عاديا الشاعر المشهور * الثالث فدك - وهي بلدة على يمين من المدينة . قال الزجاجي سميت بفدك بن حام ، وهو أول من نزلها . وبها حصن يقال له الشمروخ على القرب من خيبر * الرابع الصفرا - وهي واد على ست مراحل من المدينة كثير المياه والحدائق والمزارع ، وعيونها يصب فضلها الى ينبع ؛ وهي بيد بنى حسن الشرفاء * الخامس ودان - وهو واد به قرى خراب لا محصى كثيرة * السادس الفرع - وهو واد في جنوبي المدينة على أربعة أميال منها يشتمل على عدة قرى أهلة وماؤه يصب في رابع حيث يحرم حجاج مصر ومنها طريق المشاة من مكة الى المدينة . قال في الروض المعطار : ويقال انها أول قرية مارت اسماعيل التمر بمكة . وهي الآن بيد بنى حرب * (السابع الجار - وهي فرضة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها . قال ابن حوقل : وبينها وبين الجحفة ثلاث مراحل) * الثامن وادي القرى - قال في الروض المعطار : وهي مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب وهم الغالبون عليها . وهو الآن خراب ليس به أحد قلت : وبالغ الأدريسي في نزهة المشتاق فمد من مخاليفها تيماء ، ودومة الجندل ، ومدين وقد عد في تقويم البلدان تيماء من بادية الشام تقريباً ، وقال في دومة الجندل انه موضع فاصل بين الشام والعراق ، وقد تقدم ذكر مدين في الكلام على كور مصر

القاعدة الثالثة ينبع

قال في تقويم البلدان : وهي من تهائم الحجاز تقريباً ، وقد غلب ادخال الألف واللام عليها فيقال ينبع . قال في الروض المعطار : وهي على تسعة برد من المدينة ، ولها فرضة على بحر القلزم على مرحلة منها ، وبها العيون الجارية والحدائق النزهة وأنواع الخضراوات ، وبها حصن على رأس جبل . قال ابن حوقل : وبها وقف لأبي المير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه . وحضارتها وإمارتها مستحدثة . قال صاحب العبر : وكان بها من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنو حراب ، وبنو

عيسى ، وبنو علي ، وبنو أحمد ، وبنو ابراهيم
قلت : وقد ذكرت في الأصل هنا من المسالك والممالك بالشرق والغرب والشمال
والجنوب ما لا يوجد في غيره من كتب هذا الفن . وأنا أذكر من ذلك كل مملكة
او بلدة يكتب ملكها أو القائم بها عن الابواب السلطانية بالديار المصرية مع ذكر
احوال تلك المملكة في مواضعها من المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

ترتيب مملكة البلاد الشامية

تقدم انما تشتمل على ست قواعد . ولاخفاء ان بكل قاعدة من تلك القواعد
الست نيابة سلطنة تجرى في الترتيب على نحو الديار المصرية والنائب بها قائم مقام
السلطان فيها

﴿ النيابة الاولى ﴾

(نيابة دمشق وفيها مقصدان)

﴿ المقصد الاول في حاضرتها ﴾

اعلم ان نيابة دمشق هي أجل نيابات الممالك الشامية وأعلاها رتبة . ونائبها من
اكبر مقدمي الالوف ، وقد استقر في الالقب نظير النائب الكافل بالديار المصرية
ويعبر عنه في المكاتبات السلطانية بـ « كافل السلطنة الشريفة بالشام » ويكتب له
تقليد من أجل التقاليد في ديوان الانشاء . وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر
الأمر المتعلقة بنيابته ويكتب عنه التواقيع في أكثر الوظائف بدمشق وأعمالها ، ويخبر
عنها « بالكريمة » ، ويكتب عنه المربعات بتعيين اقطاعات الجند وتجهز الى الأبواب
السلطانية فيشمها الخط الشريف السلطاني ويترتب حكم المربعات السلطانية المصرية
والشامية على حكمها ، ويكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم
السلطانية بالاعتماد . ولنائب السلطنة بها من الحاشية مالمسلطان من الدوادار ، والخزندار
والسلاح دار ، وأمير جاندار ، وأمير مجلس وغيرهم ؛ وكذلك مهارة البيوت وغيرهم
من العلمان . (ولقلمها) نائب منفرد ليس لنائب دمشق عليه حكم ؛ وولايته من
الابواب السلطانية بمرسوم شريف من ديوان الانشاء . قال في التتقيف : وكانت

عادة نائبها في الايام المتقدمة مقدم الف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه وهي على ذلك الى الآن . ومن شأن نائبها انه يحفظ القلعة ولا يسلم مفتاحها الا لمن يتولاها مكانه أو لمن يأمره السلطان بتسليمه له . ولتأهبها اجناد بحرية ولا يركبون في الغالب وبدمشق الامراء من المقدمين والطبلخاناه ، والعشرات والخمسات ؛ وبها مقدمو الحلقة واجنادها ؛ وكان بها في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ثلاثة حجاب : احدهم حاجب الحجاب ، وعادته ان يكون مقدم الف ، وهو في الرتبة الثانية من النائب ، ومن عادته الجلوس بدار العدل دون الوقوف ، واذا خرج النائب لمهم او غيره كان هو نائب الغيبة عنه ، واذا برز أمر السلطان بالقبض على نائب السلطنة كان ذلك اليه ويسكن هو القائم بنبابة السلطنة بعده الى ان يقام نائب آخر ؛ والحاجبان الآخران طبلخانان ، او طبلخاناه وعشرين ، أو عشرة او غير ذلك ، ثم صاروا بعد ذلك خمسة اوستة حجاب ، ولم تجر العادة لكتابة مرسوم لاحد منهم بولايتها . وبها نقيب جيش ، وشاد دواوين ، ومهندار ، ووظائف أخرى كشاد المهمات ، وهو المتحدث في الاحتياجات السلطانية ؛ والخزندرية ، وهي المتحدث على الخلع والتشريف وتقدمة البريد ، وغير ذلك من الوظائف . وبها والى شرطة محكم داخل البلد . وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة ؛ وعادتها قضاة أربعة من كل مذهب قاض ، وولايتهم من الابواب السلطانية . وبها قاضيا عسكرا : شافعي وحنفي ، ووكالة بيت المال ، وتقابة الاشراف ، ومشيخة الشيوخ وعادتها أن تكون لشيخ الخانقاه الشميصانية . وبها من الوظائف الديوانية الوزارة وفي الغالب تمحط رتبة صاحبها فيعبر عنه بناظر المملكة ، وولايته من الابواب السلطانية بكل حال ؛ وبها كتابة السروهي الرتبة الثانية من كتابة السر بالديار المصرية ويعبر عن صاحبها « بصاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس » وولايته من الابواب السلطانية ؛ وبها كتاب الدست وكتاب الدرج كما في الديار المصرية ؛ وبها نظر المهمات ونظر الخزانة ونظر خزائن السلاح ونظر البيوت ونظر الاسواق ونظر مراكز البريد ونظر الحوطات ، وهو نحو استيفاء المراجع الى غير ذلك . وبها من الوظائف الصناعية راسة الطب وراسة الكحالين وراسة الجراحية . وبها من وظائف الحكم على الملل المخالفة بظربك النصارى اليعاقبة و بظربك المسكية (كذا بالضوء ، وفي الصحيح المكانيه ، ولعلها اللاتينية) ورتاسة اليهود القرايين والربانيين ورتاسة السامرة

واعلم ان ترتيب ولايتها يوافق ترتيب السلطنة بالديار المصرية في بعض الامور
ويخالفه في بعضها . وكانت عادة النائب بها في يومى الاثنين والخميس ان يركب في العسكر
من الامراء ومقدمي الحلقة وأجنادها ويخرج الى سوق الخيل تحت القلعة يسير فيه كما
يفعل النائب الكافل بالديار المصرية ، ثم صار الآن يركب الى قبة بلبغا قبلى دمشق
والى نحو ذلك من جهاتها ، ثم يعود النائب فى موكب الى تحت القلعة فيقف فى الموكب
ساعة ، ثم يسير الى دار النيابة فإذا قرب منها ترجل العسكر على قدر مراتبهم ويبقى
راكبا حتى ينتهى الى قاعة عظيمة معدة للجلوس فى الموكب وبصدرها كرسي من
خشب مغشى بالحريز الاطلس الاصفر وعليه سيف تمجاه مسند الى صدره ، فيجلس
بصدر القاعة على متعد لا يشاركه فيه غيره وخلفه بشتيخ منصوب وراء ظهره والكرسي
على شماله على نحو ثلاثة اذرع ، ويجلس قاضى القضاة الشافعى عن يمينه على نحو ثلاثة
أذرع ، ويليه الحنفى ثم المالكي ثم الحنبلى ، ويليه قاضى العسكر الشافعى ، ويليه قاضى العسكر
الحنفى ، ويليه مفتى دار العدل الشافعى ، ويليه مفتى دار العدل الحنفى ، صفا مساويا
للنائب فى صدر القاعة ؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا بتمعه .
الذى هو جالس عليه جاءلا يمينه الى جدار صدر القاعة وظهره الى جهة الكرسي بانحراف
يسير لمواجة النائب ، وكتاب الدست بالميسرة تحته على التدرج بحسب مراتبهم صفا
ممتدا من كاتب السر الى جهة باب القاعة ، ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب
الآخر على سمت يمين قاضى القضاة الحنبلى ؛ ويجلس ناظر الجيش دونه وكاتب الدست
بالميمنة تحت ناظر الجيش على الترتيب صفا آخر اخذا من الوزير الى جهة باب القاعة ، فيصير
كاتب السر والوزير ومن يساوتها صفيين متقابلين ، ويجلس أتاك العساكر من الامراء
فى رأس الميمنة خلف الوزير على قدر رتبته ، وبقية الامراء المقدمين تحته على الترتيب ،
وأمرء الطبلخاناه تحته كذلك حتى يصيروا صفا خلف الوزير ومن معه ؛ ويجلس
المقدمون من أمرء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه ، وتحته الطبلخاناه على الترتيب
صفا آخر مقابلا لصف الميمنة بحيث يكون اوله خارجا عن يسار الكرسي ، ويكون
بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة اذرع ، وبينه وبين الميسرة نحو عشرة اذرع ؛
وتقف طائفة من العشرات والخمساوات ومقدمى الحلقة بالميمنة صفا مستقيما خلف

الاتابك والامراء الجلوس في صفه علي ترتيب منازلهم ؛ ويقف ممالك النائب عن يسار الكرسي صفا آخذا من خلف اول مقدمي الميسرة بانحراف فيه الى خلف ؛ وطائفة من مقدمي الحلقة خلف الامراء الجالسين في الفرجة الواقعة بينهم وبين ممالك النائب ، ويجلس حاجب الحجاب امام النائب في آخر صفي الموقمين الممتدين من جهة كاتب السر والوزير بميلة الى صف الميمنة ، ويقف بقية الحجاب خلفه ، ونقباء الجيش خلفهم . وترفع القصص فيتناولها نقباء الجيش ويرصلونها الى حاجب الحجاب فيتناولها ويتقدم فيوصلها الى كاتب السر فيفرقها على كتاب الدست وابتدى هو بالقراءة فيقرأ ما في يده من القصص ويوقع عليها بما يرسم له به النائب ، ثم يقرأ الذي يليه ، ثم الذي يليه كما تقدم في الديار المصرية . فاذا انتهت القراءة قام القضاة ومن في صفهم وكاتب السر والوزير وناظر الجيش وسائر ارباب الاقلام فينصرفون ؛ فاذا انصرفوا مد السماط . ويجلس النائب على رأس السماط والامراء ومقدمو الحلقة على ترتيب منازلهم فياً كلون ، ثم يرفع السماط ويتحول النائب الى طرف الايوان فيجلس فيه ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتي المحاكمات ويفصلها ويقرأ عليه كاتب السر ما رفع في ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش فيما يتعلق بوظيفته ، ثم يقوم وينصرف كاتب السر وناظر الجيش . . . قال في مسالك الابصار : وتزيد عساكر الشام علي غيرها ركوب يوم السبت - قلت : وهو يوم ركوب ليس فيه دار عدل ولا سماط (علي انه ربما أهمل حضور دار العدل ومد السماط في يومى الاثنين والخميس أيضا كما في الديار المصرية)

﴿ المقصد الثاني ﴾

في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة دمشق . وولاية الامور فيها على اربعة انواع

(النوع الاول)

النيابات وهي على ثلاث طبقات :

﴿ الطبقة الاولى ﴾ نيابة مقدمي الالوف ، وبها نيابة واحدة من هذه الطبقة وهي

نيابة غزة من الصفة الغربية ولها حالان : أحدهما أن تكون نيابة فيكون حكم نائبها على الصفة بجملة من الساحل والجبل ، ويكون قضاتها وسائر ارباب وظائفها من

الابواب السلطانية وهو نادر لم يتفق في زماننا الا في الدولة الظاهرية برقوق في ولاية ابن باكيش برهة من الزمن . الثاني ان يكون مقدمة عسكر فيفرد بالساحلية خاصة وهو الغالب، وعليه الحال في زماننا . وبكل حال فنائبها أو مقدم العسكر بها مقدم ألف . وبها أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدمو الحلقة وأجنادها . وليس بها مقدم ألف غير النائب أو مقدم العسكر أيهما كان . ومن وظائف أرباب السيوف بها الحجوية وحاجبها الكبير أمير طبلخاناه، ومن دونه عشرة ؛ ومنها شد الدواوين ، والمهندارية ، وثقابة النقباء القائمة مقام ثقابة الجيوش ، وولاية المدينة ، وولاية البر وغير ذلك . وبها من الوظائف الدينية القضاء ، وبها قاضيان : شافعي وهو نائب عن قاضي دمشق ان كانت غزوه مقدمة عسكر والا فولايته من الابواب السلطانية ، وحفي وهو مستحدث الولاية وولايته من الابواب السلطانية ؛ وبها المحتسب ، ووكيل بيت المال ومن في معناهم، وكلهم نواب لارباب الوظائف بدمشق كما في القاضي الشافعي : وليس بها قضاء عسكر ولا افتاء دار عدل . وبها من الوظائف الديوانية كاتب درج يقوم مع النائب مقام كاتب السر ، وناظر جيش ، وولايتهما من الابواب السلطانية

﴿الطبقة الثانية﴾ النيابة الطبلخاناة - وبها من هذه الوظيفة اربع نيابات: الاولى نيابة القدس من الصفقة المذكورة . واعلم انها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يوليها نائب الشام، ثم استقرت نيابة طبلخاناه في سنة ٧٦٧ كما قاله في التثقيف . وقد جرت العادة ان يضاف اليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام ويعبر عنهما بالخرمين وبذلك عبر في التعريف في الكلام على وصية الناظر عليهما . وبها من وظائف أرباب السيوف غير النيابة ولاية قلعة القدس، وعادتها جندي من قبل نائب الشام، وكذلك ولاية المدينة . وبها قاض شافعي ومحتسب وهما نائبان عن قاضي دمشق ومحتسبها ، وكذلك جميع الوظائف نيابات عن أرباب الوظائف بدمشق . والثانية نيابة صرخد من الصفقة القبلية . قال في التعريف : وقد يجعل فيها من ينحط عن رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة ؛ وذكر نحوه في مسالك الابصار - قلت : ومن وليها من هذه الرتبة العادل كتبغا بعد خلعه من السلطنة ثم انتقل منها الى نيابة حماة . واعلم أن بصرخد المذكورة قلعة لها وال خاص ، قال في التعريف، وهي من القلاع التي يستقل

نائب الشام بالتولية فيها * الثانية نيابة بعلبك من الصفقة الشمالية - وقد كانت في الأيام الناصرية بن قلاوون إمرة عشرة وهي الآن طبلخاناه وبكل فنائب الشام يستقل بتوليتهما وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال في التعريف : ولها ولاية خاصة ، يعني ولاية المدينة * الرابعة ولاية حمص من الصفقة الشرقية (كانت في الأيام الناصرية فمابعد تقدمه ألف) قال في التثقيف ثم استقرت طبلخاناه وهي على ذلك إلى الآن

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ النيابات العشرات وفيها نيابتان : الأولى نيابة عجلون من الصفقة القبلية . قال في التثقيف : وهي وإن كانت نيابة فأن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ولم تجر له عادة بالمكاتب من الأبواب الشريفة : الثانية نيابة مصيف من الصفقة الشرقية ، وقد تقدم أنها كانت من مضافات طرابلس ثم استقرت من مضافات دمشق - قلت : وقد كتبت نيابتهما في الدولة الظاهرية بقوق لابن اتابك المجاهدين بأمره عشرة وربما كانت طبلخاناه

﴿ النوع الثاني ﴾

(الكشف وولاية الولاية . وبها من هذا النوع كاشفان)

الأول كاشف الصفقة القبلية . قال في التعريف : ومقرته مدينة أذرعات ، وهو تارة يكون طبلخاناه فتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . ثم هو إن كان مقدم ألف سمي كاشف الكشاف ، وإن كان طبلخاناه سمي إلى الولاية وهو الغالب * الثاني كاشف الرملة ، من الصفقة الغربية . وهو مما استجد في الدولة الظاهرية بقوق ، وعادته إمرة طبلخاناه ، وقد صار يكتب إليه من الأبواب السلطانية في خلاص الحرق كما يكتب إلى كاشف الوجه البحري بالديار المصرية ، وكانت قبل ذلك ولاية صغيرة يابها جندي

﴿ النوع الثالث ﴾

(الولايات ، وهي على ثلاث طبقات)

﴿ الطبقة الأولى ﴾ من ولاياتها الطبلخاناه ، وهي ثلاث ولايات :

الأولى - ولاية نابلس من الصفقة الغربية وقد تكون إمرة عشرة وربما كانت

امرة عشرين * الثانية ولاية بيروت من الصفقة الشمالية * الثالثة ولاية صيدا من الصفقة المذكورة . قال في مسالك الابصار: وهي ولاية جليلة . ثم ربما كانت امرة عشرة
 ﴿ الطبقة الثانية ﴾ من ولاياتها العشرات - قد تقدم ان نابلس قد تكون امرة عشرة
 وقد تكون امرة عشرين ، وان ولاية صيدا قد تكون امرة عشرة

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ من ولاياتها مقدم الحلقة وأجنادها . وبها من هذه الطبقة ما هو الأكثر عدداً وهي : ولاية الرملة وقد بطلت باستقرار الكشاف بها ، وولاية لُد من الصفقة الغربية وقد أضيفت الى كاشف الرملة ، وولاية قاقون منها وقد أضيفت الى كاشف الرملة ايضاً ، وولاية بلد الخليل عليه السلام منها وقد أضيفت الى القدس حين استقرت نيابة ، وولاية بيسان من الصفقة القبلية ، وولاية بانياس منها وقد تكون امرة عشرة ، وولاية قلعة الصبيبية منها وقد أضيفت الى بانياس ، وولاية الشغرامنها وكانت في الزمن المتقدم مضافة الى بانياس ثم أفردت عنها ، وولاية حسان والصلت منها وقد أخبرني بعض كتاب سرالشام انهما إن جمعا لوال واحد كان طبلخاناه أو عشرة ، وان أفرد كل منهما كان جندياً ، وولاية البقاع البعلبكي والبقاع العزيزي من الصفقة الشمالية قال في التعريف : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك وهما مجموعتان لوال واحد جليل منفرد بذاته ثم اذا جمعا فتارة تكون لمقدم حلقة وتارة لجندي . وولاية قارا من الصفقة الشرقية ، وولاية سلمية منها ، وولاية تدمر منها
 واعلم أن هذه الطبقات من النيابات والكشاف والولايات قد تنتقل في المراتب عما هي عليه بزيادة أو نقص وليست بمستلزمة الدوام

* (النوع الرابع) *

امراء العرب ومقدموهم . والداخلون في نطاق اعمال دمشق من العرب المؤمن عليهم سبع قبائل :

(القبيلة الاولى) - آل ربيعة من طي . من كهلان من القحطانية وهم ابنور ربيعة ابن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح . وقد سقنا نسبه في الاصل في المقالة الاولى الى طي . وفي بني جراح كانت الرئاسة في الدولة الفاطمية . قال في التعريف: وهم

يزعمون أنهم من ولد جعفر بن يحيى البرمكي من العباسية بنت المهدي اخت الرشيد، قال في مسالك الابصار: ويقولون أنه كان يحضر مع الرشيد في مجالس خاصة وهي حاضرة فعمد له عليها ليحل له النظر اليها وشرط عليه أن لا يواقعها فواقعها على حين غفلة من الرشيد فحملت وأتت منه بولد هم من نسله قال في التعريف: ولو اقتصر وا على عدمهم في طي لكان أبذخ لشرفهم وأقوم لفخارهم إذ لا تعدل العرب بفارس - قلت: وقد ذكرت في الاصل نسبهم الى طي ونسبهم الذي يزعمونه الى يحيى بن خالد متصلا ابنا عن أب الى منتهاه . قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الاتابك زنكي صاحب الموصل، وكان أمير عرب الشام أيام طغتكين (كذا) السلجوقي صاحب دمشق وفضل على السلطان نور الدين محمود فأكرمه وشاء بذكوره . قال: وكان له اربعة اولاد هم: فضل، ومراد، وثابت، ودغفل . ووقع في كلام المسيحي أنه كان له ولد اسمه بدر أيضاً . قال في مسالك الابصار: ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة يحلونهم فوق كيان وينوعون لهم أجناس الاحسان والامرة منهم الآن في ثلاثة أبطن:

﴿البطن الاول آل فضل﴾ وهم بنو فضل بن ربيعة، وهم رأس الكل وأعلام رتبة وأرفعهم منزلة . وقد ذكر في مسالك الابصار أنهم تشعبوا شعبا كثيرة منهم آل عيسى، وآل فرح، وآل سميطة، وآل مسلم، وآل علي . وذكروا من المضاف اليهم ما لا يكاد يحصى كثرة قال، وأسعديت منهم في وقتنا آل عيسى . وقد صاروا ابوت: بيت مهنابن عيسى، وبيت فضل وبيت حادث بن عيسى وأولاد حديثه بن عيسى . قال وآل عيسى هو، لا، في وقتنا ملوك البر فيما بعد واقرب وسادات الناس ولا يصلح الاعلانيهم العرب . . . في كلام بطول . وقال ان ديارهم من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبه آخذين يسارا الى البصرة . قال: ولهم مياه كثيرة ومناهل مورودة . أما الامرة عليهم فقد ذكر في مسالك الأَبصار: أنه لم يصرح لأحد منهم بأمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر بن أيوب . والذي استقر عليه الحال من أمرهم ان يكون لهم أمير كبير يولى من الابواب السلطانية ويكتب له تقليد شريف بذلك ويلبس تشريفا أطلسين أسوة النواب ان كان حاضرا، ويجهز اليه ان كان غائبا . ويكون لكل طائفة منهم أمير كبير قائم مقام أمير عليهم وتصدر اليه المكاتبات من الابواب السلطانية

الا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم

البطن الثاني - آل مرا، وهم بنو مرا بن ربيعة بن فضل المقدم ذكره . قال في التعريف ومنازلهم حوران . وقال في مسالك الابصار : ديارهم من بلاد الجندور والجولان الى الزرقا والضليل الى بصرى . وزاد في مسالك الابصار فذكر منازلهم بالبرية . قال : وقد تشعب آل مرا أيضاً شعبا كثيرة وهم آل احمد بن حجي وفيهم الأمرة، وآل مسخر، وآل تمي، وآل بقره، وآل شما، مع خلق كثير تدخل في مضافاتهم . ثم قال : وآل مرا أبطال مناجيد ورجال صناديد وأقيال قل كونوا حجارة أو حديدا . وأما الأمرة عليهم فعلى ما تقدم في آل فضل من أنه يكون لهم أمير كبير حاكم على جمعهم ودونه أمراء على طوائفهم

البطن الثالث - آل على، وهم بنو على بن حديثه بن غضبة بن فضل المقدم ذكره، فهم من جملة آل فضل . قال في مسالك الأبصار : وهم آل بيت عظيم الشأن مشهور السادات له أموال جمّة ونعم ضخمة ومكانة في الدول عليه . وديارهم مرج دمشق وغوطها بين أخوتهم آل فضل و بنى عمهم آل مرا ومنتهاهم الى الخوف والحباينة الى السكة الى تيماء الى البرادع . قال في التعريف وانما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الأمرة الى عيسى بن مهنا وبقي جار الفرات في تلابيب التار . وأما الأمرة عليهم فلم تنزل فيهم من عهد جدّهم محمد بن أبي بكر بن على بن حديثه بن غضبة بن فضل بن ربيعة من الأيام المنصورية قلاوون حين أمسك مهنا بن عيسى وبقيت في ذويه الى الآن

﴿ القبيلة الثانية ﴾ - جرم، من طيء أيضاً . وهم بنو جرم، واسمه ثعلب وجرم اسم أمه عرف بها فجعلهم من جرم قضاء قال في مسالك الأبصار : وهم ببلاد غزة والداروم مما يلي الساحل الى بلد الخليل عليه السلام . ولهم أفخاذ كثيرة ذكرناها في الاصل . وأما الأمرة عليهم فقد قال في التعريف ان الأمرة على عرب غزة، يعنى جرماً المذكورين، في زمانه كانت لفضل بن حجي . والمعروف الآن ان جرماً انما يكون لهم مقدم لا أمير وعليه جرى في التثقيف وذكر أن مقدمهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان على بن نضل

﴿ القبيلة الثالثة ﴾ - ثعلبة، من طيء أيضاً - وهم بنو ثعلبة بن سلامان؛ وثعلبة

بطنان هما درما وزريق ابنا عوف بن ثعابة، وقيل ابنا ثعلبة لصلبه؛ وقد ذكرنا جماعة من بطونهم في الأصل . قال الحمداني : وثعلبة الشام من درما الى عينتاب . قلت : ولم يجر في التعريف ولا في التثقيف لثعلبة ذكر لعدم من يكتب منهم

﴿ القبيلة الرابعة ﴾ بنو مهدي . وقد ذكر في مسالك الأبصار أنهم من القحطانية من طريق جذام . وقد ذكر في التعريف في الكلام على مكائبات عرب الشام ان بنو مهدي من عذرة = قلت : وبينهما بون فان جذاما ترجع الى عمرو بن سبأ وعذرة من قضاة وقضاة ترجع الى حمير بن سبأ . قال في التعريف : ومنازلم البلقا . وزاد في مسالك الأبصار فذكر منازلهم بالبرية . وقد ذكرنا بطونهم في الأصل . وأما الأمرة عليهم فقد ذكر في التعريف : أنها مقسومة في أربعة منهم لكل واحد منهم الربع وذكر نحوه في التثقيف وهي على ذلك الى الآن

﴿ القبيلة الخامسة ﴾ زبيد ولم يتعرض في مسالك الأبصار لنسبهم وذكر الجوهري أن زبيداً اسم قبيلة (ولم يزد) والمعروف ان زبيداً من سعد العشيرة من مذحج من كهلان من من القحطانية . قال في مسالك الأبصار : وهم فرق شتى . وذكر ان في الشام منهم فرقة بصرخد، وفرقة بغوطة دمشق وذكر في التعريف ان منهم زبيد المرج، وزبيد حوران، وزبيد الأخلاف . وذكر في التثقيف نحوه - قلت : واذا اعتبر المعتبر الجمع بين كلاي مسالك الأبصار والتثقيف ظن ان فرق زبيد بالشام خمس فرق : زبيد المرج، وزبيد الغوطة، وزبيد صرخد، وزبيد حوران . وليس كذلك بل زبيد الغوطة وزبيد المرج واحدة اذ المراد غوطة دمشق ومرجها وهما كالشيء الواحد؛ وزبيد صرخد هي زبيد حوران كما صرح به في موضع آخر من مسالك الأبصار اذ صرخد من جملة بلاد حوران . اما زبيد الأخلاف فديارهم بالقرب من الرجة بجوار آل فضل

﴿ القبيلة السادسة ﴾ بنو خالد بن عرب حمص . قال الحمداني وهم يدعون النسب الى خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه . قال في مسالك الأبصار : ولعلمهم من ذوى قرابته من مخزوم، وكفاهم ذلك فخارا أن يكونوا من قریش

﴿ القبيلة السابعة غزية ﴾ فقد عددهم في التعريف من جملة عرب الشام وهم بطن من

هو ازن من العدنانية. قال في العبر: ولم تزل لهم الصولة. قال الحمداني: وهم بطون وأخاذ
ولهم مشايخ منهم من وفد على السلاطين. وأشار في التعريف الى أن الغالب عليهم عدم الطاعة

❦ النيابة الثانية ❦

من نيابة السلطنة بالملك الشامية نيابة حلب وفيها مقصدان

❦ المقصد الاول في حاضرتها ❦

وهي على ما تقدم من دمشق من انقسام عسكرها الى مقدمي الالوف والطلبخاناة
والعشرات والخمسات ومقدمي الخلفة وأجنادها واقطاعاتها على نحو ما تقدم في دمشق
من المقدار. وبما زاد اقطاع الخلفة بها على اقطاع الخلفة بالديار المصرية. وبها من
وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة، وهي في الرتبة الثانية من دمشق: فهي أعلى
النيابات بالملك الشامية بعدها. ويعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بالابواب السلطانية
بـ (كافل السلطنة الشريفة بحلب) كما يقال في دمشق. ويكتب عنه التواريخ الكرعة بأكثر
الوظائف بها وأعمالها، وكذلك يكتب عنه المربعات الجيوشية بتعيين الاقطاعات وتجهز الى
الابواب السلطانية يشملها الخط الشريف ويكمل مناشيرها كما تقدم في دمشق ويكتب على
كل ما يتعلق نيابته من المناشير والتواريخ والمراسيم الشريفة بالاعتماد. ولقاعها نائب خاص
بها لا يدخل تحت حكم نائب السلطنة كما تقدم في قلعة دمشق، ولها من الابواب
السلطانية بمرسوم شريف، ونائبها امير طلبخاناة، وفيها من الاجناد البحرية نحو اربعين
نفسا لحراستها لا يظعنون عنها بسفر ولا غيره، والحرس في الليل على نحو ما تقدم في قلعة
دمشق؛ وبها حاجب حجاب والعادة أن يكون مقدم ألف، وهو ثاني رتبة نائب السلطنة
بها، والامر فيه على ما تقدم في دمشق؛ وثلاثة حجاب آخر إما طلبخانات أو طلبخانتان
وعشرة أو ما في معنى ذلك؛ وبها شاد الدواوين، وهو أمير عشرة؛ ووالي المدينة،
وهو أمير عشرة؛ وشاد مراكز البريد، وتقدمة البريدية الى غير ذلك من الوظائف.
وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الاربعة من كل مذهب قاض؛
وقضاء العسكر، وبه قاضيان: شافعي وحنفي؛ وافتاء دار العدل، وبها اثنان كذلك
ووكالة بيت المال. وجميع هذه الوظائف تولى من الابواب السلطانية، والحسبة وقديولها

النائب وقد تولى من الابواب السلطانية وبها من الوظائف الديوانية الوزارة ويعبر عنها في ديوان الانشاء بنظر المملكة؛ وكتابة السر، ويعبر عن متولها في ديوان الانشاء بصاحب ديوان المكاتبات بحلب، ولا يسمح له « بصاحب ديوان لانشاء بحلب » كما في دمشق؛ ونظر الجيش، والحكم فيه على ما تقدم في دمشق وجميع هذه الوظائف تولى من الابواب السلطانية بتواقيع شريفة . وبها من الوظائف الصناعية رئاسة الطب، ورئاسة الكحالين ورئاسة الجراحية على ما تقدم في دمشق والديار المصرية .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم في دمشق والديار المصرية . وعادة النائب بها أن يركب في يومى الاثنين والخميس في الموكب ويخرج من دار النيابة الى سوق الخيل، ويخرج من باب الزهراء ويسير الى مكان يعرف بالميدان في جنوب المدينة، ثم يعود من حيث ذهب وقد وقف الامراء بسوق الخيل في انتظاره فيقف ساعة لطيفة ثم يسير الى دار النيابة ومعه الامراء من الحجاب وغيرهم ويترجل مما يليه ثم الامراء على قدر مراتبهم، ويمر النائب راكباً حتى يأتى الى مقعد مرتفع على الارض به دكة صغيرة من خشب في جانبه فيترجل على جانب المقعد ويجلس على تلك الدكة ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة معدة لجلوسه فيجلس يسار النائب قاضي القضاة الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ثم قاضي العسكر الشافعي ثم الحنبلي ثم مفتي دار العدل الشافعي ثم الحنفي، ثم الوزير صفا مستقيماً . ويجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه وعن يمينه ناظر الجيش ثم كتاب الدست على ترتيب منازلهم في مقابلة الصف الذى فيه قضاة القضاة ومن معهم . ويجلس باقى الموقعين بين الصفيين مقابل صاحب الحجاب حتى يصلوهما فيصبرون كالحلقة المستديرة . ويقف الحجاب الصغار أسفل حاجب الحجاب تحت المقعد، وتقباء الجيش خلفهم، والولاة خلف تقباء الجيش ويمد السماط (١) ويأكل الامراء ومن في معانهم ثم ترفع القصص فيتناولها التقباء ويتناولها صاحب الحجاب فيناولها لكاتب السر فيفرقها على كتاب الدست ليقرأها ويقرأ هو ما بقى معه ثم يقرأون على الترتيب كما تقدم في دمشق . فإذا انقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومن في معانهم

(١) قدم هنا مد السماط على قراءة القصص وهو خلاف ما في « الصبح »

﴿ المقصد الثاني ﴾

فيما هو خارج عن حاضرة حلب وهو على أربعة أنواع

﴿ النوع الاول ﴾

الولاية من أرباب السيوف وهم على ثلاث طبقات :

﴿ الطبقة الاولى ﴾ نيابة مقدمي الالوف . وولاية جميعها من الابواب السلطانية وهي ثمان نيابات : الاولى نيابة قلعة المسلمين المعروفة في القديم بقلعة الروم ، الثانية نيابة الابليتين ، الثالثة نيابة بانياس ، الرابعة نيابة طرسوس ، الخامسة نيابة أدنة ، السادسة نيابة سبس وقد كانت استقرت نيابة حين فتحها ثم استقرت بعد ذلك بمقدمة عسكري كغزة الا أن مقدم العسكري لا يكتب في خلاص الحقوق ، السابعة نيابة البيره ، الثامنة نيابة الرها فقد ذكر في التثقيف أنها استقرت في الدولة المنصورية سنة ٧٧٨ تقدمه ألف وكانت قبل ذلك طبخانا

﴿ الطبقة الثانية ﴾ نيابة أمراء الطبخانا - وهي سبع نيابات ، وولايتها من الابواب السلطانية : الاولى نيابة الكختا وربما كانت إمرة عشرة ، الثانية نيابة كر كر وربما كانت إمرة عشرة ، الثالثة نيابة بهسى كما يقتضيه ايراد التثقيف في العشرات وربما كانت طبخانا وعليه ينطبق كلام التعريف حيث قال : ولنايتها مكانة جلييلة وان كان لا يلتحق بنائب البيرة وبكل حال فتوليتها من الابواب السلطانية بمرسوم شريف ، الرابعة نيابة درنده قال في التثقيف : وربما كانت عشرة ، الخامسة نيابة قلعة جعبر ، السادسة نيابة الرها ، السابعة نيابة ملطية

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ نيابة أمراء العشرات وهي تسع نيابات : الاولى نيابة عينتاب كما أوردها في التثقيف وذ كر انه رأى بخط ابن الشاى ما يقتضى انها كانت طبخانا وقد أخبرني بعض كتاب سر حلب انها استقرت تقدمه ألف في آخر الدولة الظاهرية برقوق واستقرت توليتها من الابواب السلطانية . الثانية نيابة الراوندان كما أوردها في التثقيف . وقد أخبرني بعض كتاب السر بحلب ان نايتها استقر أخيراً جندياً . الثالثة نيابة الدر بساك كما أوردها في التثقيف وربما أضيفت الى نيابة بغراس . الرابعة

نيابة بغراس كما ذكره في التثقيف . الخامسة نيابة القصير كما قاله في التثقيف واخبرني بعض كتاب سرحلب أنها الآن جندی . السادسة نيابة الشغر وبكلس فقد أوردها في التثقيف في جملة العشرات وان بها الآن جندی . السابعة نيابة شيزر وكانت امرة عشرة فلما تسلطت عليها العربان بعد وقعة منطاس استقرت مقدمة ألف كما أخبرني بعض كتاب السرحلب . الثامنة نيابة دبركي وربما كانت طبلخاناه . التاسعة نيابة سرفندكار كما قاله في التثقيف وذكر عن ابن النشأى أنها كانت اولاً طبلخاناه ﴿ الطبقة الرابعة ﴾ نيابة مقدمي الحلقة وأجناده . وولاياتها من نائب حلب وهي نيابة قاعة مارس ، ونيابة كلوراً ، ونيابة كولاك ، ونيابة كرزال ، ونيابة كومي ، ونيابة تل حمدون ، ونيابة الهارونيتين ، ونيابة قلعة نجمه ، ونيابة حصص ، ونيابة لؤلؤة

* (النوع الثاني) *

ما هو خارج عن حاضرة حلب ، وغالبها اجناد يوليها نائب حلب الا في القليل النادر . والمشهور منها عشر ولايات وهي : ولاية برها كما في دمشق الا أن والي برحلب هو والي الولاية وهو أمير طبلخاناه ، وولاية كفر طاب ، وولاية سرمين وربما كانت امرة عشرة ، وولاية الجبول ، وولاية جبل سمعان واليها مقيم بمدينة حلب يحضر المواكب مع والي المدينة ووالي البر لقربه منها ، وولاية غزاز وربما كانت امرة عشرة ، وولاية تل باشر وكان لها والي بمفردها جندی ثم اضيفت الى عينتاب ، وولاية منبج وولاية تيزين ، وولاية الباب وبزعا ، وولاية دركوش ، وولاية انطاكية وربما كانت امرة عشرة

قلت : ووراء ذلك ولايات أخرى ببلاد الأرمن وما والاها لم يتحرر لى أمرها والظاهر أنها كلها أجناد

* (النوع الثالث) *

مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ، وبأعمالها من العرب قبيلتان القبيلة الاولى - بنو كلاب . قال في مسالك الابصار : وهم عرب أطراف حلب والروم ، يتكلمون بالثركية ويركبون الاكاديش . وهم من أشد العرب بأساً وأكثرهم

ناسا ولكنهم لا يدينون لامير منهم يجمع كلمهم . ولو انقادوا لامير واحد لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة . قال في مسالك الابصار : وكان سلطاننا لايزال ملتقنا الى تألفهم ، وآخر الامر أن أمنهم وأمر عليهم سليمان بن مينا وجعل عليهم حفظ جعبر وما والاها القبيلة الثانية - آل بشار . قال في مسالك الابصار : وديارهم الجزيرة و (الاحص) ببلاد حلب ، قال ، وحالمهم في عدم الاتقياد لامير واحد حال بنى كلاب ولو اجتمعوا لما أمن بأسهم على تفرق كلمهم . وبسبب جماعتهم لايزال آل فضل منهم على وجل

﴿ النوع الرابع ﴾

ممن هو خارج حاضرة حلب التركان . وهم طوائف كثيرة وقد عددهم في التثقيف طوائف منهم البوزقية ، وهم جماعة ابن ذى ، واللاحقية (١) وهم أولاد رمضان ، والامرية والاشورية ، وتركبان حلب وهم الذكورية ، جماعة سالم الدلكري ، والخربندلية ، والاعاجرية ، والورسقية وهم تركبان طرسوس ، والبانبدرية وهم من القنيعية . والبلولية ، وأولاد طسجون والبياضية — قلت : وبها طوائف من الاكراد أيضاً . وكان الكل قد خرجوا عن الطاعة من لدن واقعة تمرنك الى أن شعر لها السلطان الملك المؤيد سلطان العصر ساعد العزم حتى انتزعها من أيديهم وأعادها الى المملكة في سنة ٨٢٠ بعد أن تعذر على من تقدمه انتزاعها والله يؤيد بنصره من يشاء

﴿ النيابة الثالثة حماة ﴾

من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حماة . واعلم انها كانت في الزمن المتقدم بيد الملوك الايوبية يليها بعض ملوكهم من تحت يد صاحب الديار المصرية الى أن صارت في الدولة الناصرية بمحمد بن قلاوون الى الملك المؤيد اسماعيل ابن الافضل على ثم الى ولده الافضل محمد . قال في مسالك الابصار : وكان صاحبها يستقل فيها بأعطاء الامرة والاقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السروسائر الوظائف بها . ويكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يمتضى أمرا كبيرا في مثل اعطاء امرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر وهو لا يجيبه الا بأن « الرأي ماتراه » ومن هذا ومثله ،

(١) بياض بالاصل . نقول ولم نقف لهذا النوع في الصبح على ذكر لهذا نقلناه

قال ، ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ولم يزل الامر على ذلك الى أن خلع الافضل (محمد) بن المؤيد من سلطنتها في سلطنة المنصور أبي بكر ابن الناصر محمد بواسطة الامير قوصون في سنة ٧٤١ واستقر الامر على ذلك الى الآن . ثم فيها مقصدان

﴿ المقصد الاول في حاضرتها ﴾

واعلم أن نيابتها نيابة جلييلة ، وهي في الرتبة الثانية من حلب في الاقواب . ومن حيث أنها كانت سلطنة قد مناهها في الذكر على طرابلس وغيرها من الممالك التي في رتبتها وان كانت طرابلس مقدمة في الاطلاقات الكبار عليها . وليس بها أمير مقدم ألف ، وبها الطبلخانات والعشرات والخمسات وأجناد الحلقة . ونائبها من أكابر الامراء المقدمين . وبها الحجابة وبها حاجبان الكبير منهما طبلخاناه والثاني عشرة ، وبها المهمندارية ، وشد الدواوين ، وتقابة العساكر ، وامرة اخورية البريد ، وشد مراكر البريد ، وولاية المدينة وغيرها ؛ وجميعهم أجناد وليس فيهم أمير . وبها من أرباب الوظائف الدينية أربعة قضاة من المذاهب الاربعة ، من كل مذهب واحد وولايتهم من الابواب السلطانية ، وقاضى عسكر حنفى ؛ وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الباقية ، ولا أحد من مفتى دار العدل ؛ وبها وكيل لبيت المال وولايته من الابواب السلطانية ، وبها محتسب وولايته عن نائب السلطنة بها . وبها من أرباب الوظائف الديوانية كاتب السر ويعبر عنه في ديوان الانشاء بالابواب السلطانية « بصاحب ديوان المكاتبات بحماة » وولايته من الابواب السلطانية وله أتباع من كتاب الندست وكتاب الدرج وولايتهم عن نائب السلطنة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير بها وولايته من الابواب السلطانية أيضاً

وترتيب الموكب بها هو أن نائب السلطنة يركب من دار النيابة في يومي الاثنين والخميس وصحبته العسكر من الامراء وأجناد الحلقة ويخرج الى خارج المدينة من قبلها ويسير في الموكب حتى ينتهي الى ضيعة تسمى بقرين على القرب من المدينة ثم يعود في موكبه حتى يقف بسوق الحليل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ساعة لطيفة ثم يدخل المدينة ويسير الى دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف

بياب العزة (في الصباح العسرة) ثم يترجل الداس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ولا يزال راكبا حتى يترجل بشباك بدار النيابة معدا للحكم فيجلس فيه ويجلس معه داخل الشباك القضاة الاربعة : الشافعي عن يمينه، والخنفي يليه ؛ والمالكي عن يساره ، والخبلي يليه ؛ ويجلس الامراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويتف هناك الحاجبان والمهمندار وتقيب النقباء وترفع القصص فيقرونها كاتب السر عليه ويأمر فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة . ويدخل الى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والامراء فيفصل بقية أمور ما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السماط فيأكلون وينصرفون

﴿ المقصد الثاني ﴾

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرتها)

واعلم انه ليس بأعمالها نيابات بل يقتصر فيها على ثلاث ولايات بثلاثة أعمال ولايتها أجناد ليس فيهم أمير ويوليهم النائب بها : الاولى نيابة برها كما في دمشق وحلب ، الثانية ولاية بارين ، الثالثة ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تركان تنسب اليها

﴿ نيابة الرابعة طرابلس ﴾

من نيابات المملكة الشامية نيابة طرابلس وهي في رتبة نيابة حماة كافي المكاتبات وان كانت تذكر قبل حماة في المطلقات المكبرة كما تقدمت الاشارة اليه . وفيها مقصدان

(المقصد الاول)

في ترتيب حاضرتها . وليس بها من الامراء المقدمين سوى النائب . وابتداء نيابتها من حين افتتاحها المنصور قلاوون واقتلعها من أيدي الفرنج في سنة ٦٨٨ بعد ان مضى عليها في أيدي الفرنج ١٨٤ سنة . وبها من الطبلخانات والعشرات والخمسات وأجناد الحلقة ، وليس لها قاعة فيكون لها نائب ، بل نائب السلطنة هو المتسلم لجمعها . وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوبية ، وبها ثلاث حجاب أكبرهم طبلخانة ، وهو حاجب الحجاب ؛ والآخران كل منهما عشرة . وبها المهمندارية ، وشد الدواوين ،

و شد الخاس ، ونقابة النقباء ، وامرة أخورية البريد، وتقدمة البريدية ، وتقدمة التركان ، وولاية المدبنة . وغير ذلك ، وأر بابها كلهم أجناد يوليهم نائب السلطنة بها . وبها من الوظائف الدينية قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ، ووكيل بيت المال وولايتهم من الابواب السلطانية ، وقاضيا عسكر : شافعي وحنفي ، ومفتي دار عدل كذلك وكلهم يوليهم النائب بها . وبها من الوظائف الديوانية ناظر المملكة القائم مقام الوزير بها ، وناظر الجيش ، وصاحب ديوان المكاتبات القائم مقام كاتب السر بها ؛ وولاية الثلاثة من الابواب السلطانية . وبها كاتب دست وكاتب درج وولايتهم عن النائب بها

وترتيب الموكب بها أن النائب يركب في يومي الاثنين والخميس من دار النيابة ويخرج في موكبه من الامراء والاجناد حتى يأتي ساحل البحر ثم يعود الى دار النيابة ومعه جميع الامراء خلا الامير الكبير المقدم فإنه يتوجه الى بيته . فاذا حضر النائب الى دار النيابة جلس في دار العدل ، وليس بها كرسي سلطنة ، ويجلس القضاة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي والحنبلي عن يساره على الترتيب ؛ وحاجب الحجاب أمامه على القرب منه ؛ ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكي . ويجلس كاتب السر أمامه على القرب من يساره ، وكتاب الدست خلفه . وترفع القصص فيأخذها الحجاب الصغار ويناولونها لحاجب الحجاب فيناولها لكاتب السر فيقرأها عليه . ثم ينفض المجلس ويمد السماط فيأكلون وينصرفون

(المقصد الثاني)

في ترتيب ماهو خارج عن حاضرتها ، وهو نوعان :

﴿ النوع الاول ﴾ النيابات - وهي احدى عشرة نيابة كل منها امرة عشرة : الاولى نيابة حصن الاكراد . الثانية نيابة حصن عكار . الثالثة نيابة صهيون . الرابعة نيابة اللاذقية . الخامسة نيابة الرصافة من قلاع الدعوة . السادسة نيابة الخوابي منها . السابعة نيابة القدموس منها . الثامنة نيابة الكهف منها . التاسعة نيابة المنيقة منها . العاشرة نيابة العليقة منها - قلت : وهذه النيابات الست الاخيرة وهي الرصافة والخوابي والقدموس والكهف والمنيقة والعليقة قد تقدم انها كانت سبعة وأنه خرج منها مصياف

وأضيفت الى دمشق . والمعروف في المكاتبات الى نوابها انها امرة عشرة كما تقدم .
وقد أخبرني بعض أهل المملكة انها استقرت بعد ذلك إمرة أجناد
﴿ النوع الثاني ﴾ - الولايات بها . وهي ست ولايات ولاياتها أجناد يرلهم نائب
طرابلس ، وهي : ولاية انطرسوس ، وولاية جبة المنيطرة ، وولاية الظنين ، وولاية بشرية
وولاية جبله ، وولاية أنفة

﴿ النوع الخامس ﴾ نيابة الخامسة صفد

من نيابات الممالك الشامية نيابة صفد . وابتداء نيابتها من حين فتحها الظاهر
بيبرس واقتلعها من أيدي الفرنج في سنة ٦٦٤ وحكمها في ترتيب النيابة والامراء
وأر باب الوظائف على نحو من طرابلس وحماة . وليس بأعمالها نيابة صغيرة كما في
طرابلس وحلب ، بل جميعها ولايات صغار يلبها أجناد من قبل نائبيها . وهي احدى
عشرة ولاية : ولاية برها ، وولاية الناصرة ، وولاية طبرية ، وولاية تبنين وهونين ،
وولاية عثليث ، وولاية عكا ، وولاية صور ، وولاية الشاغور ، وولاية الأقليم ، وولاية
الشقيف ، وولاية جينين

﴿ النوع السادس ﴾ نيابة السادسة الكرك

من نيابات الممالك الشامية نيابة الكرك . وابتداء نيابتها من حين اقتلعها الظاهر
بيبرس من الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٧١ . ونيابتها
تقدمة ألف إلا أنه دون حماة وطرابلس وصفد . ويعبر عن كاتب سرها بكاتب
الدرج . وبأعمالها من ولاية الأمور نوعان :

﴿ النوع الأول ﴾ الولاية . وبها أربع ولايات ، وهي : ولاية برها ، وولاية الشوبك ،
وولاية زغر ، وولاية معان

﴿ النوع الثاني ﴾ أمراء العرب . وعربها فيما ذكره في مسالك الأبحار بنوع عقبه
من جذام . قال في مسالك الأبحار : وكان آخر أمراءهم شطى بن عتبه (؟) وكان الناصر
محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السماكين وألقمه بأمرآ آل فضل وأقطعه
الاقطاعات الجليلية وألبسه التشريف الكبير وأجرله له الحبا وعمر له ولأهله البيت والحبا . ومن

ينسب الى الكرك من العرب أيضاً بنو زهير عرب الشوبك ، وآل عجبون ، والقطويون ،
والصوتيون (٤) وغيرهم

﴿ فصل ١ ﴾

في ترتيب نيابات الحجاز . وهي ثلاث نيابات :

﴿ النيابة الأولى مكة المشرفة ﴾

ويعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بـ « أمير مكة » دون
لفظ النيابة . وإمارتها الآن في بني عجلان من بني قتادة بن إدريس من بني الحسن
السيط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وهي مستقرة بأيديهم من زمن الناصر لدين الله
العباسي الى الآن . واتباعه من عرب الحجاز من بني الحسن وغيرهم ومن عبيده
وعتقائه وعتقاء ذويه . وربما كان فيهم الماليك من الترك ومن في معناهم . وله وزير
وحاجب وقواد ؛ وهم في معنى الأمراء . وإمارته امارة اعرابية ليست علي ترتيب
سائر المملكة من عمل المواكب وما في معناها . وأكثر ميرة أهله من التجار الواصلين
اليه بجدة من اليمن وغيره من العُسر . وهو قائم بحفظ مكة وأعمالها وحفظ المجاورين
من التجار وغيرهم . وفي كل سنة يجيز اليه المحمل بكسوة البيت في أهام الموسم صحبة
أمير الحج المترجمه فيخرج لملاقاه خارج (٢) ويقلب خف يد البشير ويقبلها خدمة
للسلطان صاحب الديار المصرية . ويكسى الكعبة بتلك الكسوة المجهزة اليها وينزع
الكسوة القديمة العتيقة عنها ، فيأخذها حجة الكعبة من بني شيبه ويقسمونها ويأخذها
الناس منهم للتبرك ويبرونهم كل أحد على قدر حاله - قلت : وقد ذكرت في الأصل

(١) هذا الفصل مترجم في الأصل بالفصل الثالث كسابقه . وهو الثالث من قاعدة
ترتيب المملكة مصرأ وشامأ وحجازأ ولما جرد منها يؤتى به عقيب قسم المملكة الخاص
به كما أشرنا الى ذلك في حاشية سبقت (صفحة ٢٤١) نقل بترجمته . ومما نذبه عليه ان هذا
الفصل ختام هذه المقالة وهو خاتمة الباب الثاني منها . على ان المؤلف ذكر في المقدمة
انها ثلاثة أبواب ، وذكر ان الباب الثالث « في ترتيب المملكة » فتوزيع هذا الترتيب
أخل بذلك النبوي (٢) ياض بالأصل

ان الكعبة في الاسلام كسيت الثياب اليمينية ، والقبايطى المصرية ، والخبر ، والاماط ،
والحلل ، والديباج الابيض ، والديباج الاحمر ، والديباج الأخضر ، والديباج الاصفر ،
والديباج الاسود ، والديباج الازرق
وأما مخاليقها وقراها فعمورة بالعرب من بني الحسن وغيرهم . وفيهم من له عليه
اتاوة يأخذها

﴿ النيابة الثانية المدينة الشريفة ﴾

وهي على نحو ما تقدم في مكة المشرفة : فيعبر عن نائبها في ديوان الانشاء بأمر
المدينة . وهي الآن بيد بنى طاهر بن الحسن بن طاهر من بنى الحسين السبط بن
علي بن أبي طالب رضى الله عنهما . وهي مستقرة بأيديهم من زمن المعز الفاطمي بأبي
القاهرة . وأميرها في الاتباع والجند والترتيب على نحو أمير مكة
واعلم ان كسوة الحجر الشريفة النبوية ليست مما يجدد في كل سنة كالكعبة
لأنها ليست بارزة في الشمس ، فلا تبلى بسرعة ، بل يطول زمنها ولا تجدد الا في كل
سبع سنين ونحوها . وقد حكى بن النجار في تاريخ المدينة ان أول من كسى الحجر
الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير الفاتح (في
الصبح وزير العاضد) الفاطمي : عمل لها ستارة من الديبج الابيض عليها المطرز والجمامات
المرقومة بالابريسم الاحمر والاصفر مكتوب فيها سورة « يس » بأمرها . والخليفة
العباسي يومئذ المستضيء بأمر الله . وكانت قبل ذلك موزورة بالرخام . ثم كساها
المستضيء العباسي ستارة من الابريسم البنفسجى عليها الطرز والجمامات البيض المرقومة ،
وعلى دور جاماتها مرقوم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي : وعلى طرازها اسم الأمام
المستضيء . فقلعت الأولى وجهزت الى مشهد أمير المؤمنين على بالكوفة وعلقت
الثانية مكانها . واستقرت الكسوة بعد ذلك في كل زمن على حسب ما يراه مستعملها
من الملوك ونحوهم . وأعمالها على نحو أعمال مكة ليس بها نائب ولا وال

﴿ النيابة الثالثة الينبع ﴾

ونياتها على نحو ما تقدم من امارتى مكة والمدينة الا أنها دونها في الرتبة . ويعبر

عن نائبها بديوان الأثناء في الأبواب السلطانية بـ «النائب بالينبع» ولا يصرح له بالأمانة كما في مكة والمدينة . وأميرها من بني قتادة بن ادريس بن مطا عن المقدم ذكره في امرأة مكة . وعملها علي ما تقدم من أعمال مكة والمدينة ليس به نيابة ولا ولاية وقد ذكر في التعريف أمراء عرب الحجاز اجمالاً فقال : وأما الحجاز فعر بأنه على قسمين : منهم أهل الدربين المصرى والشامى وليس فيهم من هو في غير ولا نغير ولا يحل في ذورة ولا غارب ، قال ، وأما أمراء السراة فشيوخ لام وخالد والمنيفق وعائد الحجاز — قلت : وقد استوفيت القول عليهم وعلى غيرهم من عرب الحجاز في كتابي «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان» ألقته للمقر الأشراف الناصرى ولد المقر الكمالى المؤلف له هذا الكتاب وبالله التوفيق

المقالة الثالثة

في أمور تشترك فيها المكاتبات والولايات وغيرها . وهو من أهم ما يحتاج إليه
الكاتب وفيه خمسة أبواب

الباب الاول

في الاسماء والكنى والالقب والنعت وما استقرت عليه الآن وفيه فصلان

الفصل الاول - في الاسماء والكنى

﴿ اما الاسماء ﴾ فجمع اسم ، وهو عند النحاة ما دل على مسمى دلالة اشارة؛ والمراد بالاسم هنا أحد أقسام العلم ، وهو ما ليس بكنية ولا لقب . والمقصود من التسمية تمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرف . واعلم ان الاسماء ترد في مواضع في خلال المكاتبات والولايات

الاول ، المكاتبات — فيرد فيها اسم المكتوب عنه فيما اذا كانت المكاتبة بصورة : من فلان الى فلان ؛ وفي العلامة مثل ان يكتب المملوك «فلان» ونحو ذلك . ويرد فيها المكتوب اليه في ابتداء المكاتبات فيما اذا كان يكتب من فلان الى فلان كما تقدم ؛ وفي العنوان من الادنى الى الأعلى كما يكتب في عنوان بعض المكاتبات « مطالعة

المملوك فلان» ونحو ذلك؛ ويرد فيها عند ذكر المكتوب بسببه في طرة الكتاب مثل ان يقول: «بسبب فلان» اذا كان ممن يصرح باسمه، وفي أثناء الكتاب حيث يقال «ان فلانا عربي أو ذكر أو اثني» أو نحو ذلك

الثاني، الولايات - فيرد اسم من تصدر عنه الولاية في طرة الولاية مثل ان يقال في العهد: «هذا ماعهد عبدالله ووليه فلان» ونحو ذلك؛ ويرد اسم من تصدر اليه الولاية في الطرة حيث يقال: «هذا ماعهد فلان الى فلان»، وفي أثناء الولاية حيث يقال «ان يفوض الى فلان كذا وان يستقر فلان في كذا» ونحو ذلك

﴿وأما الكنى﴾ فجمع كنية، وهي أحد أقسام العلام أيضاً. والمراد بها ما صدر بأب أو أم، نحو أبي القاسم وأم كاثوم. وقد كان للعرب بالكنى أتم الاهتمام حتى أنهم كانوا جماعة من الحيوان غير الآدميين يكنى مختلفة: فكانوا الأسد أبا الحارث، والثعلب أبا الحصين، والذئب أبا سليمان، والضبع أم عامر، والدجاجة أم حفصة ونحو ذلك؛ بل أطلقوا الكنى على غير الحيوان حتى كانوا البحر أبا خالد. قال الشيخ محيي الدين النووي: وجواز التكني أشهر من أن يذكر فيه شيئاً منقولاً فدلالته يشترك فيها الخواص والعوام، قال، والأدب ان يخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية، وكذلك ان كتب اليه رسالة أو روى عنه رواية فيقال: حدثنا الشيخ أو الأمام أبو فلان، وما أشبهه. وقد كان الأولون أكثر ما يعظمون بعضهم بعضاً في المخاطبات والمكاتبات بالكنى ويرون ذلك في غاية التعظيم ونهاية الرفعة حتى في الخلفاء والملوك فيقال: أبو فلان فلان؛ وبالغوا في ذلك حتى كانوا من اسمه في الأصل كنية، فقالوا في أبو بكر أبو المناقب اعتناء بشأن الكنية. وربما وقف الأمر في الزمن القديم في تكنية خاصة الخليفة وأمرائه على ما يكنيهم الخليفة به أما تكنية أهل الكفر والفسقة وأهل البدع فقد قال النووي انه إن كان لا يعرف الا بالكنية جاز تكنيته، قال تعالى «تبت يدا أبي لهب» واسمه عبد العزى؛ وقد تكرر في الحديث ذكر أبي طالب بكنيته، واسمه عبد مناف، قال، وكذلك اذا خيف من ذكره باسمه فنته. بخلاف ما اذا كان يعرف بغير الكنية ولم تخف فنته فإنه لا يزداد على الاسم. فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل: «من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم» فدكره باسمه ولم يكنه؛ قال، وقد أمرنا بالأغلاظ عليهم فلا ينبغي لنا ان نكنيهم ولا نرفق بهم ولا نلين لهم قولاً ولا نظهر لهم ودّاً ولا مؤالفة. قال النووي: فان كان للرجل ولد يكنى به ذكراً كان أم أنثى، فيجوز تكنية الرجل بأبي فلانة كما يجوز بأبي فلان، فقد تكنى بذلك جماعة من الصحابة والتابعين؛ وان كان له أولاد يكنى بأبائهم. وقد اختلف في جواز التكني بأبي القاسم، فص الشافعي على منعه، واختار النووي تخصيص المنع بحياته صلى الله عليه وسلم، وخصه قوم بما اذا جمع بين الاسم والكنية بأن يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم. وان لم يكن له ولد بأن لم يولد له أصلاً جاز تكنيته، وقد كنى أبو هريرة بهذه الكنية من غير ان يولد له. ثم الرجل قد يكون له كنية واحدة وقد يكون له كنيستان؛ وقد كان لا مِير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ثلاث كنى: أبو عمرو، وأبو عبد الله، وأبو ليلي؛ والمرأة كالرجل في جميع ذلك. اذا علمت ذلك فالكنية قد تقع في المكاتبات وقد تقع في الولايات.

فأما المكاتبات فالتكني فيها ثلاث حالات الأولى، تكني المكتوب عنه — قال محمد بن عمر المدائني: وأول من أكتنى في كتبه الوليد بن عبد الملك. قال النووي في اذكاره: والادب ان لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره إلا أن لا يعرف الا بكنيته، أو كانت الكنية أشهر من اسمه. وقال ابو جعفر النحاس: اذا كانت الكنية أشهر يكنى على نظيره ويسمى لمن فوقه ثم يلحق «المعروف بأفلان، أو بأبي فلان» وتكنية المكتوب عنه تكون في صدر الكتاب كما يكتب «من أبي فلان فلان الى فلان» أو في موضع العلامة كما يكتب في الطغراء عن السلطان الى ملوك الكفر بعد سياقه ألقاب السلطان: «أبو فلان فلان»، أو في العنوان كما كان يكتب في المصطلح القديم: «من أبي فلان فلان الى فلان» * الثانية تكنية المكتوب اليه وبها كان الاعتناء في الزمن المتقدم اذا كان المكتوب اليه، يستحق التعظيم وتكون امان في عنوان الكتاب كما يكتب «الى أبي فلان فلان» واما في صدر الكتاب كما كان يكتب «من فلان الى أبي فلان فلان» * الثالثة تكنية المكتوب بسببه وهي إما في طرة الكتاب إذا قصد تعظيمه مثل ان يقال «بما قصده أبو فلان فلان» واما في أثناء الكتاب حيث يجري ذكره

وأما الولايات فالكنية قد تكون فيها في طرة الولاية مثل ان يقال «عهد شريف لأبي فلان فلان» أو «توقيع شريف بأن يفوض الى أبي فلان فلان» أو في اثناء الولاية حيث يجرى ذكره

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الألقاب والنعوت وفيه تسعة مقاصد

﴿ المقصد الأول ﴾

في أصول يعتمدها الكتاب في ذلك

أما الألقاب فجمع لقب . وهو في اللغة النبز قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب وهو ما يخاطب به الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب اليه من كشفه وليس من باب الشتم والقذف . وأما النعوت فجمع نعت ، وأصله في اللغة الوصف ، يقال : نعته ينعته نعتا إذا وصفه . قال في ذخائر الكتاب وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويوثره ويزيد في اجلاله ونباهته بخلاف اللقب ، قال ، ولكن العامة استعملت اللقب في موضع النعت الحسن وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم إياه حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة . قلت : - والتحقق ان اللقب والنعت يستعمل كل منهما في المدح والذم جميعا . وقد عرفت النجاة اللقب أنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمؤدى الى المدح كأمر المؤمنين وزين العابدين ، والمؤدى الى الذم كأف الناقة . وكذلك النعت يكون تارة صفة مدح وتارة صفة ذم . ولا شك أن مراد الكتاب باللقب والنعت ما أدى الى المدح خاصة وقد اصطاح الكتاب على أن تسمى صفات المدح التي يوردونها في صدر المكاتبات ونحوها بصفة الافراد ألقابا ، وصفات المدح التي يوردونها بصورة التركيب كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والساطين ونحو ذلك نفوتا ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذي سموه به إلا مجرد الاصطلاح وإلا فلا نزاع في إطلاق اللقب والنعت عليهما باعتبارين (فمن حيث أنها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليهما اسم اللقب ، ومن حيث أنها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليهما اسم النعت) قال النووي : والجائز من ذلك ما

أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره، بل ربما استحب كإصرح به النووى فى « الاذكار »
 للطباق على استعماله قديماً وحديثاً؛ والممتنع منه ما أدى الى الؤم والنقيصة مما يكرهه
 الأناان ولا يجب نسبته اليه، قال النووى، وهو حرام باتفاق سواء كان صفة له كالأعمش
 والأعرج ونحوهما أو صفة لآبيه كآبى الأعمى، أو لأمه كابن الصورا، أو نحو ذلك مما
 يكرهه قال تعالى « ولا تنازوا بالألقاب » واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة
 التعريف لمن لا يعرف إلا به

واعلم ان القاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على اشراف الناس وجائهم فى القديم
 والحديث، فقد ثبت تلقب ابراهيم عليه السلام بالخليل، وموسى بالكليم، وعيسى
 بالمسيح، ويونس بنى النون، وكان النبي صلى الله عليه يقب قبل البعثة بالأمين؛
 وشهدت التواريخ بتلقب جماعة من العرب فى الجاهلية كذى يزن، وذى النار،
 وذى رعين، وغيرهم من تبابعة اليمن؛ وكذلك وقعت القاب المدح على كثير
 من عطاء الاسلام من الصحابة والخلفاء والوزراء وغيرهم؛ فلقب أبو بكر رضى الله عنه
 بعتيق، ثم لقب بالصديق؛ ولقب عمر بالفاروق، وعثمان بنى النورين، وعلى بن بحدرة
 وحمزة بأسد الله، وخالد بن الوليد بسيف الله، ومالك بن النبهان الأنصارى بنى
 السيفين، وخزيمة بن ثابت الأنصارى بنى الشهادتين، وجمفر بن أبى طالب بعد
 استشهاد بنى الجناحين؛ ولقب ابراهيم بن محمد العباسى بالأمام، ولقب محمد بن
 على أول خلفاء بنى العباس بالسفاح، ثم لقب أخوه أبو جمفر بالمنصور، ثم توالى
 ألقاب خلفائهم بعد ذلك الى الآن؛ وكذلك خلفاء الفاطميين بمصر، وخلفاء بنى
 أمية بالأندلس. وتلا خلفاء فى الألقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعدها:
 فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بوزير آل محمد، ولقب المهدي وزيره يعقوب بن
 داود بن طهان الاخ فى الله، ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره بنى
 الكفأبتين، وأخاه الحسن بن سهل بنى الرياستين؛ ولقب المعتمد على الله
 وزيره صاعد بن مخلد بنى الوزارتين إشارة الى وزارة المعتمد والموفق؛ وكذلك
 وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش فلقب أبو مسلم الخراسانى بأمر
 آل محمد، وقيل سيف آل محمد؛ ولقب أبو الطيب طاهر بن محمد بنى اليمينين، ولقب

المعتصم حيدر بن كاووس بالأفشين من حيث انه اشروسنى والأفشين لقب على ملك أشروسنه ، ولقب اسحاق بن كيداح ايام المعتد بندي السيفين ، ولقب يونس ايام المقتدر بالمظفر ، ولقب سلامة اخو نوح ايام القاهر بالمؤتمن وابو بكر (بن محمد طبع الراضى بالله بالأخشيديوالاخشيد لقب على الملك بفرغانة) ثم وقع التلقيب بالاضافة الى الدولة في ايام المكتفى بالله فلقب المكتفى الحسين بن قاسم بن عبدالله ولى الدولة ، وهو أول من لقب بالاضافة اليها ؛ ولقب المقتدر بالله على بن الحسين المقدم ذكره عميد الدولة . ووافت الدولة البويهية ايام المطيع لله والامر على ذلك فافتتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة فكان أول من لقب بذلك من الملوك بنو بوية الثلاثة فلقب أبو الحسن على بن بويه بهامد الدولة ، ولقب أخوه أبو على الحسن بركن الدولة ، ولقب اخوها ابو الحسين احمد بمعز الدولة . ثم ولى عضد الدولة من بعدهم فاقترح ان يلقب بتاج الدولة فلم يجب اليه وعدل به الى عضد الدولة ، فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك اختار له ابو اسحاق الصابي صاحب ديوان الانشاء تاج الملة مضافا الى عضد الدولة فكان يقال « عضد الدولة وتاج الملة » ؛ ولقب ابو الحسن محمد بن حمدان المتقى لله ناصر الدولة ، ولقب اخوه ابو الحسن على بن حمدان بسيف الدولة . ثم افتتح التلقيب بالاضافة الى الدين ايام القادر بالله ، فكان أول من لقب بذلك أبو نصر بهاء الدولة (فزيد على بهاء الدولة) نظام الدين ، فكان يقال : بهاء الدولة ونظام الدين . قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقيب به وأفرط حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد وسائر من طلب وأراد وكره (كذا) حتى صار لقباً على الاصل - قلت : وكان أهل الديار المصرية يتقبلون ما ينتهى اليهم من أخبار الالقب بالدولة العباسية ببغداد فلقب اول خلفائهم بها المعز لدين الله . وتوالت ألقاب الخلافة فيهم الى ان كان آخرهم العاضد لدين الله وتلقب وزراؤهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة فلقب ابن أبي كدينة وزير المنتصر ولى الدولة ، وتلقب ابن حيران كاتب الانشاء بها ولى الدولة أيضاً . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالى لقب أمير الجيوش ، ثم تلقب الوزراء بعده بنحو الافضل والمأمون ، ثم تلقب رضوان ابن وحشى بالملك الافضل بزيادة لفظ الملك ، فاستقرت في وزراءهم الى ان كان آخرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حين وزر للعاضد ثم استقر ذلك لقباً عليه

بعد سلطنته وداوم ذلك فيمن بعده من ملوك الديار المصرية الى الآن . وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية قد تلقبوا بالفاضل والرشيد والعاد وما أشبه ذلك ، ثم دخلوا في عموم التلقب بالاضافة الى الدين واختص التلقب بالاضافة الى الدولة كولى الدولة ، وغز الدولة ، ونحوهما بالكتاب من النصارى . والامر على ذلك الى الآن

﴿ المقصد الثانى ﴾

في بيان معانى ألقاب أرباب الوظائف . وهي على ثمانية أنواع :

(النوع الاول)

ألقاب أرباب السيوف ، وهي على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ الألقاب المفردة ، وهي عشرة ألقاب :

الاول الخليفة - وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمر الامة . وقد اختلفت في معناه ، فقليل أنه فعيل بمعنى مفعول كجر يح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول ويكون المعنى أن يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى « انى جعل فى الارض خليفة » على قول من قال ان آدم أول من عمر الارض وخلفه فيها بنوه ؛ وقيل فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المعنى ان يخلف من بعده ، وعليه حمل الآية عند من قال أنه كان قبله فى الارض الجن ، وأنه خلفهم فيها ، واختاره النحاس فى صناعة الكتاب ، واقتصر عليه البغوى فى شرح السنة ، والماوردى فى الاحكام السلطانية ، قال النحاس : وعليه خوطب أبو بكر الصديق بخليفة رسول الله . والهاء فيه ، قيل ، للتأنيث ؛ وقيل للمبالغة كما فى راوية وعلامة ونحوهما ؛ وربما حذف فقيل : خليف . وقد اجازوا ان يقال فى الخليفة خليفة رسول الله لأنه خلفه فى أمته ؛ قال الماوردى : واختلفوا هل يجوز ان يقال فيه خليفة الله . فجوزوه بعضهم ، وانكره بعض . قال البغوى : ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل . وحكى فيه التذكير (على المعنى والتأنيث على اللفظ ويجمع) على خلفاء وخلائف . والنسبة اليه خليفى ، وقول العامة « درهم خليفى » ونحو خطأ . ومن وقع له ذلك المقر الشهابى بن فضل الله فى كتابه التعريف فى الكلام على المكاتبه الى الخليفة - قلت : وقد بسطت القول على ذلك فى الاصل فى كتابى

« ما أثر الانافقة في معالم الخلافة » الذي الفته للمعتضد بالله ابن الفتح داود وفي كتابي « الغيوث الهوامع وشرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع » في الفقه

الثاني ، الملك — وهو الزعيم الاعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة . وقد نطق القرآن بذلك في غير موضع كما في قوله تعالى « ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا » وقوله « وقال الملك اتتوني به » الى غير ذلك من الآيات . ويقال فيه ملك بكسر اللام ، وملك بأسكانها ، ومايك بزيادة ياء . قال الازهرى : والملك مقصور من مالك او مليك ، ويجمع على ملوك وأملاك ؛ ويقال لموضعه المملكة

الثالث السلطان — وهو لقب خاص في العرف والعام بالملك . يقال ان اول من لقب به خالد بن برمك ، لقبه به الرشيد في وزارته له ، ثم انقطع التلقب به الى ان تلقب به الملوك السلاجقة ومن والاهم . وأصله في اللغة الحجة . واختلف في اشتقاقه فقيل من السلاطة ، وهي القهر والغلبة ؛ وقيل من قولهم لسان سليط ، أى حاد ماض ؛ وقيل من السليط ، وهو الشيرج في لغة أهل اليمن ، لأنه يستضاء به في خلاص الحقوق . وقال محمد بن يزيد البصرى : السلطان جمع ، واحده سليط ، كقفيز وقفزان ، وبغير و بعران . وذكر في ذخيرة الكتاب أنه يكون واحدا ويكون جمعا . ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة

الرابع الأمير — وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك مما يوليه الأمام . وأصله في اللغة ذو الأمر ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى أمر ؛ سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان اذا صار أميراً ، والمصدر الأمرة والأمرة بالكسر فيها ، والتأثير تولية الأمير

الخامس الحاجب — وهو في أصل الوضع عبارة عن يأخذ الأذن على الأمام ونحوه . وهي وظيفة قديمة الوضع ، كانت لا ابتداء الخلافة ، وهي مستمرة الى زماننا وقد أضيف اليه في زماننا الكلام في فصل المظالم ونحوها

السادس صاحب الشرطة ، بضم الشين المعجمة — وهو المعبر عنه بالوالي في زماننا . واختلف في اشتقاقه فقيل من الشرط بفتح الشين والراء ، (وهو العلامة) لأنهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ؛ وقيل من الشرط وهو زوال المال ، لأنهم يتحدثون في

أراذل الناس وسفلةهم ممن لامال له من اللصوص وغيرهم
 السابع النائب - وهو لقب واقع على كل من ينوب عن السلطان في عامة أموره.
 أو غالبها ؛ ويطلق في العرف على كل نائب عن السلطان بحضرته أو خارجا عنها في قرب
 أو بعد ؛ إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف في عرف ديوان الانشاء بالكافل
 فيقال : النائب الكافل ، أو كافل الممالك الاسلامية ؛ والنائب بدمشق يقال فيه كافل
 السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، وربما قيل نائب السلطنة الشريفة بالشام ؛ ومن
 دونه من اكابر النواب كنائب حلب وحماة ، ونائب طرابلس ، ونائب التبرك يقال
 فيه نائب السلطنة الشريفة بكذا ليس الا ؛ ويقال فيمن دونهم من النواب كنائب
 حمص ، ونائب الرحبة وغيرها النائب بفلاة

الثامن الساقى - وهو لقب على الذى يتولى تقطيع اللحم على السماط ، وسقى
 المشروب بعده ونحو ذلك . وكأنه وضع اولاً لسقى المشروب فقط ثم استحدث له بعد
 ذلك امور أخرى

التاسع المشرف - وهو الذى يتولى أمر المطبخ ويقف على مشاركة الاطبخة في
 خدمة استدار الصحبة الآتى ذكره ، ومعناه ظاهر
 العاشر الاوجاقى - وهو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة ونحو ذلك
 ولم أقف على معناه

﴿ الضرب الثاني ﴾ الالقاب المركبة . وهي اما متمحضة التركيب من اللفظ العربى
 وهي ثمانية ألقاب :

الاول أمير المؤمنين - وهو لقب واقع على الخلفاء . وأول من لقب به عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه في اثناء خلافته وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصديق خليفة
 رسول الله . واختلاف في أول من دعاه بذلك فقال النجاس ابو وبرة حين بعثه خالد بن
 الوليد اليه يسأله عن حد الحجر ، وقال العسكرى فى الاوائل : اول من دعاه ليبيد بن
 ربيعة وعدى بن هشام حين بعثهما اليه (١)

الثاني ملك الامراء - وهو من الالقاب التى اصطلح عليها نواب السلطنة بالممالك

الشامية ومن في معناهم . وكأنه قام فيهم مقام الملك في التصرف والتنفيذ والامراء في خدمته كخدمة السلطان ، فليل ملك الامراء لذلك ؛ وأكثر ما يخاطب به نواب السلطنة في المكاتبات الاخوانيات الثالث رأس نوبة - وهو لقب على الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الامير وتنفيذ امره فيهم . ويقال لأكثرهم رأس نوبة النوب الرابع أمير مجلس - وهو لقب على متولى أمر مجلس السلطان أو الامير في الترتيب وغيره . والاحسن ان يقال فيه أمير المجلس بالتعريف وتكون الالف واللام فيه للعهد الذهني والمراد مجلس سلطانه أو أميره الخامس أمير سلاح - وهو لقب لمن يتولى أمر سلاح السلطان أو الامير . والسلاح آلة القتال . قال الجوهري : وهو مذكر ويجوز تأنيثه السادس مقدم المماليك - وهو لقب على الذي يتولى امر مماليك السلطان أو الامير من الخدم الخصيان المعروفين الآن بالطواشيه ومقامه فيهم على نحو من مقام رأس النوبة السابع أمير علم وهو لقب على الذي يتولى أمر الاعلام السلطانية أو الطبلخاناه وما يجري مجراها . والعلم في اللغة يطلق على معان أحدها الراية ، وهو المراد هنا الثامن نقيب الجيش - وهو الذي يتكفل بأحضرار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم . والنقيب في اللغة العريف الذي هو ضمن القوم ؛ والجيش العسكر ، ويجمع على جيوش . وقد يعبر عنه في بعض الممالك الشامية بنقيب النقباء .

وأما المتمحصه التركيب من لفظ أعجمي فقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف على المضاف اليه ، والصفة على الموصوف على خلاف اللغة العربية . ولذلك حالتان الحالة الأولى ان يضاف الى لفظ دار - وهي لفظه فارسية معناها ممسك ، فاعل من الأمسك . وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار في ذلك عربي بمعنى الحلة كدار السلطان أو الأمير وهي محلته التي بأوى اليها وهو خطأ . ثم المضاف الى لفظ دار من اتقاب وظائف أرباب السيوف تسمى ألقاب :

الاول الاستدار ، بكسر الهمزة - وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الامير وصرفه ويمثل أو امره فيه . وهو مركب من لفظتين فارسيتين : الأولى استدر بهزة مكسورة وسين ساكنة ومعناها الاخذ ، والثانية دار ومعناها المسك كما تقدم والمراد المتولى للأخذ لانه الذي يتولى قبض المال كما تقدم . ويقال فيه أيضاً « ستدار »

بأسقاط الالف من أوله وكسر السين — قلت : والمتشذقون من الكتاب يضمون الهمزة في أوله ويلحقون فيه ألفا بعد التاء فيقولون « استاد دار » ، وربما قالوا استاد الدار بأدخال الالف واللام على لفظ الدار ظنا منهم ان المراد بالدار المحلة كما تقدم ، وان أستاذ بمعنى السيد أو الكبير . ومن وهم في ذلك المقر الشهابي ابن فضل الله في كتابه الذريف في الكلام على الوصايا . على ان العامة تنطق به على أنه الصواب . فأن اختص بمولى أمر المطبخ قيل فيه استدار الصحبة * الثاني الجوكاندار — وهو الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة . وهو مركب من لفظين فارسيين أيضاً : أحدهما جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان أيضاً ، والثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم ، والمراد ممسك الجوكان * الثالث الطبردار — وهو الذي يحمل الطبر عند ركوب السلطان لحراسه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما طبر ومعناها الفأس ، والثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم * الرابع السنجدار — وهو الذي يحمل السنجق خاف السلطان . وهو مركب من لفظين أحدهما تركي وهو السنجق ومعناه الرمح ، وهو في لغتهم مصدر طعن فعبه عن الرمح الذي يطعن به ، والثاني دار وقد تقدم ذكر معناه ، فمعناه ممسك السنجق * الخامس البندقدار — وهو الذي يحمل جراوة البندق خلف السلطان أو الأمير وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما بنديق فإنه منقول عن البندق الذي يؤكل وقد ذكر أبو حنيفة في كتاب البيان انه فارسي على ان الجوهري قد أطلق ذكره في صحاحه من غير تعرض لكونه معرباً . فقال : والبندق الذي يرمي به . والثاني دار بمعنى ممسك ومعناه ممسك البندق * السادس الجمدار — وهو الذي يتصدى لألباس السلطان أو الأمير ثيابه . وأصله جاما دار ، حذف الألف استقلاً ؛ وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما من اللغة التركية « جاما » ومعناها الثوب والثانية دار ، وهي ممسك فيكون المعنى ممسك الثوب * السابع البشمقدار — وهو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير . وهو مركب من لفظين أحدهما من اللغة التركية وهو بشمق ومعناه النعل ، والثاني دار ومعناه ممسك ، ويكون المعنى ممسك النعل * الثامن المهمندار — وهو المتصدى لثقتي الرسل والعربان الواردين على السلطان وإيزالهم دار الضيافة والقيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما « مهمن » بفتح الميمين ، ومعناه الضيف ، والثاني دار ، ومعناه ممسك ، والمعنى ممسك الضيف * التاسع الزمامدار — وهو المتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام الحصيان — قلت : وأصله زنان دار بالنون ، فيكون مركباً من لفظين فارسيين ، أحدهما

« زنان » ومعناه النساء ، والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم ؛ ويكون المراد ممسك النساء
نقلوا التونين ميمين فمبروا عنه بالزمام دار كما تقدم ظناً أن الدار على معناها ، وأن الزمام
يعني القائد أخذاً من زمام البعير الذي يقاد به

(الحالة الثانية) ان يضاف الي غير لفظ دار . وفيها لقبان : الاول الجاشنكير وهو
المتصدي لذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من ان يدس عليه
فيه سم ونحوه . وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما جاشنا ومعناه الذوق ، والثاني
كير ومعناه تعاطى الشيء ؛ ويكون المعنى « الذي يذوق » والعامية تقول فيه « شيشني » *
الثاني السراخور ، وهو المتحدث على عاف الدواب من الحيل وغيرها . وهو مركب من
لفظين فارسيين أحدهما « سرا » ومعناه الكبير والثاني أخور ، ومعناه العلف . والمراد كبير
الجماعة الذين يتعاطون علف الدواب . والناس يقولون فيه « سلاخورى » فيبدلون
الراء لاما ويأحقون به ياء النسب للمبالغة كما سيأتى بيانه

وأما ما تركب من لفظ عربي ولفظ عجمي فله حالتان أيضاً :

(الحالة الأولى) - ان يصدر بلفظ أمير وفيها أربعة القاب :

الاول - الأمير أخور ، وهو الذي يتحدث على اصطلب السلطان أو الأمير . وهو مركب
من لفظ أمير وهو عربي ، ولفظ أخور وهو فارسي ومعناه العلف ، والمراد أمير العلف *
الثاني - أمير جاندار ، وهو الذي يستأذن على السلطان ايام المواكب كما تقدم . وقد تقدم
انه يتولى عقوبة من أراد السلطان عقوبته وقتل من أراد قتله . وهو مركب من ثلاثة
الفاظ : أحدها أمير وهو عربي ، والثاني جان ومعناه الروح بالتركية والفارسية جميعاً ، والثالث
دار ومعناه ممسك كما تقدم ؛ فيكون المعنى الأمير الممسك للروح كما تقدم لانه انشأ لقتل
من أراد السلطان قتله * الثالث - أمير شكار ، وهو الذي يتحدث على جوارح السلطان أو
الأمير من الطيور واليه سائر أمور الصيد . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو
أمير ، والثاني فارسي وهو شكار ، ومعناه الصيد ؛ ويكون المراد أمير الصيد * الرابع - أمير طبر ،
وهو لقب للمتحدث على الطبر داريه الذين يحملون الأتبار حول السلطان في المواكب
ونحوها . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني طبر وهو بالفارسية الفأس
(الحالة الثانية) - ان لا يصدر لقب بلفظ أمير . وفيها أربعة القاب : الاول - الدوادار ، وهو
لقب على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير مع ما ينضم الى ذلك من الامور على ما
تقدم ذكره في موضعه . وهو مركب من لفظين الاول عربي وهو الدواة ، والثاني دار

ومعناه ممسك كما تقدم؛ والمراد ممسك الدواة. وحذفت التاء من آخر الدواة استئقلاً — قلت: أما في اللغة العربية فإنه يقال لحامل الدواة دأوى على وزن قاض* الثاني السلاح دار، وهو لقب من يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه. وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو السلاح وقد تقدم معناه في الكلام على أمير سلاح والثاني فارسي وهو دار وهو بمعنى ممسك كما تقدم؛ ويكون المعنى ممسك السلاح* الثالث الخزانة دار وحذفت الألف والهاء استئقلاً. وهو مركب من لفظين: عربي وهو خزانة، وفارسي وهو دار ومعناه الممسك؛ كما تقدم والمراد ممسك الخزانة — قلت ومتشددو كتاب الزمان يقولون الخازن دار بمعنى الخازن لما في الدار وهو خطأ. الرابع العامد دار وهو لقب على الذي يحمل العلم مع السلطان في الموكب. وهو مركب من لفظين: عربي وهو العلم وقد تقدم أن معناه الراية، وفارسي وهو دار ومعناه ممسك الراية

﴿ النوع الثاني ﴾

القاب أر باب الوظائف الدينية وهي ثمانية القاب

الاول القاضي، وهو المتولى لفصل الخصومات بين المتداعين في الأحكام الشرعية، واختلف في اشتقاقه فقيل من قضى الأمر إذا أحكمه لأنه يحكم القضايا التي يفصلها؛ وقيل من قضى الأمر إذا قطعها لأنه بحكمه تنقطع الخصومات؛ وقيل من قضى الأمر إذا فرغ لأنه يفض الحكومات* الثاني الحاكم، وهو بمعنى القاضي، واشتقاقه من الحكمة وهي الحديد القائمة في صدر العجم؛ سمي بذلك لأنه يمنع الخصم من الجراح كما تمنع الحكمة الفرس من الجراح* الثالث المحتسب، وهو القائم بالأمر المعروف والنهي عن المنكر. واختلف في اشتقاقه؛ فقال الماوردي: وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكف لأنه يكف عن الظلم؛ وقال النحاس من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفي الناس مؤنة من ينحسهم حقوقهم؛ قال: وحقيقته في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين إذ حقيقة «افعل» عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد. وأول من قرر ذلك في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه* الرابع الخطيب، وهو الذي يخاطب الناس ويذكرهم في الجمع والاعياد ونحو ذلك. وكان ذلك في الزمن القديم مختصاً بالخلفاء والأمراء ثم صار إلى غيرهم* الخامس المقرئ، وهو الذي يقرئ القرآن العظيم ويعلمه. وقد غلب اختصاصه في العرف على مشايخ القراءة من قراء السبعة المجيدين المنصويين لتعليم علم القراءات* السادس المحدث؛

والمراد به من ياتى علم الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام بطريق الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالاسانيد ونحو ذلك * السابع المدرس وهو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو وغير ذلك * الثامن - المعيد، وهو ثاني رتبة المدرس فيما تقدم . وأصل موضوعه أنه اذا أتى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد للطلبة ما ألقاه المدرس

﴿ النوع الثالث ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية وهي عشرة ألقاب

الاول - الوزير وهو القائم بتدبير المملكة للإمام . وقد اختلف في اشتقاقه فقيل من النوزر ، بفتح الواو والزاي ، وهو الملقب لان الناس يلجؤون اليه في حوائجهم ؛ وقيل من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل لانه يتكفل بأعمال الملك ؛ وقيل من الاوزار وهي الامتعة لانه يتكفل بأعمال الملك وما في خزائنه ؛ وقيل من الأزر وهو الظهر لان الملك يتقوى به تقوى البدن بالظهر . على أنه ربما ولها أرباب السيوف . ثم أول من لقب به في الاسلام ابو سلمة حفص الحلال وزير السفاح وكانوا قبل ذلك يقولون الكاتب * الثاني - كاتب السر وهو صاحب ديوان الانشاء وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على الكتابة والكتاب في أول مقدمات الكتاب مع (جملة) أتباعه من كتاب الدست وكتب الدرج وغيرهم * الثالث - الناظر وهو الذي ينظر في أمر تلك الوظيفة من الاموال وغيرها وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضي ويرد ما يرد . وهو مأخوذ من النظر بمعنى الفكر وعنه يتفرع نظر الجيش ، ونظر الخاص ، ونظر الدواوين وغيرها من الانظار السابقة الذكر في موضعها * الرابع صاحب الديوان - وكانوا يعبرون عنه في الزمن المتقدم بتولى الديوان ؛ وهو ثاني رتبة الناظر في المراجعة ، وله أمور تخصه * الخامس ، الشاهد - وهو الذي يشهد بتمتعات الديوان نقياً واثباتاً * السادس ، المشارف - وهو في معنى الشاهد إلا أنه اذا غاب العامل لزمه عمل الحساب بخلاف الشاهد * السابع ، المستوفي - وهو الذي يضبط أمور الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج الاموال ونحو ذلك * الثامن ، العامل - وهو الذي ينظم الحسابات ، ثم نقله العرف الى هذا الكاتب فخصه به * التاسع ، الماسح - وهو الذي يتصدى لقياس أرض الزراعة ؛ وهو مشتق من « مسح الارض » اذا ذرعها * العاشر ، المعين - وهو الذي يتصدى للكتابة اعانة لاحد ممن تقدم ذكرهم

﴿ النوع الرابع ﴾

ألقاب أرباب الوظائف من أهل الصناعات وفيه خمسة ألقاب:

الأول مهندس العمايز، وهو الذي يتولى ترتيب العمايز وتقديرها ويحكم على أرباب صناعاتها . والهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف * الثاني رئيس الأطباء ، وهو الذي يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم في التطبيق ونحو ذلك * الثالث رئيس الكحالين ، وحكمه في الكلام على طائفة الكحالين حكم رئيس الأطباء في أهل الطب * الرابع رئيس الجرائحية ، وحكمه في الكلام على طائفة الجرائحية حكم رئيس الطب ورئيس الكحالين عليهم * الخامس رئيس الحراقة ، وهو الذي يحكم على رجال الحراقة جريا على ما كان الأمر عليه في الخلافة الفاطمية بالديار المصرية

﴿ النوع الخامس ﴾

ألقاب أرباب اوظائف من الاعوان ، وفيه ثلاثة ألقاب :

الأول مقدم الدولة -- وهو الذي يتحدث على الاعوان والمتصرفين لخدمة الوزير * الثاني مقدم الخاص -- وهو المتحدث على الاعوان والمتصرفين بديوان الخاص . وهو بالنسبة الى خدمة ناظر الخاص كقدم الدولة بالنسبة الى خدمة الوزير * الثالث مقدم التركان ويكون بالبلاد النامية والحلية متحدثا على طوائف التركان الذين تقدم عليهم * الرابع البرددار -- وهو الذي يكون في خدمة مباشري الديوان بأبواب الامراء وغيرهم متحدثا على من بها من الاعوان والمتصرفين كما في مقدمي الدولة والخاص . وأصله « فردادار » بالفاء وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما فردا ومعناه الستارة . والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم والمراد ممسك الستارة . وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل الى الديوان

﴿ النوع السادس ﴾

أرباب الخدم وفيه اثني عشر لقباً

الأول الشرايدار -- وهو المتصدي للتحديث بالشراب خاناه التي هي أحد البيوت الديوانية . وهو مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الشراب ، والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك كما تقدم . والمعنى ممسك الشراب * الثاني الطشت دار -- وهو لقب على بعض رجال الطشت خاناه مركب من لفظين : أحدهما طشت وهو الذي يغسل فيه وقد تقدم

الكلام عليه في الكلام على البيوت ، والثاني دار ومعناه ممسك كما تقدم . والمعنى ممسك الطشت *
 الثالث البازدار — وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد . ومعناه ممسك الباز .
 وخص بالباز لأنه أسهل أنواع الجوارح عند الملوك السالفة * الرابع الحيواندار — وهو
 المتصدي لخدمة طيور الصيد من الكراكي وغيرها ويحملها الى مواضع تعام الجوارح .
 ومعناه ممسك الحيوان . وأطلق الحيوان في عرفهم على هذا النوع من الطيور لأن الغالب
 عليهم ذلك * الخامس المرقدار — وهو المتصدي لخدمة (ما يجوز المطبخ وحفظه .
 سمي بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الخوان * السادس المحفدار) — وهو
 المتصدي لخدمة الحففة ، وحذفت الهاء منه استئقلا * السابع المهتار — وهو لقب
 على كبير كل طائفة من غلمان البيوت كتهتار الشراب خاناه ومهتار الطشت خاناه ونحوهما ،
 و « مه » بالفارسية معناه الكبير و « تار » بمعنى أفعال التفضيل فيكون معناه « الأكبر » *
 الثامن البابا — وهو لقب واقع على كل من رجال الطشت خاناة ممن يتعاطي الغسل
 والصقل ونحوهما . وهو لفظ رومي معناه أبو الآباء وكأنه لقب بذلك لما يتعاطاه من
 ترفيه مخدومه بالتنظيف ونحوه فأشبهه الأب الشفيق * التاسع الرختوان — وهو لقب
 لبعض رجال الطشت خاناه ، والرخت بالفارسية اسم للتماش والالف والواو والنون
 بمثابة ياء النسب (فمعناه المنولي لأمر القماش) * العاشر الخوان سالار — وهو لقب خاص بكبير
 رجال المطبخ السلطاني القائم مقام المهتار في غيره من البيوت وهو مركب من لفظين :
 أحدهما خوان وهو الذي يوءكل عليه قال الجوهري وهو معرب ، والثاني سالار وهو
 فارسي ومعناه المقدم ، وكأنه يقول مقدم الخوان * الحادي عشر المهمرد — وهو الذي يتصدى
 لحفظ قماش الجمال ورحالها وقماش الاصطبل والسقاين ونحو ذلك . ومعناه بالفارسية الرجل
 الكبير ومعنى كبير ، ومرد بمعنى رجل * الثاني عشر الدلام — وهو واقع على خدم جميع البيوت من
 رجال الشراب خاناه والطشت خاناه وغيرهما إلا أنه غاب على المتصددين لخدمة الخيل
 أكثر من غيرهم . فاذا أطلق الغلام لا يراد به في الغالب إلا ذلك . علي أنه في الأصل
 مخصوص بالملوك دون غيره

﴿ النوع السابع ﴾

القب أر باب الوظائف من النصارى والمشهور من ألقابهم ثمانية ألقاب :
 الاول الباب ، بياين موحدين مفخمتين في اللفظ ، ويقال فيه البابا بزيادة ألف
 في آخره ، وربما أبدلت تلك الألف هاء فقليل البابه . وهو لقب على البطريرك القائم

بأمور دين النصارى الملكانية بمدينة رومية واليه مرجعهم في أمر ديانتهم بل به عندهم
 مناط التحريم والتحليل . وهو لفظ رومي معناه أبو الآباء . والأصل فيه أن طائفة
 النصارى كان من شأنهم أن كلاً منهم يخاطب من فوقه بالأب فاخترعوا لفظاً يميزه عن غيره
 فعبروا عنه بأبي الآباء . وقد ذكرت في الأصل أن ذلك أول ما وضع على بطرك الاسكندرية
 ثم نقل الى بطرك رومية تعظيماً له من حيث أنه خليفة بطرس كبير الحواريين وبطرك
 الاسكندرية خليفة مرقس تلميذ بطرس . وما وقع في التثقيف من أنه عندهم بمثابة القان
 عند التتار خطأ ظاهر لأن مرجع الباب الى متعلقات أمور دينهم ومرجع القان الى متعلقات
 الملك . الثاني البطرك بالباء الموحدة في أوله ورأيت في ترسل العلاء بن موصلايا ابدال الباء
 فيه فاء . وأصله بطريك بفتح الباء وسكون الطاء وكسر الراء وفتح الياء اثناسية تحت
 وسكون الراء الثانية وكاف في الآخر . وهو لقب على القائم بأمور دين النصرانية مناطاً
 للتحليل والتحريم . وكراسي البطارقة عندهم بأربعة أماكن : كرسي برومية المقدمة
 الذكر ، وكرسي بالقدس ، وكرسي بالاسكندرية ، وكرسي بانطاكية وكان بطرك
 الاسكندرية تارة يكون من الملكانية وتارة يكون من يعاقبة الى حين الفتح للاسلام
 فقرر فيها عمرو بن العاص بطرك يعاقبة . واستمرت فيه بطاركتهم الى الآن وتبعهم
 بلاد الحبشة * الثالث الأسقف بضم الهمزة والقاف وهو عندهم عبارة عن نائب البطرك *
 الرابع المظران بكسر الميم وهو عندهم عبارة عن القاضي الذي يفصل الخصومات بينهم *
 الخامس القسيس بكسر القاف وهو الفاري الذي يقرأ عليهم الأناجيل والمزامير وغيرها *
 السادس الخاتبق بكسر التاء اثناسية فوق بعد الألف وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة *
 السابع الشماس وهو عندهم عبارة عن قيم الكنيسة * الثامن الراهب وهو الذي حبس
 نفسه على العبادة في الخلوة

﴿ النوع الثامن ﴾

أر باب الوظائف من اليهود والمشهور من ألقابهم ثلاثة ألقاب :
 الأول الرئيس ، يهمز الياء وتشديدها ، وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى *
 الثاني الحزان ، بالحاء المهملة وتشديد الزاي ، وهو عندهم بمثابة الخطيب : يصعد المنبر
 ويذكرهم * الثالث الشليح صبور (١) بتشديد الباء الموحدة بعد الصاد والحاء المهملتين
 (١) سألت حبراً من أخبار اليهود عن هذا الاسم فقال انه مركب من كلمتين عبرانية بين احدهما شليح
 والثانية صبور . ومعناها حجة عتيد رسول الجماعة . والمراد الأمام الذي يتولى الأمامة في صلاة الجماعة

❦ المقصد الثالث ❦

في ذكر الألقاب والاصول التي يتفرع عنها الألقاب في المكاتبات والولايات وهي عشرة ألقاب

الاول الديوان - وهو من الألقاب المستعملة فيما يكتب به للخلفاء، ويقال فيه الديوان العزيز، قال في التعريف : والمراد ديوان الانشاء لان المكاتبات عنده صادرة واليه وارادة ، قال ، وكان السبب في ذلك الخضوع عن مخاطبة الخليفة نفسه . والديوان في الاصل اسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وقد كرت الاختلاف في سبب تسميته بذلك في الاصل

الثاني الجانب ، وهو من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معانهم كأمام الزيدية باليمن . وهو في أصل اللغة اسم للناحية ، والمراد الناحية التي بها صاحب اللقب كني بها عنه تعظيما له عن أن يتفوه بذلك

الثالث المقام : بفتح الميم ، وهو من الألقاب الخاصة بالملك . وأصله في اللغة اسم لموضع القيام ، ومنه قوله تعالى « فيه آيات بينات مقام ابراهيم » أي أثر موضع قدميه في الصخرة التي كان يقوم عليها لبناء البيت به . ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أعم من ذلك من محلة الرجل وبلده ونحو ذلك . ومن ثم قال الزنجشري في قوله تعالى « ان المتقين في مقام أمين » أنه خاص استعمل في معنى العموم بمعنى أنه يستعمل في موضع الإقامة في الجملة . ويجمع على مقامات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه المقام الأشرف ، والمقام الشريف العالی ، وربما قيل فيه المقام العالی - قلت : ولوقيل : المقام الكريم تأسيا بلفظ القرآن لكان له وجه بل هذا أوجه

الرابع المقر بفتح الميم والقاف . وأصله في اللغة موضع الاستقرار والمراد الذي يستقر فيه صاحب ذلك اللقب ؛ ويجمع على مقرات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه المقر الأشرف ، والمقر الشريف العالی ، والمقر العالی ، مجردا عن ذلك . قال ابن شيث في معالم الكتابة : وهو من أجل القاب السلطان ، قال في عرف التعريف ، ويختص بكبار

الأمرء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجرى مجراهم كناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ومن في معناهم ، قال ، ولا يكتب لأحد من العلماء والقضاة - قلت : اما في الزمن المتقدم فكان من ألقاب الملوك كما قال ابن شيث ؛ وعليه كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (عهد سلطنة) المنصور قلاوون ثم انحط عن رتبة الملوك الى من دونهم من الاعيان كما تقدم حين لقب الملوك بالمقام وخص بغير القضاة والعلماء كما أشار اليه في عرف التعريف ثم استقر الحال بعد ذلك على أنه يكتب لهم ايضاً إلا أنه يختلف الحال بحسب رتبة المكتوب اليه عنه وهبوطها فقد لا يكتب عن السلطان لشخص ويكتب عن غيره من نواب السلطنة لذلك الشخص . وكذلك النول في سائر الألقاب الآتية

الخامس الجنب ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام جميعها مما يكتب عن السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم . وأصله في اللغة الفناء أو ما قرب من محلة القوم ، ومنه قولهم : لذنا بجنب فلان ، وفلان خصيب الجنب ؛ فيعبر عن الرجل بفنائه وما قرب منه . ويجمع على أجنبه كما كان وأمكنه وعلى جنابات كجناد وجادات . قال في عرف التعريف : ويقال فيه الجنب الشريف العالى ، والجنب الكريم العالى ، والجنب العالى مجردا عنهما . وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من الألقاب جنوحا الى أنه لا يكتب لاحد منهم بالمقر كما تقدم ذكره عنه ، قال ، ويكتب لمن لا يوهل للمقر من الامرء وغيرهم ممن يجرى مجرى الوزراء - قلت : ويزيد على ما ذكره ان يكتب به لبعض الملوك المكاتبين عن الابواب السلطانية

السادس المجلس ، وهو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام أيضا ممن لا يوهل لرتبة الجنب وربما لقب به بعض الملوك في المكاتبات السلطانية . على أنه كان في الدولة الايوبية لا يلقب به الا المارك ومن في معناهم ومكاتبات القضاة الفاضل والعماد الاصفهاني وغيرهما من كتاب الدولة الايوبية شاهدة بذلك . قال ابن شيث في معالم الكتابة : وقد كانوا لا يكتبون المجلس الا للسلطان خاصة ، ولم يكن السلطان يكتب به أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره ثم ذكر أنه يكتب في زمانه هو الى كبار الامرء والوزراء وولاة العهد بالسلطنة . قلت : أما في زماننا فقد صار في أدنى الرتب وجعل الجنب والمقر فوقه كما تقدم . ويقال فيه المجلس العالى

والمجلس السامي رتبة بعد رتبة . وأصل المجلس في اللغة موضع الجلوس ويشار بذلك الى الموضوع الذي يجلس فيه المكتوب له تعظيماً له علي ما تقدم . واعلم ان العالي والسامي اسمان منقوصان كلقاضي والوالي ، وقد تقرر في علم النحو انه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص جاز فيه اثبات الياء وحذفها فيقال القاض والقاضي ونحو ذلك ؛ وحينئذ فيجوز في العالي والسامي إثبات الياء وحذفها ولكن الكتاب لا يستعملونها الا بالياء : فأما العالي والسامي بالياء فيجوز ان تكون الياء فيهما مكان الياء اللاحقة للاسم المنقوص وتكون حينئذ ساكنة ، ويجوز ان تكون ياء النسب التي للمبالغة على ماسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وتكون مشددة . أما السامي (١) بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص وحينئذ فتحذف الياء من الألقاب التي تبعت بها فيقال : المجلس السامي الأمير الاجل ونحو ذلك .

السابع مجلس ، مجردا عن الالف واللام مضافاً الى ما بعده . وله في الاصطلاح أربع حالات : الأولى ان يضاف الى الأمير ، فيقال : مجلس الأمير وهو مختص بأرباب السيوف . الثانية ان يضاف الى القاضي ، فيقال : مجلس القاضي وهو مختص بأرباب الأقاليم على اختلاف أنواعهم . الثالثة ان يضاف الى الشيخ ، فيقال : مجلس الشيخ . وهو مختص بالصوفية وأهل الصلاح . الرابعة ان يضاف الى الصدر ، فيقال : مجلس الصدر . وهو يختص بالتجار وأرباب الصنائع ونحوهم . وربما كتب في الدولة الناصرية ابن قلاوون وما قاربها لكتاب الدرج ومن في معانهم الثامن ان يقتصر على المضاف

التاسع أن يقتصر على المضاف اليه من مجلس الأمير أو مجلس القاضي أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر فيقال : الأمير ، أو القاضي ، أو الشيخ ، أو الصدر وهي أدنى المراتب العاشر الحضرة ، قال في أدب الكاتب بفتح الحاء وكسر ها وضما ، والمراد بها حضرة المكتوب له قال الجوهري : (حضرة الرجل قر به وفناوه) . وأكثر ما تستعمل في المكاتبات وهي من الألقاب التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة

(١) أثبتنا الياء في « السامي » هذه وامثالها لان الغرض من قوله « بغير ياء » ياء

العالية والحضرة السامية وذكر في معالم الكتابة أنها كانت في الدولة الايوبية يكتب بها لآعيان الدولة من الوزراء وغيرهم وان السلطان لم يكن يكتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره - قلت : والامر على نحو ذلك الى الآن فيكتب بها عن الابواب السلطانية الى بعض الملوك . ويقال فيها : الحضرة الشريفة العالية ، والحضرة الكريمة العالية ، والحضرة العلية بحسب ما تقتضيه رتبة المكتوب له . وكذلك تستعمل في الكتب الصادرة الى ملوك (النصارى) ويقال فيها : بعد الدعاء للحضرة حضرة الملك الجليل ، ونحو ذلك . وربما استعملت في الولايات فتكتب في ولاية البطرک ونحو ذلك

﴿ الضرب الثاني ﴾ - من الالقاب الاسلامية الالقاب المؤنثة وهي ثلاثة القاب الاول الدار ، وهي تجمع على ديار ، وأدر ، ودور ؛ ويقال فيها الدار العزيزة . وكان يكتب بها في القديم لديوان الخلافة ثم استقر الحال على أن يكتب بها للخواتين من نساء الملوك من الابواب السلطانية وغيرها والثاني الستارة ، ويقال فيها : الستارة الشريفة ، ويكنى بذلك عن المرأة الجليلة القدر التي بصدد ان تنصب الستارة على بابها حجبا لها والثالث الجهة ، ويقال فيها الجهة الشريفة أيضاً وهي في اللغة اسم للناحية فكنا بها عن المرأة الجليلة كما كنا عن الرجل الجليل بالجناب . وهي في المعنى أعلى من الستارة لا تساع نطاقها كما إن الجناب أعلى من المجلس لا تساع نطاق الجناب ﴿ تنبيه ﴾ - كثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الالقاب أو أكثرهما أحدثها المقر الشهابي بن فضل الله ، وليس كذلك ، بل المجلس مذکور في مكاتبات القاضي الفاضل ومن عاصره بكثرة . ويقتضى كلام ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب أنه أول ما حدث في أيام نبي بويه ملوك الديلم . والجناب موجود في مكاتبات القاضي الفاضل إلا أنه بقلة ، وذكر ابن شيث أنه موجود في مصطلح كتاب الدولة الايوبية . والمقر موجود في كلام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر . والمقام موجود في كلام من قبل المقر الشهابي بن فضل الله المذكور

واعلم ان ترتيب هذه الالقاب على هذا الوجه وهو جعل المقام أعلى من المقر ، والمقر أعلى من الجناب ، والجناب أعلى من المجلس ، والمجلس العالی أعلى من المجلس

السامي ، والمجلس السامي بالياء أعلى من المجلس السامي بغير ياء ، والمجلس السامي
 بغير ياء أعلى من مجلس مضافا ، ومجلس مضافا أعلى من المضاف إليه نقط لم أره
 الا في كلام المقر الشهابي ابن فضل الله ومتابعيه ولا أدري أهو المقترح لذلك أم سبقه
 إليه غيره . وقد أولع فضلاء الكتاب بالسؤال عن وجه الترتيب في ذلك ، بل أخذوا
 في انكاره على مرتبه من حيث ان هذه الالقب متقاربة المعاني في اللغة فلا يتجه
 تقديم بعضها على بعض في الرتبة . ولا يخفى ان واضع ذلك من المقر الشهابي أو
 غيره لم يضعه عن جهل على سبيل التشبه في التقديم والتأخير اذ لا يليق ذلك
 بمن عذبه ادنى مسكة من العلم . وقد ظهر لي عن ذلك أجوبة يستحسنها الذهن
 السليم إذا تلقيت بالأ نصاب . ولا بد من تقديم مقدمة على ذلك وهي أن الخطاب
 في المكاتبات والوصف في الولايات مبني على التعظيم والتفخيم ، ومن ثم عبروا عن
 أكثر هذه الألقاب باسم الامكنة تنزيها للمكتوب له عن التصريح بذكره وجعلوها
 رتبة بعد رتبة بحسب ما تقتضيه معانيها الاثمة منها فجعلوا أدناها رتبة الأمير ، والقاضي والشيخ
 والصدر التي وقع فيها التصريح بذكر الشخص ، وجعلوا فوق ذلك مجلس الأمير ، ومجلس
 القاضي ، ومجلس الشيخ ومجلس الصدر من حيث ان المجلس يقتضي الاقتصار على موضع
 الجلوس خاصة وهو أخص مكان ينسب الى الشخص مع إضافته الى القب الخاص الذي
 هو قريب من التصريح بالذكر وهو الأمير والقاضي أو الشيخ أو الصدر . وجعلوا
 فوق ذلك المجلس مجردا عن الأضافة التي هي قريب من التصريح بالذكر ؛ وجعلوا
 فوق ذلك المجلس السامي بغير ياء من حيث وصفه بصفة العلو التي لم توجد حالة الأضافة .
 وجعلوا فوق ذلك السامي بالياء من حيث ان ياء النسب إذا أتت بها في آخر القب
 أفادت المبالغة كما سيأتي بيانه فيما بعد ان شاء الله تعالى . وجعلوا فوق ذلك المجلس
 العالي ، من حيث ان العالي وصف من معنى العلو يفهمه كل من الم باللغة العربية أدنى
 المام ، والسامي لا يفهم منه معنى العلو الا الخاصة ، وما أفاد تعريف العلو عند البعض دون
 البعض (أقل مما أفاد عند الكل) وجعلوا فوق ذلك الجناح العالي ، من حيث ان
 المراد بجناح الرجل فناؤه كما تقدم والفناء أوسع من المجلس ضرورة بل ربما اشتمل
 على المجلس واستضافه إليه . وجعلوا فوق ذلك الجناح الكريم العالي من حيث

زياده التفخيم بوصف الكريم . وجعلوا فوق ذلك الجناب الشريف العالى من حيث ان المراد بالشرف العلو والرفعة والمراد بالكريم الخلوص من الكرم فقد قال الجوهري انه تقيضه وايضاً فان الشريف لا يطلق الا على من له أب « عريق » فى الشرف كما قاله ابن السكيت بخلاف الكريم فإنه لا يعتبر فيه ذلك . وجعلوا فوق ذلك المقر وان كان المراد منه موضع الاستقرار فإنه يشمل جميع المحلة اذ يقال : مقره محلة كذا أو بلد كذا لتضمنه معنى القرار الذى هو ضد الزوال كما قال تعالى « وان الآخرة هي دار القرار » . وجعلوا فوق ذلك المقر الكريم ، ثم المقر الشريف لما تقدم فى الجناب . وجعلوا فوق ذلك المقر الأشرف لاشتماله على افعال التفضيل . وجعلوا فوق ذلك المقام لاستعماله فى المعنى العام الذى هو أعم من موضع القيام كما أشار اليه الزنجشبرى مع ما فى القيام من (معنى) النهضة والشهامة الزائدة على معنى الاستقرار . وجعلوا أعلى مراتبه المقام العالى ، ثم المقام الكريم ، ثم المقام الشريف العالى لما تقدم فى المقر والجناب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ النوع الثانى ﴾

من الألقاب الاصول ألقاب ملوك (النصارى) وزعمائهم وهي على ضربين

﴿الضرب الاول﴾ الألقاب المذكورة - وهي خمسة ألقاب

الاول الباب - وقد تقدم انه لقب على ملوك رومية ويقال فيه الباب الجليل *
 الثانى البطرک - وقد تقدم انه لقب على بطرک الاسكندرية و بطرک انطاكية و بطرک القدس ويقال فيه البطرک الجليل أيضاً * الثالث الحضرة وهي من ألقاب ملوكهم كما تقدمت الإشارة اليه فى آخر الألقاب الاصول الاسلامية . ويقال فيها الحضرة العلية والحضرة السامية . والحضرة الكريمة ، والحضرة الموقرة . وقد أتى مع الاضافة فيقال حضرة الملك الجليل او حضرة المحتشم ونحو ذلك * الرابع النائب ، وهو من ألقاب نوابهم ويقال فيه النائب الجليل * الخامس القنصل فيقال فيه القنصل المحتشم وغير ذلك ﴿الضرب الثانى﴾ الألقاب الموثقة . وفيه لقب واحد وهو الملكة . ويقال فيها الملكة الجليظة . وسيأتى ذلك مستوفى فى (الكلام على المكاتبات) الصادرة اليهم فيما بعد ان شاء الله تعالى

﴿ المقصد الرابع ﴾

في الالقاب المفرعة على الاصول المتقدمة . وهي نوعان

* (النوع الاول) *

الالقاب المفردة . وهي اما مجردة عن ياء النسب او غير مجردة . فأما المجردة عن ياء النسب فكالسلطان والملك والامير والقاضي والشيخ والصدر والاجل والكبير والعالم والعامل وما أشبه ذلك . وأما غير المجردة وهي الملحقة بها ياء النسب فكالملكي والاميري والقاضي والشيخ والصدر والاجلي والكبيري والعاملي والعالملي ونحو ذلك ثم الالقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على باب كالتضائي لانه منسوب الى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي مناطها فصل الحكومات الشرعية كما تقدم ، وتارة يراد به المبالغة كالتقاضي لانه منسوب الى القاضي نفسه مبالغة ؛ وفي معناه الاميري نسبة الى الامير ، والوزيري نسبة الى الوزير ، والشيخي نسبة الى الشيخ ، والكبيري نسبة الى الكبير ، وما أشبه ذلك . والاصل فيه أن عادة العرب أنهم اذا أرادوا المبالغة في وصف شيء ادخلوا عليه ياء النسب للمبالغة فيقولون في الاحمر احمر ي مبالغة في وصفه بالحرارة ، وما أشبه ذلك علي ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة

ثم منها ما يستعمل مجردا عن ياء النسب تارة ومعها أخرى كالعالم والعاملي ، والاكمل والاكلى ونحو ذلك . ومنها ما يستعمل مجردا عنها فقط كاتقطب والغوث من ألقاب الصوفية . ومنها ما يستعمل معها فقط كالتضائي ونحوه . وبكل حال فالالقب التي تثبت ياء النسب فيها كالاميري (اعلى من المجردة عنها) كالامير فإن كانت من ألقاب (المجلس السامي) بالياء فما فوقه من المجلس العالي ، والجناب ، والمقر ، والمقام على مراتبها تثبت الياء فيها ؛ وان كانت من ألقاب « المجلس السامي » بغير ياء فما دونه من مجلس الامير ومجلس القاضي ومجلس الشيخ ، ومجلس الصدر ، والامير ، والقاضي والشيخ ، والصدر لم تثبت الياء فيها . والالقب المضافة الى الدين ان كانت مع الالقاب التي لا تثبت فيها الياء كألقاب « المجلس السامي » بغير ياء فما دونه بقيت على حالها في الاضافة للدين

مثل ناصر الدين ، وعلاء الدين ، وسيف الدين ، وما أشبه ذلك . وان كانت مع الالقاب التي تكتب فيها الياء كلقاب « المجلس السامي » بالياء فما فوقه حذف المضاف اليه وأدخلت الالف واللام على المضاف وألحقت به ياء النسب فيقال في ناصر الدين الناصري ، وفي علاء الدين العلاءي ، وفي سيف الدين السيفي ، ونحو ذلك

﴿ النوع الثاني ﴾

اللقاب المركبة ، وهي المعبر عنها عند الكتاب بالنعوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالاضافة . ثم تارة تكون اضافة واحدة نحو : مهاد الدول ، وتارة تكون بأضافتين نحو : سيد أمراء العالمين ، وتارة تكون بثلاث اضافات نحو : حاكم أمور ولاية الزمان ، وربما زيد على ذلك . وتارة يكون بوصف المضاف نحو بقية السلالة الطاهرة . وتارة يكون بالعطف على المضاف اليه إما بعطف واحد نحو سيد الملوك والسلاطين وإما بأكثر نحو : فاتح الممالك والاقاليم والاقطار . وتارة يكون بجار ومجرور بعد المضاف اليه نحو : سيد الامراء في العالمين ، وربما توسط النعت بين المضاف اليه والجار والمجرور نحو : سيد الامراء الاشراف في العالمين . وقد يكون التركيب بغير اضافة إما بالجار والمجرور نحو : المجاهد في سبيل رب العالمين ، وإما بغير ذلك نحو : (معنى ملوك) ساسان ، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى

واعلم انه اذا كان لقب الاصل مفردا نحو المقر ، والجناب ، جاءت ألقابه ونعوته مفردة فيقال : المقر الشريف والجناب الشريف ، والمقر الكرم والجناب الكريم ، وفي نعوته سيد الامراء في العالمين ، ونحو ذلك . ثم ان كان مذكرا جاء بصفة التذكير كما تقدم في ألقاب المقر ، وان كان مؤنثا كالجبهة في ألقاب النساء كانت ألقابه ونعوته مؤنثة : فيقال الجبهة الشريفة ، او الكريمة ونحو ذلك ، وفي النعوت : سيدة الخواتين في العالمين وما يجرى هذا المجرى . وان كان اللقب الاصل مجموعا نحو : مجالس الامراء جاءت الالقاب والنعوت مجموعة فيقال : الاجلاء والا كابر وما أشبه ذلك . وفي النعوت ان كان ذلك اللقب اسم جنس نحو عضد الملوك والسلاطين ، او مصدرا نحو عون الامة ، جاز ابقاؤه على الافراد لان المصدر واسم الجنس لا يثنيان ولا يجمعان وان

نحط فيه معنى التعداد جاز الجمع فيقال : اعوان الملة وأعضاء الملوك والساطين ونحو ذلك . وقد أشار الى ذلك في التعريف في الكلام على المطلقات فقال : ويجوز عضد وأعضاء

﴿ المقصد الخامس ﴾

﴿ في الألقاب المفرعة عن الألقاب الاصول المتقدمة الذكر ومراعاة مناسباتها ﴾

اعلم انه يجب على الكاتب مراعاة مناسبة الألقاب المفرعة عن الاصول لاصولها فأما في الألقاب الاسلامية المذكورة فيتعين ذلك من ثلاثة أوجه : أحدها أن يراعى مناسبة الفرع للأصل في شرف القدر مثل ان يصف لقب الأصل بالعزیز أو بالاشرف أو الشريف أو الكريم أو العالی أو السامي على ما تقدمت الإشارة اليه عند ذكر الاصول * الثاني ان يأتي لكل من الألقاب الاصول بما يميز المكتوب له عن غيره مثل ان يكتب في ألقاب السلطان : الملكي ، وفي ألقاب الأمير : الأمير ، وفي ألقاب القاضي ونحوه من أرباب الألقام : القضائي ، أو القاضى ، وفي ألقاب أهل الصلاح : الشيخى ، وفي ألقاب التجار : الخواجكى ، وفي ألقاب أصحاب الصنائع السنية : الصدر ، أو الصدرى ، وما أشبه ذلك * الثالث ان يأتي لكل صاحب لقب من الألقاب الاصول بما يلائمه من الأوصاف مثل ان يصف الديوان العزیز أو الجانب الشريف في لقبى ديوان الخلافة وولى العهد بالمولوى السيدى النبوى ، لانسابهما الى مقام النبوة بقرابة العباس للنبي صلى الله عليه وسلم . ويصف السلطان بالأعظم المالك الملك ، ونحو ذلك . وان يتبع ذلك بما يناسب أحوال الملوك من الأوصاف مثل : العادل والجاهد والمرابط والمثاغر والمؤيد والمظفر ؛ ومن النعوت مثل : سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل في العالمين ، وما أشبه ذلك . ويصف أرباب السيف بما فيه معنى الشجاعة مثل : المؤيدى العونى الغياثى الظهيرى وما فيه معنى الجهاد مثل : المثاغرى المرابطى وما أشبه ذلك . ويصف نواب السلطنة بما فيه معنى العدل وتدوين البلاد وتمهيد الدول مثل : الممهدى المشيدى ، ومن النعوت مثل : مهد الدول مشيد المالك عماد الملة عون الأمة ونحو ذلك . ويصف القضاة بصفات الحكم والعدل مثل : الحاكى العادلى وما أشبه ذلك . والعلماء بصفة العلم مثل : الشيخى العالمى الامامى العلامى القدوى

النفيدى الحجي المحقق المدقق . والمدرسين مثل: قدوة العلماء صدر المدرسين لسان المتكلمين حجة المناظرين وما أشبه ذلك . ويصف الوزراء بحسن التدبير والتنفيذ مثل المدبرى المتصرف فى المنفذى الملاذى ؛ وفى النعوت بمدبر الدول جمال المالك . ويصف كتاب الدست ومن فى معانهم من كتاب الأنشاء بصفات البلاغة وحسن التدبير والتسديد والرأى مثل: البليغى المسددى المنفذى المدبرى ؛ وفى النعوت مثل جمال البلاغ أو حد الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب لسان السلطنة سفير المملكة وما أشبه ذلك . ويصف أهل التصوف بصفات الصلاح والعبادة مثل العالمى السالكي الزاهدى العابدى الخاشعى الناسكى القدوى ، وفى النعوت : زين العباد إمام الزهاد قدوة السالكين صفوة الناسكين ونحو ذلك . ويصف التجار بما يتضمن رفعة القدر والاحترام والامانة والتقريب ونحو ذلك مثل: المحترمي الموثقى المقربى الخواجكى ؛ وفى النعوت: شرف الاكابر فى العالمين أو حد الامناء المقربين صدر الرؤساء رأس الصدور عين الاعيان ثقة الدولة، وما يجرى هذا المجرى

وأما الالقاب الاسلامية المؤنثة فيتعين ان يصفها اولاً بصفات العظمة مثل الجهة الشريفة المعظمة ، ثم ما فيه معنى الصيانة مثل المحجبة المصونة ، وفى النعوت مثل جميلة المحجبات جليلة المصونات ، وما فى معنى ذلك

وأما ألقاب (غير المسادين) المذكورة فإنه يراعى فيها ما يناسبها فيصف الباب والبطريرك بالقدوس الروحانى الخاشع العامل ويصفه بالعلم فى ملته وقيامه بشرائها مثل عظيم المسيحية وقدوة الطوائف العيسوية عماد نبي العمودية كنز الطائفة الصليبية وما أشبه ذلك . ويصف ملوكهم بصفات الشجاعة والعلم فى شريعته والعدل فى رعيته مثل ان يقال الضرعام الاسد الغضنفر الخطير الباسل السמידع العالم فى ملته العادل فى مملكته وما أشبه ذلك

وأما القابهم المؤنثة فعلى نحو ما تقدم الا انه يورد بلفظ التأنيث فيقال المكرمة المبجلة الموقرة العالمة فى ماتها العادلة فى رعيته ونحو ذلك

❦ المقصد السادس ❦

في تفاوت الألقاب في المراتب في العلو والهبوط . وهو على نوعين

(النوع الاول)

الألقاب المفردة وهي على أربعة أضرب :

❦ الضرب الاول ❦ ما يقع فيه التفضيل بجوهس اللفظ وهي التوايع التي تلي الألقاب الاصول كالعزيز والاشرف والشريف والكريم والعالى والسامى على ما تقدم ذكره . وبمعناها أرفع من بعض : فالعزيز أرفع من الجميع لأن كل وصف دون العزيز اليه كبير التغات ، والاشرف أرفع من الشريف لما فى الاشرف من صيغة التفضيل ؛ والشريف أرفع من الكريم فقد قال ابن السكيت ان الشرف لا يكون الا لمن له آباء شرفاء والكريم لا يعتبر فيه ذلك ، ومقتضى ذلك ترجيح الشريف على الكريم بكل حال . والكريم أرفع من العالى لأن الكرم ان حمل على خلاف الأوم فهو صفة مدح ، والعالى يحتمل ان يكون من « على » بكسر اللام يعلى بفتحها علاء بالفتح والمد اذا شرف ، وان يكون من علا يعلو علوا اذا ارتفع فى المكان ، وليس العلو فى المكان من صفات المدح ، وما هو صفة للمدح بكل حال اعلى مما احتمل المدح وعدمه . وقد تقدم فى آخر المقصد الثانى وجه رفع العالى على السامى

❦ الضرب الثانى ❦ ما يقع فيه التفضيل بحسب لحوق باء النسب وما يتجردهنهما قد تقدم ان ما تلحقه باء النسب من الألقاب المفردة منه ما هو منسوب الى شىء خارج عن صاحب اللقب كالقضائى فإنه منسوب الى القضاء الذى هو نفس الوظيفة فيكون النسب فيه على بابيه ، ومنه ما هو منسوب الى صاحب اللقب نفسه كالأميرى والقاضى فإن الأول منسوب الى الامير والثانى منسوب الى القاضى وهما عين صاحب اللقب وبكل حال فقد اصطاحوا على ان ملحقته بـ باء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها الا أن ما هو منسوب الى نفس صاحب اللقب أعلى من المنسوب الى شىء خارج عنه ، ومن ثم جعلوا القاضى الذى هو نسبة الى القاضى أعلى من القضائى الذى هو نسبة الى القضاء . على أنهم لم يقفوا على الحكم فى كون ما دخلت عليه باء النسب أرفع فى جميع الأحوال

فقد استعملوا الأجل ونحوه في القاب السلطان التي هي أعلى الألقاب فقالوا : السلطان
الاجل العالم العادل ، الى آخر ألقابه المفردة من غير الحاق ياء النسب بها . ثم استعملوا
ذلك في القاب « السامي » بغير ياء فنادونه مماهو أدني الألقاب رتبة ، وكانهم اكتفوا
بمكان السلطان من الرفعة عن المبالغة بالحاق ياء النسب من حيث أن المعظم غني عن التعظيم
﴿ الضرب الثالث ﴾ ما يقع فيه التفضيل بصيغة مبالغة بغير ياء النسب كافي الكفيلي
فانه أرفع رتبة من الكافلي لان صيغة فعيل أبغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث
ان « فعيل » لآتاني الا من فعل بضم العين اذا صار ذلك الفعل له سجية كما يقال : كرم
فهو كريم ، وعظم فهو عظيم بخلاف فاعل

﴿ الضرب الرابع ﴾ ما يقع فيه التفضيل بحسب ما في ذلك القاب من اقتضاء
الرفعة لعلو تعلقه كالمهدي والمشيدي فأن المراد ممد الدول ومشيده الممالك . فأن من
ينتهي في الرتبة الى ذلك لانزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الارتفاع . وكذلك ما يجري
هذا الجرى كالدبري بالنسبة الى الوزراء ، والمحتمق بالنسبة الى العلماء ، والاصيلي بالنسبة
الى العراقة في كرم الاصل ونحو ذلك

﴿ النوع الثاني ﴾

اللقاب المركبة المعبر عنها بالنعرت . وهي على أربعة أضرب :

﴿ الضرب الاول ﴾ ألقاب أرباب السيوف ولها ستة أحوال :

الاول - أن يضاف الى الاسلام . وقد جعل في التعريف أعلاها في السلطانيات
« ركن الاسلام والمسلمين » فأورد ذلك في المكتبة الى النائب الكافل ، ومكاتبته
يومئذ « بالجناب الكريم » ثم أبدله الكتاب بعدد بعز الاسلام والمسلمين وجعلوه مع
المكتبة اليه « مع المقر الكريم » على ما استقر عليه الحال في المكتبة اليه والى نائب
الشام . وجعلوا دون ذلك « عز الاسلام والمسلمين » فأوردوه مع « الجناب الكريم ،
والجناب العالي » على ما استقر عليه الحال في السلطانيات . وجعل في عرف التعريف
في الاخوانيات « عز الاسلام والمسلمين » أعلى الألقاب فأوردوه مع « المقر الشريف »
ثم طرده فيما بعد ذلك من « المقر الكريم ، والمقر العالي » ثم جعل دونه « مجد الاسلام

والمسلمين» فأورده مع «المجلس العالی» مع الدعاء، وصدرت؛ وجعل دون ذلك «مجدد الاسلام» فقط من غير عطف المسلمين عليه فأورده مع «المجلس السامي» بالياء «والسامي» بغير ياء ولم يجاوزه الى ما بعده، بل جعل بعده: مجد الامراء على ماسية آتي ذكره . وتابعه علي ذلك في التثقيف

الثاني — ان يضاف الى الامراء . وقد جعل في التعريف اعلاها «سيد الامراء في العالمين» فأورده مع «الجناب الكريم» وهو يومئذ أعلى المكاتبات الى التراب؛ وجعل في التثقيف دونه «سيد امراء العالمين» وأورده مع «الجناب العالی» ؛ ودونه «شرف الامراء في العالمين» وأورده مع «المجلس العالی» بالدعاء؛ ودونه شرف الامراء المقدمين، وأورده مع «صدرت» و«العالی» ؛ ودونه «شرف الامراء في الانام» وأورده مع السامي بالياء؛ ودونه «زين الامراء المجاهدين» وأورده مع «السامي» بغير ياء، ودونه «مجد الامراء» وأورده مع «مجلس الامير» قلت ولا يخفى ما في ذلك من الاختلاف الفاحش

الثالث — ان يضاف الى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل في التعريف اعلاها «ناصر الغزاة والمجاهدين» فأورده في ألقاب النائب الكافل وهي يومئذ «الجناب الكريم»؛ وجعل دونه «نصير الغزاة والمجاهدين» فأورده في المكاتبه الى نائب الشام وهي يومئذ : الجناب العالی — قلت وهو مخالف لتاعدة لغة العرب من حيث ان صيغة فاعل ابغ من صيغة فاعل على ما تقدمت الاشارة اليه . وتابع في التثقيف التعريف على جعل «ناصر الغزاة والمجاهدين» اعلاها وأورده مع المقر الكريم العالی» وجعل دونه نصره الغزاة والمجاهدين» وأورده مع «الجناب الكريم» وما بعده الى آخر «المجلس العالی» ثم آتى مع «السامي» بالياء بأوحد المجاهدين، ومع السامي بغير ياء، ومجلس الامير بزين المجاهدين، والحال في ذلك قريب . أما في عرف التعريف فإنه اعرض عن ناصر الغزاة والمجاهدين مع «المقر الشريف» وآتى مع «المقر الكريم» بنصير الغزاة والمجاهدين، ومع الجناب الشريف الى آخر المجلس العالی بنصرة الغزاة والمجاهدين، فجعل نصير الغزاة ابغ من نصره الغزاة لما في نصير من التذكير . ثم آتى مع السامي بالياء بذخر الغزاة والمجاهدين، ثم مع السامي بغير ياء بزين الامراء المجاهدين، ثم مع مجلس

الامير بزين المجاهدين

الرابع - ان يضاف الى الجيوش . وقد جعل في التعريف اعلاها أتابك الجيوش فأورده في ألقاب النائب الكافل وهي يومئذ « الجناب الكريم » وجعل دونه « زعيم الجيوش » فأورده في ألقاب نائب الشام وهي يومئذ « الجناب العالي » ودونه « زعيم جيوش الموحدين » فأورده في ألقاب نائب حلب . واورد في عرف التعريف زعيم الجيوش مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ؛ واورد زعيم جيوش الموحدين مع الجناب الكريم ، والجناب العالي . وعلى نحو ذلك جري في التثقيف

الخامس - ان يضاف الى الملوك والسلاطين . وقد جعل في عرف التعريف اعلاها « ظهير الملوك والسلاطين » واورده مع « المقر الكريم » وما بعده الى آخر « المجلس العالي » ؛ وجعل دونه « عضد الملوك والسلاطين » واورده مع المجلس العالي ، والمجلس السامي بالياء ؛ وجعل دونه « عمدة الملوك والسلاطين » وأورده مع مجلس الأمير . أما التثقيف فأورد ظهير الملوك والسلاطين مع المقر الكريم وما بعده الى آخر المجلس العالي ؛ وجعل : عضد الملوك والسلاطين مع المجلس السامي بالياء ، وعمدة الملوك والسلاطين مع السامي بغير ياء ، وعمدة الملوك والسلاطين مع مجلس الامير

السادس - ان يضاف الى أمير المؤمنين . واعلاها تقسيم امير المؤمنين وهو من ألقاب اولاد السلاطين وألقاب بعض الملوك الاجانب المكتوب اليهم عن الابواب السلطانية ؛ ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى ما يكتب لنواب السلطنة عن الابواب السلطانية وجعله في عرف التعريف مع المقر الشريف خاصة ؛ ودونه سيف أمير المؤمنين ، واورده مع المقر الكريم ، والمقر العالي ؛ ودونه حسام أمير المؤمنين وجعله في عرف التعريف مع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي ثم لم يورد بعد ذلك لقباً بالاضافة الى امير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف الى الملوك والسلاطين كما تقدم ذكره . اما في التثقيف فإنه جعله مع المقر الكريم ، والمقر العالي ؛ ودونه حسام امير المؤمنين وجعله مع المجلس العالي والدعاء ولم يورد فيما بعد ذلك لقباً بالاضافة الى امير المؤمنين

(الضرب الثاني) ألقاب القضاة والعلماء . ولها خمسة أحوال :

الاول - ان يضاف الى الاسلام . وقد جعل في عرف التعريف اعلاها : حجة الاسلام أوضياء الاسلام ، فأوردها مع الجناب الشريف الذي هو عنده أعلى الرتب لهذه الطائفة ، وجعل دونه : بهاء الاسلام ، فأورده مع الجناب الكريم ، ودونه : مجد الاسلام فأورده مع المجلس العالي ، والسامي بالياء ، والسامي بغير ياء .

الثاني - ان يضاف الى العلماء ونحو ذلك . وقد جعل في عرف التعريف اعلاها سيد العلماء والحكام ، وجعله للجناب الشريف فما فوقه : ثم جعل دونه : أوجد العلماء الاعلام للجناب الكريم والجناب العالي ؛ وجعل دونه تاج العلماء والحكام ، او شرف العلماء والحكام وأورده مع المجلس العالي ؛ ودونه جمال العلماء أو حد الفضلاء ؛ وأورده مع السامي بالياء ؛ ودونه جمال الاعيان وأورده مع السامي بغير ياء فما دونه

الثالث ان يضاف الى الأنام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها شرف الأنام ، وأورده مع الجناب الشريف الذي جعله أعلى الألقاب لهم ومع الجناب الكريم والجناب العالي ؛ وجعل دونه فخر الأنام فأورده مع المجلس العالي بالدعاء ؛ ودونه بهاء الأنام وأورده مع صدرت ، والعالي ، والسامي بالياء ، والسامي بغير ياء .

الرابع ان يضاف الى الملوك والسلاطين . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها للقضاة : حكم الملوك والسلاطين ، وبغيرهم من العلماء : خالصة الملوك والسلاطين ، وهو عنده للجناب الشريف فما فوقه ؛ ودونه : بركة الملوك والسلاطين ، وأورده مع الجناب الكريم ، والجناب العالي ، والمجلس العالي مع الدعاء ؛ ودونه : صفوة الملوك والسلاطين وأورده مع : صدرت ، والعالي . وما دونه

الخامس - ان يضاف الى أمير المؤمنين . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : ولي أمير المؤمنين ، وجعله مع : الجناب الشريف فما فوقه - قلت : ويحسن ان يمجى مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ﴿الضرب الثالث﴾ القاب الوزراء . ومن في معناهم من كتاب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخاص ، ومن دونهم من الكتاب . ولها أربعة أحوال :

الأول - ان يضاف الى الاسلام . وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في بعض دساتيره ان اعلاها لهم : ركن الاسلام والمسلمين ، وجعل في عرف التعريف أعلاها

للوزراء : صلاح الاسلام والمسلمين ، وأورده مع المقر الشريف وما دونه من المقر الكريم ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دون ذلك : مجد الاسلام بمجردا عنه وأورده مع : المجلس العالي ، والمجلس السامي . وقد ذكرت توجيهه في الأصل الثاني ان يضاف الى الوزراء ونحوهم . وقد ذكر في عرف التعريف أعلاها : للوزراء : سيد الوزراء في العالمين ، وان في معانهم من كاتب السر ونحوه سيد الكبراء في العالمين وأورده مع : المقر الشريف ، والمقر العالي ، والمقر الكريم ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي . وجعل دونه لمن هو دون هو لاء من الكتاب الثالث — ان يضاف الى الملوك والسلاطين . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : ظهير الملوك والسلاطين . وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالي ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي . وجعل دونه : صفوة الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالي فما دونه

الرابع — ان يضاف الى أمير المؤمنين . ولم يزد في عرف التعريف في ذلك على : ولي أمير المؤمنين . وأورده مع المقر الشريف ، والمقر الكريم ، والمقر العالي والجناب الشريف : قلت : ويحسن ان يبيح مع الجناب الكريم : خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالي : صفى أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يضاف الى أمير المؤمنين مع المجلس العالي فما دونه شيء من الألقاب بل يقتصر على الأضافة الى الملوك والسلاطين ﴿ الضرب الرابع ﴾ ألقاب الصالحاء . ولها أربعة أحوال :

الاول — أن يضاف الى الاسلام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : صلاح الاسلام ؛ وأورده مع الحضرة ، ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم . وجعل دونه جلال الاسلام ، فأورده مع : الجناب العالي ؛ ودونه ضياء الاسلام ، وأورده مع المجلس العالي ؛ ودونه : جمال الاسلام ، وأورده مع : المجلس السامي بالياء فما دونه الثاني — ان يضاف الى العارفين ونحوه . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : شيخ شيوخ العارفين : وأورده مع « الحضرة الطاهرة » التي هي أعلى الرتب عنده . وجعل دونه : أوحد المحققين ، فأورده مع : الجناب الكريم ؛ ودونه : أوحد الناسكين ، فأورده مع : الجناب العالي

الثالث - ان يضاف الى الأنام . وقد جعل في عرف التعريف أعلاها : خالصة الأنام ، وأورده مع : الحضرة الشريفة، التي جعلها أعلى رتبهم، ومع : الجناب الشريف، والجناب الكريم، والجناب العالي . وجعل دونه : شرف الأنام، فأورده مع : المجلس العالي ؛ ودونه : زين الأنام ، فأورده مع : السامي بالياء وبغير ياء .
 الرابع - ان يضاف الى الملوك والسلاطين . ولم يزد في عرف التعريف على ان يكتب لهم : بركة الملوك والسلاطين - قلت : ويجب الاقتصار عليها لمن يستحق الأضافة الى الملوك والسلاطين . اما ما يضاف الى أمير المؤمنين فلم يورد لهم شيئاً منه .
 وبحسن أن يحى لهم نظير ما تقدم للعلماء

○ المقصد السابع ○

في تفاوت الالقاب بالتقديم والتأخير . وهو نوعان أيضاً

﴿ النوع الاول ﴾

الالقاب المفردة وهي على سبعة أضرب :

﴿ الاول ﴾ الالقاب التي تلي الألقاب الاصول وهي كالأشرف والشريف والكريم والعالي والسامي . فالأشرف يلي المقام ، والمقر فيقال : المقام الأشرف والمقر الأشرف ؛ والشريف يلي المقام ، والمقر والجناب فيقال : المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجناب الشريف ؛ والكريم يلي المقر ، والجناب فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم ؛ والعالي يلي المقام على قلة ، والمقر ، والجناب ، والمجلس فيقال : المقر العالي ، والجناب العالي ، والمجلس العالي ؛ والسامي يلي المجلس خاصة فيقال : المجلس السامي

﴿ الثاني ﴾ ما يلي الالقاب التي تلي الاصول وهو : العالي ، اذا تأخرت رتبته عن أن يلي الاصول فيلي الأشرف ، والشريف ، والكريم فيقال : الأشرف العالي ، والشريف العالي ، والكريم العالي

﴿ الثالث ﴾ ما يلي التالي وهو اللقب الذي يقع به تمييز المكتوب له كلاميرى والقضائي وما في معنى ذلك . فيقال : العالي الاميرى أو القضائي أو القاضوى أو الشيخي أو ما يجري مجرى ذلك

﴿الرابع﴾ ما يلي لقب الوظيفة وهو: الكبرى، وما في معناه. فيقال: الأمير الكبرى وما أشبه ذلك

﴿الخامس﴾ ما يقع قبل لقب التعريف الذي هو: الفلاني، أو فلان الدين. وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة كالكافلي والكفيلي للنواب، والوزيرى للوزراء، والحاكمى للقضاة، فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل «الفلاني» الكافلى أو الكفيلي بحسب ما تقتضيه رتبته. وإن كان حاكماً كتب له قبله: الحاكمى. قال فى التثقيف: وإن كان وزيراً كتب له فى آخر القاب: الوزيرى؛ والذى فى عرف التعريف أن الوزيرى يلى لقب الوظيفة. فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب له الاميرى الوزيرى، وإن كان من أرباب الاقلام كتب له الصاحبى الوزيرى

﴿السادس﴾ ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والألقاب المركبة، وهو لقب التعريف الخاص كالفلاني، وفلان الدين، فإنه موضوع بين المفردة والمركبة كالفصل بينهما ﴿السابع﴾ ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب المفردة. وهو ما يقع به التمييز بين الاميرى ونحوه وبين اللقب الذى قبل لقب التعريف كالعالمى والعادلى ونحوهما فالقلم فى ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما تقتضيه الحالة بحسب ما يراه الكاتب

﴿ النوع الثانى ﴾

ما تتفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة وهى على ثلاثة أضرب

الاول - ما يلى لقب التعريف الذى هو الفلاني أو فلان الدين، وهو ما يضاف الى الاسلام مثل: ركن الاسلام والمسلمين، وما فى معنى ذلك. فقد اصطاحوا على أن يكون أول الألقاب المركبة

الثانى - ما يقع فى آخر الألقاب المركبة ويختلف الحال فيه باختلاف المكتوب له. فإن كان ممن يكتب له: المجلس السامى، بغير ياء، فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف الى الملوك والباطنين وما أشبه ذلك؛ وإن كان ممن يكتب له: السامى، بـياء، فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف الى أمير المؤمنين مثل: عضد أمير

المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما يقتضيه رتبته
 الثالث - ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها . فقد اصطالحوا على ان يقدم من
 ذلك ما يقتضى رفعة المكتوب له على أبناء جنسه مثل : سيد الأمراء في العالمين ،
 وما أشبه ذلك بحسب ما يقتضيه الحال

❦ المقصد الثامن ❦

في ترتيب الألقاب الفروع بحملها على الألقاب الأصول وهي على ثلاثة عشر نوعا

❦ النوع الاول ❦

الألقاب (المتعلقة بالخلافة) وهي أربعة أضرب :

الاول - القاب الخليفة نفسه . اعلم أنه كان ينال في الزمن القديم : عبد الله فلان
 أمير المؤمنين ؛ فإن كان اسم الخليفة عبد الله كالأمون كرر الاسم مرتين ، مرة للاسم
 العلم ومرة لقب الخلافة فيقال : عبد الله عبد الله أمير المؤمنين . ثم زيد فيه الكنية بعد ذلك
 فقيل : عبد الله ابو فلان الامام الفلاني - بلقب الخلافة مثل المعتضد بالله ونحوه -
 أمير المؤمنين . ثم زيد فيه بعد عبد الله : ووليه فلان ابو فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين .
 وهو ما استقر عليه الحال الآن

الثاني - القاب ديوان الخلافة . وهي : الديوان العزيزي المولوي السيدى النبوى

الامامى الفلاني ، بلقب الخلافة

الثالث - القاب ولاة العهد بالخلافة . وهي : الجانب الشريف المولوي السيدى

النبوى الفلاني ، بلقبه المنسوب الى الخلافة . وربما قيل له : الجانب ، بدل الجانب ؛
 وبقية الألقاب على ما تقدم

الرابع - القاب إمام الزيدية باليمن . وهي : الجانب الكرم العالى السيدى الإمامى

الشريفى النسبى الحسينى الفلاني ، بلقب التعريف ، سائل الأطهار جلال الاسلام سيف
 الأنام بقية البيت النبوى نحر الحسب العلوى مؤيد أمور الدين خليفة الأئمة رأس الملياء
 صالح الأولياء علم الهداة زعيم المؤمنين ذخر المسلمين منجد الملوك والسلطين

❦ النوع الثانى ❦

الألقاب الملوكية . وهي ضربان :

(الضرب الاول) - القاب الساطان بالديار المصرية على ما استقر عليه الحال . وقد

ذكر في التعريف فيها مذهبين . الأول أن يقال : السيد الأجل الملك الفلاني العالم العادل المجاهد الرابض المتأخر المؤيد المظفر المنصور الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترک ظل الله في أرضه القائم بسننه وفرضه اسكندر الزمان مملك أصحاب المنابر والأسرة والنيجان (واهب) الاقاليم والأمصار مبيد الطغاة والبعاة والكفار حامي الحرمين الشريفين والقبليتين جامع كلمة الايمان ناشر نواء العدل والاحسان سيد ملوك الزمان أبو فلان فلان ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني والد الملوك والسلاطين أبي فلان فلان . . . أما في التثقيف فإنه ذكر ذلك بزيادة وتغيير وتقديم وتأخير فقال « السلطان الأعظم الملك الفلاني السيد الاجل العالم العادل المؤيد المجاهد الرابض المتأخر المظفر الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك سلطان العرب والعجم والترک فاتح الاقطار مانع الممالك والأقاليم والأمصار اسكندر الزمان مولى الاحسان جامع كلمة الايمان مملك أصحاب المنابر والتخوت والنيجان ملك البحرين مسلك سبيل القبليتين خادم الحرمين الشريفين ظل الله في أرضه القائم بسننه وفرضه سلطان البسيطة مؤسس الأرض المحيطة سيد الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين أبو فلان فلان » . ثم ذكر ان الغالب ان تحذف الشاهنشاه لان معناها ملك الاملاك وقد ورد النهي عن التسمي بذلك ، قال : والواجب ان يكون بدل أمير المؤمنين قسيم أمير المؤمنين

المذهب الثاني — ان يكتب : المقام الشريف ، أو الكريم أو العالی مجرداً عنها ؛ ويقتصر على الألقاب المنردة دون المركبة مثل ان يكتب « المقام الشريف العالی المولوى السلطاني الملكي الفلاني أبو فلان فلان » قال في التعريف : والى هذا ذهب المتأخرون من الكتاب ، ثم قال ، وأنا على الأول أعمل . قلت : وهو المستقر عليه الحال الآن

(الضرب الثاني) — الالقب التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك وهي على ثلاثة أصناف

الأول — القاب ولاية العهد بالسلطنة . وهي : المقام العالی العالی العادلى الملكي الفلاني الفلاني ، باقى المملك والقب المتعارف . قال في التثقيف : فان كان أخا للسلطان زيد فيه : الاخوي ، أو ولدا زيد فيه : الولدى

الثاني — صغار الملوك المستقلين بصغار البلدان كما كان صاحب حماة في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون . وكان يكتب له : المقام الشريف العالی السلطاني الملكي الفلاني ، بلقب

الملك . وربما قيل بعد لقب الملك : الاصيل لعراقتة في الملك
الثالث — ألقاب المكتوب اليهم من الملوك الاجانب عن الابواب السلطانية وهي على
أربع طبقات :

الطبقة الاولى — ما يصدر بالتمام . واعلاها : المقام الاشرف . كألقاب صاحب الهند
وهي « المقام الاشرف العالي المولوى السلطاني الاعظمي الشاهنشاهي العالمي العادلي
المجاهدي الماغري المظفري المؤيدى المنصوري اسكندر الزمان سلطان الاوان منبع
الكرم والاحسان المتقى آلسان وبقايا فراسياب وخاذان ملك البسيطة سلطان الاسلام
غياث الانام اوحد الملوك والسلاطين . . . » ودونه : « المقام الشريف العالى الكبيرى
السلطاني العالمي العادلي المجاهدي المؤيدى المرابطي المنصورى الملك الفلاني (بلقبى الملك
والتعارف) ودونه : المقام العالى . كألقاب القان ببلاد أزبك فيما ذكره في التثقيف .
وهي : « المقام العالى السلطاني الكبيرى المملكى الاكرمي الفلاني — بلقب التعريف — فلان
الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين ولي أمير المؤمنين . . . »
وكألقاب صاحب الغرب الاقصى فيما ذكره في التعريف . وهي « المقام العالي السلطاني
السيد الاجل العالم العادل المجاهد المرابط المئاغر المؤيد المظفر المنصور على اعداء الله
امير المسلمين قائد الموحدين مجيز الغزاة والمجاهدين مجند الجنود عاقد البنود مالى صدور
البراري والبحار مزعزع أسرة الكفار مؤيد السنة معز الملة شرف الملوك والسلاطين
بقية السلف الكريم والنسب الصميم ريبب الملك القديم ابو فلان »

الطبقة الثانية — ما يصدر بالمقر . واعلاها : المقر الكريم . كألقاب صاحب هراة
فما ذكره في التعريف وهي : « المقر الكريم العالي العالمي العادلي المجاهدي المؤيدى
المرابطى المئاغري الاوحدى الفلاني شرف الملوك والسلاطين خايل امير المؤمنين . . . »
وكألقاب صاحب كرمدان (في الصباح : كرمان) من بلاد الروم فيما ذكره في التثقيف وهي : « المقر
الكريم العالي العالمي العادلي المجاهدى المرابطى المئاغري المظفري المنصوري الفلاني عز الاسلام
والمسلمين فخر الملوك والسلاطين نصير الغزاة والمجاهدين زعيم الحياوش مقدم العساكر
ظهر أمير المؤمنين . . . » . ودونه : المقر العالى كألقاب صاحب مالى والتكرور فيما ذكره في
التعريف وهي « المقر العالى السلطاني الجليل الكبير العالم العادل المجاهد المؤيد الاوحد
عز الاسلام شرف ملوك الانام ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم حياوش الموحدين جمال الملوك
والسلاطين سيف الخلافة ظهر الامامة عضد أمير المؤمنين »
الطبقة الثالثة — ما يصدر بالجناب . واعلاها : الجناب الكريم كألقاب ملك التكرور

المقدم ذكره على ما استقر عليه الحال فيما ذكره في التثقيف وهي « الجناب الكريم العالى الملك الجليل العالم العادل المجاهد المؤيد المثنى المرابط العابد الخاشع الناسك الاوحد فلان ذكر الاسلام » وكألقاب ملكي البرنو والكانم فيما ذكره في التعريف وهي « الجناب الكريم العالى الملك الجليل الكبير العالم العادل الغازي المجاهد الامام الهمام الاوحد المظفر المنصور عز الاسلام ٠٠ » وبقية الالقب من نسبة القاب ملك التكرور

الطبعة الرابعة - القاب المجلس . وأعلاها المجلس العالى كألقاب صاحب حصن كيفا من الجزيرة القراتية فيما ذكره في التعريف . وهي : « المجلس العالى المكي الفلاني الاجلى العالى العادلى المجاهدي المؤيدي المرابطي المثنى المرابط الاوحدى الاصيل الفلاني (يلقب بالتعريف) عز الاسلام والسلمين بقية الملوك والسلاطين نصير النزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين شرف الدول ذخر الممالك خليل أمير المؤمنين (أعضد أمير المؤمنين على مخالفة فيما اورده في التثقيف في المكاتبه اليه) ودونه : المجلس السامي بلياء كألقاب صاحب ارزن . وهي : « المجلس السامي المكي الفلاني - بلقب الملك - الاصيل الكبيرى العالمى المجاهدي المؤيدي المرابطى الاوحدى الفلاني -- بلقب التعريف - عز الاسلام شرف الملوك في الانام بقية السلاطين نصرة النزاة والمجاهدين ولي أمير المؤمنين . ودونه : المجلس السامي ، بغير ياء كألقاب صاحب دققة إذا كان مسلماً فيما ذكره في التعريف وهي : « المجلس الجليل الكبير الغازي المجاهد المؤيد الاوحد مجد الاسلام زين الانام نجر المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين ٠٠٠ » ولم يذكر فيه السامي ولا المكي

اما ما يصدر بالألقاب المؤتمنة كالحضرة فيختلف الحال فيه باختلاف الممالك . فألقاب القان بمملكة ايران على ما كان عليه الحال في أيام السلطان أبى سعيد وما قبله هي « الحضرة الشريفة العالمة السلطانية الأعظمية الشاهنشاهية الاوحدية ٠٠ » قال في التعريف ولا يخلط فيها الملكية لهوانها لديهم . وان كان صاحب التثقيف اثبت فيها الملكية أيضاً على ما سيأتى في الكلام على المكاتبه اليه . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره في التثقيف : « الحضرة العلية السنية السرية المظفرية الميمونة المنصورة حضرة الامير النام .. » الخ الالقب

﴿ النوع الثالث ﴾

الالقب العامة لسائر الطوائف مما يكتب به عن الابواب السلطانية وهي ثمانية أصناف :

(الصنف الاول)

القاب أرباب السيوف وهي على خمس درجات :

(الدرجة الأولى) درجة « المقر » وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة « المقر الشريف » وهو مختص في عرف الزمان بما يكتب عن نواب السلطنة دون الابواب السلطانية فمثاله على ما أورده في عرف التعريف : « المقر الشريف العالى المولوى الاميرى الكبيرى العالمى العادلى الممهدي المشيدى الزعيمى المقدمى العوفى الغيائى المرابطى المئاغرى الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين »

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » وهي مستعملة فى السلطانيات وما يكتب عن النواب فأما فى السلطانيات فمثاله على ما أورده فى التقييف فى ألقاب النائب الكافل ونائب الشام « المقر الكريم العالى الاميرى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الزعيمى العوفى الغيائى المئاغرى المرابطى الممهدي المشيدى الظهيرى العابدى الناسكى الاتابكى الكفيلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم جيوش الموحدين ممد الدول مشيد الممالك عماد الملة عون الامة ظهير الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين . . . » وأما فيما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده شهاب الدين الفارقي فى دستوره : « المقر الكريم العالى المولوى الاميرى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الممهدي العوفى المقدمى الذخري الغيائى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين زعيم جيوش الموحدين مقدم العساكر المجاهدين ذخىر الدولة بهاء الملة ممد المملكة ظهير الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين »

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة « الجناب » وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة « الجناب الشريف » وهي مستعملة فيما يكتب عن نواب السلطنة دون ما يكتب من الابواب السلطانية ومثاله على ما أورده فى عرف التعريف « الجناب الشريف العالى المولوى المجاهدي المؤيدى الممهدي الذخري الأوحدي العوفى الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين سيد الامراء المدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عماد الدولة عون الامة ذخىر الملة ظهير الملوك والسلاطين سيف امير المؤمنين »

المرتبة الثانية — مرتبة « الجناب الكريم » — وهي مستعملة فى السلطانيات وما يكتب عن النواب فأما فى السلطانيات فمثاله على ما أورده فى التقييف على ما كان عليه الحال أولاً « الجناب الكريم العالى الاميرى الاجلى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الممهدي المشيدى الزعيمى الذخري المقدمى العوفى الغيائى المرابطى المئاغرى المظايرى المنصورى الاتابكى ركن الاسلام والمسلمين سيد الامراء فى العالمين أتابك الجيوش

مقام العساكر زعيم الجنود عافد البنود ذخر الموحدين ناصر الغزاة والمجاهدين غياث
 الامة عون الملة مشيد الدول كافل الممالك ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين «
 ومثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب نائب حلب على ما استقر عليه الحال وذكر انه
 هو الذي كان يكتب لثائب الكافل في الاول « الجناب الكريم العالي الاميري الكبير
 العالمي العادلي المؤيدي الزعيم العوني الغياثي المشاغري المرابطي المهدي المشيدي الظهيري
 الكافلي الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين زعيم
 حيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول سيف الممالك عماد الملة عون الامة كافل
 السلاطنة ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين . » واما ما يكتب عن الثواب فمثاله
 على ما أورده شهاب الدين الفارقي في دستوره عن نائب الشام : « الجناب الكريم العالي
 المولوي الاميري الكبير العالمي العادلي العضدي النصيري المؤيدي المقدمي الذخري
 الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء في العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ظهير
 الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجناب العالي » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
 عن الثواب . فأما السلطانيات فمثاله فيها على ما أورده في التثقيف في ألقاب نائب طرابلس
 ومن في معناه : « الجناب العالي الاميري الكبير العالمي العادلي المؤيدي العوني الزعيم
 المهدي المشيدي الظهيري الكافلي الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد أمراء العالمين نصير الغزاة
 والمجاهدين زعيم حيوش الموحدين مقدم العساكر ممد الدول مشيد الممالك عماد الملة
 عون الامة ظهير الملوك والسلاطين سيف أمير المؤمنين . . . » وعلى ما أورده في التثقيف أيضاً
 في القاب مقدم العساكر بغزة : « الجناب العالي الاميري الكبير العالمي العادلي المؤيدي
 الأوحدي النصيري العوني الهمامي المقدمي الفلاني عز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء
 في العالمين نصره الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد المملكة
 ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين . . . » واما فيما يكتب عن الثواب فمثاله على ما
 أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام « الجناب العالي الاميري الأجلي
 الكبير المؤيدي المجاهدي العوني المقدمي الظهيري الفلاني مجد الاسلام والمسلمين شرف
 الأمراء المقدمين نصره الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . »

الدرجة الثالثة — درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة « المجلس العالي » وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
 عن الثواب . فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب نائب الكرك :

« المجلس العالي الأميري الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى العونى الأوحدي النصيرى الهامى المقدمى الظهيرى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف الأمراء فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة ظهير الملوك والى السلاطين حسام أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أورده فى التقيف أيضاً فى ألقاب أمير مكة المشرفة .

« المجلس العالي الكبيرى النريفى الحسينى النسبى العالمى المجاهدى المقدمى الأوحدي النصيرى العونى الغيائى الظهيرى الأصلى العريقى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف الأمراء الاشراف فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين كهف الملة عون الأمة نحر السلالة ازاهرة زين العترة الطاهرة بهاء العصاة العلوية جمال الطائفة الهاشمية ظهير الملوك والسلاطين نسيب أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أورده فى ألقاب أمير آل فضل بن عرب الشام . « الحاسم العالي الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى الأوحدي النصيرى العونى الهامى المقدمى الظهيرى الأصلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف أمراء العربان فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد العرب ظهير الملوك والسلاطين حسام أمير المؤمنين ٠٠ » وعلى ما أورده فيه فى ألقاب نائب الرحبة ومن فى رتبته . « المجلس العالي الأميري الكبيرى العضدى الذخري النصيرى الأوحدي المؤيدى العونى الهامى المقدمى الظهيرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين ٠٠ » وأما ما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده فى عرف التعريف . « المجلس العالي الاميرى الاسفهلارى الاجلى الكبيرى المجاهدى المؤيدى النصيرى الظهيرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين زين الأمراء المقدمين نصرة الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين ٠٠ »

المرتبة الثانية مرتبة « المجلس السامى » بالياء وهى مستعملة فى السلطانيات وما يكتب عن النواب . فأما فى السلطانيات فمثاله على ما ورد فى التقيف فى ألقاب الكشاف بالوجهين القبلى والبحري بالديار المصرية « المجلس السامى الاميرى الكبيرى الذخري النصيرى الأوحدي المؤيدى الفلانى مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء أوجد المجاهدين عضد الملوك والسلاطين ٠٠ » وعلى ما رأيت فى بعض الدساتير لأمير آل مرا من عرب الشام : « المجلس السامى الاميرى الكبيرى المجاهدى المؤيدى العضدى الذخري النصيرى الأوحدي الاصلى العريقى مجد الاسلام شرف الامراء زين القبائل فخر العشائر مسلاذ العرب عضد الملوك والسلاطين ٠٠ » وعلى ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله فى بعض دساتيره فى ألقاب تقيم الاشراف « المجلس السامى الاميرى الكبيرى العالمى المجاهدى

المؤيدي الشريف الحسيني النسبي الذخري الاوحدى الاصلي عز الاسلام زين الانام
 نسيب الامام شرف الامراء نقيب النقباء جمال العترة الطاهرة جلال الاسرة الزاهرة ذخر
 الغزاة والمجاهدين ظهر الملوك والسلاطين ولى امير المؤمنين . . . » وأما ما يكتب عن
 النواب فمثاله على ما أورده في عرف التعريف « المجلس السامى الاميرى الاجلى الكبيرى
 المؤيدى العضدى النصيرى الاوحدى الهمامى الفلانى مجد الاسلام زين الامراء فى الانام
 ذخر الغزاة والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامى » بغير ياء . وهى مستعملة فى السلطانيات
 وغيرها . فأما فى السلطانيات فمثاله على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب الولاة الطبلخانات
 بالوجهين القبلى والبحري . « المجلس السامى الامير الاجل الكبير الغازى المجاهد
 المؤيد الاوحد المرتضى فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نخر الامراء زين المجاهدين
 عمدة الملوك والسلاطين . . . » وعلى ما رأيت فى بعض الدساتير فى ألقاب النائب بالينبع
 « المجلس السامى الأمير الاجل المجاهد المؤيد الشريف الحسينى نسيب مجد الاسلام بهاء
 الانام زين العترة نخر الاسرة جمال الذرية نخر الشجرة الزكية عمدة الملوك
 والسلاطين . . . » وعلى ما أورده فى التثقيف فى ألقاب أكبر عربان آل فضل من عرب
 الشام . « المجلس السامى الامير الاجل الكبير الغازى المجاهد المؤيد الاوحد الاصيل
 فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نخر القبائل زين العشائر عماد الملوك والسلاطين »
 وأما ما يكتب عن النواب فمثاله على ما أورده فى عرف التعريف « المجلس السامى الامير الاجل
 الكبير الغازى المجاهد المؤيد فلان الدين مجد الاسلام زين الامراء نخر الانام ذخر الغزاة
 والمجاهدين عضد الملوك والسلاطين . . . »

﴿ الدرجة الرابعة ﴾ درجة « مجلس الأمير » وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها
 فأما فى السلطانيات فمثاله على ما أورده فى التثقيف فى ألقاب الولاة العشرات بالوجهين القبلى
 والبحري . « مجلس الأمير الاجل الكبير الغازى المجاهد المؤيد الاوحد المرتضى فلان
 الدين مجد الامراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين . . . » وأما ما يكتب عن النواب
 فمثاله على ما أورده (الفارقي فى دستوره) « مجلس الأمير الاجل الكبير الاخص الاكمل
 الغازى المجاهد المرتضى المختار فلان الدين مجد الامراء عمدة الملوك والسلاطين . . . »
 ﴿ الدرجة الخامسة ﴾ درجة « الامير » مجردا عن المضاف اليه وهى مستعملة فى
 السلطانيات وغيرها . فأما السلطانيات فمثاله « الأمير الاجل الكبير الغازى فلان الدين . . . »
 وأما فى غير السلطانيات فمثاله على ما أورده فى التذكرة الآسدية . « الأمير الأجل

الأعز الأخص الأكل فلان الدين . . . »

﴿ النوع الرابع ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الدينية وهي على خمس درجات
﴿ الدرجة الاولى ﴾ درجة المقر وهي على ثلاث مراتب مختصة جميعها بما يكتب
عن النواب دون السلطان

المرتبة الاولى - مرتبة « المقر الشريف » ومثالها على ما رأيت في بعض التواريخ عن
نائب الشام: « المقر الشريف العالي المولى الفاضل الكبيرى العالمى العادلى العريقى الأصيلى
القوامى النظامى العلمى القدوى المفيدى الشبخى الحاكى المحسنى الفلانى جمال الاسلام
والمسلمين سيد الفضلاء العالمين قدوة العلماء فى العالمين لسان المتكلمين برهان المناظرين
صدر المدرسين جلال الطالبين بركة الملوك والسلطين خالصة أمير المؤمنين . . . »

المرتبة الثانية - مرتبة « المقر الكريم » ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير
الشامية . « المقر الكريم العالي المولى القضاى الصاحبى الأمامى العالمى العاملى العلمى
المفيدى الفريدى البلىغى الأوحدي المحقق القوامى النظامى العريقى الحاكى المحسنى
الفلانى جمال الاسلام والمسلمين جلال العلماء العالمين قدوة المحققين بركة الملوك والسلطين . . . »
المرتبة الثالثة - مرتبة « المقر العالى » ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية .
« المقر العالى المؤيدى الشبخى الكبيرى الامامى العالمى العلمى المفيدى القدوى الفريدى
المحققى القوامى النظامى الحاكى الفلانى علاء الاسلام والمسلمين أوجد الفضلاء فى العالمين
رحلة الطالبين نخبة المحققين جمال العلماء فى العالمين خالصة الملوك والسلطين »

﴿ الدرجة الثانية ﴾ - درجة الجنب ، وهي على ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى - مرتبة « الجنب الشريف » وهي مختصة بالسلطان . ومثالها على
ما أوردته في عرف التعريف : « الجنب الشريف العالي المولى القضاى السيدى الامامى
العائى العالمى العلمى التكاملى الأصيلى الأوحدي المفيدى القدوى الفريدى الشبخى
المجتهدى الفلانى حجة الاسلام (أو ضياء الاسلام) شرف الأنام أثير الأمام صدر الشام
سيد العلماء والحكام (ان كان حاكماً) بقية الساف الكرام شيخ المذاهب مجلى الغياهب
قدوة الفرق رئيس الأصحاب مفتي السنة مؤيد الملة شمس الشريعة سيف القطر مفيد
الطالبين لسان المتكلمين ولي أمير المؤمنين حكم الملوك والسلطين . . . »

المرتبة الثانية - مرتبة « الجنب الكريم » وهي مختصة بالسلطانيات أيضاً . ومثالها

على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية . « الجنب الكريم العالي المولوي القضاي الكبيرى
الصاحي الامامي العالمى الفاضلى الكاملي الأريبي البيبي الاصيلى العريقى القوامى النظامى
الفلانى جمال الاسلام والمسلمين أو حد الفضلاء فى العالمين خالصه الملوك والسلاطين . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « الجنب العالى » وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها
فأما فى السلطانيات فمثاله على ما استقر عليه الحال فى ألقاب قاضى القضاة الشافعية بالديار
المصرية : الجنب العالى القاضى الشيخى الكبيرى العالمى العاملى الافضلى الأكملى
الاوحدى البليغى الفريدى المفيدى النجيدى الحجبى المحققى الورع الحاشى الناسكى
الامامى العالمى الاصيلى العريقى الحاكى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين شرف
العلماء العالمين اوحد الفضلاء المفيدين تدوة البلاء حجة الامة عمدة المحققين فخر
المدرسين مفتى المسلمين جلال الحكام بركة الدولة صدر مصر والشام معز السنة مؤيد
الملة شمس اشريعة رئيس الاصحاب لسان المتكلمين حكم الملوك والسلاطين ولى امير
المؤمنين » . وأما فى غير السلطانيات فمثالها على ما رأيت فى بعض الدساتير الشامية :
« الجنب العالى الشيخى الكبيرى العالمى الفاضلى الكاملى الاوحدى الماجدى القوامى
النظامى الفلانى ضياء الاسلام والمسلمين اوحد الفضلاء العارفين جلال الأئمة فى
العالمين خالصه الملوك والسلاطين . . . »

« الدرجة الثالثة » — درجة « المجلس » وفيها ثلاث مراتب

المرتبة الاولى — مرتبة « المجلس العالى » . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها.
فأما فى السلطانيات فمثاله على ما أورده فى التثقيف . فى ألقاب قضاة القضاة الثلاثة : الحنفى
والمالكي والحنبلى بالديار المصرية « المجلس العالى القاضى الكبيرى العالمى العاملى
الافضلى الاكملى الاوحدى البليغى الفريدى النجيدى الندوى الحجبى المحققى الامامى
الاصيلى العريقى الحاكى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين سيد العلماء العالمين أوحد
الفضلاء المفيدين قدوة البلاء حجة الامة عمدة المحدثين فخر المدرسين مفتى المسلمين
جلال الحكام حكم الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية — « مرتبة المجلس السامى بالبلاء » — وهى مستعملة فى السلطانيات
وغیرها . فأما فى السلطانيات فلم يذکرها فى التثقيف مثالا ومثالها على ما رأيت فى بعض
التواقيع . « المجلس السامى القضاي الكبيرى العالمى الفاضلى الأوحدى الرئيسى المفيدى
البليغى القدوى الايرى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين جمال العلماء العالمين أوحد الفضلاء

صدر المدرسين عمدة المفتين خالصة الملوك والسلاطين ٠٠ «

المرتبة الثالثة — « المجلس السامي بغير ياه » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما في السلطانيات فلم يذكر لها في التثقيف مثالا ومثالها على ما رأيت في بعض التواريخ « المجلس السامي القاضي الاجل الكبير الصدر الرئيس العالم الفاضل الكامل فلان الدين مجد الصدور زين العباد مرتضى الملوك والسلاطين ٠٠٠ » وأما في غير السلطانيات فمثالها على ما أورده في عرف التعريف . « المجلس السامي القاضي الاجل الكبير العالم الفاضل الكامل الاوحد الاثير البارع فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام نحر الصدور زين الاعيان مرتضى الدولة صفوة الملوك والسلاطين ٠٠٠ »

﴿ الدرجة الرابعة ﴾ — درجة « مجلس القاضي » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يذكر لها في التثقيف مثالا . ومثالها على ما رأيت في بعض التواريخ . : « مجلس القاضي الاجل الكبير العالم الفاضل الاوحد الكامل الصدر الرئيس مجد الاسلام بهاء الانام زين الاعيان نحر الصدور مرتضى الملوك والسلاطين ٠٠ » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

﴿ الدرجة الخامسة ﴾ — درجة (القاضي) وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . ومثالها فيهما . « القاضي الاجل ٠٠ » وربما زيد : الكبير الصدر الرئيس ، ونحو ذلك

﴿ النوع الخامس ﴾

ألقاب أرباب الوظائف الديوانية وهي أيضاً على خمس درجات .

﴿ الدرجة الاولى ﴾ — « درجة المقر » وهي مختصة بغير السلطانيات مما يكتب عن

النواب ومن في معناهم ولها ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » . ومثالها على ما أورده في عرف التعريف في ألقاب الوزراء من أرباب الاقلام : « المقر الشريف العالي المولوى الصاحبى الوزيرى المتقدمى العالمى المهدي العونى الزينائى جلال الاسلام والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الاصحاب قوام الامة نظام الملة مدبر الدولة ذخر الممالك ظهير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » . ومثالها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب كاتب السر بالشام : « المقر الشريف العالي المولوى القاضى الكبيرى العالمى العالمى العلامى الاكلمى الأفضلى الأصيلى العربقى المدبرى المشيرى اليمينى السفيرى الفلانى ضياء الاسلام والمسلمين سيد العلماء والرؤساء فى العالمين رئيس الاصحاب كهف الكتاب حسنة الايام

بقية السلف الصكرام صدر مصر والشام لسان السلطنة سفير المملكة مشير الملوك
والسلاطين ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ »

المرتبة الثانية - مرتبة « المقر الكريم » - قال في عرف التعريف . والالقب
فيها من نسبة ما تقدم في ألقاب « المقر الشريف » ومثالها على ما أورده الصلاح الصفدي
في دستوره عن نائب الشام : « المقر الكريم العالي الموالي القضائي العالمي القوامي النظامي
المدبري المشيري الملاذى الفلاني جلال الاسلام والمسلمين سيد الاكابر في العالمين عون
الامة ذخيرة الملة مدبر الدول جمال الممالك حسنة الوجود خاصة الملوك والسلاطين... »
المرتبة الثالثة - مرتبة « المقر العالى » . قال في عرف التعريف . وهي من نسبة
ما تقدم من ألقاب المقر الشريف أيضاً

﴿ الدرجة الثانية ﴾ - درجة « الجنب » وفيها ثلاث مراتب .

المرتبة الاولى - مرتبة « الجنب الشريف » وهي مختصة بما يكتب عن النواب
دون السلطانيات . قال في عرف التعريف . وهي من نسبة ما تقدم في « المقر الشريف »
أيضاً . وهي على ما أورده الصلاح الصفدي في دستوره عن نائب الشام لبعض كتاب
الدست « الجنب الكريم العالي المولوي القضائي الكبيرى العالمي العاملى البارعى
الكاملى المؤيدى القوامى النظامى الرئيسى الاصيلى الرقيقى الاوحدى الفلانى جلال
الاسلام والمسلمين أوجد الرؤساء فى العالمين تاج الفضلاء المنشئين جهيد الخذاق
المتصرفين خاصة الملوك والسلاطين »

المرتبة الثالثة - مرتبة « الجنب العالى » وهي مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
نأما فى السلطانيات فمثالها على ما أورده فى التثيف فى ألقاب الوزارة بالديار المصرية .
« الجنب العالى الصاحبى الكبيرى العالمى العادلى الاوحدى الاكلى القوامى النظامى
الاثيرى البايضى المنفذى المسددى المتصرفى الممهدى العونى المدبرى المشيرى الوزبرى
الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير
الرؤساء أوجد الاصحاب ملاذ الكتاب قوام الدول نظام الملك مفيد المناجح معتمد
المصالح مرتب الحيوش عماد الملة عون الامة مشير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين »
وأما فى غير السلطانيات فمثالها على ما رأيت فى بعض الدساتير عن نائب الشام فكانت
صيغته . « الجنب العالى القضائى الكبيرى العالمى الفاضلى الاكلى البارعى الاوحدى
القوامى النظامى المفوهى الرئيسى الماجدى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف
الرؤساء فى العالمين أوجد الفضلاء الماجدين قدوة البلغاء جمال الكتاب زين المنشئين

خالصة الملوك والسلاطين ٠٠٠» .

﴿ الدرجة الثالثة ﴾ — درجة المجلس ٠ وفيها ثلاث مراتب .

المرتبة الأولى — مرتبة « المجلس العالي » . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فتسألها على ما أورده في التثقيف في ألقاب كتاب السر بالابواب السلطانية : « المجلس العالي القاضى الكبيرى العالمى العادلى العلامى الأفضلى الأتملى البلىنى المسددى المنفذى المشيدى العونى المشيرى البىنى السفىرى الأصبلى العربى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين قدوة العلماء العاملين جمال البلغاء أوحد الفضلاء جلال الاصحاب كهف الكتاب بين المملكة لسان السلطنة سفير الأمة سليل الأكارب مشير الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين ٠٠٠ » وعلى ما أورده فيه أيضاً فى ألقاب ناظر الحاص : « المجلس العالى القاضى الكبيرى العالمى الفاضلى الأوحدى الأتملى الرئيسى البانى البارعى القوامى النظامى الماجدى الأثيرى المنفذى المسددى المتصرفى الفلانى جمال الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين قوام المصالح نظام المناجح جلال الأكارب قدوة الكتاب رئيس الاصحاب عماد الملة صفوة الدولة خالصة الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين ٠٠٠ » . وعلى ما أورده فيه فى ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة : « المجلس العالى الصاحبى الوزىرى الأصبلى الكبيرى العالمى العادلى الأوحدى القوامى النظامى المؤيدى الماجدى الأثيرى المشيرى الفلانى صلاح الاسلام والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء بقية الاصحاب . لاذ الكتاب عماد الملة خالصة الدولة مشير الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين » . وعلى ما أورده فى ألقابه اذ لم يصرح له بالوزارة بل كان ناظر النظر بالمملكة الشامية : « المجلس العالى القضاى الكبيرى العالمى العاملى الأوحدى الرئيسى الأثيرى القوامى المنفذى المتصرفى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين شرف الأمراء فى العالمين أوحد الفضلاء جلال الكبراء حجة الكتاب صفوة الملوك والسلاطين خالصة أمير المؤمنين ٠٠٠ » . وأما فى غير السلطانيات فتسألها على ما أورده فى التذكرة الآمدية فى بعض التوائى بكتابة الدست بالشام « المجلس العالى القضاى الأجلى الكبيرى الرئيسى العالمى العاملى البارعى الأوحدى الماجدى الأثيرى الأنبلى الأفضلى الأصبلى الفلانى مجد الاسلام بهاء الانام شرف الرؤساء أوحد الكبراء صدر الأعيان جمال الكتاب صفوة الدولة خالصة الملوك والسلاطين ٠٠٠ » .

المرتبة الثانية — مرتبة « المجلس السامى » . بآباء ٠ . وهي مستعملة فى السلطانيات وغيرها فأما فى السلطانيات فلم يذكر لها مثالا فى التثقيف ٠ ومثلها على ما رأيت فى بعض

التوقيع : « المجلس السامي القضائي الأجل الكبيرى العالمى الفاضلى الكاملى الرئيسى الأوحدي الاصيلى الاثيرى الثنائى مجد الاسلام شرف الرؤساء نحر الانام زين البغاء جمال الفضلاء أوحد الكتاب نحر الحساب صفوة الملوك والسلاطين . . » وأما في غير السلطانيات فلم يذكر لها مثالا في التثقيف . ومثلها على ما رأيت في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج : « المجلس السامي القضائي الأجل الكبيرى العالمى الفاضلى الكاملى البديعى الرئيسى الثنائى مجد الاسلام شرف الرؤساء أوحد الكتاب جمال البغاء مرتضى الملوك والسلاطين . . » المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في التثقيف ايضاً ومثلها على ما رأيت في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج : « المجلس السامي القاضى الاجل الكبير الصدر الرئيس الاوحد البارع الكامل الاصيل الفاضل فلان الدين جمال الاسلام بهاء الانام شرف الاكابر زين الرؤساء أوحد الفضلاء نحر الكتاب صفوة الملوك والسلاطين . . » وأما في غير السلطانيات فمثلها على ما رأيت في التذكرة الآمدية في توقيع بكتابة الدرج ايضاً : « المجلس السامي القاضى الاجل الكبير الفاضل البارع الكامل الاوحد الرئيس الاثير فلان الدين مجد الاسلام شرف الصدور أوحد الفضلاء زين الكتاب صفوة الملوك والسلاطين . . »

﴿الدرجة الرابعة﴾ درجة «مجلس القاضى» — وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . فأما في السلطانيات فلم يورد لها في التثقيف مثالا ومثلها على ما يقتضيه اصطلاح الديوان : « مجلس القاضى الاجل الكبير الفاضل الاوحد الاثير الرئيس البليغ فلان الدين مجد الاسلام بهاء الانام شرف الرؤساء زين الكتاب مرتضى الملوك والسلاطين . . » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

* (الدرجة الخامسة) * درجة « القاضى » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها . ومثلها فيهما : « القاضى الاجل ، وربما زيد : الكبير ، الصدر الرئيس . . ونحو ذلك »

﴿ النوع السادس ﴾

القاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح وهي خمس درجات :

﴿الدرجة الاولى﴾ درجة المقر — وهي مخصصة بما يكتب عن النواب دون السلطانيات وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى — مرتبة « المقر الشريف » . ومثلها على ما رأيت في بعض الدساير « المقر الشريف العالمى المولوى الشيخى السيدى الامامى العالمى الفاضلى الورع الزاهدى

العابدي الناسكي السالكي الخاشعي المسلمي المحققي المدققي الفلاني صلاح الاسلام والمسلمين
جمال الاصفياء العاملين خالصة الانام صفوة الاتقياء قطب العباد الملك على الحقيقة والملك
أزمة الطريقة بقية السلف قدوة الخلف مفيد الطالبين أو حد المحققين ركن الملوك والسلاطين
ولى أمير المؤمنين . . . » على أن الاحسن أن يقال بركة الملوك بدل ركن الملوك

المرتبة الثانية — مرتبة « المقر الكريم » وألقابها من نسبة ألقاب المقر الشريف
المرتبة الثالثة — مرتبة « المقر العالى » وألقابها من نسبة ماتقدم

﴿ الدرجة الثانية ﴾ — درجة « الجناب » وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة « الجناب الشريف » . وهي مختصة بما يكتب عن النواب
دون السلطانيات . (ومثالها الجناب العالى المولوى الشيخى الامامى العالى الكاملى الفاضلى
الزاهدى العابدى الخاشعى الناسكى الورعى الزاهدى جلال الاسلام سيف الانام قطب
الزهاد علم العباد أو حد الناسكين فريد السالكين بركة الملوك والسلاطين . . .)

(المرتبة الثانية — مرتبة « الجناب الكريم » — وهي مختصة بما يكتب عن النواب
دون السلطانيات أيضاً) . ومثالها على مارأيته في بعض النواتيع عن نائب الشام : « الجناب
الكريم العالى الشيخى العالمى العاملى الاوحدى القدوى العابدى الناسكى الخاشعى
المسلمى المربى الربانى الاصيلى الفلانى مجد الاسلام حسنة الايام قدوة الزهاد ملاذ العباد
جمال الورعين مربي المريدين أو حد السالكين خلف الاولياء بركة الملوك والسلاطين . . . »
المرتبة الثالثة — مرتبة الجناب السكريم . ومثالها على مارأيته في بعض التواقيع عن
نائب الشام : « الجناب العالى الشيخى العالمى العاملى الاوحدى العابدى الناسكى الورعى الزاهدى
الخاشعى المسلمى الاصيلى الفلانى مجد الاسلام بهاء الانام قدوة العباد جمال الزهاد أو حد
المسلكين بركة الملوك والسلاطين . . . »

(الدرجة الثالثة) — درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى — مرتبة « المجلس العالى » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها
فأما في السلطانيات فمثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب شيخ الشيوخ بخانقاه سرباقوس
« المجلس العالى الشيخى الكبيرى العالمى الماملى السالكى الاوحدى الزاهدى العابدى
الخاشعى الناسكى المقيدى القدوى الامامى النظامى الملاذى جلال الاسلام والمسلمين شرف
الصلحاء في العالمين شيخ شيوخ الاسلام أو حد العلماء في الانام قدوة السالكين بركة الملوك
والسلاطين . . . » . وأما في غير السلطانيات فمثاله على ما أورده في عرف التعريف : « المجلس
العالى الشيخى الاجلى الامامى العالمى العاملى الزاهدى العابدى الورعى الخاشعى الناسكى القدوى

الفلاني خيرة الاسلام شرف الانام زين العباد نور الزهاد ذخر الطالبين كنز النبي ملجأ
المريدين بركة الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية — مرتبة « المجلس السامي » بالياء وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها فأما في السلطانيات فناله على ما أوردته في الثقيف في ألقاب الشيخ شمس الدين
الطوطي من كان يكتب اليه قديما : « المجلس السامي الشيخي الأجلي العالمي العاملي الكاملي
الفاضلي الزاهدي الورعي العابد الحاشي الناسكي القدوي الاوحد الفلاني مجد الاسلام
بهاء الانام بقية السلف الكرام فخر الصالحين اوجد الكبراء زين الزهاد عماد العباد قدوة
المشايخ ذخر الدول ركن الملوك والسلاطين . . . » وأما في غير السلطانيات فناله على
ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في توقيع عن نائب الشام : « المجلس السامي الاثامي
العالمي العاملي الحاشي الورعي الناسكي السالك العارفي القدوي البليني الاصيلي الشيخي
الفلاني مجد الاسلام شرف العامة قدوة الفضلاء فخر الصالحين جمال الناسك قدوة السالك
أوجد العارفين بركة الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثالثة — مرتبة « المجلس السامي » بغير ياء — وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها . فأما في السلطانيات فنالها على ما رأيتها في بعض التواقيع الشريفة ، المجلس
السامي الشيخ الصالح الزاهد العابد انور الخاشع الناسك السالك فلان الدين مجد الصالحين
زين المشايخ قدوة السالكين بركة الملوك والسلاطين . . . وأما في غير السلطانيات فألقابها على
نحو من ذلك

﴿ الدرجة الرابعة ﴾ دوجة « مجلس الشيخ » وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومنالها فيهما ، مجلس الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك السالك فلان الدين مجد الصالحين
زين المشايخ بركة الملوك والسلاطين .
﴿ الدرجة الخامسة ﴾ درجة الشيخ — وهي ، الشيخ الصالح الورع الزاهد . . .
ونحو ذلك . . .

* (النوع السابع) *

ألقاب التجار الخواجكية . وفيه ثلاث درجات :

﴿ الدرجة الأولى ﴾ — درجة الجناب . ولم أرفها غير مرتبة « الجناب العالي » فيما
عدا السلطانيات . ومنالها على ما رأيتها في بعض الدوائر الشامية ، الجناب العالي الصدرى
الكبرى المحترمي المؤتمنى الاوحدى الاكملى الرئيسى العارفى المقربى الخواجكى الفلاني

مجد الاسلام والمسلمين شرف الاكابر في العالمين أوحد الامناء المقربين صدر الرؤساء
رأس الصدور عين الاعيان كبير الحواجبية ثقة الدولة مؤتمن الملوك والسلاطين . .

﴿ الدرجة الثانية ﴾ درجة « المجلس » . وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى - مرتبة « المجلس العالي » . وهي مخصصة بغير السلطانيات . ومثالها على
ما رأيت في بعض الدساتير الشامية : « المجلس العالي الصدري الرئيسي الكبير المحترمي
المؤتمن الاوحدي الاكمل المقرب الحواجبي الفلاني مجد الاسلام شرف الاكابر أوحد
الامناء صدر الرؤساء زين الاعيان ثقة الدول مؤتمن الملوك والسلاطين . . . »

المرتبة الثانية - مرتبة « المجلس السامي » بالياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها
فأما في السلطانيات فنالها على ما ذكره في التثقيف في ألقاب خواجا عساف بن مسافر
ونظام الدين الاسعدي : المجلس السامي الصدري الكبير الكاملي الماجدي الأوحد
المقرب المنتخب الأئمة الأئير الحواجبي الفلان مجد الاسلام زين الانام شرف الرؤساء
أوحد الكبراء تاج الامناء نخر الاعيان مقرب الحضرتين مؤتمن الدول صفوة الملوك
والسلاطين . . . » وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامي ، بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها . فأما في السلطانيات فنالها على ما أورده في التثقيف في ألقاب بعض الحواجبية :
المجلس السامي الصدر الأجل الكبير الكامل الماجد الاوحد المقرب المنتخب الامين
الأئير الحواجه فلان الدين مجد الرؤساء زين الاكابر نخر الصدور جمال الاعيان مقرب
الدولة صفوة الملوك والسلاطين . . . وأما في غير السلطانيات فتقريب من ذلك

﴿ الدرجة الثالثة ﴾ درجة الصدر . وصورتها في السلطانيات : الصدر الأجل
الكبير المحترم المقرب الأوحد فلان الدين . وفي غير السلطانيات على نحو ذلك

﴿ النوع الثامن ﴾

ألقاب أرباب الصناعات كرياضة الطب ورياضة الكحالين ورياضة الجرائمية
ونحو ذلك وفيها درجتان

﴿ الدرجة الاولى ﴾ درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب :

المرتبة الاولى - مرتبة المجلس العالي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها فأما
في السلطانيات فكألقاب رئيس الأطباء وهي : المجلس العالي القضائي العالمي الفاضلي
الكاملي الأوحد الفلاني جمال الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء في العالمين أوحد الفضلاء

لمقرين خالصة الملوك والسلاطين وأما في غير السلطانيات فعلي نحو من ذلك
المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامي ، بغير ياء ، وهي مستعملة في السلطانيات
وغيرها . فأما في السلطانيات فنثاله : المجلس السامي الصدري الاجلي الكبيرى الرئيسى
الفلاني وأما في غير السلطانيات فكذلك أو قريب منه

المرتبة الثالثة — المجلس السامي ، بغير ياء . وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومثالها فهما : المجلس السامى الصدر الاجل الكبير الرئيس المحترم . . . ونحو ذلك
﴿ الدرجة الثانية ﴾ درجة الصدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .
ومثالها فهما « الصدر الأجل » — فإن زيد في رعايته قيل — الكبير المحترم . . .

﴿ النوع التاسع ﴾

(ألقاب الحاشية السلطانية كهتارية البيوت ومهندس العماثر وغيرهم وفيها درجتان :
الاولى مجلس الصدر ، وصورتها في السلطانيات وغيرها : مجلس الصدر الأجل الكبير
المحترم المؤمن فلان الدين . الثانية : الصدر ، وصورتها في الحالتين الصدر الأجل ، فإن
ازيد قيل بعد ذلك ، الكبير المحترم)

﴿ النوع العاشر ﴾

ألقاب النساء مما يصدر بالجهة والدار ونحوهما . وفيها مرتبتان
المرتبة الأولى — « مرتبة الجهة الشريفة » ومثالها على ما ذكره في التثقيف في
ألقاب بنت الناصر محمد بن قلاوون عن والدها المذكور : « الجهة الشريفة النالية المحجبة
المصونة الولدية عصمة الدين جلال النساء شرف الخواتين سلية الملوك والسلاطين . . . »
وعلى ما أورده في التثقيف أيضاً في ألقاب أم آنوك زوجة الملك الناصر بن قلاوون أيضاً :
« الجهة الشريفة العالية المحجبة المصونة الكبرى خوند خاتون جلال النساء في العالمين
سيدة الخواتين قرينة الملوك والسلاطين . . . وعلى ما أورده في ألقاب الست حدق :
« الجهة الشريفة العالية الكبرى المحجبة المصونة الحاجية الوالدية جلال النساء في العالمين
يركة الدولة والدة الملوك والسلاطين . . . » وعلى ما رأيت في بعض الدساتير في ألقاب
والدة المقر الأشرف : « الجهة الشريفة المحجبة العصى الخاتون جلال النساء في العالمين
سيدة الخواتين جميلة المحجبات جليلة المصونات والدة الملوك والسلاطين . . . »
المرتبة الثانية — مرتبة « الجهة الكريمة » ومثالها على ما أورده في التثقيف في
ألقاب دلناه زوج الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد « الجهة الكريمة المحجبة المصونة

العصية الخاتونية المعظمة سيدة الخواتين زينة النساء في العالمين جميلة المحجبات جليلة
المصونات قرينة الملوك والسلاطين . . . »

﴿ النوع الحادى عشر ﴾

ألقاب بطاركة النصارى . وصورتها على ما أووده في التنيف في ألقاب الباب برومية
« الباب الجليل القديس الروحاني الخاشع العامل بابا رومية عظيم الملة المسيحية قدوة
الطوائف العيسوية : ملك ملوك النصرانية حافظ البحار والحاجان ملاذالبطاركة والأساقفة
والقسوس والرهبان تالي الأنجيل معرف طائفته التحريم والتحليل صديق الملوك والسلاطين . . . »
وعلى ما ذكره في التنيف أيضاً في ألقاب البطرارك بالديار المصرية : « البطرارك الجليل
القديس الخاشع قدوة النصرانية . . . ثم قال - ومن نسبة ذلك . وعلى ما رأيت في
بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام : البطرارك الختشم المبجل العارف المبر فلان
العالم بأور دينه المعلم لأدل ملته ذخر الملة المسيحية كنز الطائفة اليسوية المشكور بفعله
عند الملوك والسلاطين

﴿ النوع الثاني عشر ﴾

ألقاب رؤساء اليهود . وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير : الرئيس الأ واحد
الأجل الكبير شرف الطائفة الاسرائيلية فلان . . .

﴿ النوع الثالث عشر ﴾

ألقاب ملوك غير الاسلام وهي محتصة بألقاب النصرانية اذ لم يكن ملوك غير الاسلام
يكتبون عن الأبواب السلطانية الآن الا منهم بخلاف اليهود فإنه لم يبق لهم مملكة في الدنيا
ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا إلا يجبل من الله وحبل من الناس . وهي على ستة أضرب .
﴿ الضرب الاول ﴾ ما يصدر بالحضرة كالحضرة العالية ، أو العلية ، أو السامية ،
أو المكرمة ، أو الموقرة ، وما أشبه ذلك . مثال ذلك ما أورده في التعريف في ألقاب
ملك القسطنطينية « الحضرة العالية المكرمة حضرة الملك الجليل الخطير الهمام الأسد
الانصفر لبالس الضرغام المعرق الأصيل المجد الأئيل البالالوغوس الريد راغون ضابط
المملكة الرومية جامع البلاد الساحلية وارث الفياصرة القدماء محي طرق الفلاسفة والخمياء
العالم بأمر دينه العادل في مملكة معز النصرانية مؤيد المسيحية أوحد الملوك العيسوية
محول النخوت والتيجان حامى البحار والحلجان ملك ملوك السريان عماد بني المعمودية
رضي الباب بابا رومية ثقة الأصدقاء صديق المسلمين اسوة الملوك والسلاطين فلان . . . »

﴿الضرب الثاني﴾ ما يصدر بحضرة مع الاضافة . مثاله ما أورده في التثقيف في ألقاب ملك السرب والبغار : حضرة الملك الجليل المكرم المبجل الهمام الضرغام الباسل الدوقس الأنجالوس الكمنوس فلان عماد النصرانية ملك السرب والبغار نجر الملة العيسوية عماد بني المعمودية جمال الطائفتين الرومية والفرنجية ملك منفراج وارث التاج معز الباب .

﴿الضرب الثالث﴾ - ما يصدر بالملك وما في معناه ومثاله على ما ذكره في التثقيف في ألقاب ملك الحبشة : الملك الجليل المكرم الخطير الأسد الضرغام الباسل فلان العالم في ملته العادل في مملكته حظي ملك انجرا أكبر ملوك الحبشان نجاشي عصره سند الملة المسيحية عضد دين النصرانية عماد بني المعمودية صديق الملوك والسلاطين . . .

﴿الضرب الرابع﴾ - ألقاب النساء القامات بالملك عنهم . ومثاله على ما ورد في التثقيف في ألقاب ملكة اربد (في الصباح : بابل) : الملكة الجليلة المكرمة المبجلة الموقرة المفخمة المعززة فلانة العالمة في ملتها العادلة في مملكها كبرية دين النصرانية نصيرة الملة العيسوية حامية الثغور صديقة الملوك والسلاطين

﴿الضرب الخامس﴾ ألقاب نواب ملوكهم ومثاله على ما أورده في التثقيف في ألقاب النائب بدقلة ، النائب الجليل المبجل الموقر الاسد الباسل فلان مجد الملة المسيحية كبير الطائفة الصليبية غرس الملوك والسلاطين .

﴿الضرب السادس﴾ ألقاب قناصة الفرنج ونحوهم . ومثاله على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في ألقاب ابراهيم كرى ، المحتشم الكبير المحول الأسد الهمام الفاضل مواد المسلمين متبع الحواريين جمال العيسوية أوحد بني المعمودية صاحب الملوك والسلاطين .

﴿ المقصد التاسع ﴾

وهو نوعان - ﴿ النوع الاول ﴾

في ذكر أصول يعتمدها الكتاب في ترتيب الالقب والمناسبة بين الفروع والاصول من الألقاب وهي ثلاثة أصول .

الاول - ان يعرف رفيع الالقب ومنحطها ليلحق كل واحد منها بما يناسبها من الاصول كأخاق العالمة والعدلى ومهد الدول ومشيد الممالك وما شاكل ذلك بالمقر الشرف والمقر الكريم والمقر العالمة والجناب الكريم ، وكأخاق العضد والذخر وما أشبههما بالسامي بغير الباء فما دونه

الثاني - ان يعرف ماهو من الالقب حقيقى لصاحب ذلك القب كالعلمى للعلماء
والعابدى لاهل الصلاح فلا يهمله بحال، وما هو منها مجازى كالعلمى لأرباب السيوف
وأرباب الوظائف الديوانية حيث لا تصاف لصاحب القب بالعلم، وكلاصيلى لمن
ليس له آباء فى الرياسة ولا عراقة فى النسب ونحو ذلك

الثالث - ان يعرف الالقب الخاصة ببعض دون بعض كالشريفى والحسيبى والنسيبى
للأشراف اولاد على من فاطمة رضى الله عنهما، والكافى لثائب سلطنة او وزير كبير،
والمدبرى للوزير ونحوه من ناظر الخاص ومن فى معناه، والمشيرى لمن يؤخذ رأيه من
أكبر ارباب السيوف والاقلام، والسفيرى للحاجب والدوادر وكاتب السر،
والعربى لذى العراقة فى النسب، والاصيلى لمن له ثلاثة آباء فى الرياسة ابن عن أب
عن جد؛ وكذلك النعوت كوالد الملوك والسلاطين للإمراء ونحوهم، وكافل الممالك
للثائب الكافل، وسفير الدولة ولسان المملكة للدوادر وكاتب السر، ويمين الملوك
والسلاطين لها أيضاً. ومرتب الجيوش لناظر الجيش، ووالدة الملوك والسلاطين من
النساء لمن يكون من اولاهاملك، وكريمة الملوك والسلاطين لمن يكون من اخوتها ملك،
وقرينة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك، وصديق الملوك والسلاطين الملوك النصارى،
وعزيز الملوك والسلاطين لنوابهم، وحامى البحار والخلجان لملوك جزائر البحر ومن
فى معنهم وما يجرى هذا المجرى. ويخص كلا منهم بلقبه اللائق به

﴿ النوع الثانى ١ ﴾

فى ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت فى عرف الكتاب وهو على ضربين
﴿ الضرب الاول ﴾ ما يجرى من ذلك مجرى التشريف وهو على أصناف: أحدها
ما يوصف بالعزيز كالكتاب بمعنى القرآن فيقال فيه: الكتاب العزيز. وربما قصد بذلك
الديوان أيضاً فيقال فى ديوان الخليفة: الديوان العزيز. الثانى ما يوصف بالشرف
كالمصحف والعلم فيقال فى المصحف: المصحف الشريف وفى العلم: العلم الشريف، وكذا

(١) قسم المؤلف هذا الباب الى تسعة مقاصد، أورد ثمانية منها بترتيبها وجعل
التاسع نوعاً من أنواع مقاصده. وذكر فى أول الباب أنواعه ثلاثة عشر ثم سردها خمسة عشر
فجعلنا الرابع عشر هو المقصد التاسع، والخامس عشر نوعاً منه لتوفيق تقسيمه

في الاماكن كمكة والمدينة والقدس فيقال : مكة المشرفة والمدينة الشريفة والقدس الشريف ، ويقال أيضا لكل من حرمي مكة والقدس : الشريف ، فأن جمعا قيل : الحرمان الشريفان . وربما أطلقا في عرف الكتاب أيضا على القدس ومقام الخليل عليه السلام فيقال فيهما : الحرمان الشريفان . وهو مراد المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه التعريف في قسم الوصايا بقوله « وصية ناظر الحرمين الشريفين » . وقد اصطلح كتاب الزمان على ان يصفوا أكثر ما يضاف الى السلطان بالشرف فيقولون : عهد شريف ، وتقليد شريف ، وتوقيع شريف ، ومرسوم شريف ، ومثال شريف ، وتذكرة شريفة ونحو ذلك . الثالث ما يوصف بالكرم فيقال : القرآن الكريم . وقد اصطلح كتاب الزمان على ان يصفوا ما يصدر عن دون السلطان من نواب السلطنة ونحوهم بالكرم فيقال : توقيع كريم ، ومرسوم كريم ، وتذكرة كريمة ، وما أشبه ذلك وقد توصف به المكاتبه أيضا فيقال : مكاتبه كريمة . وقد ورد في القرآن « انه لقرآن كريم » الرابع ما يوصف بالعلو وهو في معنى الكريم في اصطلاحهم فيقال : توقيع عال ومرسوم عال ونحو ذلك ، وقد يوصف به الرأي فيقال : الرأي العالی ، وربما وصف به الامر فيقال : الامر العالی فيمن دون السلطان . وربما وصف به أمر السلطان أيضا مثل كتابة الوزير على المرآيم السلطانية : « يمثل الامر العالی » الخامس ما يوصف بالسعادة كالرأي فيقال : الرأي السعيد والآراء السعيدة السادس ما يوصف بالبركة كالكمب فيقال : كمب مبارك ، وقد يوصف بذلك المنزل فيقال : منزل مبارك ، والصبح والمساء فيقال : صباح مبارك ومساء مبارك ؛ وقد يوصف به الامر فيقال : يتقدم أمره المبارك ، وكذلك المكاتبه فيقال : وردت مكاتبته المباركة ونحو ذلك

﴿ الضرب الثاني ﴾ ما يجري من ذلك مجري التناول . وهو على أصناف : أحدها ما يوصف بالنصر كالجيوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك فيقال : الجيوش المنصورة والبريد المنصوره الثاني ما يوصف بالحراسة كالمدين والثغور فيقال في المدن : معر الحروسه ، والقاهرة المحروسه ، ودمشق المحروسه ونحو ذلك في الثغور فيقال : ثغر الاسكندرية المحروسه وما أشبه ذلك . الثالث ما يوصف بالعمارة كالداوين وهي الامكنه التي يجلس فيها الكتاب على ما تقدم ذكره فيقال الديوان المعور والداوين المعموره .

الرابع ما يوصف بالسعادة كالداووين أيضاً فيقال: الديوان السعيد والداووين السعيدة *
 الخامس ما يوصف بالقبول كالضحايا فيقال: الضحية المقبولة والضحايا المقبولة *
 السادس ما يوصف بالبرّ كالصدقة والأحباس فيقال: الصدقة المبرورة؛ وربما وصف
 بذلك الرزقة وهي قطعة الأرض تفرد للشخص فيستغلها برّاله فيقال الرزقة المبرورة *
 السابع ما يوصف بالخذلان كالمدو فيقال: العدو المخذول على الاجمال، وفلان المخذول،
 بصريح اسمه، وأهل الكفر المخذولين

❦ الباب الثاني ❦

من المقالة الثالثة في الفواتح والخواتم والواحق وفيه ثلاثة نصول

❦ الفصل الاول ❦

في الفواتح وهي خمس فواتح تقع في أول الكلام:

❦ الفاتحة الاولى ❦ البسمة في أول الكتاب — والأصل فيها ان قريشا كانت
 تكتب في أول كتبها: باسمك اللهم . والسبب في افتتاحهم بذلك ما حكاه المسعودي
 في مروج الذهب عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف ان أمية
 ابن ابي الصلت التقى خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش وغيرهم فلما قفلوا
 راجعين نزلوا وادبوا فلما جلسوا للطعام ابتدرت حبة صغيرة حتى دنت منهم فخصبها
 بعضهم بحجر في وجهها فرجعت فشدوا سفرتهم ثم قاموا وارتحلوا من منزلهم . فلما
 برزوا من المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا فقالت: ما
 منكم ان تطعموا رحيبة اليتيمة الصغيرة التي باتت لطعامكم علية؟ قالوا: وما أنت؟
 قالت: أم العوام، أرملت منذ أعوام، اما ورب العباد، لتفرقن في البلاد. ثم ضربت
 بعصاها الأرض وأثارت بها الرمل وقالت: أطلبي إياهم، وفري ركبهم. فوثبت الأبل
 كأن على ذروة كل منها شيطان ما يملكون منها شيئا حتى افرقت في الوادي. فجمعوها
 من آخر النهار الى غدوة . فعلت ذلك بهم ثلاث مرات في ثلاثة أيام. فقالوا لا أمية
 ابن ابي الصلت: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك وعلمك؟ فتوجه الى الكثيب التي
 كانت تأتي منه العجوز حتى هبط من ثنيته الأخرى وضعد كثيبا آخر، ثم هبط منه

فرفعت له كنيسته فيها قناديل ورجل معترض مضطجع على بابها ، واذا رجل جالس
 أبيض الرأس واللحية ، قال أمية ، فلما وقفت قال لي : ما حاجتك ؟ فحدثته حديث العجوز
 فقال : هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ عام ، وانها لن تزال تفعل بكم ذلك حتى تهلككم
 ان استطاعت . قال ، فقلت له فما الحيلة ؟ قال اجمعوا ظهركم فأذا جاء تنكم وفعات
 ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل : باسمك اللهم ، فأنها لن
 تضركم . فرجع أمية الى أصحابه وأخبرهم بذلك وجاءتهم العجوز ففعلوا ذلك فلم تضرهم .
 فلما رأت العجوز الابل لا تتحرك قالت : قد علمكم صاحبكم ؟ لبييضن الله أعلاه ،
 وليسودن أسفله ! وساروا ، فلما أدركهم الصبح نظروا الى أمية قد برص في غرته وورقبته
 وصدرة ، واسود أسفله . فلما قدموا مكة حدثوا هذا الحديث فكتبت قريش في أول
 كتبها : باسمك اللهم . فكان أول من كتبها أهل مكة ، وجاء الاسلام والأمر على
 ذلك . وقد روى محمد بن سعيد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما
 تكتب قريش : باسمك اللهم حتى نزلت عليه « وقال اركبوا فيها بسم الله مجربها
 ومرساها » فكتب : بسم الله ، حتى نزل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » فكتب ،
 بسم الله الرحمن ، حتى نزل « إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم . وعلى ذلك جرى الحال في كتب النبي صلى الله عليه وسلم
 والخلفاء الراشدين بعده فمن بعدهم من الخلفاء والملوك . الا أن متأخري كتاب الانشاء
 قد اصطالحوا على حذفها في التواقيع والمراسيم الصغار اتى على ظهر القصص ونحوها
 احتجاجا بمفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سننهما وأبو عوانة في مسنده من حديث
 أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل أمر ذي بال لا يبدأ
 فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع ، يعنى ناقص البركة ، والتواقيع والمراسيم الصغار ليس
 لها بال من حيث أنها لا يهتم بها . قلت : وقد كان القاضي علاء الدين الكركي كاتب السرفي
 الدولة الظاهرية برقوق في سلطنته الثانية أمر أن يكتب في أعلى التواقيع والمراسيم الصغار بالبسملة
 بقلم دقيق ثم بطل ذلك بعده وعاد الامر الى ما كان عليه من حذف البسملة في ذلك .
 واعلم أن المقصود من كتابة البسملة التبرك فيما يكتب فيجب ان تجعل في أول
 المكتوب لتعم البركة . ابعدها وله يشهد قوله تعالى حكاية عن بلقيس « إني أتق الى كتاب

كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على واثنوني مسلمين » علي قول من قال ان قوله « انه من سليمان » من قول بلقيس ، وانما حكى الكتاب بقوله « وانه بسم الله الرحمن الرحيم . الخ » فتكون البسمة ابتداء الكتاب بخلاف قول من قال ان اول الكتاب « انه من سليمان » فإنه يجعل تقديم اسمه علي البسمة وقاية لاسم الله تعالى من حيث ان عادة ملوك الكفر (اذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون مزقوا أعلاه وتغفلوا فيه) قلت : أما ما يكتب في الولايات من اليهود والتقاليد وغيرها فان الفصل بينه وبين البسمة بالبياض ، قيل ، كأن البسمة وما بعدها كلام مستأنف فلا ينسب الى تقدم شيء عليه . واما الطغراء التي كانت تلتصق بطرة مناشير الاقطاعات فيها القاب السلطان فأنها كتابة اجنبية عن الكتاب فلا تنسب الى التقدم مع الفصل بينها وبين البسمة بالبياض أيضا . علي ان ذلك قد بطل في زماننا علي ماسياتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى . ثم علي الكتاب ان يفردا بسطر وحدها بتجيلا لاسم الله تعالى فقد روى محمد بن عمر المدائني بسنده الى ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي ان يكتب في سطر بسم الله الرحمن الرحيم غيرها - قالت : وعلى ذلك جري كتاب الانشاء فيما يكتبون من مكاتبة او ولاية او غير ذلك . أما النساخ وكتاب الوثائق فربما كتبوا بعدها في سطرها : الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك يكتب القضاة علامتهم من الحمدلة وغيرها في علامات الثبوت في (المكاتيب الشرعية) مع فصلها ببياض

(الفاتحة الثانية) الحمدلة لما كان الحمد مطلوبا في أوائل الامور للتمين والتبرك عملا بما رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما من حديث ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل امرؤي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اجذم » اصطلاح الكتاب علي افتتاح الكثير مما يكتبونه مما له بال بالخطب المفتحة بحمد الله تعالى . قال في الصناعتين : وانما افتتح الكلام بالحمد لان النفوس متشوفة للثناء علي الله تعالى والافتتاح بما تشوق اليه النفوس مطلوب . واتي به بعد البسمة تأسيسا بكتاب الله تعالى اذ البسمة اول الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وهي مفتحة بالحمد . ثم ربما اتى الكتاب بالحمد بعد البعدية فكتبوا : اما بعد حمد الله تعالى ، أو أما بعد فالحمد لله . والصيغة الاولى الحمد مقدم فيها معني ،

لأن قوله: أما بعد حمد الله يقتضى تقدم الحمد؛ والصيغة الثانية تقتضى تقدم شئ على الحمد ولاخفاء في ان المقدم الذى جاء الحمد بعده هنا هو البسملة. على انه قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكاتبات: فاني احمد اليك الله. وقد اختلف هل ابلغ صيغة: الحمد لله، أو أحمدا لله؟ فقيل، الحمد لله أبلغ لما فيها من معنى الاستغراق والاستمرار والثبوت، وقيل أحمد الله أبلغ لان القائل الحمد لله حاك لكون الحمد لله بخلاف القائل احمد الله فانه حامد بنفسه ولذلك يوتي بالتحميد ثانيا في الخطب بصيغة الفعل إما بصيغة نحمده بالنون كما يكتب عن الملوك، وأما أحمده بلفظ الافراد كما في الخطب الجمعية ونحوها

﴿ الفاتحة الثانية ﴾ تشهد في الخطب — قد جرت عادة كتاب الزمان بالاتيان بعد التحميد في الخطب بالشهد تابعا للفظ التحميد في الافراد والجمع مثل ان يقال: نشهد، فيما يكتب عن الملوك؛ وأشهد فيما يكتب عن غيرهم؛ وان كان بعد: أما بعد حمد الله قيل: والشهادة له بالوحدانية ونحو ذلك. والاصل في ذلك ما رواه الترمذى وصححه البيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء » على ان المتقدمين من الكتاب ليس في كتابهم تشهد في الخطب

﴿ الفاتحة الرابعة ﴾ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في اوائل الكتب في الخطب وغيرها — اما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فلا نزاع في أنها مطلوبة في الجملة فناسب الاتيان بها في اوائل الكتب تبركا وتيمنا. وقد روى من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمى في ذلك الكتاب » وان كان الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره قد نقل تضعيفه عن المحدثين. قال محمد بن عمر المدائني: وقد رأينا بعض الكتب لا يري الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب فباء وأبأ عظم الوزر مع ما فاتهم من الثواب. وأما الصلاة على آله وصحبه صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة عليه فقد نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الاجماع على جواز الصلاة على غير الانبياء عليهم السلام بطريق التبعية مثل ان يقال: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وازواجه وذريته ونحو ذلك؛ ثم قال، وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من

قولهم : وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه ، فلا نزاع فيه . وإنما الخلاف في جواز إفراد غير الانبياء بالصلاة ، فاجازه قوم ، ومنعه آخرون . والصحيح من مذهب الشافعي أنه لا يجوز ذلك إلا تبعاً . ورجح النووي في الإذكار أنه كراهة تنزيه من حيث أنه شعار أهل البدع بعد أن حكي قولاً أنه كراهة تحریم ، وقولاً أنه خلاف الأولى . وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم فقد قال النووي في الإذكار : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ثم لا يقال عليه السلام فقط وفي شرح مسلم له أنه يكره إفراد الصلاة عن التسليم . وأما السلام على غير الانبياء فحكي النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب من حي وميت وأنه لا يفرد به غير الانبياء عليهم السلام بخلاف الحاضر فإنه يخاطب به إذا علمت ذلك فالصلاة تكون بعد التمجيد في الخطبة في الولايات والمكاتبات المفتوحة بالخطب ، وقد تكون في صدور المكاتبات المفتوحة بغير الخطب بعد التمجيد أيضاً كما كان يكتب في القديم : فأني أحمد إليك الله وأسأله أن يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم . وهو ما أحدثه الرشيد . قال في ذخيرة الكتاب : وكان ذلك من أجل مناقبه . وكان يكتب عن الخلفاء الفاطميين بمصر : ويسأله أن يصلي على جده محمد . ويخصون الصلاة بعده بأمر المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة

﴿ الفاتحة الخامسة ﴾ أما بعد -- اعلم ان « أما بعد » تستعمل في صدر المكاتبات والولايات ، وربما استعملت في ابتدائها وقد قيل أنها فصل الخطاب . واختلف في أول من قالها فقيل داود عليه السلام ، وقيل كعب بن لؤي ، وقيل قس بن ساعدة . ثم هي مركبة من كلمتين أحدهما أما ، والثانية بعد . فأما « أما » فحرف شرط ولذلك توجد الفاء في جوابها . وأما « بعد » فحرف زمان إذا أفرد نبي على الضم قال تعالى « الله الأمر من قبل ومن بعد » وأجاز الفراء أما بعداً بالنصب والتنوين ، وأما بعد بالرفع والتنوين أيضاً . وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ، ومنعه النحاس وقال أنه غير معروف . فأن أضيف بعد إلى ما بعدها فتحت فتقول أما بعد حمد الله ونحو ذلك قال في ذخيرة الكتاب : وإذا كانت بعد البسملة فمعناها أما بعد قولنا بسم الله الرحمن الرحيم فقد كان كذا وكذا . واعلم أنه ربما حذف أما وأنى مكانها بواو العطف ليعطفها على

ما قبلها فيبقى البناء على الضم وربما دخلت الفاء في جوابها لوقوعها مكان أما بعد غالباً فيقال وبعدها كذا. ولكنها تصير أنزل رتبة من أما بعد في حق المكتوب له كما أشار إليه في التعريف في الكلام على الولايات على ماسياتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الخواتم وهي ست خواتم :

(الخاتمة الاولى - ان شاء الله تعالى)

اعلم انه يستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه من مكتوبة أو ولاية أو غيرها ان يكتب « ان شاء الله تعالى » تبركاً ورغبة في نجاح مقصد الكتاب فقد ورد الخت على تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى والندب اليه قال تعالى « ولا تقولن شيئا انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله » وذم قوماً على ترك الاستثناء فقال « إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون » . واعلم ان الاستثناء لا يدخل على ماض فلا يقال : ما فعلت ذلك ان شاء الله ، (وانما يدخل على مستقبل) او ما فيه معنى الاستقبال كما في قوله تعالى « وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » اما مثل قوله : أنت طالق ان شاء الله فان كان ماضياً لفظاً فانه مستقبل معنى إذ معناه الأناشء (والا لما) وقع به الطلاق . ثم محلها في الكتابة من الدرج أسفل المكتوب في وسط الوصل مكتوفة ببياض من يمينها وشمالها وبين السطر الأخير من المكتوب كما بين سطرين أو دونه . وقد جرت عادة الكتاب أنها ان كانت بقلم الرقاع كتبت معلقة مسلسلة وان كانت بقلم جليل ونحوه كتبت واضحة مبينة قال ابن شيت في معالم الكتاب : ولا يضيف الكاتب اليها شيئاً في سطرها بل تكون مفردة في سطر واحد . قلت : والكتاب فيها على ذلك الى الآن

(الخاتمة الثانية - التاريخ)

وقد اختلف في لفظه فقيل انه عربى وان معناه نهاية الشيء وآخره يقال فلان تاريخ قومه إذا انتهى اليه شرفهم ؛ وعليه يدل كلام صاحب مواد البيان وذخيرة الكتاب . ونقل ابن الشاطر (في زيجه) عن بعض أهل اللغة ان معناه التأخير فيكون مقلوباً بامنه ؛ وقيل بل هو فارسى وان أصله « ماه زور » ومعناه « حساب الشهور » فعرب : مؤرخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ؛ واليه يرجع كلام المؤيد صاحب حماة في تاريخه . ويقال فيه

أرخت وورخت بالهمزة والواو لغتان ؛ وكذلك يقال في مصدره : تأر يخ وتور يخ كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في ذخيرة الكتاب : وأرخت لغة قيس ، وورخت لغة تميم . قال العسكري في الأوائل : ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم . قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل : والتاريخ هو عدد الليالي والأيام بالنظر الى ماضى من السنة والشهر والى ما بقى منها . قال في مواد البيان : وهو محقق للخبر دال على قرب عهد الكتاب وبعده . قال محمد بن عمر المدائني : وقد أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والحساب والكتاب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب نهاية الأرب : ولا غنية عنه لأن التاريخ يستدل به على بعد مسافة الكتاب وقربها ، وتحقيق الاخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ قال القاضي في عبون المعارف : وكانت الامم السالفة تؤرخ بالحوادث العظام وبملك الملوك فكان التاريخ بهبوط آدم ، ثم بمبعث نوح ، ثم بالظوفان ثم بنار ابراهيم ... ثم ساق أصول تواريخ الامم على اختلافها - قلت : والذي استقر عليه الحال من تواريخ الامم أربعة تواريخ :

أحدها - من غلبة الاسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس وهو قبل الهجرة بـ ٩٣٢ سنة و ٢٩٠ يوما وبه تؤرخ السريان والروم والفرنجية ومن في معناهم الى الآن

الثاني - من ملك دقطينا نوس آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط ، والنصارى يعبرون عنه بالشهداء اشارة الى أن الذين قتلهم من القبط شهداء . وهو قبل الهجرة بـ ٣٣٧ سنة و ٢٠ (في الصباح ٢١) يوما . وتؤرخ به القبط الى الآن

الثالث - من الهجرة وهي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وهي بعد البعثة بـ ٢٣ سنة وعليها استقر التاريخ العربي وبها تؤرخ الكتاب الاسلامية المكتبات وغيرها

الرابع - من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس وهو بعد الهجرة بعشر سنين و ٧٩ (في الصباح ٧٨) يوما وبه تؤرخ الفرس الى الآن
ثم قد اختلف في اصل التاريخ من الهجرة فحكى النحاس في صناعة الكتاب عن محمد

ابن (جرير) بسنده الى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، وقدمها في شهر ربيع الأول، امر بالتاريخ. ثم قال، والمعروف عند العلماء ان ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر رضی الله عنه. ثم اختلف في السبب في ذلك نذكر النحاس ان عاملا لعمر باليمن قدم عليه فقال: اما تؤرخون كتبكم؟ فاتخذوا التاريخ. وذكر أبو هلال العسكري في أوائله أن أبا موسى الأشعري كتب الى (عمر:) أنه تأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لاندري على ايها نعمل قد قرأنا (كتاباً) منها محله شعبان فما ندري في أي الشعابين: الماضي أو الآتي. فاتخذ، عمر التاريخ. وتبعه على ذلك في ذخيرة الكتاب. وذكر المؤيد صاحب حجة أنه رفع الى عمر (صك) محله شعبان فقال أي الشعابين؟ لا ندري: الذي نحن فيه أو الذي هوأت! فسأل الهرمزان فقال ان لنا حساباً باسمه «ماه زور» يعني التاريخ فعمل عمر التاريخ. قال في ذخيرة الكتاب: ولما أراد عمر التاريخ استشار الصحابة فقال بعضهم نؤرخ بالبعث، وبعضهم بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم بالهجرة. فاختار عمر التاريخ من الهجرة لأنها أول ظهور الاسلام، وقوته وواقعه الصحابة على ذلك. قال ابن حاجب النعمان: وكان ذلك في الثاني عشر من شباط سنة ٨٨٢ لذي القرنين. ثم بعد اتفاهم على الهجرة اختلفوا في الشهر الذي يبدأ به، فآشار بعضهم بالبداة برمضان لشرفه، فقال عمر بل بالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم، فرجعوا القهقري ٦٨ يوماً وهو القدر الذي مضى من أول المحرم الى ذلك الوقت. قال في عيون المعارف: وكان ذلك في تسع عشرة أو ثمان عشرة من الهجرة اذا علمت ذلك فتقييد التاريخ على ضربين:

(الضرب الأول) تقييد التاريخ العربي - ومداره الليالي دون الايام لأن سني العرب قرية، والقمر اول ظهوره للأبصار هلالاً في الليل، فالليالي سابقة للايام. قال الزجاجي في الجمل: وانما حمل على الليالي دون الايام لان أول الشهر ايله فلو حمل على الايام لسقطت منه ليلة. قال الشيخ أثير الدين أبو حيان في شرح التسهيل: واستغنى عن الايام للعلم ان مع كل ليلة يوماً، فإذا مر عدد من الليالي مضى مثله من الايام، فيجوز ان يستغنى بذكر أحدها عن الآخر. ثم لكتابة التاريخ ثلاث حالات: الحالة الاولى - أن يؤرخ ببعض ليالي الشهر. ويختلف الحال فيه، فإن كانت

الكتابة في الليلة الاولى منه فقد ذكر ابو جعفر النحاس في صناعة الكتاب ان
 يكتب : كتب غرة شهر كذا ، أو أول ليلة من كذا ، أو مستهل شهر كذا ، أو مهل شهر
 كذا . وقد حكى ابو حيان مثل ذلك عن بعضهم وزاد انه يكتب أيضاً : أول شهر
 كذا قال النحاس : ولا يجوز حينئذ : ليلة خلت ، ولا مضت ؛ لانهم في الليلة بعد .
 قال في ذخيرة الكتاب : وربما كتب بعضهم ليلة الاستهلال : ليلة تخلو . وان كانت
 الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذي يلي الليلة الاولى من الشهر كتب : ليلة خلت
 من شهر كذا . قال النحاس ، ويجوز : كتب لغرة الشهر ، أو لأول يوم من الشهر ؛
 ومنع ان يقال حينئذ : أول ليلة من شهر كذا (أو مستهل شهر كذا) موجهاً لذلك بأن الاستهلال
 انما يقع في الليل . وتبعه على ذلك في ذخيرة الكتاب ومواد البيان وان وقعت الكتابة فيما بعد
 مضى اليوم الاول من الشهر الى آخر العشر فان كان قد مضى منه ليلتان كتب : لليلتين خلتا من
 شهر كذا ، او لليلتين مضتاه . قال في ذخيرة الكتاب ، ولا يكتب : ليوم خلا ولا
 ليومين خلا لان ذكر الليالي في باب التاريخ اغلب . وحكى ابو حيان أنه إذا مضى
 من الشهر يوم كتب : ليوم مضى ، واذا مضى يومان كتب : ليومين مضيا . فان كان
 قد مضى من الشهر ثلاث ليال كتب : ثلاث خلون او مضين من شهر كذا ، او ثلاث ليال
 خلون او مضين من شهر كذا . ويجوز فيه : ثلاث خلت او ثلاث ليال خلت ، على قلة ؛
 وكذا في الباقيات الى العشر فيقال : لعشر خلون او مضين ، او لعشر ليال خلون او مضين
 او لعشر ليال خلت او مضت ، على اللغة القليلة . وان كانت الكتابة فيما بعد العشر الى
 النصف فيكتب : لأحدى عشرة خلت او مضت من شهر كذا ، ويجوز فيه : لأحدى
 عشرة خلون ، او لأحدى عشرة ليلة خلون ، على قلة ، وكذا في الباقيات الى النصف
 من الشهر . قال ابو حيان ، فان صرح بالتمييز وكان مذكراً أعيد الضمير عليه فيقال : لأحد
 عشر يوماً خلا أو مضى ، ونحو ذلك . وان كانت الكتابة في الخامس عشر من الشهر
 فيكتب : كتب نصف شهر كذا . قال النحاس : وأجازوا : لخمس عشرة ليلة خلت او
 مضت ولو حذف ذكر الليلة فقيل : لخمس عشرة خلت او مضت او بقيت ، صح . قال في
 التسهيل والتاريخ بالنصف أجود
 وان كانت الكتابة فيما بعد النصف من الشهر الى الليلة الاخيرة منه ففيه مذهبان :

احدهما ان يؤرخ بالماضي من الشهر كما في قبل النصف فيقال: لست عشرة خلت او مضت، اولست عشرة ليلة خلت او مضت، وكذا الى العشرين فيقال: لعشرين خلت او مضت، وكذا في البواقي الى آخر التاسع والعشرين فيكون التاريخ في جميع الشهر من اوله الى آخره بالماضي دون الباقي فرارا من (المجهول). الى المحقق وهو مذهب (الفقه ١٠) لانه لا يعرف هل الشهر تام ام ناقص. قال النحاس: ورأيت على بن سليمان يختاره. قال في ذخيرة الكتاب: وهو اثبت وحجته اقوى - قلت: ولا يخفى ان من يرى التاريخ باليوم يجوز: لسته عشر يوما خلا او مضى من شهر كذا، وكذا فيما بعده المذهب الثاني - ان يؤرخ بما بقي من الشهر وللمؤرخين فيه طريقتان:

الطريقة الاولى - ان يجزم بالباقي فيكتب لاربعة عشرة ليلة بقيت من شهر كذا ثم ثلاث عشرة ليلة بقيت، وهكذا الى الليلة الاخيرة من الشهر فيكتب: ليلية بقيت. وهو مذهب الكتاب قال النحاس ورأيت بعض العلماء وأهل النظر يصوبونه لانهم انما يكتبون ذلك على ان الشهر تام وقد عرف معناه وان كاتبه وقارئه انما يريد اذا كان الشهر تاما فلا يحتاج الى التلفظ به. قال محمد بن عمر المدائني واحتجوا لذلك بأن معاوية حين كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم لابن الحضرمي كتب في آخر الكتاب: وكتب معاوية بن أبي سفيان ثلاث بقين من شهر ذي القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان. ثم قرأه ابن عوف والناس حوله. قال في صناعة الكتاب: وقد وقع مثل ذلك في كلام النبوة فقد ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر: التمسوها في العشر الاواخر لسابعة تبقى او الخامسة تبقى

الطريقة الثانية - ان يعلق التاريخ بالباقي على شرط، فيقال: لاربعة عشرة ليلة ان بقيت، اولاربعة عشرة ليلة ان بقيت. وكذا في البواقي فرارا من اطلاق التاريخ بما لا يعلم تمامه أو نقصه وكأنه يقول لاربعة عشرة ليلة بقيت من الشهر ان كان تاما. قلت. ومن يجوز التاريخ بالأيام يقول: لاربعة عشر تبقى من شهر كذا. وكذا في الباقي. وان كانت الكتابة في الليلة الاخيرة من الشهر فيكتب لآخر ليلة من شهر كذا، وفي سلخ كذا، أو في انسلاخه. وان كان في اليوم الاخير منه كتب: لآخر يوم من شهر كذا، أو في سلخه، أو انسلاخه أيضا. ولم يختلفوا هنا في جواز التاريخ باليوم.

قال في ذخيرة الكتاب : ان الشهر يبتدىء بابتداء الليالي ، وينقضى بانقضاء النهار
قلت : وكتاب زماننا قد أهملوا النظر في التاريخ بالليالي جملة وعولوا على التاريخ
بالأيام فيكتبون في اليوم الأول للشهر : كتب في مستهل شهر كذا ، أو في اليوم الاول
من شهر كذا ، ثم في ثاني شهر كذا ، أو ثالث شهر كذا وهكذا الى التاسع والعشرين ،
وفي اليوم الأخير من الشهر يكتبون : في سلخ شهر كذا . لا يعرفون غير ذلك . ثم مما
يستحسن في التاريخ أنه إذا وقعت الكتابة في يوم مشهور ارجح به مع قطع النظر عن
عدد ما مضى من الشهر وما بقي منه . فيكتب في اليوم الأول من شوال : كتب في يوم
الفطر : وفي تاسع ذى الحجة يكتب : كتب في يوم عرفة ، وفي عاشره يكتب : كتب
في يوم عيد النحر ، أو يوم عيد الأضحى ، وفي حادي عشره يكتب : كتب في يوم
القر ، بفتح القاف ، بمعنى أنه اليوم الذي يقر الناس فيه بمنى ، وفي ثاني عشره يكتب :
كتب في يوم النفر الأول ؛ وفي ثاني عشره يكتب : كتب في يوم النفر الثاني
واعلم أنه قد يؤرخ بعشر من أعشار الشهر فيبنى التأنيث على معنى الليالي فيكتب
كتب في العشر الأولى أو في العشر الأول ، بضم الهمزة وفتح الواو ؛ وكتب
في العشر الوسطى أو في العشر الوسط ، بضم الواو وفتح السين ، أو كتب في العشر
الأخرى أو في العشر الآخر بضم الهمزة وفتح الحاء . قال الشيخ أثير الدين أبو
حيان : ولا يكتب في العشر الأول ، ولا الأوسط ، ولا الآخر . وحكي عن بعض
النحاة أنه يكتب : وكتب في العشر الآخرة أو الأواخر ولا يكتب الأخرى ولا
الآخر لثلاثا يلبس بالآخر بمعنى الثاني أو الآخر بمعنى الثواني . ثم قال ، وان أرخ
بالثلاث الأخيرة من الشهر كتب : الدأدى . ولا نزاع في أنه يجوز التاريخ بالأيام
المشهورة في السنة كالأيام المعلومات وهي العشر الاول من ذى الحجة ، والأيام المعدودات
وهي أيام التشريق . وان اقتضت الحال التورخ ببعض أجزاء اليوم لسرعة وصول
الكتاب كبطائق الحمام أرخ بتلك الساعة فيؤرخ في الساعة الاولى بالشروق ثم ما
يأبى من الساعات على ما تقدم ذكره في الكلام على الأزمنة في المقالة الأولى . قلت :
وكتاب الزمان قد اعتمدوا في ذلك أسماء الساعات المتعارفة عندهم كالأولى من النهار ،
أو الثانية ، أو الثالثة ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ونحو ذلك

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه ربما اتفق بعض على تور يخ خاص وعملوا عليه كما ذكر على بن خلف من آخر كتاب الدولة الفاطمية في مواد البيان أن كتاب الدير المصرية كانوا يعملون شهراً ثلاثين يوماً وشهراً تسعة وعشرين . وكما ذكر ابن شيث من آخر كتاب الدولة الأيوبية في معالم الكتابة ان كتب السلطان والاعيان تؤرخ بالليالي والكتب من الأدنى الى الأعلى تؤرخ بالأيام ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى

﴿ الضرب الثاني ﴾

تقييد التاريخ العجمي - وهو ما عدا العربي ومداره الايام دون الليالي لانه سنينهم مع اختلافها في الشهور وباديها ومقاطعها شمسية، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل، ولذلك أرخوا بالايام . قال ابو هلال العسكري في أوائله: قال احمد بن يحيى البلاذري حضرت مجلس المتوكل و ابراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي انشأه في تأخير النيروز والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهده بذلك فداخنتي نفاسة فقلت يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ . فأعادوا النظر وقالوا ما نراه، فما هو؟ قلت أرخ السنة الفارسية بالليالي والمعجم تؤرخ بالأيام، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار، وهو جزء من ثلاثين جزءاً من الشهر، والعرب تؤرخ بالليالي لأن سنينهم وشهورهم قمرية، وابتداء الهلال بالليل . فاستحسن المتوكل والحاضرون ذلك واعترف ابراهيم بن العباس وقال ليس هذا من علمي . قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة : وقد رسموا تاريخ الكتب في أواخرها وجعلته العامة في صدورها . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب مواد البيان وغيره ان في الكتب السلطانية ان كان الكتاب في أمر تشوق النفوس الى معرفة اليوم الذي وقع فيه ذلك الأمر كالحوادث العظام والفتوحات والمواسم ونحوها ورخ الكتاب في صدره مثل ان يكتب في أول الكتاب: كتاب أمير المؤمنين اليك، أو كتابنا اليك يوم كذا من سنة كذا، كما كان يكتب في الزمن القديم . فإن كان الكتاب لا تشوق النفوس الى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه ورخ في آخره . أما كتب الاتباع للرؤساء فقد ذكر في مواد البيان ان الرسم فيها ان تؤرخ في صدورهم مثل ان يقال: كتب

العبد من مقر خدمته يوم كذا . قلت - والذي استقر عليه الحال في زماننا كتابة التاريخ في آخر الكتاب بكل حال ولاية كان أو مكتوبة . ثم قد اُصطلح كتاب الزمان على أن جعلوا التاريخ بعد كتابة : ان شاء الله تعالى ، في سطرين فيكتبون : كتب في كذا من شهر كذا ، في سطر ؛ ثم يكتبون : سنة كذا ، في سطر تحته . اما ما يكتب عن قضاة القضاة فقد اُصطلحوا على أن جعلوا جميع التاريخ في سطر واحد

﴿ الخاتمة الثالثة - كتابة المستند الذي يكتب في آخر الكتاب ﴾

ويختلف الحال، فيه فان كان المستند كتابة السلطان على ظهر قصة يكتب : « كتب حسب المرسوم الشريف » ان شاء سطرين وان شاء سطرا واحدا . وان كان بتلقى كاتب السر وحده إما بما يأمر به السلطان عند قراءة القصة عليه في مجلس خاص أو بما يمضيه كاتب السر من نفسه كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر واحد لا غير . وان كان بتلقى كاتب السر أو أحد من كتاب الدست بدار العدل كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرًا ، ثم يكتب تحته « من دار العدل الشريف » سطرًا ثانياً وان كان برسالة الدوادار كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرًا ثم يكتب تحته سطرًا ثانيًا : « برسالة الجناب العالي الاميرى الفلاني - بلقبه الخاص - الدوادار الفلاني - بلقب السلطنة - » وان كان من ديوان الخاص كتب « حسب المرسوم الشريف » سطرًا ، وتحته « من ديوان الخاص الشريف » سطرًا آخر . قلت : ومما يجب التنبيه عليه أن لفظ « حسب » مفتوح السين كما صرح به الجوهرى وغيره من أئمة اللغة الا ما حكاه الجوهرى من جواز تسكينها في ضرورة الشعر . على أن كتاب الزمان لا تكاد تسمعها منهم الا ساكنة السين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وان كان المكتوب بأشارة النائب الكافل كتب « بالاشارة العالية الاميرية الكبيرة الكفالية الفلانية » بلقب الكافل الخاص سطرًا ، ثم كتب تحته في سطر آخر « كافل الممالك الشريفة الاسلامية أعلاها الله تعالى » . وان كان بأشارة الوزير كتب « بالاشارة العالية الوزيرية الفلانية » بلقبه الخاص سطرًا ، ثم يكتب في سطر تحته « مدبر الممالك الشريفة الاسلامية أعلاها الله تعالى » . وان كان بأشارة الاستدار كتب « بالاشارة العالية الاميرية الكبيرة الفلانية » بلقبه الخاص ، ثم يكتب في سطر تحته « استمدار العالية أعلاها الله تعالى » .

قلت وقد تقدم في الكلام على الالقاء ان الصواب فيه استدار بكسر التاء وحذف الالف ولكن اثبات الالف قد صار في كتابهم كاللازم وان كان خطأ
واعلم ان الكتاب قد اصطالحوا على أن جعلوا كتابة المستند بعد التاريخ ليكون «حسب المرسوم الشريف» أو «بالإشارة» متعلقا به. وربما كتب في حاشية المكتوب في المراسيم الصغار التي تكتب على ظهور القصص وأوراق الطريق ونحو ذلك وموضع كتابته حينئذ فيما يقابل ما بين السطرين الاولين أخذنا من جهة الاسفل الى جهة الاعلى بحيث يكون آخر كتابة المستند مساويا للسطر الاول. فان كان «حسب المرسوم الشريف» فقط كتب سطرًا واحدًا، وان كان من دار العدل كتب تحته سطر آخر فيه «من دار العدل الشريف» وكذا في سائر ما يشاكله

﴿ الخاتمة الرابعة - الحمدلة ﴾

لاخفاء في ان الحمد مشروع في اختتام الامور كما هو مشروع في افتتاحها كما اشار اليه السهيلي قال تعالى «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» وقال جلت قدرته «وأخر دعوانهم ان الحمد لله رب العالمين» وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره قال: آيبنون تائبون لرَبنا حامدون ومن ثم جعلت الحمد لله في أواخر الكتب. قال ابن شيث في معالم الكتابة ولا يختم بالحمد في التواقيع في المظالم وربما ختم بها في تواقيع الاطلاقات ثم قد قال النووي في الاذكار ان افضل انواع الحمد: الحمد لله رب العالمين. والذي اصطالح عليه غالب الكتاب ان يكتب هنا: الحمد لله وحده. وصورة وضعها ان تجعل بعد كتابة المستند عن يمينه الدرجة على بعد قدر ما بين آخر سطر من المكتوب وبين ان شاء الله تعالى، قال في معالم الكتابة، وقد يحتمل الخروج عن سمت السطور. قلت: وقد اصطالح كتاب الزمان على حذفها، ما تحذف البسمة من اوله كالتواقيع التي على ظهر القصص واوراق الطريق ونحوها

﴿ الخاتمة الخامسة ﴾

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. والاصل في ذلك انه صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه الى اليمن «صلى الله على محمد» ثم الكلام في الجمع

بين الصلاة والسلام على ما مر عليه الكلام في الفواتح وقد اصطالحوا على ان يكون بين الحمدلة وبينها بياض يسير وتكون هي تمام السطر - قلت : فلو كتب كتاب عن ملك مسلم الى ملك كافر احتمل ترك التصلية فيه صيانة لاسم النبي صلى الله عليه وسلم من الامتهان كما منعوا المسلم بالصحف الى أرض الكفار، ويحتمل ان لا تترك الصلاة ارغاماً لأهل الكفر فقد حكى العسكري في الاوائل ان عبد الملك بن مروان حين أحدث كتابة سورة الاخلاص على الدراهم كتب اليه ملك الروم « انكم قد احدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر دينكم فاتركوه والا أنا كم في دنائيرنا ما تتركهون » فاستشار في ذلك خالد بن يزيد بن معاوية وكان ادبياً عالماً فقال له يا أمير المؤمنين اضرب لهم سكة كافيها ذكر الله تعالى وذكروا رسوله ولا تفتهم بما يكرهون في الطوامير، ففعل

(الخاتمة السادسة - الحسبلة)

والاصل في كتابتها قوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » فجعل « حسبنا الله ونعم الوكيل » سبباً لحسن المنقلب والصون عن سوء. ثم الكتاب ان كان يكتب عن ملك يتكلم بنون الجمع تعظيماً كتب في آخر كتابه « حسبنا الله ونعم الوكيل » على الجمع، وان كان يكتب عن من لا يستوجب ذلك من الآحاد كتب « حسبي الله ونعم الوكيل » على الافراد . على ان بعض الكتاب كان يستحب ان يكتب « حسبي الله » بلفظ الوحدة فرارا من اللبس بين الجمع للتعظيم والجمع الحقيقي وأشار في صناعة الكتاب الى شيء من ذلك . قال في معالم الكتابة : وقد يتأدب الادنى مع الاعلى فيأتي بالآية على نصها فيقول : وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فرارا من نون الجمع التي هي للعظمة : قال ، وقد يقال في مكانها « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ثم قال ، فأما الاعلى اذا كتبت للادنى فلا يخرج عن « حسبنا الله ونعم الوكيل » . ثم بعض الكتاب قد يكتب في أول الحسبلة واوا بأن يكتب « وحسبنا الله ونعم الوكيل » ولا معنى لها اذ لا يسوغ عطفها على ما قبلها كأنه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام في وراقته . وقد اصطالحوا على أن يكتبوها سطراً واحداً بعد سطر الحمدلة والتصلية ، ويكون بين سطرها والذي قبله بقدر ما بين السطر الآخر من المكتوب وبين ان شاء الله تعالى . قال ابن شيث : وموضعها ثلث السطر من الجانب

الايمن الى حيث ينتهى . واعلم ان الكتاب قد اُصطلحوا ان يكتبوا تحت الحسبلة صورة
حاء لطيفة منكسة ولا معنى لذلك وكأنهم كانوا يكتبونها عوضا عن الحسبلة ثم التبس
ذلك على بعض الكتاب فأثبتها مع الحسبلة

﴿ الفصل الثالث ﴾

في الواحق . وهي امران

الامر الاول ، التتريب - لانزاع في ان تتريب الكتاب عند الفراغ من كتابته
بالقاء الرمل ونحوه عليه امر مطلوب للتبرك طلبا لنجح القصد فقد روي محمد بن عمر المدائني
عن اسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد وهو ابو مروان الازدي عن بقرية بن
الوليد عن عطاء عن (ابن) جريج عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تربوا
الكتاب ونحوه من أسفله فإنه أعظم للبركة . وانجح للحاجة . وفي حديث آخر : اذا
كتب أحدكم كتابا فليتربه فإنه مبارك وهو أنجح لحاجته . في آثار أخرى في معنى
ذلك . وأيضا فان فيه تجفيف ما يطرح عليه من الخط ومنعه من المحو . قال في مواد البيان
ويستحب وضع التراب أولا على البسمة ثم يمرّه الكاتب منها على سائر المكتوب
لتعم الكتاب بركة البسمة . قلت : وكتاب زماننا يتعاونون التتريب من أسفل الكتاب
لأنه الى التجفيف احوج لقرب عهده بالكتابة . على أنه لا يخلو من بركة أيضا اذ يمر
على الحمدلة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والحسبلة . ولو طلع به من أسفل الكتاب
حينئذ الى البسمة ثم اعاده عليه مرة ثانية لكان حسنا . وقد اصطلح كتاب الزمان
على التتريب بالرمل الاحمر لانه ابهج واقل غبارا . قال محمد بن عمر المدائني : وكرهوا ونهوا
عن تراب الحيطان ومالوا الى النشارة والاشنان . قال : وبلغنا ان بعض الأئمة من اهل
العلم كان يترب الحديث بالصندل ويقول : لا طرح على حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم التراب ، قال ، وكان حياة بن شريح يخرج الى الصحراء فيأخذ الطين الاسود
فيدقه وينخله فيترب به . وقد صرح الامام الرافعي من أئمة الشافعية في باب الصلح
انه يحرم التتريب من جدار الغير ومن الجدار المشترك

الامر الثاني ، نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه . فقد نصوا على
نه ينبغي للكاتب إذا فرغ من كتابه ان يتأمله من أوله الى آخره ويتتبع الفاظه

وتأمل معانيه و يصلح منها ما لعله وهم فيه الفكر أو سبق اليه القلم ليسلم من قدح القادح
وطعن الطاعن . وقد سبق في مقدمة الكتاب ان صاحب الديوان لا يكتبني بنظر
الكاتب في ذلك بل يكمله الى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ثم يتأمل هو بنفسه بعد ذلك
ليتمتع الكتاب ويتهذب (فأنه لسان السلطان) بل السلطان بنفسه ، بل الدولة بأسرها

❦ الباب الثالث ❦

في بيان كتابة القصص وتعيين صاحب ديوان الأثناء القصص التي ترفع بطلب الكتب
السلطانية والرقاع التي يكتبها كاتب السر بأمر خاصة من ولايات وغيرها والقوائم التي
تحضر من ديوان الوزارة والخاص وغيرها وما في معنى ذلك والمربعات الحيشية التي تحضر
من ديوان الحيش بسبب كتابة المناشير والاقطاعات وما يجري مجرى ذلك وفيه فصلان

❦ الفصل الاول ❦

(في بيان كتابة القصص التي ترفع الى ولاة الامور)

وسميت قصصا لحكاية صورة حال رافعها فيها . واعلم ان الذي يجب في كتابة
القصص مراعاة الأيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والتقرب من فهم المخاطب
فأنها متي كانت خارجة عن الحد في الطول أدت الى السآمة والاضجار وربما أدى
ذلك الى حرمان الطالب مطلوبه إما للاعراض عنها استئقالا وإما لعدم فهم المقصود منها
للافراط في الطول فأن الرئيس مما يسرع الضجر اليه (وخصوصا) الملك فيكون رافعها كالمساعي
في حتف أنفه بظلمته . وكذلك يجب ان يتجنب فيها الاختصار المجحف المؤدى الى
الاخلال بل يقتصر فيها من الكلام على القليل الدال فأن خير الكلام ما قل ودل
وعليه ان يتجنب فيها التعقيد الذي يذو عنه فهم الرئيس ويحجه سمعه

وقد جرت العادة في كتابة القصص ان يخلى من أعلى الورقة قليلا يترك بياضا ويجعل
لها هامشا بحسب عرضها ويبتدى فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة: « المملوك
فلان يقبل الارض وينهى كيت وكيت . . . » الى آخر قصده ، ثم يقال ، وسؤاله:
كذا وكذا . فان كان السؤال للسلطان قال: وسؤاله من الصدقات الشريفة . . . وان كان
لغيره قال : وسؤاله من الصدقات العميمة . . . أو نحو ذلك ويذكر طلبته ، ثم يقول:
ان شاء الله تعالى ، ويحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب باآخرها

وما ينخرط في هذا السلك — قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابتها يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من أسفلها تطيرا بالتربيع وهو خطأ وغلط فاحش فأثمهم براعون في ذلك كراهة التربع النجمي عند المنجمين من حيث أنهم يتشاءمون به فأسسوا بنيانهم في ذلك على شفا جرف هار ولا يخفى أن الشكل التريعي من أحسن الاشكال الهندسية وقد جاء في وصف حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة أن زواياه على التربع ، والكعبة البيت الحرام مبنية على التربع فلولا أن التربع أفضل الاشكال لما جعل الحوض والبيت على شكله

(الفصل الثاني)

(في تعيين صاحب ديوان الانشاء القصص والرقاع والقوائم والمربعات الحيشية)
 اما القصص فمنها ما يرفع الى السلطان فيكتب على ظاهر القصة : يكتب ثم تحمل الى كاتب السر ليعينها ؛ ومنها ما يرفع الى صاحب ديوان الانشاء ابتداء فيوقع عليها بما يراه ويعينها على بعض كتاب الانشاء فيكتبها وتشمها العلامة السلطانية وربما احتاج في بعضها الى مراجعة السلطان قبل الكتابة عليها ؛ ومنها ما يرفع بدار العدل حيث يجلس السلطان للنظر في المظالم وفصل الخصومات فيقرؤها كاتب السر وكتاب الدست ويوقع منهم عليها ما تبرز به الاوامر السلطانية ثم تحمل في فوطة كاتب السر ليعينها ؛ ومنها ما يرفع للنائب الكافل ان كان (ثم نائب) فيكتب على هامش القصة بقلم مختصر الطومار آخذا من أسفلها الى اعلاها مائثا : يكتب بعد ان يزيد فيها موقعه ما ينبغي زيادته أو ينقص ما ينبغي نقصه او يقيده ما يجب تقييده ، ثم تحمل الى كاتب السر فيعينها ؛ ومنها ما يرفع للداودار فيعلق موقعه على الرسالة تارة بمراجعة وتارة استقلالا بحسب ما يقتضيه الحال فيكتب على هامش القصة بقلم دقيق آخذا من طرف الهامش الى جهة كتابة القصة مميلا ذلك الى الاعلى بعض الامالة مائثا : رسم برسالة الجنب العالي الاميري الكبير الفلاني — بلقبه الخاص — الداودار الفلاني — بلقب السلطان — ضاعف الله تعالى نعمته ان يكتب مثال الشريف بكيت وكيت ، أو توقيع الشريف بكيت وكيت ، وما أشبه ذلك . ثم تحمل الى كاتب السر فيعينها

وأما الرقاع فهي أوراق لطاف يكتبها كاتب السر فيعينها بولات نواب السلطنة

وقضاة القضاة وغيرهم و بالتواقيع التي تكتب بالمساحات والاطلاقات ومكاتبات البريد وبعض أوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك مما يختص بالأبواب السلطانية فيكتب في الرقعة بما يكتب من ذلك ويعينها كما في القصص

وأما القوائم فهي أوراق ديوانية تكتب من الدواوين السلطانية بالمطلوب ويكتب عليها صاحب ذلك الديوان ثم ترفع الى كاتب السر فيعينها. واعلم ان القوائم تكتب من ثلاثة دواوين . الاول ديوان الوزارة فيكتب ما مثاله : رسم بالأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ان يكتب مثال شريف الى فلان الفلاني بكذا وكذا . وصورة وضعها ان يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها وآخره : شرفه الله تعالى وعظمه ، ويحلى بينه وبين السطر الثاني قدر اصبعين معترضين بياضاً ليكتب فيه الوزير ما مثاله : يكتب . وباقي السطور مسترسلة الى آخرها . فيوجه القائمة من ديوان الوزارة الى كاتب السر ليعينها . واعلم انه ربما كتب من ديوان الوزارة بأمر أخرى كتواقيع الاطلاقات ونحوها فيكتب الوزير أولاً على هامش القصة ما مثاله : يكتب بذلك ، أو يوقع بذلك . ثم تحمل الى كاتب السر ويكتب عليها بالتعيين * الثاني ديوان الخاص ، وهو في كتابة القوائم على ما مر في ديوان الوزارة من غير فرق وليس يصدر من ديوان الخاص تواقيع كما في ديوان الوزارة وإنما يكتب فيه مبيعات ليشملها الخط الشريف لا تعلق لها بكاتب السر الا في أخذ العلامة * الثالث ديوان الاستدارية وحكمه في ذلك حكم ديوان الخاص من غير فرق . واما المبيعات الجيشية فأنها تكتب من ديوان الجيش بالأقطاعات وصورتها ان يكتب في نصف القطع البلدي مع ظهر يياض بعد البسملة ما مثاله : « المرسوم بالأمر الكريم العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني - بلقب السلطنة - الفلاني - بلقب السلطان الخاص - أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصره ان يقطع باسم فلان الفلاني أحد الأمراء المقدمين - أو الطبلخانات أو العشرات أو الخمسات أو أحد المالك السلطانية أو أحد مقدمي الحلقة أو أجناد الحلقة - بالمسكان الفلاني المرسوم استقراره في أمراء العشرات - أو الطبلخانات أو المقدمين أو مقدمي الحلقة أو أجناد الحلقة - ما رسم له به الآن من الأقطاع - فإن كان أميراً قيل بعد ذلك : - لخاصته ولمن يستخدمه من الاجناد الجياد النافعين للخدمة

الشريفة والبرك (كذا) التام والعدة الكاملة بمقتضى المثال الشريف أو الخط الشريف أو الخط
 العالى الكافى ان كان أصله بخط النائب الكافل أو بمقتضى الاشهاد المشمول بالخط
 الشريف أو الخط الكافى على ما تقدم . ثم تحمل تلك الرقعة الى كاتب السر فيعينها
 اذا علم ذلك فما يرجع الى كاتب السر من القصص والرقاع والقوائم ونحوها يختلف
 الحال فيه باعتبارين : أحدهما ما يختلف باختلاف حال المكتوب فان كان المكتوب الذى رفع
 اليه قصة بظاها خط السلطان فلا كتابة له عليها غير التعيين ومحله تحت خط السلطان
 بظاها القصة . وان كان قصة رفعت الى كاتب السر ابتداء كتب على حاشيتها في
 أعاليها أخذاً من الأعلى الى الأسفل ما مثاله : يكتب بذلك ، أو يكتب بكذا وكذا
 مما يختار امضاءه ؛ ثم يكتب التعيين بحاشيتها أسفل من ذلك في عرض الحاشية مميلاً
 للكتابة الى جهة الأعلى قليلاً . وان كان قصة عليها خط النائب الكافل كتب عليها
 بالتعيين ليس إلا ومحلها بحاشية القصة أسفل خط النائب بقايل . وان كان قصة كتب
 عليها برسوم الأتابك أو عاق بحاشيتها رسالة الدوادار كتب بأعلى القصة فوق خط
 كاتب الدست الذى كتب برسوم الأتابك أو معلق رسالة الدوادار : يكتب بذلك . وعلى
 القرب منه من جهته السفلى التعيين . وانما يكتب هنا بأعلى القصة ومع خط النائب
 بأسفلها لأن هناك خط النائب نفسه فوجب النزول عنه وهنا خط الموقع الملقى عن
 الأتابك أو الدوادار . وان كان قائمة من ديوان الوزارة أو غيره كتب به امش القائمة
 من أعلاها مقابل خط الوزير ومن في معناه ممن يكتب على القائمة ما مثاله : يكتب
 بذلك . وان كان مرعبة أقطع من ديوان الجيش فلا كتابة له عليها الا بالتعيين
 فقط ومحلها مقابل تاريخ المرعبة من الجهة اليمنى . الثانى ما يختلف باختلاف حال
 المعين عليه . فان كان كاتباً من كتاب الدست كتب له : المولى القاضى فلان فلان
 الدين أعزه الله تعالى . وربما وقع التمييز لبعض أهل العلم فيكتب له : الشيخ فلان الدين
 أعزه الله تعالى ، أو المولى الشيخ فلان الدين أعزه الله تعالى . وان كان من كتاب
 الدرج فان كان كبيراً كتب له : المولى الشيخ فلان الدين ، وان كان صغيراً كتب له : المولى
 فلان الدين . وكاتب السر فى ذلك على ما يراه من رفع وخفض

❦ الباب الرابع ❦

في بيان المستندات التي يترتب عليها ما يكتب من ديوان الأَنْشاء من المكاتبات والولايات وغيرها وبيان وجوه ذلك وفيه فصلان

❦ الفصل الاول ❦

في أصل ذلك الذي يستند إليه - واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقي القول الى الكاتب من كتابه فيكتبه ويستشهد فيه بخطه فيكتب : وكتب فلان. والكثير من كتبه صلى الله عليه وسلم موجود فيه الاستشهاد بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم على ما تعرفه من تتبعه

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم لتعميم الدارى رضى الله عنه بأقطاع قرى من قرى الشام موجودة بأيدي التميميين الى الآن مكتوب فيها : وكتب علي بن أبي طالب . وسيأتي ذكر نسختها في الكلام على الأقطاعات في موضعها ان شاء الله تعالى . ثم لما انتهى الأمر الى خلفاء بني العباس بالعراق وأضافوا أمر ديوان الانشاء الى الوزير على ما تقدم ذكره وكثرت الكتاب على الديوان وضنوا على آحاد الكتاب ان يكتب اسمه في كتاب الخليفة جعلوا الاستشهاد فيه بخط الوزير وان كان خط بعض كتابه فكانوا يكتبون في آخر الكتاب : وكتب فلان بن فلان ، باسم الوزير واسم أبيه كما قال أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب وعليه كان الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يستشهد فيها بخط الوزير فيما رأيته في كثير منها . وقد ذكر أبو الفضل الصوري في تذكرته أنهم كانوا بالعراق يستشهدون بخط متولى ديوان الرسائل سواء كان وزيراً أو غيره

❦ الفصل الثاني ❦

فيما الحال مستقر عليه الآن - اعلم انه لم تجر العادة في أن يخلد صاحب الديوان بما يتلقى عن السلطان شاهداً من خطه يكون عنده فان صاحب الديوان هو يد السلطان ولسانه ومنفذ أمور دولته والمتصرف في أحوال مملكته بل هو الذي يستشهد الكتاب بخطه

ويحتجون به فكأنه السلطان حقيقة وإنما اتخذ الشواهد عند الكاتب فأن كان الشاهد قصة عليها خط السلطان أو خط كاتب السر أو خط النائب الكافل أو رقعة بخط كاتب السر خلدها الكاتب عنده بعد التعيين ليحتج بها ان وقع الإنكار عليه في شيء منها. أما القوائم التي ترد من ديوان الوزارة وديوان الخاص وعن الاستدارق قد جرت العادة أنها بعد التعيين والكتابة اتخذ بأضبارات ديوان الانشاء ليقع الاحتجاج بها لديوان الانشاء على هذه الدواوين ان وقع إنكار شيء منها

❦ الباب الخامس ❦

في مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور في الكتب وفيه فصلان :

❦ الفصل الاول ❦

في مقادير قطع الورق - اعلم ان الامم السالفة كانوا مختلفين فيما يكتبون فيه فكان اهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ وغيرهم أخذ الناس صنعة الورق؛ وأهل الهند كانوا يكتبون في خرق الحرير الابيض، والفرس يكتبون في الجلود المدبوغة من جلود الجواميس والبقر والغنم والوحوش وكذلك كانوا يكتبون في اللخاف، بالخاء المعجمة، وهي حجارة بيض رقاق، وفي عسيب النخل وهي الجريد الذي لاخوص عليه واحدها عسيب، وفي عظم اكتاف الابل والغنم. وعلى هذا الاسلوب كانت العرب لقريتهم منهم واستمر ذلك الى ان بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن والعرب على ذلك فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل في اللخاف والعسيب وربما كتب النبي بعض مكاتباته في الادم وأجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن في الرق اطول بقائه اولانه الموجود عندهم حينئذ وبقي الناس على ذلك الى ان ولى معاوية بن ابي سفيان الخلافة فاستعمل الورق بديوان الانشاء امتيازاً لديوان الخلافة على غيره كما اشار اليه محمد بن عمر المدائني فجرى على ذلك الى ان ولى الرشيد وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس فامر ان لا يكتب الناس الا في الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والأعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محى منه فسد، وان كشط ظهر كسطه ثم انتشرت

الكتابة في الورق الى سائر الاقطار وتعاطاه من قرب ومن بعد فاسد - تمر الناس على ذلك الى الآن على تفاصيل انواع الورق وجودة بعضها ورداءة بعض

واعلم ان الورق اسم جنس واحده ورقة ويجمع على اوراق، وتجمع الورقة على ورقات، وبه سعى الرجل الذي يكتب وراقاً. وقد نطق القرآن بتسميته قرطاساً قال تعالى « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم » قال ابن السمنان في تفسيره: القرطاس كاغد يتخذ من بردى مصر، ثم قال، والجمهور على كسر قافه؛ وضما أبو زيد وعكرمة وطلحة ويحيى بن يعمر. والذي حكاه الجوهري عن أبي زيد يخالف ما ذكره فإنه قال فيه: قرطس، بفتح القاف من غير الف. ويقال فيه أيضاً صحيفة وقد نطق القرآن الكريم بجمعها قال تعالى « ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » ويجمع أيضاً على صحائف: وسمى المصحف مصحفاً لجمعه الصحف، وسمى التصحيف تصحيفاً للخطأ في الصحيفة. ويسمى أيضاً الكاغد، بغين معجمة ودال مهملة، ويقال فيه أيضاً طرس، بكسر الطاء، ويجمع على طروس؛ ومهرق، بضم الميم وإسكان الهاء وفتح الراء المهملة، ويجمع على مهارق. قال الجوهري وهو فارسي

واعلم انه حين كانت الخلافة ببغداد كان الاعتماد في قطع الورق وتقسيمه على الورق البغدادي ويعبر عن الفرخة منه بالطومار. وقد ذكر محمد بن عمر المدائني انه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، والى الامراء من نصف طومار، والى العمال والكتاب من ثلث، والى التجار واشباههم من ربع، والى الحساب والمساح من سدس. فجعل تقسيم الورق بديوان الانشاء الى خمسة مقادير وهي ثلثان، ونصف، وثلث، وربع، وسدس. اما الآن فالمستعمل بديوان الانشاء بمملكة الديار المصرية ومضافاتها على ضربين

الضرب الاول - ما يستعمل بديوان الانشاء بالابواب السلطانية وهي تسع مقادير من المصرى وغيره اجملها الخمسة المستعملة في القديم: الاول قطع البغدادي الكامل وعرض درجه عرض البغداوي بكماله وهو ذراع واحد بذراع القماش المصرى وفيه كان يكتب في الاول عهد الخلفاء وبيعاتهم، وفيه كان يكتب ايضاً عهد ملوك الديار المصرية الى آخر دولة الظاهر برقوق، وفيه كانت تكتب المكاتبات الى قانات

الشرق كأبي سعيد وغيره . ولما استقر السلطان الملك المؤيد شيخ سلطان العصر في السلطنة اقترح له ورق مصرى شبه البغدادي في عرض ذراع ونصف كتب له فيه عهد وهو مقدار لم يسبق اليه ملك قبله * الثاني قطع البغدادي الناقص ، وعرض درجه دون عرض الكامل بأربعة أصابع مطوقة ، وقد ذكر في التثقيف انه كتب فيه الى القان صاحب السراي ، وفيه كتب عهد الناصر فرج بن برقوق في سلطنته الاولى لتعذر وجود البغدادي الكامل * الثالث قطع الثلثين من الورق المصري ، والمراد ثلثا طول مار من كامل القطع المنصوري ، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري أيضا وفيه تكتب مناشير اقطاعات الامراء المقدمين وتقاليد النواب الكبار والوزراء وأكابر قضاة الديار المصرية ومن في معناهم، ولم يجز العادة بمكاتبة لاحد من الملوك عن الابواب السلطانية فيه * الرابع قطع النصف ، والمراد قطع النصف من المنصوري أيضاً . وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير اقطاعات الطبائخاناه ومراسيم الطبقة الثانية من النواب ، وفيه يكتب بعض الملوك عن الابواب السلطانية * الخامس ، قطع الثلث ، والمراد ثلث القطع المنصوري المقدم ذكره ، وعرض درجه ثلث ذراع بالذراع المذكور . وفيه تكتب مناشير امراء العشرات ومراسيم صغار النواب ومن في معناهم ، وفيه يكتب الى بعض الملوك عن الابواب السلطانية * السادس قطع الربع - والمراد ربع قطع المنصوري . وعرض درجه ربع ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير المالك السلطانية ومقدمي الحلقة ومناشير عشرات التركان بالممالك الشامية وبعض التواقيع لمن لم يؤهل لقطع الثلث * السابع قطع العادة ، وهو النهاية في صغر المقدار وعرض درجه سدس ذراع بالذراع المذكور ؛ وفيه تكتب عامة المكاتبات لاهل المملكة وحكامها والتواقيع الصغار والمراسيم الصغار والمكاتبات الى بعض حكام الممالك وما يجرى هذا الجرى . وكذلك يكتب فيه عن أعيان الدولة والامراء والوزراء وغيرهم من المكاتبات الاخوانية وما في معناها * الثامن قطع الشامي الكامل ، وعرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله ، وهو قليل الاستعمال بالديوان جدا الا انه ربما كتبت فيه بعض المكاتبات كما كتب فيه عن الاشرف شعبان بن حسين لوالدته عند سفرها الى الحجاز الشريف * التاسع القطع

الصغير من ورق الطير ، وهو في عرض ثلاثة اصابع مطبوقة: وفيه تكتب بطائق الحمام وبعض مطلقات الكتب

الضرب الثاني - ما يستعمل من الورق بديوان الانشاء بالممالك الشامية من دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك في المكائبات والولايات الصادرة عن نوابها . وكلها من الورق الشامي وهي لا تخرج عن اربعة مقادير : الاول ، قطع الشامي الكامل ، وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي في طوله على ما تقدم . وفيه يكتب عن النواب لأعلى الطبقات من أرباب التواقيع والمراسيم (ليس الا) ، الثاني قطع نصف الحموي ، وعرض درجه عرض نصف الطومار الحموي في طوله وفيه يكتب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع الصادرة عن النواب ، الثالث ، قطع العادة من الشامي ، وعرض درجه سدس ذراع بذراع القماش المصري في طول الطومار أو دونه . وفيه يكتب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب وعمامة المكائبات الصادرة عن النواب الى السلطان فمن دونه من أهل المملكة وغيرهم إلا نائب الشام ونائب الكرك فقد جرت عادتهما بصدور المكائبات عنهما في الورق الأحمر دون غيرها من النواب ، الرابع ، قطع ورق الطير ، المقدم ذكره في آخر المقادير المستعملة في الأبواب السلطانية . وفيه تكتب بطائق الحمام والمطلقات على ما تقدم ، وكذلك يكتب فيه عن أعيان الدولة بالممالك الشامية من الأمراء والوزراء والحكام ومن في معانهم المكائبات الاخوانيات وما في معناها

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر من الاقلام ، ومقادير البياض الواقع في اعلى الدرج وحاشيته ، وبعد ما بين السطور في الكتابة اما ما يناسب كل مقدار من قطع الورق من الاقلام فقد ذكر المقر الشهابي في التعريف في آخر القسم الثاني أن لقطع البغدادى قلم مختصر الطومار ، ولقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة قلم الرقاع : ومن ذلك يعلم ما يناسب كل قطع من مقادير القطع المستعملة بدواوين الانشاء فيناسب الشامي الكامل قلم التوقيعات لانه في معنى ثلث البلدى ، ويناسب نصف الحموي والعادة من الشامي قلم الرقاع لانهما في معنى العادة ويناسب ورق الطير

الذي تكتب فيه البطائق والمطلقات قلم الغبار ولذلك يسميه بعض الكتاب قلم الجناح
 لكتابة بطائق الحمام به . اما القلم الذي تقع به العلامة الشريفة فإنه قلم الطومار وهو
 اجل الاقلام ، وبه كانت تكتب الخلفاء في الزمن المتقدم ، وانما حدثت كتابة ملوك
 الديار المصرية به بعد زوال الخلافة من بغداد . قد رأيت خطوط جماعة من ملوك
 الدولة الايوبية وأوائل الدولة التركية بقلم الثلث الثقيل

وأما مقدار البياض قبل البسمة فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق،
 فكلما عظم قطع الورق كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادي وما في معناه يترك فيه
 ستة أوصال بياضا وتكتب البسمة في السابع ، وقطع الثلثين يترك فيه خمسة أوصال
 وتكتب البسمة في السادس ، وقطع النصف يترك فيه أربعة أوصال ، وقطع الثلث
 يترك فيه ثلاثة أوصال ، وقطع العادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال وتارة يترك فيه وصلان
 فقط بحسب ما يقتضيه الحال . وقطع الشامي الكامل في معنى الثلث ، وقطع نصف
 الحموي والعادة من الشامي في معنى العادة من البلدي . وربما اجتهد الكتاب في زيادة
 وصل أو نقصه في بعض المواضع إذا اقتضاه الحال . وفي المكاتبات الصادرة عن سائر
 أرباب الدولة بمصر والشام يترك في جميعها قبل البسمة وصل واحد، وفي كتابة الأدنى
 للأعلى قد يترك دون الوصل

وأما حاشية الكتاب فبحسب اجتهاد الكاتب فيها في السعة والضيق . قلت
 وقد رأيت بعض أعيان الكتاب المعتبرين بقدر حاشية الكتاب بالربع من عرض الدرج،
 وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون

وأما بعد ما بين السطور فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق .
 ففي السلطانيات كلها علي اختلاف قطع الورق فيها تكتب البسمة في أول الوصل بعد
 ما يترك من أوصال البياض في أعلى الدرج بحسب ما يقتضيه الحال ، ثم يكتب تحت
 البسمة سطر ملاصق لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم في القرب والبعد بحسب الدقة
 والغلط، ثم يكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كتبت فيه البسمة بحيث يبقى
 منه ثلاثة أصابع أو نحوها في القطع الكبير وقد أصعبين فما دونها في القطع الصغير .
 وقد قدر صاحب مواد البيان البياض الباقي بين السطر الاول والثاني بقدر شبر ، ثم

ما بين كل سطرين بعد ذلك بقدر نصف ما بين السطرين الاولين . ووافق صاحب ذخيرة الكتاب على مقدار ما بين السطرين الاولين وخالف فيما بعدهما فجعل ما بين كل سطرين كما بين الاول والثاني واعل هذا ما كان عليه الحال في العراق والاول ما كان عليه الحال ، بالديار المصرية . وذكر ابن شيث من أواخر كتاب الدولة الابوية ان ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . قلت: والذي جرت عليه عادة الكتاب في زماننا ان يكون في كل وصل من أوصال قطع العادة وما في معناه ثلاثة اسطر وفيما عداه من القطع العريض سطران وربما وقع التفاوت في القطع الصغير بحسب الحال حتي يكون في التواقيع التي على ظهور القصص ونحوها بين كل سطرين بعديت العلامة قدر أصبعين وربما توصلت الاسطر في المطلقات ونحوها اما ما يكتب عن نواب السلطنة من الولايات والمكاتبات من سائر اعيان الدولة فدور السلطانيات في مقدار خلو موضع العلامة فيكون موضعها بقدر خمس أصابع مطبوقة ونحوها وبعد ما بين السطور بعد ذلك بقدر أصبعين الى مادونهما

المقالة الرابعة

﴿ في المكاتبات السلطانية وفيها أربعة أبواب : ﴾

٥- الباب الاول

في أمور تتعلق بالمكاتبات يجب على الكاتب معرفتها، وأصول يعتمد عليها الكاتب في كتبه في الابتداء والجواب وفيه خمسة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في أصول يتعين على الكاتب مراعاتها في كتبه وهي عشرة أصول :
 ﴿ الاصل الاول ﴾ حسن الافتتاح بالمطلوب في جميع أنواع الكلام من نثر ونظم بأن يأتي في مطلع الكلام بسهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ويتجنب الحشو ونحو ذلك مما تشوق اليه النفس وتمش لسماعه اما بالافتتاح بالحمد لله كما في بعض المكاتبات الصادرة بفتح ونحوه فان النفوس تشوق الى الثناء على الله تعالى لا

سيما عند حدوث المن الجسام، او بالافتتاح بالسلام الذي جعله الشارع مفتتح الخطاب،
واما بالافتتاح بما فيه تعظيم الملوك من نحو تقبيل الارض أو اليد ونحوها، او الدعاء
له وما في معنى ذلك فإن أمر المكاتبات مبني على استجلاب الخواطر وتأني القلوب
الى غير ذلك مما يجري هذا المجرى

﴿ الاصل الثاني ﴾ - ان يراعي الاتيان في أول الكتاب ببراعة الاستهلال
المطلوبة في كل فن من فنون الكلام بأن يأتي في صدر الكتاب بما يدل على عجزه: فان
كان في فتح آتى في أوله بما يدل على الفتح، او في التهنئة آتى في أوله بما يدل عليها، او
في التعزية فكذلك، وعلى ذلك في سائر المعاني ليعلم من مبدأ الكلام ما المراد منه كما
يحكي ان عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه ان يكتب الى الخليفة يعرفه فيه ان
بقرة ولدت عجلا وجهه انسان فكتب: اما بعد حمد الله خالق الانام، في بطون
الانعام. وأئمة الكتاب وفضلاؤهم لهم بهذا الباب الغاية الكاملة ويرون ان في تركه
اخلالا بالصناعة ونقصا في الكتابة حتى ان الوزير ضياء الدين بن الاثير عاب أبا اسحاق
الصابي على علوم مكانته في الكتابة بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك افتتحه بخطبة أولها:
الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، الوحيد الفريد، العلي المجيد، الذي لا يوصف
الابسلب الصفات، ولا ينعت الا برفع النعوت. في كلام آخر مما يجري هذا المجرى.
وقال ان هذه التحميدة انما تصلح ان توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول
الدين فأما ان توضع في كتاب فتح فلا. واعلم ان براعة الاستهلال في المكاتبات قد
تقع مع الابتداء بالتحميد كما في كتاب عمرو بن مسعدة المقدم ذكره وكما كتب
الصابي عن الطائع الى بعض ولاة الاطراف عند زوال الوحشة بينه وبين الامراء: أما بعد
فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتائه، وواصل الحبل بعد بئانه. . . وقد تقع مع الابتداء
بالدعاء بأن يكون الدعاء مناسبا للحالة المكتوب فيها كما كتب بعضهم في البشري
بفتح: ولا زالت آيات النصر تتلى عليه من صحف البشائر، ونفائس الظفر تجلي على
سره في أسعد طائر، وفواتح الفتح تزهى به الاسرة وتزهو بنوره المناير. . . وقد
تقع في الابتداء بتقبيل الارض كما كتب لبعض رؤساء الاسكندرية مشير الى تسميتهم
ريح الشمال بالمثم ويلوح بذكرو مستنزه لهم على البحر يسمى بالرمل ومساكن لهم في ذاك

المستنزه تسمى القصور ما صورته : يقبل الارض ثغر قد رق ملثمه ، وراق مبسمة ،
شكرا يعترف الرمل بالقصور عن حده ، وتقف أمواج البحر المحيط دون عده . . .

﴿ الاصل الثالث ﴾ - ان يعتمد في الكتاب المشتمل على المقاصد الجليلة مقدمة
يصدر بها تأسيها لما يأتي به في كتابه مثل ان يأتي في صدر كتب الحث على الجهاد
بذكر افتراضه على الامة وما وعد الله تعالى به من نصر اوليائه وخذلان أعدائه واعزاز
الموحدين وقمع الملحدين ، وفي صدر كتب الفتح بانجاز وعد الله الذي وعده أهل
الطاعة من النصر والظفر واطهار دينه على الدين كله ، وفي صدر كتب جباية الخراج
بحاجة قيام الملك وأس السلطنة الى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة
الثغور وتحصين الاعمال وتقوية الرجال ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى فقد قيل
انه لا يحسن بالكتاب ان يخلى كلامه وان كان وجيزا من مقدمة يفتتحه بها وان وقعت
في حرفين أو ثلاثة ليوفى التأليف حقه . قال في مواد البيان : وعلى هذا السبيل جرت
سنة الكتاب في جميع الكتب كالفتوح والتهانى والتعاوى والتهادي والاستخبار
والاستبطاء والاحامد والاذمام وغيرها ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه
وحجة يستظهر بها السلطان لان كل كلام لا بد له من فرش يفرش قبله ليكون منه
بمنزلة الاساس من البيان ، قال ، ويرجع في هذه المقدمات الى معرفة الكاتب ما يستحقه
كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي يشاكلها ، ثم قال ، والطريق الى
اصابة المرمي في هذه المقدمات ان تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والاعراض ،
وان يوضع للامر الخاص مقدمة خاصة ، والامر العام مقدمة عامة ، ولا يطول في موضع
الاقتصار ولا يقصر في موضع التطويل ، ولا يجعل اغراضها بعيدة المآخذ معتاصة على
المتصفح ، فان الكاتب ربما قصد اظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق
فخرج الى الاملال والاضجار الذي تبهر منه النفوس ولا سيما نفوس الملوك وذوي الاخطار
الجليلة . اما الامور التي لا تشتمل على المقاصد الجليلة كرقاع التحف والهدايا ونحوها
فقد ذكر في مواد البيان ان لا يجعل لها مقدمة تكون امامها فان ذلك غير جائز ولا
واقع موقعه . ألا ترى أنهم استحسنا قول بعضهم في صدر رقعة مقترنة بتحفة في
يوم مهرجان : هذا يوم جرت فيه العادة بان تهدي فيه العبيد الى السادة . . . واستظرفوا

الكاتب لأيجازه وتقريبه المأخذ

﴿ الاصل الرابع ﴾ - ان يعرف الفرق بين الالفاظ المستعملة في المكاتبات فيضع كل لفظ منها في موضعه فقد قال في ذخيرة الكتاب : يجب على الكاتب ان يعرف مرتبة الالفاظ ومواقعها ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقف به على الواجب وينتهي به الى الصواب فيخطب كلا في مكاتبة بما يستحقه من الخطاب فانه قبيح به ان يكون خطابه أولا خطاب المرؤس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرؤس ، أو يبدأ بخطاب المرؤس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرؤس ، قال ، ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة بين الالفاظ والمناقضة نقصت المعاني ووذلت الالفاظ وسقطت المقاصد . وكان الكاتب قد اخل من الصناعة بمعظمها وترك من البلاغة غاية محكمها ، بل يجب اذا بدأ بخطاب رئيس او نظير أو مرؤس ان يكون ما يتخلل مكاتبة من الالفاظ على اتساق الى آخرها واطراد من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا مناقضة . فمما يجب اعتباره من ذلك : الفرق بين اصدارنا هذه المكاتبة ، وبين أصدرت هذه المكاتبة ، على البناء للمفعول ، وبين صدرت . فأصدرنا أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس الذي صدرت المكاتبة عنه اذ الشئ يشرف بشرف متعلقه ، وبلى ذلك في الرتبة « أصدرت » لاقتضائها اصدار مصدر في الجملة وذلك المصدر هو الرئيس الذي صدرت عنه في الحقيقة ، ودون ذلك « صدرت » لاقتضاء الحال صدورها بنفسها من غير دلالة على المصدر أصلا . ومن ذلك الفرق بين : يبدي لعلمه ، ويوضح لعلمه ، فيبدي أعلى بالنسبة للمكتوب اليه لان الابداء يرجع في المعنى الى اظهار على خفي والرئيس لا يظهر على خفي إلا خصاه ؛ ويوضح يرجع الى بيان مشكل ، وحصول الاشكال المحتاج الى ايضاح ربما دل على بعد فهم الخطاب عن المقصود بخلاف اظهار الخفي فانه لا ينتهي الى هذا الحد . ومن ذلك الفرق بين : علمه الشريف ، وعلمه الكريم ، وعلمه المبارك . فعلمه الشريف أعلى بالنسبة للمكتوب اليه لانه منقول عن الشرف والكرم في الانسان ، وقد تقدم ان الشرف أعلى من الكرم لان الشرف يفتقر الى اتصال ذلك في الآباء بخلاف الكرم ، واذا كان الشرف في الانسان أرفع كان في غيره كذلك ؛ والكريم أعلى من المبارك لان الكرم في أصل اللغة هو الخلوص من اللؤم ، . والبركة الماء والزيادة ، وهي قد تكون مع الكرم وقد يتخلف

الكرم عنها . ومن ذلك الفرق بين : ومرسومنا لفلان بكذا وبين المرسوم له بكذا . فمرسومنا أعلى بالنسبة الى المكتوب عنه لاشتماله على نون التعظيم ، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم بخلاف «المرسوم له بكذا» فإنه عار عن التعظيم . ومن ذلك الفرق بين بلغنا ، وبين انتهى الى علمنا ، وبين اتصل بنا ، فاتصل بنا أعلى من انتهى الى علمنا بالنسبة الى المكتوب اليه لما في معنى الاتصال من التلاصق بخلاف الانتهاء ؛ وانتهى الى علمنا أعلى من بلغنا ، لان البلوغ قد يكون على لسان الآحاد . ومن ذلك الفرق بين عرفنا ، وبين ذكر لنا ، وبين أمهي إلينا . فعرفنا أعلى بالنسبة الى المكتوب بسببه فإن التعريف يقتضى الاعلام بما لم يكن عنده علمه وفيه نوع توفر بخلاف « ذكر » فإنه لا يقتضى ذلك ؛ وذكر أعلي من أمهي ، لأن الانتهاء يحتمل الخطاب ويحتمل رفع قصة . ومن ذلك الفرق في الطلب بين : والمسئول ، وبين : والمستمد ، وبين : والقصد ؛ فالمسئول أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه فان السؤال يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد ؛ والاستمداد أعلى من القصد ، لان الاستمداد فيه معنى ان المادة ناشئة عن المكتوب اليه بخلاف القصد . ومن ذلك الفرق بين : وردت علينا مكاتبتة وبين : وردت مكاتبتة ، فوردت علينا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة الواردة لتخصيصها بالورود على الرئيس بنفسه بخلاف ورودها مطلقا . ومن ذلك الفرق بين : عرضت علينا مكاتبتة وبين وقفنا عليها ، فوقفنا أعلى بالنسبة الى صاحب المكاتبة لان الوقوف عليها يكون بنفسه ، والعرض يكون بقراءة غيره . ومن ذلك الفرق بين : وشكر المملوك الله تعالى على سلامته وبين : وتوالى شكره لله تعالى على سلامته ، فتوالى شكره أعلى بالنسبة الى المكتوب اليه لما فيه من معنى التكرار ومزبد الشكر المؤذن بالاحتفال . ومن ذلك الفرق بين : ورجب المملوك الى الله تعالى في كمال عافيتك ، وبين فضرعت الى الله تعالى : فضرعت أعلى من رجب بالنسبة الى المكتوب اليه لما في معنى الضراعة من مزيد التأكيدي في الطلب بخلاف الرغبة فانها لا تنتهي لذلك . ومن ذلك الفرق بين : فامتثل أمره بالطاعة وبين : وقابلت أمره بالطاعة ، فامتثلت أعلى بالنسبة الى الأمر لما في الامتثال من معنى الاذعان والالتقياد بخلاف المقابلة . ومن ذلك الفرق بين : وسألت فيه وبين : وشفعت له . فسألت فيه أعلى في حق المسئول لما في السؤال من معنى الذلة وما في الشفاعة من معنى الشرف

والرفعة . ومن ذلك الفرق بين : وخاطبت فلانا في أمره وبين : وتحدثت في أمره ، (فتحدثت أشد في تواضع المتكلم من خاطبت) لان الخطاب يقتضى مشافهة المخاطب بخلاف التحدث فإنه قد يكون بنفسه وقد يكون بواسطة . ومن ذلك الفرق بين : تشرى بكذا ، وبين : اسعافى بكذا ، وبين : اتخافى بكذا . فاسعافى أعلى من تشرى بالنسبة الى المسئول لما فيه من دعوى الاحتياج الى المطلوب ، وتشرى أعلى من اتخافى لان الاتخاف ليس فيه معنى التشرى المؤذن برفعة قدر المسئول . ومن ذلك الفرق بين : نزل عنده ، وبين : نزل بساحته ، فالنزل بالساحة أعلى في حق المنزول به لما في ذكر الساحة من معني الفسحة واتساع الفناء . ومن ذلك الفرق بين : فيحيط علمه بذلك وبين : فليعلم ، فيحيط علمه أعلى لما في الاحاطة من الاشعار بسعة العلم . . الى غير ذلك من الالفاظ التي لا يسع استيعابها

﴿ الاصل الخامس ﴾ ان يعرف مواقع الدعاء في المكاتبات فيضع كل دعاء في

موضعه . والمرجع في ذلك الى سبعة أمور

الاول - ان يعرف مراتب الدعاء في العلو والهبوط فيورد كلا منها في محله ويوفى كل واحد من الدعاء حقه ولا يجاوز به فيه قدره فقد قال في مواد البيان : ان الملوك تسمح بيدرات المال ولا تسمح بالدعوة الواحدة . فمن ذلك الدعاء بطول البقاء ، والدعاء بطول العمر ، والدعاء بطول البقاء ارفع لان البقاء لا يدل على مدة تنقضى ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . قال في مواد البيان : ومن هنا جعل الدعاء بأطالة البقاء اول مراتب الدعاء ، وخص بالخلفاء ؛ وجعل ما يليه لمن دونهم . ومن ذلك الدعاء بطول العمر ، والدعاء بالمدفيه ، والدعاء بطول العمر ابلغ من الدعاء بالمدفيه لان الوصف بطول الزمان ابلغ من الوصف بالمد فيه من حيث ان المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب الى مرتبة البقاء من مرتبة المد . ومن ذلك الدعاء بعز الانصار ، والدعاء بعز النصر ، والدعاء بعز النصره فالدعاء بعز الانصار اعلى للجميع بالنسبة للمدعو له لانه ان جعل الانصار جمع ناصر فعز الناصر عز له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفعة الشأن اذ الانصار لا تكون الا ملك عظيم او كبير جليل ، وان جعل جمع نصر فالدعاء للجميع اولى من الدعاء للمفرد ؛ والدعاء بعز النصر اعلى من

الدعاء بعز النصر لما في النصر من معني التذكير الذي هو ارفع من التأييد . ومن ذلك الدعاء بدوام النعمة والدعاء بمضاعفة النعمة ، فالدعاء بالمضاعفة اعلى للمدعو له لان دوام النعمة غايته استصحابها ، ومضاعفتها مقتضية للزيادة . ومن ذلك الدعاء بعز الاحكام والدعاء بتأييد الاحكام ، فالدعاء بعز الاحكام اعلى لان المراد بالتأييد التقوية ، وقد توجد القوة ولا عز معها . واعلم انه قد ذكر في معالم الكتابة ان مصطلح الدولة الايوبية كان أن لا يكتب عن السلطان لاحد ممن في مملكه بلازال ولا يرح بل يختص ذلك بسلطان مثله ، ثم قال ، ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان الى ولده اذا كان نائباً عنه في الملك ، قال ، ولذلك لا يدعو الاعلى للادني بـ « لا زال ولا يرح » قلت : والذي استمر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لا كابر نواب السلطنة ومكاتبة أ كابر الدولة ، بعضهم الى بعض

الثاني - ان يعرف ما يناسب كل أحد من أرباب المناصب من الدعاء فيخصه به . ففي المكاتبة الى الملوك يأتي بالدعاء بأطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ، وما أشبه ذلك ؛ وفي المكاتبة الى الامراء بالدعاء بعز الانصار ، وعز النصر ، وعز النصر ، ومضاعفة النعمة ، ودوام النعمة ، وما أشبه ذلك مما يقتضيه الحال . على ان ابن شيث قد ذكر في معالم الكتابة ان الدعاء بعز النصر ومضاعفة الاقتدار كان في الدولة الايوبية مما يختص بالسلطان دون غيره ؛ ويأتي في المكاتبة الى الوزراء من أرباب الاقلام ومن في معنائهم من أ كابر الكتاب بالدعاء بسبوغ النعمة وتخليد السعادة ودوام المجد وما يضاهي ذلك ؛ ويأتي في المكاتبة الى القضاة بالدعاء بعز الاحكام وتأييد الاحكام وما يشاكل ذلك ، ويأتي في المكاتبة الى التجار بالدعاء بمزيد الاقبال وخلود السعادة وشبه ذلك . قال في مواد البيان : وقد كانوا يختارون في الدعاء للادباء أ بـ « يا الله ، وأكرمك الله ، وفي الدعاء لابن والحرمة : ابقاك الله ، وامتع بك . اما (غير المسلمين) فقد اصطالحوا على الدعاء لهم في المكاتبات بطول البقاء وما في معناه . والاصل في ذلك ماورد ان النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى فقال له : جملك الله . فما روى الشيب في وجهه حتى مات فدل على جواز الدعاء بما لا فيه اعزاز ولا نصره على المسلمين

الثالث — ان يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات فيأتى لها بما يناسبها من الدعاء . قال في مواد البيان : ينبغي ان تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب ، فان كانت في الهناء (كانت مما) يعرفه ، وان كانت في العزاء كانت مشتقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكاتبات فإنه متى خرج الدعاء عن المناسبة وباين المقصود خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب لا سيما اذا أتى بما يضاد المراد كما حكي في الصناعتين أن بعضهم كتب الى محبوبته : عصمنا الله وإياك مما يكره . فكتبت له : يا غليظ الطبع ان استجيب لك لم نلتق ابدا ! . ويختلف الحال في ذلك فتارة يكون باعتبار المعنى المكتوب فيه فيكتب بالبشارة بجلوس الملك على تخت الملك لأول امره : وأمتعته من البشائر بما يتوضح علي جبين الصباح بشره ، وما يترجح علي ميزان الكواكب قدره ، وما يفسح من اوقات امن لا يختلف فيها زيده وعمره . ويكتب في التهئة بعافية : ولا برح في برد الصحة رافلا والاقبال لجنابه العالی بالهناء بعافيته واصلا . وتارة يكون باعتبار حال المكتوب اليه فيما هو بصدده ، فيكتب لمن خرج الى الغزو : وحفه بلطفه فلا يخيب ، وهياً له النصر والفتح القريب ، وجعل على يديه هلاك اعدائه حتى لا يبقى لهم بشدة بأسه من السلامة نصيب . ويكتب لمن خرج الى الصيد : وأمتعته بصيوده ، وجعل الاقدار من جنوده ، وأراه من مصارع اعدائه بسيوفه ورماحه ما يراه من مصارع صيده بيزانه وفهوده . ويكتب لمن خرج لسفر : وقضي بقرب رجعتي ، وجعله كالهلال في مسيره سبب رفعتي ، وسكن بقدمه أشواق اوليائه واهل محبته . ويكتب لمن خرج لتخضير بلاد : وألبس البلاد بقدمه أخضر الأثواب ، وأحلّه أشرف محمل وأخصب جناب . وتارة يكون باعتبار وظيفة المكتوب اليه ، فيكتب الى كافل المملكة : ولا زالت كهاية كهالته تزهد على الآمال ، وتتقرب الى الله بصالح الأعمال ، وتكفل ما بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال . ويكتب الى القاضي : وفصل بين الخصوم بأحكامه المسددة ، واقضيته التي بها قواعد الاسلام ممهدة ، وأبنية الشرع المطهر واركانه مشيدة . ويكتب الى متصوف : واعد من بركات تهجداته ، واناار الليالي بصالح دعواته . وتارة يكون باعتبار بلد المكتوب اليه وناحيته ، فيكتب الى نائب الشام : ولا زال النصر حلية أيامه ، وشامة شامه ، وغمامة ما يحلق على بلده المحصن من غمامه .

وتارة يكون باعتبار اسم المكتوب اليه او لقبه : فيكتب الى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في رقاب اعدائه مغمدا ، وحده يندر كل واحد ما حدا . ويكتب الى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائما ، والزمان في خدمته قائما ، وطرف الدهر عن مراقبة سعادته نائما . ونحو ذلك

الرابع - ان يعرف من الذي يليق الدعاء على العدو في صدر مكاتبتة . قال في معالم الكتابة : كان من عوائد مكاتبة الاذني الى الاعلى الدعاء على عدو المكتوب اليه مثل : وقصم عدوه واذل مخالفه . وكذلك المماثل والمقارب . فأما من الاعلى الى الاذني فلم يكن ذلك معروفا عند المتقدمين لاسيما اذا كان الكتاب عن السلطان ، ثم قال ، ولكن قد أفلت الجبل في ذلك ، الى ان قال ، ولا يقال للأذني غير : وكبت عدوه ، او ضده ، او حسوده خاصة

الخامس - ان يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء في المكاتبات فيتجنبه . قال في مواد البيان : كانت عادتهم جارية ان يتجنبوا من الدعاء ما لا محصول له كقولهم جعلني الله فداك وقد منى الى السوء دونك ، لما في ذلك من التصنع والملق الذي لا يرضاه السلطان لان نفس الداعي لا تسمح باجابته ، قال ، وانما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون ان بقاءهم مقرون ببقاء رؤسائهم وثبات نعمتهم مقرون بثبات ايام سلطانهم لانه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل النفس دونهم . وذكراهم كانوا لا يستحسنون الدعاء بالامتناع وهو : امتع الله بك ، وأمتعني الله بك ، في حق الاخوان . قال في صناعة الكتاب : ولا يقال في مكاتبة النساء : وأدام كرامتك ، ولا : أدام سعادتك . وقد حكى محمد بن عمر المدائني ان بعض عمال زبيدة كتب اليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت على ظهر كتابه : أردت ان تدعو لنا فدعوت علينا فأصاح خطك والا صر فذاك عن جميع اعمالك . فأدركه القلق وتصفح الكتاب فلم يظهر له فيه شيء فعرضه على بعض حذاق الكتاب فقال انما كرهت قولك في صدر الكتاب : وأدام كرامتك . لأن كرامة النساء دفهن فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « دفن البنات من المكرمات » فغير ذلك الحرف وأعاد لكتاب اليها فوقعت على ظهره : أحسنت ، ولا تعد !

السادس - ان يجتنب الخلاف في الدعاء والموالاتة بين دعوتين متفتتين . فأما

الخلافة في الدعاء فقال في صناعة الكتاب هو ان يقول : اطال الله بقاء سيدي ، بلفظ الغيبة ، ثم يقول بعد ذلك : وبلغك املاك ، بلفظ الخطاب . وامام الالة دعوتين متفتحين فمثل ان يقول : اعزه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذي بعده : اعزه الله تعالى . وما أشبه ذلك السابع - ان يجتنب اللبس في الدعاء فاذا ذكر الرئيس مع عدوه لم يدع للرئيس حينئذ فانه لو ذهب يقول : وكان من عدو سيدي أبقاه الله كذا وكذا ، لاحتمل عود الدعاء الى الرئيس والى عدوه بخلاف ما اذا ذكر الرئيس وحده كما اذا قال : وكنت عرفت سيدي ابقاه الله كذا ، فانه لا لباس فيه

﴿ الاصل السادس ﴾ - ان يرعى في مقاصد مكاتباته مطابقة مقتضى الحال في اللفظ والمعنى فيأتي مع كل كلمة بما يليق بها ويتخير لكل افضة ما يشاء كلها . قال ابن عبد ربه : وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى مثل : نسأل الله دفع المحذور وصرف المكروه ، واشباه ذلك ؛ وفي موضع المصيبة : انا لله وانا اليه راجعون ، وفي موضع النعمة : الحمد لله خالصا والشكر لله واجبا ؛ وما شاكل ذلك . قال في مواد البيان : واذا ذكر البلوى شفعتها بالاستعانة بالله والرجوع اليه فيها ورد الامر الى حوله وقرنه . قال ابن عبد ربه : فان هذه المواضع مما يتعين على الكاتب ان يتفقدتها ويتحفظ فيها فانه انما يصير كاتبان يضع كل معنى في موضعه ويعاق كل لفظ على طبقه في المعنى . ومما يباحق بذلك أيضا انه اذا ذكر الرئيس في اثناء المكاتبات دعاه له مثل ان يقول عند ذكر السلطان : خلد الله ملكه ، وعند ذكر الامير الكبير : عز نصره أو أعز الله تعالى أنصاره ، وعند ذكر الحاكم أعز الله تعالى أحكامه او ايد الله تعالى أحكامه ، بحسب ما يقتضيه الحال وما أشبه ذلك . وعلى الكاتب ان يتخلى التصريح الى التلويح والأشارة اذا الجأته الحال الى المكاتبة بما لا يجوز كشفه واظهاره على صراحته مما في ذكره على نصح هناك ستر أو في حكايته اطراح مهابة السلطان وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقه كما لو أطلق عدوه لسانه فيه بلفظ قبيح يسوءه سماعه قال في مواد البيان فيحتاج المشي الى استعمال التورية في هذا المواضع والتلفظ في العبارة عن هذه المعاني وإيرادها في صورة تقتضي توفيق حق السلطان في التوقير والأجلال والاعظام والتنزية عن المخاطبة بما لا يجوز امراره على سماعه وايصال الدنى اليه من غير خيانة في طي ما لا ينبغي به عن علمه ،

قال : وهذا مما لا يستقل به الا المبرز في الصناعة المتصرف في تأليف الكلام
 ﴿ الاصل السابع ﴾ ان يعرف مقدار فهم كل طبقة من الخطابين في المكتابات
 من العرب والعجم فيخطب كل واحد بما يناسبه من اللفظ وما يصل اليه فهمه من الخطاب .
 قال في الصناعتين : اول ما ينبغي ان تستعمل في المكتابة ان تكتب كل فريق على مقدار طبقتهم
 في الكلام وقوتهم في المنطق ، قال ، والشاهد لذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد
 ان يكتب الى أهل فارس كتب اليهم ما يمكنهم ترجمته ، فكتب اليهم « من محمد رسول
 الله الى كسرى ابروز عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله .
 وادعوك بدعاية الله فأنى أنا رسول الله الى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول
 على الكافرين . فاسلم تسلم وان أبيت فأثم الجوس عليك . » فسهل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الالفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة
 بالعربية . قال في مواد البيان : فيجب على الكاتب ان ينتقل في استعمال الالفاظ على
 حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والخطابين ونوجه الاحوال المتغيرة والأوقات المختلفة
 ليكون كلامه مشا كلالكل منها فان أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة
 ومنازل الخطابين والمكتابين ، قال ، ولفخر الصدر الأول من الكتاب بأيقاع المناسبة
 بين كتابتهم وبين الاشياء المتقدمة الذكر استعمل كتاب الدولة الأيوبية من الالفاظ
 الغربية الفحلة والمتينة الجزلة ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية لأن كتاب الدولة الأيوبية
 قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت في جملة
 الفضائل التي يثار على اقتنائها ، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال
 الذين كانت الكتب تصدر اليهم وهم أهل الفصاحة واللسن والخطابة والشعر . اما
 زمان نبي العباس فان الهمم تقاصرت عما كانت مقبلة على تطلبه فيما تقدم من العلوم
 المقدم ذكرها ، وشغلت بغيرها من علوم الدين ، ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها
 من بلاد فارس وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضةها في أرض الحجاز والشام .
 ومن المعارم ان القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة في الفصاحة
 والمعرفة بدلالات الكلام فانقل كتابها من اللفظ المتين الجزل الى اللفظ الرقيق
 السهل . وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن الفاظ المتقدمين الى ما هو أعذب منها

وأخف للمعنى المقدم ذكره ، قال ، وحينئذ فينبغي للكاتب ان يراعي هذه الأحوال ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها فإذا احتاج الى إصدار كتاب الى ناحية من النواحي فليُنظر الى أحوال قاطنيتها: فإن كانوا من الأدباء والبلغاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه فليودع كتابه الألفاظ الجزلة التي إذا حليت بها المعاني زادت في فخامة في القلوب وجمالة في الصدور ؛ وان كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه فليضمن كتابه الألفاظ التي يتساوى سامعها في فهم معانيها فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه ولم يصل معنى ما كتب فيه الى من كاتبه لأن الكلام البليغ إنما هو موضوع بإزاء أفهام البلغاء والفصحاء. فأما العوام والحشوة فأنما يصل الى أفهامهم الكلام العاطل من حلى النظم العباري عن كسوة التأليف فيجب على الكاتب ان يستعمل في مخاطبته من هذه صفة أدنى. تب البلاغة وأقرها من افهام العامة، وكذلك الأُمم الأعجمية إذا كتب اليهم ثم قال، فأما الكتب المعتدّة عن السلطان فإن منها كتب الفتوحات ونحوها، وهي محتملة للألفاظ الفصيحة الجزلة والأطالة القاضية بأشباع المعنى ووصوله الى افهام كافة سامعيه من الخاص والعام . ومنها كتب الخراج وجبايته وأمور المعاملات والحساب وهي لا تحتمل اللفظ الفصيح ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه وإفهام من لا يصل المعنى الى فهمه الا بالبيان الشافي في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان عن نفسه فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ولا يجوز ان يستعمل فيها الفصيحة التي لا تحتمل من تابع في حق متبوع لما فيه من تعاطي التفاصيل على سلطانه وهو غير جائز في أدب الملوك، وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبتدلة الدائرة بين السوق لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يشبه رتبته . وأما الكتب الاخرانيات النافذة في الآهالي والتعازي فأنها تحتمل الالفاظ الغريبة القوية الأخذ بمجامع القلوب الواقعة أحسن المواقع من النفوس لأنها مبنية على تحسين اللفظ وتزيين النظم، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه. قلت: والذي يراعي الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الابواب السلطانية الا أن مكاتبات ملوك الغرب كصاحب تونس وصاحب تلمسان وصاحب فاس وصاحب اغرناطة من الأندلس، وكذلك القانات العظام من ملوك الشرق ومن يجري هذا المجرى ممن اشتملت بلادهم على علماء البلاغة

وصناعة الكتابة بخلاف غيرهم

﴿ الاصل الثامن ﴾ — ان يراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب اليه في الخطاب فيعبر عن كل واحد منهما في كل مكاتبة بما يليق به ويخاطب المكتوب اليه بما يقتضيه مقامه . فأما المكتوب عنه فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته : فأن كان خليفة فقد جرت عادة من تقدم من الكتاب بالتعبير عنه في الكتب الصادرة عن ابواب الخلافة بأمر المؤمنين مثل ان يقال : فخرى أمر أمير المؤمنين في كذا على كذا ، واوعز أمير المؤمنين الى فلان بكذا ، واقتضى رأى أمير المؤمنين كذا وما أشبه ذلك . وربما عبروا عنه بالسلطان مثل ان يقال في حق المخالفين : وحرار بواء عساكر السلطان ، ونحو ذلك ، يريدون الخليفة . وان كان المكتوب عنه ملكا فقد جرت العادة ان يعبر عنه بنون الجمع للمتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، واقتضى آراؤنا الشريفة كذا ، وما أشبه ذلك . وان كان المكتوب عنه مروءا بالنسبة الى المكتوب اليه كالتابع ومن في معناه ف يقال في مواد البيان : ينبغي ان يتحفظ في الكتب النافذة عنه من الاثيان بنون العظمة وغيرها من الالفاظ التي فيها تعظيم شأن المكتوب عنه مثل ان يقول : امرت بكذا ، أو نهيت عن كذا ، أو تقدم أمرى الى فلان بكذا ، وما في معنى ذلك مما لا يخاطب به الاتباع رؤساءهم ؛ بل يعدل عن مثل هذه الالفاظ الى ما يؤدى الى معناها بما لا عظمة فيه مثل ان يقول : وجدت صواب الرأى كذا ففعلته ، ووجدت السياسة تقتضي كذا فأمضيته وما أشبه ذلك ان كان عرف الكتاب على (الخطاب بالتاء) والاقال : وجد المملوك صواب الرأى كذا ففعله ، ورأى السياسة تقتضي كذا فامضاه ، وما يجرى هذا المجرى

واما المكتوب اليه ف يقال في الصناعتين : ينبغي ان يعرف الكاتب قدر المكتوب اليه من الرؤسا ، والنظراء والعلماء ، والكلاء ليفرق بين من يكتب اليه : انا افعل كذا : وبين من يكتب اليه : نحن نفعل كذا ، ف «أنا» من كلام الاشياء والاخوان ، و«نحن» من كلام المملوك . ويفرق بين من يكتب اليه : فأن رأيت ان تفعل كذا ، وبين من يكتب اليه : فرأيتك ؛ قال في مواد البيان : وذلك ان قولهم «فأن رأيت ان تفعل كذا» لفظ النظراء والمتساوين بخلاف « فرأيتك » فإنه لا يكتبه الا جليل عظيم لتضمنه معنى الامر ، والتقدير : قرأيتك ؛ بخلاف «فأن رأيت» فإنه لا امر فيه اذ يقال : فأن رأيت ان

تفعل كذا فافعله . على ان الاخفش قد انكر هذا على الكتاب لان اقل الناس يقولون
 للسلطان : انظر في أمري ، وانظره لفظ الامر ومعناه السؤال . وذكر مثله في صناعة الكتاب
 عن النحويين . قال في مواد البيان : وحجة الكتاب ان المشافهة تحتمل مالا تحتمله
 المكتوبة ، لان المشافهة حاضر يحضر الانسان لا يمكنه تقييده وترتية ، والمكتوبة بخلاف
 ذلك ، فلا عذر اصحابها في الاخلال بالادب . قال محمد بن ابراهيم الشيباني : وان
 احتجت الى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والادباء وأوساط الناس وسوقهم
 فخاطب كلا منهم على قدر أهبته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه . ولكل طبقة
 من هذه الطبقات معان (ومذاهب) يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبك
 وترن كلامك في مخاطباتهم بميزانها وتعطيه قسمته وتوفيه نصيبه . فأنتك متى أهملت
 ذلك وأضمته لم آمن عليك ان تعدل بهم عن طريقهم وتسلك بهم غير مسلكهم وتجري
 شعاع بلاغتك في غير مجراه وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه . فلا (تعتد) بالمعنى الجزل
 ما لم تكسه لفظا مختلفا على قدر المكتوب اليه ، فان الباسك المعنى وان صح لفظا لم تجر به
 عادة المكتوب اليه تهجين للمعنى ، واخلال بقدر المكتوب اليه ، وظلم بلحقه ، ونقص مما يجب له
 كما ان في اتباع المتعارف بينهم وما انتشرت به عادتهم وجرت به سنتهم قطعاً لعذرهم
 وبلوغا الى غاية مرادهم واسقاطا لحجة أدبهم . قال ابن عبد ربه : فامثال هذه المذاهب
 واجر عليها ، قال في مواد البيان ، وذلك ان المعاني التي يكتب فيها وان كان كل منها
 جنسا بعينه كالتهنئة والتعزية والاعتذار والعتاب والاستظهار ونحو ذلك فإنه لا يجوز
 ان يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، بل ينبغي ان يخرج في الصيغة
 المشاكلة للمخاطب اللائقة بقدره ورتبته . الا ترى انك لو خاطبت سلطانا او وزيرا
 بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا لما جاز ان تبني الكلام على وعظه وتبصيره
 وارشاده وتذكيره وحضه على الاخذ بحظ من الصبر ومجانبة الجزع وتلقى الحادثات
 بالتسليم والرضا ؛ وانما الصواب ان تبني الخطاب على انه أعلى شأنًا وارفع مكانا وواضح
 حزمًا وأرجح حلما من أن يعزى ، بخلاف المتأخر في الرتبة فإنه انما يعزى تنبيهًا وتذكيرًا
 وهداية وتبصيرا وتعريف الواجب في تلقي السراء بالشكر والضرأ بالصبر ونحو ذلك .
 وكذلك اذا كانت رئيسا في معنى الاستزادة والشكوى لا يجوز ان تأتي بمعناها في ألفاظها

الخاصة بهما بل يجب ان تعدل عن ألفاظ الشكوى الى ألفاظ الشكر وعن ألفاظ الاستزادة الى ألفاظ الاستعطف والسؤال فى النظر لتكون قدرتبت كلامك فى رتبته وأخرجت معنك مخرج من يستدعى الزيادة لامن يشكو التقصير . وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحه لم يجز ان توردد ذلك مورد التنبيه على ما اغفله، والا يقاظ لما أهمله، والتعريف لما جهله، لان ذلك من القبيح الذى لا تحتمله الرؤساء من الاتباع، ولكن تبني الخطاب على ان السلطان اعلى وأجل رأياً وأصح فكراً وأكثر احاطة بصدور الامور واعجازها، وان رأى خدمه جزء من رأيه، وانهم انما يتفلسون مخايل الاصابة بما وقفوا عليه من سلوك مذهبه والتأديب بأدبه والارتياض بسياسته والتقل فى خدمته، وان مما يعرضونه فى حكم الاشفاق والاهتمام المطاعة بما يجرى فى أوهامهم ويحدث فى افكارهم من الامور التى يتخيلون ان العمل بها مصلحة للدولة وعمارة للمملكة ليتصنعه بأصالة رأيه التى هي اوفر وأثبت فن استصوبه امضاه وان رأى خلافه ألغاه وكان رأى الاعلى ما يراه، الى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى

﴿ الاصل التاسع ﴾ - ان يراعى مواقع الشعر فى المكاتبات فيورده حيث يحسن إيراده ويتركه حيث يحسن تركه. ويختلف الحال فى ذلك بحسب المكتوب عنه والمكتوب اليه: فأما المكاتبات الصادرة عن الملوك والصادرة اليهم فقد ذكر فى مواد البيان انها لا يتمثل فيها بشئ من الشعر اجلالاً لهم عن (شوب) العبارة عن عزائم وأمرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة اليهم بما يخالف نطقها ووضعها؛ لأن الشعر صناعة مغايرة لصناعة الترميل وإدخال بعض صنائع الكلام فى بعض غير مستحسن. قالت: والواقع بخلافه، وان مكاتباتهم مشحونة فى كثير من الامور بشواهد آيات الشعر المناسبة للحال فى الحديث والتقديم حتى فى كتب الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم. فقد كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى على بن أبى طالب رضى الله عنه حين تمالأ عليه القوم واجتمعوا على قتله: «أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، والحزام الطيبين، وطمع فى من كان يضعف عن المدفع عن نفسه، ولم يقابلك مثل مغاب. فأقبل الى صديقا كنت أم عدوا

فإن كنت مأكولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركنى ولما أمزق»

وكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى معاوية بن أبي سفيان في جواب كتاب: «وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فأنيك ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فيكون العذر اليك » وتلك سكة ظاهر عنك عارها ..
(بل ربما وقع التمثيل بالشعر في المكاتبات عن الخلفاء والملوك الى من دونهم وبالعكس ، كما حكى العسكري في الأوائل ان رافعاً رفع كتابا الى الرشيد) وكتب في أسفله
إذا جئت عارا أو رضيت بذلة فنفسي على نفسي من السكاب اهون
فكتب اليه الرشيد كتابا وكتب في أسفله

ورفك نفسا طالبا فوق قدرها يسوق لك الختف المعجل والذلا
وحكى أيضا ان أهل حمص وشبوا بعاملها فأخرجوه ، ثم وثبوا بعده بعامل آخر ، فأمر المتوكل ابراهيم بن العباس ان يكتب اليهم كتابا يزجرهم فيه ويختصر ، فيكتب : « أما بعد فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه فيمن تقوم به ، (او عدل به من زيف) ، او لم به من شعث ، ثلاثا يقدم بعضهم امام بعض . فأولهن ما يستظهر به من عظمة وحقبة ، ثم ما يشفعه به من تحذير وتنبية ، ثم التي لا يحسم الداء غيرها
اناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيد فإن لم يغن اغنت عزائمه »

وعلى ذلك جرى ملوك بني بويه في مكاتباتهم ، فكتب ابو اسحاق الصابي عن معز الدولة بن بويه الى عدة الدولة أبي ثعلب كتابا يذكر فيه خلاف قريبين له لم يمكنه . مساعدة أحدهما على الآخر مستشهدا فيه بقول ائمة

وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما
فلما استفاد الكف بالكف لم يجد له دركا في ان يبين نأحجما

وعلى هذا النهج جرى الحال في الدولة الايوبية بالدبار المصرية كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين الى ديوان الخلافة عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة مسليا له عنه وكان ممن اساء الديرة

ان المكاره قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

وعلى مثل ذلك جرى الامر في الدولة التركية بالدبار المصرية أيضا كما كتب القاضي

لحمي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور قلاوون الى صاحب اليمن في جواب تعزية
ارسلها اليه في ولده الملك الصالح مشيرا الى أن المصائب في الاولاد لا تشغل عن الحروب

اذا اعتاد الفتي خوض المنايا فاهون ماتم به الوحول

وعلى ذلك جرى ملوك الغرب في مكاتباتهم كما كتب بعض كتاب السلطان أبي الحسن المريني
الى الملك الناصر محمد بن قلاوون كتاباً ينجبه فيه ان صاحب بجاية خرج عن طاعته
فغزاه وواقع به ماقعه مشيرا الى اعادة الايقاع به ان عاد مستشهدا فيه بقوله
ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة

واما المكتبات الاخوانيات الواقعة بالتهاني والتعازي والتهادي والزاو وسائر انواع
المكاتبات الاخوانية فقد قال في مواد البيان انه يجوز ان تودع آيات الشعر على
سبيل التمثيل وعلى سبيل الاختراع محتجا بان الصدر الاول كانوا يستعملون ذلك
في هذه المواضع وهذا مما لا خفاء فيه ولا نكر وكتب الاخوانيات مشحونة بالاستشهاد
بالشعر ما بين البيت والبيتين فأكثر بل القصائد الطوال كما استشهد القاضي الفاضل
في بعض كتبه في الشوق بقوله

ومن عجبني انى أحن اليهم واسأل عنهم من أرى وهم معي
وتظاهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قابي وهم بين اضامى

وكما كتب في جواب كتاب

وكم قلت حقا ليتني كنت عنده وما قلت اجلالا له ليته عندي

﴿ الاصل العاشر ﴾ ان يأتي في كتابه بحسن الاختتام واعتماد سهولة اللفظ
وحسن السبك ووضوح المعنى ومجنب الحشو كما تقدم في الافتتاح مع ما يودى الى
تعظيم المكتوب اليه واجلاله مما يستجلب الخواطر مثل ان يكتب: وللآراء العالية
مزيد العلو، أو: وللآراء العالية فضل السمو، أو: والرأى العالى أعلى، وما أشبه ذلك،
أو يأتي بشكته تبهج النفوس كما كتب صاحب بن عباد في آخر رسالته بعد قسم
أقسمه: لمن خنت فيما حلفت فلاخطوت لتحصيل مجد، ولا نهضت لاقتناء حمد، ولا
سعيت الى مقام فخر، ولا حرصت على علو ذكرى... قال ابو هلال العسكري: فهذه اليمين
لو سمعها عامر بن الظرب لقال هي اليمين الغموس لا القسم باللات والعزى ومناة الثالثة

الآخرى . وما ينخرط في هذا السلك

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان مواضع الایجاز والاطناب وما يلائم ذلك في المكاتبات . والمكاتبات في ذلك على ثلاثة أنواع

﴿ النوع الاول ﴾

ما يكتب عن السلطان او من في معناه وهو على ضربين :

﴿ الضرب الاول ﴾ ما يعمل فيه على الایجاز والاختصار . وقد استحجوا الایجاز في اربعة مواضع : الاول ان يكون المكتوب عن السلطان في اوقات الحروب الى نواب الملك بالاستيحاء . قال في حسن التوسل : فيجب ان يتوخى الایجاز والالفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع القصد ويفصل الكلام بعضه من بعض ولا يعتمد في ذلك الى تهويل لامر العدو يضعف القلوب ولا تهوين لامره بحيث يحصل به الاغترار

الثاني - ان يكون ما يكتب عن السلطان خبرا يريد التورية عنه وسر حقيقة كاعلامهم بالحوادث الحادثة على الملوك والنواب الملمة بالدولة من هزيمة جيش او تغيير رسم او احداثه او تكليف الرعية مالا يسهل عليها تكليفه وما أشبه ذلك . قال في مواد البيان . فيجب ان يقصد في ذلك الى الاختصار والایجاز ويعدل عن استعمال الالفاظ الخاصة بالمعنى الى غيرها مما يحتمل التأويل ولا ينفرد الاسماع عنه ولا نزاع القلوب له من غير تصريح بكذب ، وان يخرج الباطل صورة الحق ويعرض سلطانه في ذلك الى الاحقاد والتقرير من حيث يستحق التأنيب والاذمام فان هذه سبيل البلاغة وطريقة فضلاء الصناعة لان الامر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه الى كد الخاطر واتعاب الفكر اذ الالكن لا يعجز عن التعبير عنه فضلا عن اللسان ، وانما الفضل في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس بصحيح بضروب من التمثيل واقامة المعاذير والعلل المعقبة على الاساءة والتقصير من حيث لا يلحق كذب صريح ولا زور مطلق ، قال ، واضيق هذا المقام وصعوبة مرتقاه اورده الشيخ جمال الدين بن نباتة في جملة مسائله التي سأل عنها كتاب الانشاء بدمشق فقال : وما الذي يكتب

عن المهزوم ومن هزمه ؟

الثالث - أن يكون المكتوب عن السلطان أمراً ونهياً . قال في مواد البيان فحكها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للمعاني الجازمة بالأمر والنهي ، اللهم الا ان يكون الامر والنهي مما يحتاج الى رسوم ومثل يعمل عليها فيحتاج الى الاطالة والتكرير بحسب ما يؤمر به وينهى عنه دون الحذف والايجاز

الرابع - ان يكون ما يكتب عن السلطان باستخراج الخراج وجباية الاموال وتدبير الاعمال . قال في مواد البيان : فسيبها ان ينص على ما رآه السلطان ودبره ثم يختتم بفصل مقصور على التوكيد في امثال أمره ومراده ولا يقتصر على ما تقدم ايجاباً للحجة وتضييعاً للعذر وحسباً لاسباب الاعتذار

﴿الضرب الثاني﴾ - مما يكتب عن السلطان ما يعمل فيه على البسط والاطناب .

وقد استحسنوا البسط في ثلاثة مواضع

الاول - ان يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يريد تقرير صورته في نفوس العامة كالاخبار بالفتوحات المتجددة في أعلاء الدين والسلطان . قال في مواد البيان : فيجب ان يشبع القول فيه ويبني على الاطناب والاسهاب وتكثير الالفاظ المرادفة ليعرفوا قدر النعمة الحادثة وتزيد بصائرهم في الطاعة ويعلم موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به فتقوم قلوب أوليائه وتضعف قلوب أعدائه لانه لو كتب في فتح جهل ليقراً في المحافل والمشاهد العامة على رؤس الاشهاد بين العامة ومن يريد تفخيم السلطان في نفسه على صورة الاختصار لا وقع كلامه في غير رتبة ودل ذلك على جهله وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي هذا المذموم في كتابه حسن التوسل فقال : واذا كتب في الثماني بالفتوح فليس الا بسط الكلام والاطناب في شكر نعمة الله تعالى ، والتبري من الحول والقوة الابيه ، ووصف ما أعطى من النصر ، وذكر ما منح من الثبات ، وتعظيم ما يسر من الفتح ، ثم وصف ما بعد ذلك من عزم واقدام وصبر وجلد عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره وراق التوسع فيه وعذب بسط الكلام معه ، قال ، ثم كلما اتسع مجال الكلام في ذكر الواقعة ووصفها كان أحسن وأدل على السلامة وأدعى لسرور المكتوب اليه وأحسن لتوقيع المنة عنده وأشهى الى سماعه وأشفي لغليل شوقه الى معرفة

الحال ، قال ، ولا بأس بتحويل أمر العدو ووصف جمعه وأقدامه فأن في تضييق أمره تحقيرا للظفر به . قال في مواد البيان : ولا يحتاج للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة الى الحجاج في فتح الازارقة على ارتفاع خطره وطول زمانه وعظيم صيته من سلوكه فيه مسلك الاختصار حيث كتب فيه :

« الحمد لله الذي كفى بالاسلام فقد ما سواه ، وجعل الحمد متصلا بعماءه ، وقضى أن لا ينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم انا كنا وعدونا على حالين مختلفين ، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم ؛ فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم : ينصرونا الله ويخذلهم ، ويمحصنا ويحقهم ، حتى بلغ الكتاب بنا وبهم أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »
فانه انما حسن في موضعه لمخاطبة السلطان به ولغرض كان يكتبه فيه ، ثم قال ، فان كتب مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا الفتح أو ما يقاربه ليورد على العامة ويقرر في نفوسهم به قدر النعمة لم يحسن موقعه وخرج عن شرط البلاغة بوضعه اياه في غير موضعه . وذكر العسكري في الصنائع نحو ذلك ، قال في حسن التوسل : وان كان المكتوب اليه ملكا صاحب مملكة مفردة تعين أن يكون البسطا أكثر ، والاطناب والتهويل أبلغ ، والشرح أتم ، ثم قال ، وان اضطر ان يكتب مثل ذلك الى ملك غير مسلم لكنه غير محارب فالحكم في ذلك ان يذكر من اسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المسار ، وأن أمر هذا العدو مع كثرة أخذ بأطراف الانامل وآل أمره الى ما آل ، ويعظم ذكر ما جرى عليه من القتل والأسر ، ويقول ان تلك عوائد نصر الله تعالى لنا وانتقامه ممن عادانا ، وان كان المكتوب اليه متها بما لآة العدو كتب اليه بما يدل على التقريع والتهكم والتهديد في معرض الاخبار

الثاني - ان يكون ما يكتب عن السلطان في أوقات حركات العدو الى أهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال في حسن التوسل : فيجب ان يبسط القول في وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحمية للدين وكثرة المساكر والجيوش وسرعة الحركة وطى المراحل ومعالجة العدو وتخييل اسباب النصر والوثوق بعوائد الله تعالى في الظفر وتقوية القلوب منهم وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحفظ ما بأيديهم وما أشبه ذلك ويبرز ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه وأقربه من القوة والبسالة وابعده من اللين

والرقة ويبالغ في وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأييده والرجوع اليه في تثبيت الاقدام والاعتصام به في الصبر والاستعانة به على العدو والرغبة اليه في خذلانهم وزلزلة اقدامهم وجعل الدائرة عليهم دون التصريح ببطء حركتهم ورجاء تأخيرهم وانتظار العرضيات في ضعفهم لما في ذلك من ايهام الضعف عن لقائهم وإشعار الوهم والخوف منهم

الثالث - ان يكون ما يكتب به عن السلطان احمادا أو اذماما أو وعدا أو وعيدا أو استقصارا أو عدلا أو توخيخا . قال في مواد البيان : فيجب ان يشبع الكلام ويمد القول بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب اليه في الاساءة والاحسان والاجتهاد والتقصير لينشرح صدر المشمر المحسن وينبسط أمله ورجاؤه ويرتدع المقصر المسمى ويرتجع عما يذم منه ويتلافى ما فرط منه

﴿ النوع الثاني ﴾

ما يكتب به الى السلطان عن الاتباع . وهو على ضربين أيضا :

﴿ الضرب الاول ﴾ - ما يعمل فيه على الايجاز والاختصار . وقد استحسنا

الايجاز والاختصار في ثلاثة مواضع

الاول - ان يكون ما يكتب به عن التابع من باب الشكر على نعمة يسبغها سلطانها عليه وعارفة يسديها اليه . قال في مواد البيان : وسيله ان لا يبينها على الاسباب ويجاوزها الحد بل يبينها على اللفظ الوجيز الجامع لمعاني الشكر المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد فان أطناب الاصغر في شكر الرؤساء داخل في باب الاضجار والابرار ولا سيما اذا رجعوا الى خصوصية وتقدم حرمة وكذلك لا يكثر من الثناء عليه لان ذلك من باب الملقى الذي لا يليق الا بالاباعد الذين لم يتقدم لهم من (المواتي) والخدم ما يدل على صحة عقائدهم ولم يقض عليهم من النعم ما يوجب خلوص نياتهم بخلاف ما اذا كان أجنبيا (متكسبا) بالتقرىظ والثناء فإنه لا يفتح به الايغال والاغراق فيها ، قال ، وكذلك لا ينبغي للخاصة الاكثر من الدناء وتكرره في صدور الكتب عند ما يجرى ذكر الرئيس فان في ذلك مشقة وكلفة يستثقلها الملوك . والحكم فيما يستعمل من ذلك في الكتب شبيه بما يستعمل شفاها منه . ويقبح من خادم السلطان

ان يشغل سمعه في مخاطبته اياه بكثرة الدعاء وتكريره
 الثانى - ان يكون ما يكتب به عن التسابع فى سؤال حسن النظر وشكوى الفقر
 والخصاصة . قال فى مواد البيان : فينبى القول فيه على الابداز ويمزج الشكوى بالشكر
 والاعتداد بالآلاء والرغبة فى مضاعفة الاحسان والزيادة فى البر والالحاق بالطبقة
 الرابعة فى ايلاء العوارف ، فان ذلك أعطف لقلب الرئيس وأدعى الى بلوغ الغرض ؛
 ولا يكثر شكوى الحال ورثاتها واستيلاء الخصاصة والفقر عليه ، فان ذلك يجمع الى الاضرار
 والابرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه وقلة ظهور نعمته عليه وذلك مما يكرهه
 الرؤساء ويذموناه

الثالث - أن يكون ما يكتب به التابع من باب (التنصل) والاعتذار عن
 شىء قرف به عند رئيسه . قال فى مواد البيان : وسبيله ان يبنى كلامه على الاختصار
 ويعدل عن الاسهاب والاطناب ويقصد الى (النكت) التى تزيل ما عرض عنده
 من الشبهة فى أمره وتمحو الموجودة السابقة الى ضمير رئيسه ولا يصرح ببراءة الساحة
 من الاساءة والتقصير فان ذلك مما يكرهه الرؤساء من اتباعهم لان عاداتهم جارية
 بأشار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط والاقرار بالمقروف به ليكون لهم فى العفو
 عند الاقرار مواضع منه مستأنفة تستدعى شكراً وعارفة مستجدة تقتضى نشرأ . أما
 اذا أقام التابع الحجة على براءته مما قرف به فلا موضع للاحسان اليه فى اقراره على منزلته
 والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدراً واجباً له ان منعه اياه ظلمه وتعدى عليه

﴿ الضرب الثانى ﴾ - ما يعتمد فيه على البسط والاطناب . وقد استحبوا البسط
 هنا فى موضع واحد . وهو ما اذا كان ما يكتب به التابع واقعاً فى باب الاخبار بأحوال
 ما ينظر فيه من الاعمال وما يجرى على يديه من المهات . قال فى مواد البيان :
 وسبيله ان يوفى حقه فى الشرح والبيان ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين ايضاح الاغراض
 من غير هذر يضجر ويميل ولا اختصار يقصر ويخل ، وأن يقصد الى استعمال الالفاظ
 السهلة التى تصل معانيها الى الافهام من غير كلفة ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوعير أو
 ابهام ، الا أن يعرض له فى المكتوبة ما يحتاج الى التورية والكنائية كما تقدم فيما اذا أطلق
 عدو لسانه فى السلطان فإنه يحتاج الى الكناية عنه على ما مر

﴿ النوع الثالث ﴾

ما يكتب به الى الاكفاء والنظراء والطبقة الثانية من الرؤساء قال، في مواد البيان: وسبيل مكاتبتهم ان يؤتى فيها باللفظ المساوى للمعنى من غير ايجاز ولا اطناب لانها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمتين. قلت: ولا يخفى ان ما ذكره انما هو عند الوقوف مع حقائق الامور في المكاتبات. أما الاخوانيات المطلقة فانها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر وما يوجب دلالة عليه

﴿ الفصل الثالث ﴾

في بيان لواحق المكاتبات . وهي ستة لواحق

الاولى - الترجمة عن السلطان ، فان كانت المكاتبة الى ديوان الخلافة فقد ذكر في التعريف ان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب : « الخادم » ؛ وكتب بنوه والعاذل اخوه : « المملوك » ؛ وكتب الكامل « العبد » ، وعلى ذلك جرى ابنه الصالح ؛ وكتب الناصر بن العزيز « أقل المالك » ، وكتب الناصر داود : « أقل العبيد » . وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب : « الخادم المطواع » ، وكذلك ابنه جلال الدين . وكانت ام جلال الدين تكتب : « الامة الداعية » . وان كانت المكاتبة الى غير ديوان الخلافة فقد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة ان مصطلح الدولة الايوبية ان يكتب لارباب خدمته العلامة ، فان اراد تمييز أحد منهم كتب له بخطه شيئاً مكان العلامة . وذكر ان ترجمته للفقهاء والقضاة وذوى التنسك : أخوه ، وولده ؛ وأن الاحسن ان يقال في : ولده « محل ولده » لقوله تعالى « ادعوهم لا بائهم » أما « أخوه » فلا حرج عليه فيه لقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » وقوله تعالى « فاخوانكم في الدين » ، وأما الترجمة عن غير السلطان فأهل الصلاح يترجمون عن انفسهم بالخادم ، ودونه : خادمه . وربما قالوا : الخادم بالدعاء ، أو الخادم بدعائه . وأهل الورع يترجمون بالفقير الى رحمة الله . وربما راعوا المكتوب اليه اذا كان هرا السلطان فكتبوا : العبد الفقير الى رحمة الله ، يعنى انه عبد الله ويحصل بذلك المقصود من الادب مع السلطان.

ومهم من يكتب : الداعي لدولته ، أو : المبتهل بدعائه الصالح لايامه والمواظب على خدمته ، ونحو ذلك . ثم قال : وأكثر الناس يرى الترجمة لولده . فان ترجم له لم يسم اسمه بمعنى أنه يكتب : والده ، ولا يكتب : فلان : فان ذكر اسمه فقيح وذكري ذخيرة الكتاب أن أعلى التراجم بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك الصنيعة ، ثم المملوك ، ثم مملوكه ، ثم الصنيعة ، ثم العبد الخادم ، ثم العبد ، ثم عبده وخادمه ، ثم خادمه ، ثم عبده ، ثم وليه ، ثم أخوه ، ثم المعتد به ، ثم شاكره ، ثم محبه ، ثم صديقه ، ثم اسم المكتوب عنه . ورأيت في دستور صغير يعزى للمقر الشهابي بن فضل الله أن اعلاها بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك ، ثم المملوك الرق ، ثم المملوك الاصغر ، ثم المملوك المحب ، ثم المملوك الداعي ، ثم مملوكه ومحبه ، ثم الخادم ، ثم خادمه ، ثم أخوه ، ثم محبه ، ثم شاكره ، ثم الفقير الى الله تعالى . قلت : والذي استقر عليه الحال الآن أقرب وأخصر في الترجمة عن السلطان وغيره . فأما الترجمة عن السلطان فالذي ذكره في التعريف ان أكثر ما يكتب اليه الامراء وممالك البيت الشريف : والده ، ومن دون ذلك الاسم الشريف ، قال ، وأما الغرباء كملوك المسلمين والعربان وأكابر القضاة وأهل الصلاح : أخوه من دون ذلك الاسم الشريف . ثم حدث بعد ما ذكره ان جعل الترجمة لأكبر الامراء : أخوه ، ولبن دونهم : وانه ، والغرباء على ما تقدم . وأما الترجمة عن غير السلطان في المكاتبات الدائرة بين أعيان الدولة فأعلاها بالنسبة الى المكتوب اليه : المملوك . وتختلف مراتبها باختلاف أماكنها من الكتابة على ما سيأتي ذكره في الاخوانيات ان شاء الله تعالى ، ثم بعد المملوك : أخوه ، ثم الاسم . وأما قضاة القضاة فتترجم بالداعي

الثانية العنوان ، وفيه سبع لغات حكها صاحب ذخيرة الكتاب واقتصر في صناعة الكتاب على ذكر بعضها : إحداها عنوان ، بضم العين وواو بعد النون ؛ والثانية عنيان ، بضم العين ويا ، مشاة تحتية بعد النون ؛ والثالثة عنيان ، بكسر العين ؛ والرابعة علوان ، بضم العين وواو بعد النون ؛ والخامسة علوان بفتحها ؛ والسادسة علوان ، بكسرها ؛ والسابعة عليان بالكسر على ابدال الواو ياء . ويجمع عنوان على عناوين ، وعلوان على علاوين . ويقال : عنونت الكتاب عنونة وعلونته علونة . ثم من قال عنوان جملة

مأخوذ من العنوان يعنى الاثر ، لان عنوان الكتاب اثر بيان ممن هو والى من هو . قال النحاس ، وأكثرت الكتاب لا يعرف غير هذا ؛ وزعم بعضهم أنه مأخوذ من قول العرب : عنت الارض ، تعنو اذا أخرجت النبات . ومن قال علوان ابدل من النون لأمأ كما فى صيدلانى وصيدنانى ، فيكون (الاشتقاق واحدا) . وقيل : علوان مشتق من العلانية ، لانه خط ظاهر على الكتاب ؛ ومن قال : عنيان جعله من عنيت فلاناً اذا قصدته . قال فى مواد البيان : والعنوان كالعلامة ، وهو دال على المكتوب عنه والمكتوب اليه . والمعنى فيه الاخبار عن اسميهما حتى لا يكون الكتاب مجهولاً . قال : والاصل فيه أن يبدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب اليه . وهو الترتيب الذى تشهد به العقول لأن ابتداءه من المكتوب عنه وانتهائه الى المكتوب اليه . قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الامم الماضية . ثم عرض للناس رأى فى تغيير هذا الرسم الى غيره ففرقوا بين مراتب المكاتبين من الرؤساء والنظر والخدم والاتباع بتقديم اسم المكتوب اليه اذا قصدوا إعظامه واجلاله وتأخير اسم المكتوب عنه ورأوا أنه الصواب الصحيح . قال فى صناعة الكتاب : (ولا يتكنى) المكتوب عنه على نظيره بل يتسنى له ولن فوقه ثم « يقول المعروف بأبى فلان » وإن كانت كنيته أشهر من اسمه وامم أبيه جاز ان يكتب كنيته ويحرمها مجرى الاسم . وان كان الكتاب الى اثنين أحدهما أكبر من الآخر قدم الأكبر ، وكذلك لو كان الى ثلاثة . قال النحاس : وقد استحسن جماعة ان يصغر اسم المكتوب عنه يعنى فى الخط على عنوانات الكتب ورأوا ان ذلك تواضع . والاصل فى ذلك ما حكاه النحاس ان الحجاج بن يوسف كتب الى عبد الملك بن مروان وهو خليفة فى طومار بقلم جليل : لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين . . . ثم كتب فى طرته بقلم ضئيل : من الحجاج ابن يوسف . فجرى الكتاب على أسلوبه فيما بعد . قلت : وسيأتى بيان ترتيب عنوانات الكتب السلطانيات والاخوانيات فى الكلام على ترتيب المكاتبات ان شاء الله تعالى

الثالث - طى الكتاب وختمه . أما طيه فالطى فى اللغة خلاف النشر . ومنه قوله تعالى « يوم نطوى السماء كطلى السجل للكتب » والمراد أنه يلف

بعض الكتاب على بعض والكتابة داخل الطي لان المقصود صون الكتاب . ثم للناس في صورة الطي طريقتان : أحدهما أن يكون الطي مدوراً كأنبوبة الرمح وهي طريقة كتاب المشرق والديار المصرية الى الآن ؛ والثانية ان يكون طيه مبسوطاً فقد ذكر ابن شيث ان طي الكتب السلطانية كانت في عرض اربعة أصابع ، قال ، وكذلك الكتب من (العلية) الى من دونهم ، أما من الأذني الى الاعلى فلا يتجاوز به عرض اصبعين . وهذا ظاهر في أن الطي يكون في صورة العرض لا (مدورا) وهي طريقة اهل المغرب وبلاد الفرنجة الى الآن

وأما ختمه : فالختم مصدر ختم ؛ يقال : ختم الكتاب وغيره يختمه ختماً (ومعناه الطبع) ومنه قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، والمراد سد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم حتى لا يطلع احد على ما فيه حتى يفرضه المكتوب اليه . وهو أمر مطلوب مرغّب فيه : فمن كلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب : طينة خير من ظنة . يعنى ان ختم الكتاب بطينة خير من تهمة تلحق فيه . ومن كلام غيره : اختم تسلم . وقد قيل ان أول من ختم الكتاب سليمان عليه السلام وبه فسر قوله تعالى « انى التى الى كتاب كريم » أى محتوم على أحد الاقوال . وعلى ذلك جرت عادة ملوك العجم فى كتبهم . قال فى مواد البيان : ولم تزل كتب العرب منشورة حتى كتب عمرو ابن هند الصحيفة للمتلمس فقرأها ولم يوصلها فختمت العرب الكتب من حينئذ . وقد ورد فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى بعض العجم فقيل له أنهم لا يقرؤن كتاباً غير مختوم . فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه « محمد رسول الله » فكان يختم به الكتب . (وكان الخاتم فى يده صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله اليه) ثم صار فى يد أبى بكر ، ثم فى يد عمر ، ثم فى يد عثمان الى ان سقط منه فى بئر أريس من بئر المدينة فطلبه فلم يقدر عليه ، فاتخذ خاتماً غيره ونقش عليه « محمد رسول الله » ؛ وقيل بل نقش عليه « لنصبرن اولنندمن » وقيل غير ذلك ؛ ثم صار كل خليفة بعد ذلك يتخذ خاتماً وينقش عليه ما يقتضيه رأيه

واعلم انه كان للختم فى أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم . واختلف فى أول من اتخذه فروى محمد بن عمر المدائنى بسنده الى ابن عمر انه لم يكن أبو بكر

ولا عمر يطبعون كتاباً حتى كتب زياد الى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: انك تكتب
الينا بأشياء ليس لها طوابع . فاتخذ عند ذلك عمر رضي الله عنه خاتماً يطبع به ، وخزم
الكتاب ولم يكن قبل ذلك يخزم . وذكر الطبري في تاريخه ان اول من اتخذ ذلك
معاوية بن أبي سفيان في خلافته ، وذلك انه أمر لعمر بن الزبير بمائة الف من عند
زياد ، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين ؛ فلما رفع زياد حسابه أنكر ذلك معاوية
وحبس عمر حتى قضاها عنه عبد الله بن الزبير ، واتخذ معاوية حينئذ ديوان الختم
وخزم الكتاب ولم يكن قبل يخزم . قال ابن خلدون في تاريخه : وديوان الختم عبارة
عن الكتاب القائم على انفاذ كتب السلطان ، قال ، وهذا الخاتم خاص بديوان
الرسائل ، وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ، ثم اختلف العرف بعد ذلك . ثم للختم
ثلاث صور : احدها ان يخزم الكتاب من وسطه بالمنفذ حتى ينفذ في بعض طيات
الكتاب ثم يخرج من وجه الورق أيضا ويدخل فيه دسرة من الورق كالسير الصغير
ويقطع طرفا الدسرة (ثم يلصق على ذلك شمع أحمر ويختم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه) .
ولعل ذلك هو الذي كان عليه الحال في صدر الاسلام ، ويشهد بذلك قول ابن عمر في
رواية الطبري المتقدمة : وخزم الكتاب ولم يكن قبل يخزم . وكان عادتهم في أيام الخلفاء
أن يغمس خاتم الخليفة في طين أحمر معد لذلك ، ويختم به على طريقة الكتاب ليقوم
مقام علامة الخليفة ، قال في العبر ، وكان هذا الطين يجلب اليهم من سيراف من بلاد
فارس . قلت : وعلى هذه الطريقة جرى أهل بلاد الغرب والفرنجية الا أنهم يجعلون
بدل الطين شمعاً أحمر ، ويجعلون الختم على نفس الخزم وفي وسط الكتاب
الثانية - ان يبلصق رأس الكتاب عليه بالنشا المطبوخ او « الكثيرا » المدافاة
بالماء ، ونحو ذلك . وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق في الكتب
السلطانية وغيرها الى الآن . قال في مواد البيان : ويجب أن يكون اللصاق خفيفاً
كالدهن لئلا يتكسر ويكتنف في جانب الورق . وهذه المسئلة مما سأل عنه الشيخ
جمال الدين بن نباتة كتاب ديوان الانشاء بدمشق فقال : ومن ختم الكتاب بالطين
وربطه ، ومن غير الطين الى النشا وضبطه ؟

الثالثة - أن يلف على الكتاب بعد طيه قصاصة ورق كالسبر في عرض الخنصر

ثم يلبق رأسها بما لف منها . ويكون ذلك في الرقاع الصغيرة المترددة بين الاخوان وتسمى هذه القصاصة التي يلف بها سحابة ، بفتح العين والمد ، وربما قيل فيها سحابة ؛ ويقال منه سحوت الكتاب ، أسحوه سحوا ؛ وسحيتيه ، أسحية تسحية . وأصله من سحوت اللحم عن العظم اذا قشرتة ، لانه كانت عادة الكتاب في هذه القصاصة ان تقشر ثم يختم بها الرابعة - حمل الكتاب وتأديته . ولا نزاع في أن حمل الكتاب وتأديته الى المكتوب اليه أمر مطلوب فقد قال الله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » . وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من أعظم الأمانة أداء الكتاب الى أهله . قال محمد بن عمر المدائني : حمل الكتاب أمانة وتركه إيصاله خيانة . واعلم أنه ينبغي (للملك) أن يختار لحل كتابه وتأديته من هو أهل الامانة والاحترار ووفور العقل وشدة (الشكيمة) في الجواب ، فانه لسان ملكه وترجمان مرسله ، وقد قيل أنه يستدل على عقل الرجل بكتابه ورسوله . وقد وردت الاحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم كان يختار الرسل لتأدية كتبه الى الملوك فبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى ابرويز ملك الفرس ، وبعث دحية الكلبي الى هرقل ملك الروم ، وبعث حاطب بن بلتعة الى المقوقس صاحب مصر ، وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث شجاع ابن وهب الاسدي الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وبعث سليل بن عمرو الى هود بن علي صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى ملك البحرين ؛ وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذى الكلاع الحميري . والمعنى في اختيار الرسول أنه ربما عرض من المكتوب اليه شبهة أو سؤال يحتاج الى جواب فيكون الرسول متصديا لذلك . فقد حكى السهيلي ان دحية حين دخل على قيصر قال له دحية : هل تعلم أكان المسيح يصلي ؟ قال ، نعم . قال ، فاني أدعوك الى من كان المسيح يصلي له . فألزمه من صلاة المسيح ان المسيح عبد لله تعالى . وحكى ابن عبد الحكم ان حاطب بن أبي بلتعة لما بلغ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى المقوقس قال له المقوقس : ما منعه أن يدعو على فيسلط على ؟ فقال له حاطب : فما منع عيسى ان يدعو على من أبي عليه (ان يفعل ويفعل) ؟ فوجم لها ساعة ثم استعادها ، فأعادها عليه ، فسكت . ولما سأله عن حرب النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه فذكر ان

الحرب تكون بينهم سجالات تارة له وتارة عليه قال له المقوقس : أنبي يغلب ! فقال له حاطب : ألأله يصلب ! مشيرا الى اعتقادهم في المسيح أنه إله وأنه قتل وصلب ، فأخذه عن الجواب

الخامسة - فض الكتاب وقراءته. اما فض الكتاب فالمراد فك ختمه، والفض في أصل اللغة الكسر، ومنه افتضاض البكر وهو ازالة بكارتها . (ولفضه) ثلاث حالات: احداها ان يكون محتوما باللصاق بالنشاعلى طريقة المشاركة وأهل الديار المصرية فيشق ظاهره على القرب من محل اللصاق بسكين ثم يفتح . وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة ان الرسول أو البريدى الواصل الى باب السلطان يقدمه الدوادر الى السلطان ثم يتناول الكتاب منه ويمسحه بوجه الرسول أو البريدى ويسلمه الى السلطان فيفض ختمه ثم يتناوله الدوادر من السلطان ويدفعه الى كاتب السر فيقروءه على السلطان . الثانية ان يكون مخزوما مسمرا بدسرة من الورق على عادة أهل المغرب ومن جرى مجراهم فيرفع الختم المصق عليه من الطين أو الشمع وتقلع الدسرة ويفتح الكتاب . الثالثة أن يكون محتوما بسحابة فتفك السحابة ويفتح الكتاب وأما قراءة الكتاب فإنه ينبغي ان يكون من يقرؤه على السلطان ومن في معناه ماهرا في القراءة ، فصحيح اللسان في النطق ، رقيق حاشية اللسان في حسن الأيراد، قوي الملكة في استخراج الخطوط المختلفة ، سريع الفهم في ادراك المعاني الخفية ؛ وان يكون ذلك بصوت غير خفي بحيث يعسر سماعه ولا (مرتفع) بحيث يعد صاحبه خارجا عن أدب المخاطبة للأكابر ، وان يقرب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي (اعتصت عليه) اذا سألها عنها بأحسن ايراد والطف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويجعل وقعها في الأذهان

السادسة - حفظ الكتاب في الاضبارة بعد قراءته ، وعدم طرحه في مكان غير لائق به . اما حفظه في الاضبارة فأمر مطلوب . والاضبارة عبارة عن ورقة يلف في ضمنها جملة من الكتب قد جمعت في داخلها وتلصق اطرافها بالنشا . والقاعدة فيها ان تسوى الكتب من أسفلها ، وان عرض درج بعضها وقل عرض بعض جعل التفاوت من أعلاها . قال في صناعة الكتاب: ومعناها الجمع ، لأنها يجمع بعضها الى

بعض ، ومنه قيل تضرع القوم اذا تجمعوا . ويقال للأضبارة ايضاً اضمامة ، بكسر الهمزة وتشديد الميم ، لضم بعضها الى بعض . والمعنى فيها صيانة الكتب وحفظها من الضياع . قلت : وقد جرت عادة ديوان الانشاء ان يجعل لكل شهر اضمارة يجمع فيها الكتب الواردة الى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرهم ، ويكتب عليها : شهر كذا من سنة كذا . فأذا كملت سنة جعلت (أضابيرها على حدة واستجدت لغيرها أضابير أخرى) وأما وضع الكتاب بعد فضه بمكان لائق به فقد ذكر في كتاب القلم والدواة انهم كرهوا تمزيق الرسائل ورميها في الطرق والمزابل خوفاً على اسم الله تعالى ان يداس وتلحقه النجاسة والأدناس ، قال ، وفي رفع مطرح منها أعظم الرغائب وأجل الثواب . وقد روى ان من رفع قرطاساً من الأرض فيه البسمة اجللاً ان يداس أدخله الله الجنة وشفعه في عشرين من أهل بيته كلهم قد وجب له النار

﴿ الفصل الرابع ﴾

في كيفية تلخيص الكتب الواردة على الأبواب السلطانية وترجمتها

أما تلخيص الكتب فاعلم ان العادة جارية على أنه اذا ورد على الابواب السلطانية كتاب من بعض نواب السلطنة بالممالك الشامية أو غيرها ان يكتب له ملخصات للدواوين التي يكون لذلك الكتاب بها تعلق من الدواوين السلطانية . وهي خمسة دواوين : ديوان الانشاء وديوان الوزارة وديوان الجيش وديوان الخاص والديوان المفرد . والطريق في كتابة الملخصات ان يحذف صدر الكتاب ثم يعمد الى مقاصد الكتاب فيستوفي فصوله ويتصورها في ذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ويكتب لكل ديوان من الدواوين المقدمة الذكراً ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في وصل أو أكثر بحسب ما يقتضيه الحال من قلة الكلام وكثرته . وكيفية كتابته ان يترك من رأس الوصل قدر ثلاث أصابع بياضاً ، ثم قدر أصبعين بياضاً عن يمينه وقدر أصبعين بياضاً عن يساره ويكتب في صدره ما مثاله « ذكر فلان في مكاتبته الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا - ويمد لفظ ذكر بين جانبي الوصل ويكتب باقي الكلام تحتها من أول الوصل الى آخره في العرض من غير خلو بياض - انه اتفق من الأمر كيت وكيت ، أو أنه سأل في كذا

وكذا ثم يخلى بياضاً قدر أربع أصابع ويكتب في وسط الدرج بخلو بياض من الجانبين أيضاً : « و ذكر » بمدة فيها على نحو ما تقدم . ثم يذكر باقي الكلام من أول الوصل الى آخره ويفعل مثل ذلك في أول كل فصل من فصول الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص . ويكتب في آخر كل فصل : وقد عرض على المسامع الشريفة ومهما برزت به المراسيم الشريفة كان العمل بمقتضاه ونحو ذلك . ثم ان كان الملخص لديوان الانشاء كتب بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه ما مثاله : ديوان الانشاء الشريف . وان كان الملخص لديوان الجيش كتب هناك ما مثاله : ديوان الجيش . وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر . فأذا قلت وقف عليها كاتب السر فما كان منها متعلقاً بديوان الانشاء عرضه على السلطان واستمطر جوابه فيه فيكتب في مقابلة الملخص . « يكتب بذلك ، أو : يكتب بكذا وكذا ، أو : رسم بذلك ، أو : رسم بكذا وكذا » وما كان منها متعلقاً بديوان الوزارة بعث به الى الوزير ، وما كان متعلقاً منها بديوان الجيش بعث به الى ناظر الجيش ، وما كان منها متعلقاً بديوان الخاص بعث به الى ناظر الخاص ليقرأ كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه ، فما كان يكتب به بجانب الفصل الذي في الملخص : أمضى له ذلك ، أو لم يمض ، أو : رسم بكذا وكذا ، ونحو ذلك وسائر الدواوين على هذا النحو

واما ترجمة الكتب الواردة بغير اللسان العربي فإن كان بالمغالية كالكتب الواردة عن بعض قانات المشرق فإنه يتولى ترجمتها من يوثق به من أخصاء الدولة من أهل ذلك اللسان من الأمراء أو الخاصكية ونحوهم ، ثم يقرأ ترجمته على السلطان ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به . وان كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات أحضر ترجمانين أو واحداً من أهل ذلك اللسان وكتب بأعلى الوصل « ترجمة الكتاب الوارد من فلان في التاريخ الفلاني ترجمة فلان ، أو فلان وفلان » ويذكر فصوله على نحو ما تقدم في الملخصات ويقرأ على السلطان

﴿ الفصل الخامس ﴾

في أمور تختص بالأجوبة . واعلم انه قد اختلف في الابتداء والجواب أيهما

أبلغ . فذهب أكثر البلغاء الى ان الكتب الجوابية أتعب وأصعب مرتقى من الكتب
الابتدائية ، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب وحذقه لا سيما اذا كان الخطاب محتملا
للاعتذار والاعتلال عن امتثال الأوامر والنواهي والتورية عن نصوص الأحوال
والأعراض عن ظواهرها ، قائداً الى استعمال المغالطة ونحو ذلك مما يودي الى الخلاص من
المكارة لأمر : - أحدها ان المبتدىء يحكم في كتابه ، يبتدىء بألفاظه كيف شاء ، ويتصرف
في التقديم والتأخير والحذف والاثبات والايجاز والأسهاب ويبنى على أساس يرسمه لنفسه ،
والمجيب ليس كذلك ، إنما هو تابع لغرض المبتدىء بان على أساسه الثاني - ان
المجيب اذا كان جوابه محتملا للأشباع والتوسع كان مضطرا الى افتضاض الفاظ
المبتدىء واتباعها للأجابة عنها الثالث - ان تأليف الكلام وانتظامه يقدر منه المبتدىء
على ما لا يقدر المجيب لأن الجواب يفصل أجزاء الكلام ويبدد نظامه ويقسمه أقساما
لمكان الحاجة الى استئناف القول من الفصل بعد الفصل يقول : أما كذا ، وأما كذا .
وذهب صاحب مواد البيان الى أن الابتداء والجواب في ذلك على حد واحد محتججا
بان كلام المبتدىء والمجيب ممتاح من جودة الغريزة وكلاهما يحتاج من البلاغة والصناعة
الى ما يحتاج اليه الآخر وليس واحد من الابتداء والجواب بصناعة على حياها بل هما
كالنوعين للجنس ولا يحتمل ان يكون الكاتب ماهرا في نوع دون نوع والكتاب
لا يكون في الأمر الا العم كاتبا عن نفسه وإنما يكون كاتبا عن أمر يأمره بالكتابة في
أغراضه ويسلمها اليه منثورة فيحتاج الى نظمها وضمها وبرزها في صورة محيطية بجميع
تلك الأغراض المكتوب عنها في الصورة الجامعة لها مع نظمها في سلك البلاغة مثل
ما على المجيب من المشقة وتوفية فصول كتاب المبتدىء من الاجابة والتصرف على
أوضاع ترتيبها بل كافة المجيب قريبة لانه يستنبط من نفس معاني الكتاب المبتدىء
للمعاني التي يجيب بها لان الجواب ان وافق الابتداء فالامر سهل وان ناقضه فأن
كل تقيض قائم في الجواب على مقابلة تقيضه إلا انه أتعب من الموافق . ولاشك
ان الجواب بتجزئته قد خف تحمله اذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى
يخرج من جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله ، ثم قال ، وليس القصد مما ذكرناه
مناقضة مشايخ صناعتنا ولا كمن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتماده والعمل عليه

ثم اعلم ان للجواب حالتين : الاولى أن يكون الجواب من الرئيس الى المرءوس عما كتب به اليه . فالذي ذكره في مواد البيان ان للرئيس ان يبني حكاية كتاب مرءوسه اليه في جوابه على الاختصار ويجمع معانيه في الفاظ وجيزة محيطه بما وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وكذا وفهمناه . الثانية أن يكون الجواب من المرءوس الى الرئيس عما كتب به اليه . قال في مواد البيان : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب رئيسه على قضيتها ويقصها على وجهها من غير اخلال بشيء منها اعظاما لتقدير الرئيس واجلالا لخطابه ، قال ، وليس للمجيب ان مرفى كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موقعها ان يبدلها في كتابه بغيرها لما في ذلك من الاشارة الى ان هذا أصح من كتاب رئيسه الا أن يكون الكتاب الوارد على المجيب في معنى الشكر والتعريف من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة فإنه لا يجوز ان يأتي به على نصه لانه يصير بذلك مادحاً نفسه ومدح الانسان نفسه غير سائغ ولا يجوز ان يهمل ذكر جملة لانه يكون قد أخل بما يجب من شكره له على تشريف رتبته بأحماده والثناء عليه بل الواجب ان يوقع تلك القصة على جعل نفسه بعضاً منها بأن يقول : فأما ما وصفه من اعتداده بمخادمه في جملة من نهض بحقوق خدمته وقام بفرض طاعته فأهله لما يرفع الاقدار من احماده وثنائه ويملي الاخطار من شكره ودعائه . وما يضاهي ذلك من العبارة التي تشتمل على معاني الفاظ رئيسه فإنه اذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى فقد جمع بين البلاغة والأتيان على معاني الفاظ رئيسه والادب في ترك التنخيم لنفسه بأضافته الى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عليها . قلت : وهذا الترتيب هو الذي يجب اعتماده والمشى على منهجه وان كان كتاب الزمان قد اطرحو النظر في ذلك جملة ولم يفرقوا بين جواب رئيس ولا مرءوس وأهملوا النظر في حقائق الالفاظ والمعاني

— ❦ الباب الثاني ❦ —

في مصطلح الكتب السلطانية الدائرة بين كتاب الاسلام في كل زمن من الصدر الاول وهلم جرا الى زماننا من الكتب الصادرة عن الخلفاء وولادة العهد بالخلافة والكتب الصادرة عن الملوك . وفيه ستة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

في الكتب الصادرة عن الخلفاء الى الملوك والوزراء وهي على ثلاثة أساليب

﴿الاسلوب الاول﴾ - أن يفتح المكاتبه بافظ « من فلان الى فلان » . والاصل في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كتابه يكتبون عنه في جل مكاناته كذلك فكان يكتب « من محمد رسول الله الى فلان » باسمه . فان كان مسلماً كتب : « سلام عليك فأنى أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو » وان كان كافراً كتب « سلام على من اتبع الهدى » ثم يقول « أما بعد فأن كذا وكذا » وقد لا يقول « أما بعد » ويأتى على المقصد الى آخره ويختم الكتاب بقوله « والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ان كان مسلماً ؛ وربما اقتصر على « والسلام عليك » . وان كان كافراً كتب « والسلام على من اتبع الهدى » وربما يختم بغير السلام . وعلي هذا الاسلوب كتب عنه صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد وغيره من الصحابة ، الى وائل بن حجر ، وطهفة النهدي ، والمنذر بن ساوى ، وأكيدر دومة ، والنجاشي ، والمقوقس ، وهرقل ، وكسرى وغيرهم . فلما ولي أبو بكر الصديق الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كتب : من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلان . . . وباقى المكاتبه على ما تقدم ، فلما آلت الخلافة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب : من عمر بن الخطاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فلان . . . فلما لقب بأمر المؤمنين زاد في المكاتبه لفظ « عبد الله » قبل اسمه ، وبعده « أمير المؤمنين » فكان يكتب : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى فلان . . . وباقى المكاتبه على ما تقدم . واستمر ذلك فيما بعده حتى ان المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين . . . مكرراً « عبد الله » مرتين مرة للقب الخلافة الذي زاده عمر ، ومرة للاسم العلم ؛ وعلى ذلك جرى الحال في خلافة عثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم . فلما صارت الخلافة الى معاوية بن أبى سفيان عبر عن نفسه في أثناء المكاتبه بأمر المؤمنين مثل : بلغ أمير المؤمنين ، واقتضى رأي أمير المؤمنين ، ونحو ذلك . ولم يزل الامر على ذلك الى أن ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة فجود القراطيس وجلال

الخطوط وفخم المكائبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك الاعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن الوليد فأنهما جريا في ذلك على طريقة السلف: ثم جرى الامر بعدهما على ماسنه الوليد. فلما صار الامر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى وكان من الماسن والبلاغة بالمكان الذي لا يجهل اطال الالكتب وفخمها حيث اقتضى الحال ذلك واستمر ذلك الى ما بعده. فلما انفضت الخلافة الى الدولة العباسية زيد بعد اسم الخليفة لفظ « الامام » فكان يكتب: من عبد الله فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين الى فلان. سلام عليك فان أمير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو. ثم يتخلص الى المتصود على ما تقدم. فلما آلت الخلافة الى الرشيد زاد بعد التحميد « ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » معيداً الضمير على « أمير المؤمنين » فجرى الامر على ذلك في زمنه وما بعده، قال أبو هلال العسكري في كتابه الاوائل، وكان ذلك من أجل مناقبه. واستمر ذلك بعده. وربما كتب « ويسأله أن يصلى على ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم ». ولما صارت الخلافة الى الامين اکتفى في كتبه وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك. ثم الذي رتبته أبو جعفر النحاس في صناعة الالكتاب أنه يقدم الاسم على السكنية والكنية على اللقب مثل أن يقال: من عبد الله فلان أبي فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين. وقال: أن هذا هو الذي اصطاح عليه في الامور السلطانيات التي تنشأ بها الالكتب من الدواوين. وذكر أن بعض العلماء خالفهم في ذلك وقال: الاولى أن يبتدأ باللقب مثل أن يقال: من الراضى وما أشبه كما قال عز وجل « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله » لان اللقب لا يشاركه فيه غيره فكان أولى ان يبدأ به. ولم يزل الامر على ذلك الى حين انقراض الخلافة من بغداد. أما الخلفاء الفاطميون بالديار المصرية فإنه كان يزداد فيما يكتب به عنهم بعد « عبد الله » لفظ « ووليه » فيقال: من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الفلاني - بلقب الخلافة - أمير المؤمنين. . . . ويقولون في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: ويسأله أن يصلى على جده محمد نبيه ورسوله وعلى الأئمة من عترته ويسلم عليهم تسليماً. ونحو ذلك. فلما صارت الخلافة العباسية من بغداد الى الديار المصرية جرت مكاتبة خلفائها على نحو ما كان عليه الحال في بغداد مع زيادة لفظ « ووليه » الذي كان يكتب

به الفاطميون مع التعويض عن الجهد والسلام بخطبة ، فكتب عن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان الى الملك المؤيد هنبر الدين داود صاحب اليمن بعد الافتتاح بآية من كتاب الله تعالى : من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان ، أما بعد حمد الله . . . ثم لما آلت الخلافة الى المتوكل على الله افتتح الكتب عنه بالسلام ، فكان يكتب : سلام الله ورحمته وبركاته يخلص فلاناً . . . وعلى ذلك جرى ابنه المستعين بالله في أول خلافته ، فلما استبد بالخلافة والسلطنة كتب عنه : من عبد الله ووليه خليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين المقترض طاعته على الناس أجمعين الامام المستعين بالله أبي الفضل العباسي أغر الله به الدين . . . ثم يوتى بالمكاتبة السلطانية مثل : أغر الله تعالى أنصار المقر الكريم ، أو نصره الجنب الكريم ، أو ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالي ، أو أدام الله تعالى نعمة الجنب العالي على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . فلما خلع المستعين واستقر في الخلافة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المتوكل محمد المقدم ذكره أعاد المكاتبة الى ما كانت عليه في زمن ولده والحال على ذلك الى الآن اذا علمت ذلك فلتعلم أن الخطاب في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقع باسم المكتوب اليه الذي هو علم عليه ، وبتاء الخطاب وكافه مثل أنت ، وقلت ، وفعلت ، ولك ، وعليك ، وما أشبه ذلك كما كتب الى خالد بن الوليد في جواب كتابه حين وجهه الى نبي الحارث بن كعب وكتب اليه باسلامهم : من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد ، سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . اما بعد فأن كذا وكذا . . . وكما كتب الى هرقل عظيم الروم : (من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم) سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فأن كذا وكذا . وكذلك الكتب الصادرة عن الصديق رضى الله عنه كما كتب الى أهل الردة : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة اقام على الاسلام او رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى فإني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله . . . وكذلك الكتب الصادرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما كتب الى عمرو بن العاص وهو أمير مصر بسبب ما بلغه ان له فاشية

مال فشت : من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عمرو بن العاص . . .
وكذلك سائر الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم الدولة الاموية ،
ثم اوائل الدولة العباسية . فلما انحلت عرى الدولة العباسية وغلب على خفاياهم ملوك
بنى بويه وتلقبوا بالاضافة الى الدولة والملة كتب اليهم على نظير القايمهم ، فكتب ابو
اسحاق الصابي عن الطائع لله الى صمصام الدولة : (من عبد الله عبد الكريم الامام
الطائع لله امير المؤمنين الى صمصام الدولة) وشمس الملة أبو كاليجان بن
عضد الدولة وتاج الملة مولى امير المؤمنين سلام عليك فان امير المؤمنين محمد اليك
الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
اما بعد اطال الله بقاءك فان امير المؤمنين . . . واتى على المقصد الى آخره على ما وردته
في الاصل . ثم لما جاءت الدولة السلجوقية وقد لقب فيها بالاضافة الى الدين وكثرت
الالتقاب التى يلقب بها الخلفاء الملوك كتب بها ، فكتب عن المقتدى لامر الله
الى السلطان ابي الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي : من عبد الله ابي عبد
الله محمد المقتدى لامر الله امير المؤمنين الى شاهنشاه المعظم مولى الامم مالك رقاب
العرب والعجم جلال دين الله ظهير عباد الله حافظ بلاد الله معين خليفة الله غياث
انديا والدين ناصر الاسلام والمسلمين محيي الدولة القاهرة معز الملة الزاهرة عماد
الامة الباهرة ابي الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم امير المؤمنين ، سلام عليك
فان امير المؤمنين محمد اليك الله الذى لا اله الا هو ويسأله ان يصلى على محمد عبده
ورسوله ويسلم تسليما . اما بعد اطال الله بقاءك وادام عزك وتأييدك . . . في دعاء
طويل تخلص منه الى المقصد وقد ذكرته فى الاصل . . . الا ان المقر الشهابي بن فضل الله
حين كتب عن المستكفي بالله ابي الربيع سليمان الى السلطان الملك الناصر (احمد بن
الملك) الناصر محمد بن قلاوون وهو بالكرك يستدعي حضوره الى قلعة الجبل بالقاهرة
لتقلد السلطنة بعد خلع أخيه الاشرف كجك وقتل الامير قوصون ومن معه فانه عدل
عن الالتقاب الى الاتيان بخطبة بعد الافتتاح بآية من القرآن الكريم فكتب : الم تر
ان الله سخر لكم مافي السموات ومافي الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فالحمد
لله الذى أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة ، وألف قلوب أوليائه المتفقه والمتبائنة ، وأخذ

بنواصي اعدائه الكاذبة المائنة ، وأعلى جد هذه الدولة القاهرة ، وأطلع في أسنة العوالمى
 نجومها الزاهرة : وحرك لها العزائم (فملكتم) والامور بحمد الله ساكنة ، والبلاد والمنة
 لله آمنة ، والرعايا في نطاها قاطنة ٠٠٠ . وأتى على هذه الخطبة الى آخرها ثم تخلص الى
 المقصد . قلت : أما في هذا الزمان وما قاربه فإنه لم يعلم أنه كتب عن الخليفة الى
 السلطان وقتا من الاوقات لملازمة الخليفة السلطان سفرا وحضرا فلو قدر كتابة في ذلك
 فالاحسن ان يوتى بخطبة كما في الكتاب المتقدم فإنه أعظم من الانقلاب فلو أتى باللقاب
 السلطان لساغ ذلك . اما الكتب التي تكتب عن الخليفة الآن فإنه يوتى فيها باللقاب
 المكتوب اليه التي يكتب بها عن السلطان مثل ان يكتب عن الخليفة الى النائب الكافل
 فيكتب : سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخص المقام الكريم العالى الاميرى الكبيرى
 العالى العادلى المؤيدى الزعيمى الغوثى الغياثى المئاغرى المرابطى الممهدى المشيدى
 الظهيرى العابدى الناسكى الاتابكى الكفيلى الفلانى معز الاسلام والمسلمين سيد أمراء
 العالمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين اتابك
 العساكر ممد الدول مشيد المالك عماد الملة عون الامة ظهير الملوك والسلاطين عضد
 امير المؤمنين . الى آخر المكاتبه ، وعلى ذلك في باقى المكاتبات

﴿ الاسلوب الثانى ﴾ - مما يكتب به عن الخلفاء ان تفتح المكاتبه بـ « أما
 بعد » والاصل في ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتح بعض كتبه بذلك كما
 كتب الى اهل نجران : اما بعد فأني (أدعوكم) الى عبادة الله من عبادة العباد ،
 وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد ، فان أيتيم فالجزية ، فان ايتيم فقد آذنتكم
 بحرب الاسلام . وكذلك بعض الخلفاء الراشدين كما كتب عثمان بن عفان الى على
 ابن ابى طالب حين خرج الى البقيع واختلف الناس على عثمان : اما بعد فقد باع السيل
 الزبى والحزام الطيبين . وطمع في من كان يضعف عن الدفع عن نفسه ٠٠٠ . وكذلك
 خلفاء نبى امية كما كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارمطة : اما بعد فاذا أمكنتك
 القدرة على الخلو فاذكر قدرة الخالق عليك ، واعلم ان مالك عند الله مثل
 مال الرعية عندك ٠٠٠ . اما خلفاء نبى العباس فغالبا ما كان يقع ذلك عنهم في كتب
 الفتوح ونحوها مما لا يختص بواحد وهي على ضربين

الضرب الاول - ان يعقب البعدية بالحمدلة امامرة واحدة كما كتب أبو اسحاق الصابى عن المطيع لله الى بعض ولاة الاطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح السامانى (فى الصبح: الساسانى):
 اما بعد فالحمد لله الولى بالاستحسان ، المستحق (لكنة) الاعتداد ، القدير على تأليف الاجساد - الى نحو العشرين سجعة ثم تخلص الى المقصود بقوله - : وقد علمت كيت وكيت . . . على ما هو مذكور فى الاصل . واما بتكرار الحمد الى ثلاث فأكثر كما كتب عن المعتصم الى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الافشين على بابك ملك الروم :
 اما بعد فالحمد لله الذى جعل العاقبة لدينه والعصمة لاوليائه ، والعز لمن نصره ، والفلاح لمن اطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدف عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى الها غيره ، لا اله الا هو وحده لا شريك له . يحمده امير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يفوض امره الا اليه ، ولا يرجو الخير الا من عنده ، - الى نحو عشر سجعات ثم قال - : والحمد لله الذى تولى أمير المؤمنين بصنعه فيسر له امره ، وصدق له ظنه ، وانجح له طلبته - الى نحو من ذلك ثم قال - :
 فالحمد لله كثيرا كما هو اهله ونزغب الى الله فى تمام نعمه ، ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بمنه ولطفه - ثم تخلص الى المقصد بقوله - : ولا يعلم امير المؤمنين مع كثرة اعداء المسلمين مثل فلان . . . وقد ذكرته فى الاصل بكما له

الضرب الثانى - ان لا يعقب البعدية بتحميد بل يقع الشروع عقبها فى المقصود كما كتب أبو اسحاق الصابى عن الطائع لله الى من فى عمان وما معها من البحرين بالاجتماع على الطاعة : اما بعد فان أمير المؤمنين للذى حمه الله من اعباء الامامة وأهله له من شرف الخلافة واستودعه من الامانة فى حياة المسلمين والاجتهاد لهم فى مصالح الدنيا والدين - الى آخر ما سنج له من ذلك ثم تخلص الى المقصد بقوله - : وقد علمت كيت وكيت

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ - ان تمتتح المكاتبة بخطبة مفتتحة بالحمد لله . وأصل هذه المكاتبة مختلس من الاسلوب الاول من قولهم : فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، ثم أحدث عبد الحميد بن يحيى فى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية التحميد بعد البعدية وتبعه من بعده على ذلك كما تقدم ، ثم توسعوا فى ذلك فجعلوا الحمد

افتتاحاً . ولا خفاء في ان الافتتاح بالحمد من أعلى الافتتاحات وأعلى مراتب الابتدآت وان لم يقع الابتداء به في صدر الاسلام .

واعلم أن للخليفة مكاتبات خاصة لاخصائه كالوزير ونحوه . قال في صناعة الكتاب : ويكتب الامام الوزير ومن حل محله بـ « أمتعني الله بك ، وبدوام النعمة عندي بك ، وبقاء المهوبة لي منك » وما جرى هذا المنجى . ثم رتب المكاتبة على ما ذكره في صناعة الكتاب على الاسلوب الاول ان يكتب : من عبد الله فلان أبي فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين ، سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمده اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله - ثم يفصل ببياض يسير ثم يكتب - : اما بعد فإن كذا وكذا - ويؤتى على المعنى فإن انتهى من ذلك وأراد أن يكتب بأمر فصل ببياض يسير ثم كتب - : وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ، أو رأى ان يكتب اليك بكذا فيؤمر بامثال ما أمر به والعمل بحسبه - - ثم يفصل ببياض ويكتب - : فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به ان شاء الله تعالى . قلت ، وقد يكتب في اواخر المكاتبة بعد استيفاء القصد : وهذه مناجاة أمير المؤمنين اليك . ويقال في السلام على أعلى الطبقات من المكتوب اليهم : والسلام عليك ورحمة الله ، وربما قيل ، ورحمة الله وبركاته

أما عنونة كتب الخلفاء فكانت في الجانب الايمن : من عبد الله فلان الامام الفلاني أمير المؤمنين . وفي الجانب الايسر : الي فلان بن فلان . فلما تكنى الامير في كتبه زيدت الكنية في العنوان . ثم زاد المأمون في أول عنواناته البسملة فكانت تكتب في الجانب الايمن قبل « من عبد الله فلان » . وفي كلام النحاس في صناعة الكتاب ما يقتضى أن البسملة بقيت في عنونة الى خلافة الرازي وفي كلام صاحب مواد البيان أنها بطلت فيما بعد . قال في صناعة الكتاب : فإن كان المكتوب اليه من موالى بني هاشم نسب الى ذلك ، وان لم يكن ينسب اليهم ترك

﴿ الفصل الثاني ﴾

في الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة

لم أفد فيه على ترجمة صريحة غير ان النحاس في صناعة الكتاب بعد أن ذكر

ان صورة المكاتبة عن الخليفة « من عبد الله أبي فلان فلان الامام الفلاني » عقب ذلك بأن قال : وليس أحد من الرؤساء يكتب عنه بالتصدير الا الامام وولي العهد ، ولم يزد على ذلك وقد فسر في ذخيرة الكتاب التصدير بأن قال : يكتب « من عبد الله أبي فلان فلان - باسمه ونعمته وكنيته ثم يقال - أمير المؤمنين الى فلان . أما بعد فأن أمير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو . . . » الخ على ما تقدم ذكره . وذكر النحاس في الكلام على العنواف من الرئيس الى المرءوس أنه يحذف من الكتاب عن ولي العهد لفظ « الامام » ولفظ « أمير المؤمنين » ويقال فيه « ولي العهد » وظاهر ذلك ان المكاتبة عن ولي العهد شبيهة بالمكاتبة عن الخليفة ، وأن لفظ « ولي العهد » في المكاتبة عن ولي العهد يقوم مقام « أمير المؤمنين » في المكاتبة عن الخليفة نفسه . قلت : وحينئذ فيتجه أن تكون المكاتبة عنه « من عبد الله فلان أبي فلان الفلاني بالله ولي عهد المسلمين الى فلان . سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فأن كذا وكذا . . . » ويأتي على المقصد . وعلى ذلك يدل كلام صاحب ذخيرة الكتاب حيث قال بعد ذكر المكاتبة عن الخليفة : وكذلك المكاتبة عن ولي العهد

﴿ الفصل الثالث ﴾

في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم الى الخلفاء . والمعول عليه من ذلك ستة أساليب

﴿ الاسلوب الاول ﴾ - أن يفتتح المكاتبة بلفظ : فلان من فلان ، أو الى فلان من فلان . وقد اختلف العلماء في ابتداء المكاتبة باسم المكتوب اليه على مذهبين : أحدهما كراهة ذلك لأنه مأخوذ عن ملوك العجم وقد جاء عن جماعة من السلف كراهته على ما هو مذکور في الاصل حتى ذكر صاحب صناعة الكتاب عن الربيع بن أنس أنه قال : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون اليه فيبدؤون بأنفسهم . والذي عليه الجادة أنه لا كراهة فيه ، ففي سيرة ابن هشام أن خالد ابن الواليد رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني الحارث بن كعب

فأسلموا كتب اليه : لمحمد النبي صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد . وأن النجاشي كتب اليه صلى الله عليه وسلم : الى محمد رسول الله من النجاشي . وقد ورد ان جماعة من السلف كانوا يتعاونون ذلك على ما ذكرته في الاصل . ثم القائلون بذلك اختلفوا ، فذهبت فرقة منهم الى أنه ربما يعدي بـ « الى » فيقال : الي فلان بن فلان . ولا يعدي باللام ، فلا يقال : لفلان من فلان . والمشهور أنه لا فرق ، فقد كتب خالد ابن الوليد « لمحمد النبي » وكتب النجاشي : « الى محمد رسول الله » ولم ينكر على واحد منهما ؛ بل المتداول بين الخلفاء في المكاتبات « لفلان » دون « الي فلان » فقد كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في جواب كتاب كتبه اليه يذكر فيه فاشية مال فشت له : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فأن كذا وكذا » ، وكتب الحجاج ابن يوسف الى عبد الملك بن مروان في جواب كتاب كتبه اليه يوبخه فيه بسبب تعرضه لأنس بن مالك : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين فاني أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو . أما بعد فأن كذا » . وقد ذكر قدامة في كتاب الخراج أن الرسم في الكتابة الى الخليفة ان يكتب : « لعبد الله فلان أبي فلان - باسمه وكنيته ونعته - أمير المؤمنين . سلام على أمير المؤمنين فاني أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأيدته وكرامته وحراسته وأتم نعمته عليه وزاد في احسانه اليه وفضله عنده وجميل بلائه لديه وجزيل عطائه له » . وزاد في صناعة الكتاب في السلام « ورحمة الله وبركاته » قال النحاس ، ثم يقال « أما بعد فقد كان كذا وكذا » حتى يأتي على المعاني التي يحتاج اليها ، قال ، وتكون المكاتبة : « وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا » فان زادت حاله لم يقل « عبد أمير المؤمنين » فاذا بلغ الى الدعاء ترك (فضاء) ثم كتب « آم الله على أمير المؤمنين نعمته ، وهناه وكرامته ، وألبسه عفوه وعافيته . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا » . قلت : وقد جرت عادتهم انه اذا كان الكتاب بظهور نعمة من فتح أو غيره أتى في صدر الكتاب بالتحميد كما كتب أبو اسحاق

الصابي عن عز الدولة ابن بويه الى المطيع لله عند فتحه الموصل وهزيمة ابن حمدان صاحب حلب في سنة ٣٦٣: « لعبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين من عبده وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فاني أحمد الى أمير المؤمنين الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . اما بعد أظال الله بقاء أمير المؤمنين وادام الله له العز والتأييد ، والتوفيق والتسيد ، والعلو والقدرة ، والظهور والنصرة . والحمد لله العلي العظيم الازلي القديم - في سجعات أخرى تتعلق بتزيه الله تعالى - والحمد لله الذي اصطفى للنبوته احق عباده بحمل اعبائها - في سجعات أخرى تتعلق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم - والحمد لله الذي انتخب أمير المؤمنين من ذلك السنخ الشريف ، والعنصر المنيف في سجعات أخرى تتعلق بالخليفة ثم تخلص الى المقصد وأتى عليه الى آخره

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ - ان يفتح المكاتبة بلفظ « كتابي » وهو اقلها وقوعا كما كتب ابو الفرج البيهقي عن أبي ثعلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني حمدان في جواب كتاب وصل اليه من الخليفة : « كتابي أظال الله بقاء أمير المؤمنين وعبداً أمير المؤمنين يستديم بشكر الله تعالى مدد النعم المتظاهرة والمنح المتناصرة لديه - الى آخر الصدر ثم تخلص منه بقوله - : (ووصل) كتاب أمير المؤمنين ... » وأتى على المقصد الى آخره

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ان يفتح المكاتبة بالصلاة علي الخليفة علي رأى من يرى جواز افراد غير الانبياء بالصلاة كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الي ديوان الخلافة ببغداد : « صلوات الله التي أعدها لاوليائه وذخرها ، وتحمياتها التي قذف بشبهها شياطين أعدائه ودحرها) ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب ، ورحمته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعترى الموقنين في ترديده حصر ولا لكن ، علي مولانا أمير المؤمنين عاقد ألية الايمان ، وصاحب دول الرمان ، وساحب ذيل الاحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذي زلزلت امامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاقل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم مامل ، وامضت عزيمته كل عزم مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشفعت يقظات استغفاره الي غافر ذنوب كل

غافل ، وعلى آبائه القائمين بحقوق الله اذا قعد الناس ، والحاكين بعدل الله اذا عدم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الالهام الموروثة من الوحي ' اذا عجز الاقتباس ، والصابرين في البأساء والضراء ، وحين الباس ' خزان الحكم وحفاظها ، ومعاني النعم وألفاظها ، واعلام العلوم المنشورة الى يوم القيامة ، وكألى السروح المنتشرة بيد الامامة ، ومن لا ينفذ سهم عمل الا اذا شحذ بموااتهم ، ولا يتألق صبح هداية الا اذا استصبح السارى بدلااتهم . المملوك يقبل الارض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرابع المجد ومعاقله ، ومجالس الجود ، ومجال السجود ، ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ، ومفتر مباسم الامامة ، ومجر مساحب الكرامة ، ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الارض مستسلمين ، ومشاهد الاسلام كيوم أنزل فيه « اليوم أكملت لكم دينكم » وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله « قاتلوا الذين يلونكم » ، ويتأججها بلسان حكي الاخلاص الصادق عقيده ، وبسط الولاء السابق عقليته ، وأرهف الايمان الناصع مضاربه ، وفسح المعتقد الناصح مذاهبه ، فأعرب عن خاطر لم يخاطر فيه لغير الولاء خطره ، وقلب اعانه علي ورود الولاء صفا المصافاة فيه فطره ، ويخبر أنه ما وهن عما أوجبه آلاؤه ولا وهى ، ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدره المنتهى ، ووضحت الآيات لأولى النهى ، والله تعالى يزبل عنه في شرف المثول عوائق القدر ومواقفه ، ويكشف له عن قناع الانوار التي ليست همته بما دون نظرها قانعة . والامر كيت وكيت . . . »

﴿ الاسلوب الرابع ﴾ ان يفتح المكتابة بالسلام على الخليفة . وقد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة ان علي ذلك كان الاصطلاح في زمانه في أواخر الدلة الايوبية كما كتب عن بعض ملوك بني أبوب الى ديوان الخلافة يعتمر عن تأخر الكتب ويذكر خبر صاحبى قسطنطينية وصقلية : « سلام الله الاطيب ، وبركاته التي يستدرها الخضر والغيب ، وزكاته التي ترفع أولياءه الى الدرج ، ونعمه التي لم تجعل على أهل طاعته في الدين من حرج ، على مولانا سيد الخلق ، وساد الخرق ، ومنسدد أهل الحق ، ولا بس الشعار الاطهر سواداً ، ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصه بها بدها ومعادها ، ومولى الأمة الذي تشابهه يوم نداءه وبأسه ان ركض جوداً أو جواداً ، وواحد الدهر

الذي لا يثني ، واليه القلوب تثني ، ولا تقبل الله جمعاً لا يكون بولائه جمع سلامة لاجمع تكسير ، ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته في قلبه تقيم واسمه في عمله الى الله يسير ، مولانا أمير المؤمنين وعلى آباءه المالمى الارض عدلا ، الملاء أهلا وفضلا ، والضارين فيصلا والقائلين فصلا ، ومن تقول الجنة لهم اهلا ، المحصوصين بالعبادة الالهية ، الحاكمين فكل أمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منهيّة ، والمشرقي الأسارى على اسرة الشرف فكم ملأت البهو مناظرهم البهية . المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بأعظامه ، والبساط المقبل بطول استلامه ، والستر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ، وينهى كيت وكيت ... » قلت : وقد يجمع بين الصلاة والسلام كما كتب المستضيء بالله يبشرى بفتح بلد : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون سلام قولنا من رب رحيم (وروح وريحان وجنة نعيم) وصلاة يتبعها تسليم وكأس يمزجها تسنيم ، وذكر من الله تعالى في الملاء الاعلى ، ورحمة الله وبركاته معلومة من النشأة الاولى ، على مولانا الامام المستضيء بالله المستضاء بأنواره ... » الخ

﴿ الاسلوب الخامس ﴾ ان يفتح المكاتبة بخطبة مفتححة بالحمد لله . وذلك مما يختص بالبشارة بالفتوح وما في معناه كما كتب العماد الاصبهاني عن السلطان صلاح الدين الى الناصر لدين الله بيقداد : « الحمد لله علي ما أنجز من هذا الوعد ، وعلى نصرته لهذا الدين الخفيف من قبل ومن بعد ، وعلى ان أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثلها كرائم الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في المواقف ، في الايام الامامية الناصرية زادها الله تعالى غررا واوضاحا ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ، ويمكن سيوفها في كل مازق من كل كافر ومارق ، ولا اخلاها من سيرة سرية تجمع بين سيرة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال ايدي اوليائها لتحمي بالحقيقة حى الحقائق ، وأنجز فيها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادى المغارب ومرامي المشارق ، ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مغانح ، وأطراف أسنتها لدماء الاعداء نوازح . والحمد لله الذي نصر الديوان العزيز وايده ، وأظفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدد جده ، وجعل بعد عسر يسرا الى آخر التحميد والحمد الذي أعاد الاسلام جديدا ثوبه حديدا حبله ، مبيضا نصره مخضرا فصله ، متسعا

فضله، مجتمعا شمله . والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم كيت وكيت «
 (الاسلوب السادس) — ان يفتح المكاتب بالدعاء للديوان العزيز مثل: أدام
 الله تعالى أيام الديوان العزيز . وخذ الله أيام الديوان العزيز ، وأدام الله النعمة علي
 الدين والدنيا بأبالة الديوان العزيز ؛ وأعلي الله الموحدين على الملحدن وثبت كلمة
 المتقين بدوام أيام الديوان العزيز، وما أشبه ذلك . وعليه اقتصر في التعريف جاريا
 عليه في الاصطلاح وكلامه ظاهر في أنه لم يقف على اسلوب سواه ولا شك أنه اشهر
 الاساليب وعليه الاصطلاح الآن كما كتب في صدر مكاتبه الى ديوان الخلافة: « خلد
 الله سلطان الديوان العزيز المولوى السيدى النبوى الامامى الغلانى ولا زالت ايامه
 شامخة الذوائب ، شارخة الصبا حيث يلحق الشيب الشوائب ، راسخة الفخار في الظهور
 بالعجائب ، نافخة في فم الليل جهرة الكتائب ، صارخة والعدتر تعذفرائصه بين السحائب ،
 ناسخة دولة كل عليا بما تأتي به من الغرائب ، وتبذله من الرغائب ، فاسخة عقد كل خالغ
 يردده الله اليها ردة خائب ، باذخة على ماضى كل زمان ذاهب ، من عصور الخلفاء الشرفاء
 وآيب ، سالخة جلدة كل أيم ظن ان في أنياب رحمة النوائب . الخادم يقبل العقبات
 الشريفة ساجدا بجمينه ، وشاهدا يستأديه له على يمينه ، وجاحدا كل ولا سوى ولائه المعقود
 يمينه ، وعاقدا شرف الاتساب اليه عقد دينه ، وحامداً لله الذي جعل طاعة امير المؤمنين
 عند حسن يقينه ، وعائدا بأمله الى كرم ثمر به الآمال ، وتقمير به الليال ، لانها
 شعاره الذي تضرب به الامثال ، وتطر به السحب الجهام فتمحو به آية الأتحمال .
 وينهى كيت وكيت »

واعلم ان المراد بديوان الخلافة المكتوب اليه هو ديوان الانشاء لان المكاتبات
 عنه صادرة واليه واردة . قال في التعريف : وكان سبب مخاطبتهم الديوان الخضعان
 عن خطاب الخليفة نفسه ، قال ، والصدر فيه نحو : العبد ، او المملوك ، او الخادم يقبل
 الارض ، او العقبات ، او مواطىء المواقف . ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان
 العزيز والمقام الاشرف والجانب الاعلى او الشريف ، وبأمر المؤمنين مجردة عن سيدنا
 ومولانا ومرة غير مجردة مع مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة ، ثم قال ، ويختم تارة
 بالدعاء ب : طالع ، أو أنهى ، أو غيرها مما فيه معنى الانتهاء . وقد تقدم في الكلام

على أصول المكاتبات ان من الملوك من كتب في العلامة : الخادم : ومنهم من كتب : الملوك ، ومنهم من كتب : العبد ، ومنهم من كتب : اقل العبيد ، ومنهم من كتب : اقل المالك ، ومنهم من كتب الخادم المطواع وغير ذلك . قال في التعريف ، وعنوانه : الديوان العزيز . . . الى آخر الالقاب . ثم الدعاء من نسبة الصدر نحو : أدام الله تعالى أيامه وخذ سلطانه ، وما أشبه ذلك . قلت : ور بما جرت المكاتبات الى الخلفاء على غير هذه الاساليب ففتتح بالدعاء بطول البقاء كما كتب ابوالمظفر (في : الصحيح أبوالمطرف) بن المشي الى هشام بن الحكم أحد خلفاء بني أمية بالاندلس عن بعض أتباعه : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وابن الائمة الراشدين ، عزيزاً سلطانه ، منيراً زمانه ، سامية أعلامه ، ماضية أحكامه ، ظاهر أعلى من نواوه ، قاهر المن عاداه . كتابي أيد الله أمير المؤمنين والأمر على كيت وكيت . » . أو يفتتح بألقاب الخليفة المقدس المكرم الامام الطاهر الزكي مقام الخليفة المؤيد بنصر الله الناصر لدين الله كلاً الله جلالهم ، وفيأ ظلالم ، وبوأ وفود السعود ووجود الظهور والصعود مواطنهم المقدسة وحلالهم . عبداهم المتقلب في نعمتهم فلان . . . » ويذكر ما سنع له . أو يفتتح المكاتبة بالحضرة كما كتب ابوالمظفر (في الصحيح : المطرف) بن عميرة الى المستنصر بالله أحد خلفائهم « الحضرة الامامية المنصورة الاعلام ، الناصرة للاسلام ، المخصوصة من العدل والاحسان بما يجلو نوره مترك الاضلام ، حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبي يعقوب بن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، وصل الله لها إسعاد القدر ، وإنجاد النصر والمظفر ... » ويفتح المكاتبة بوصف الخلافة كما كتب أبو عبد الله بن الخطيب عن سلطانه ابن الاحمر بقرناطة من الاندلس الى المستنصر بالله أبي اسحاق ابراهيم خليفة الموحد بن تونس بالبشري بفتح : « الخلافة التي ارتفع عن عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ، واستقلت مباني فخرها الشائع وعزها الذائع على ما أسسه الاسلاف ، ووجب لحقها الجازم وفرضها اللازم الاعتراف ، ووسعت الآملين بها الجوانب الرحبية والاكتاف ، فامتزاجنا بعالمها المنيف وولايتها الشريف كما امتزج الماء والسلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم وفيضها العميم كما تأرجت الرياض والافواف ، ودعاؤنا بطول

بقائها واتصال عنانها ينمو به الى قرع أبواب السموات العلى الاستشراف ، وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة وفواضلها العميمة لا يحصره الحد ولا تدركه الاوصاف ، وان عذرفي التصير عن نيل ذلك المراد الكبير الحق والانصاف . . . » الى غير ذلك من الامثال المختلفة والافانين المتباينة مما لا يسع استيعابه وحصره

﴿ الفصل الرابع ﴾

فيما يكتب عن الملوک ومن في معناهم الى ولاة العهد بالخلافة وهو على أسلوبين : ﴿ الاسلوب الاول ﴾ ما كان عليه الامر في الزمن القديم حين كان يكتب الى الخليفة : فلان من فلان . وقد اشار الى ذلك في صناعة الكتاب فقال : ويكون التصدير في المكتبة الى ولي العهد على ما تقدم في المكتبة الى الخلفاء مع تغيير الاسماء . غير أنه جعل الفرق بين الامام وغيره ممن يكتب بالتصدير ان يقال للامام في التصدير مع السلام « وبركاته » في اول الكتاب وآخره وان سوى الامام يحذف « وبركاته » من التصدير ويثبت في آخر الكتاب . وحينئذ فتكون المكتبة الى ولي العهد على ما اشار اليه في صناعة الكتاب : « لعبد الله أبي فلان فلان ولي عهد المسلمين ، سلام على ولي عهد المسلمين فأني أحمد اليه الله الذي لا اله الا هو وأسأله أن يصلي علي محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد أطل الله بقاء ولي العهد - ويختتمه بقوله - : والسلام على ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته » أو نحو ذلك

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ ما عليه المصطلح الآن . وقد ذكر في التعريف ان رسم المكتبة اليه : ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولوى السيدى النبوى الفلانى . . . ثم الدعاء . وأبدل في التثقيف لفظ الجناز بالجانب ، ثم قال : والخطاب له ب « مولانا وسيدنا ولي العهد » ونحو ذلك ، والتعبير عن المكتوب عنه ب « الخادم يقبل العتبات الشريفة ، أو اليد الشريفة » أو نحو ذلك . وذكر في التثقيف أن العلامة له « الخادم » والعنوان الجانب « الشريف » وبقية الألقاب المذكورة الى آخرها . وذكر أن التعبير بالجانب أولى من التعبير بالجناز لعدم اشتراك غيره معه فيه بخلاف الجناز ، ثم قال ، وهذا على عادة من تقدم من الملوک أما في زماننا وقبله بمدة مديدة فلم يتفق وجود ولي عهد بالخلافة . قال وبتقدير وجوده فأذا لم يكن الخليفة يكتب في هذه

الايام فكيف بولى العهد . وقد اورد في التعريف لمكاتبة صدوراً وهذا صدر من ذلك :
 ضاعف الله جلال الجانب الشريف المولوى السيدى النبوى الفلانى وأطلع مع
 وجود الشمس بدره التمام ، واحوج مع زاخر البحر منه الى مدد الغمام ، وقدمه اماما على
 الناس وأطال الله بقاء سيدنا آية الامام ، ولا عدم منه مع نظر والده الشريف جميل
 النظر ، ولا برح صدر دسته العلى اذا غاب وثانيه اذا حضر ، ولا زال الزمان مختالا
 من جود وجودهما بالزهر والثمر . ولا زاد فيض كرم الا وهو من كف آية الكريم فاض او
 من وبه العميم أنهم . الخادم يخدم تلك العتبات الباذخة الشرف ، (الناسخة بما
 وجده من الخير في تقبيها قول من قال : لا خير في السرف) وينهى ولا ما عقد على مثله ضمير ،
 ولا انعقد شبيهه لولى عهد ولا أمير ، واخلاصه في اتناء اشرق منه على الجبين ، واشرف ، فراه
 فرضا عليه فيما نطق به القرآن ورقم في الكتاب المبين

﴿ صدر آخر ﴾ - اعز الله انصار الجانب الشريف ولا حجب منه سر ذلك الجلال ، ولا
 معنى ذلك البدر المشرق منه في صورة الهلال ، ولا فيض ذلك السحاب المشرق منه هذا المورد
 الزلال ، ولا تلك المآثر التي دل عليها منه كرم الخلال ، ولا تلك الشجرة المنقرعة ولا ما امتد منها
 به من الغصن الممتد الظلال ، ولا ذلك الامام الذي هو ولى عهده وهو اعظم من الاستقلال .
 الخادم يقبل تلك اليد موفاها بعهده ، (ومضيفاً منها المورد) ، ومضيفاً منها اجلايب الشرف
 على عطفه ، وحسبه فخار ان يدعى في ذلك المقام بعهده ، ويترامى على تلك الابواب ، ويلثم ذلك
 الثرى ويرجو الثواب

﴿ صدر آخر ﴾ - ولا زالت عهود ولايته منصوصة ، واياته بعموم المصالح مخصوصة ،
 وصفوف جيوشه كالبنيان مرصوصة ، وقوادم أعدائه بالحوالق مقصوصة ، وبدايع انبائه فيما
 حلقت اليه دعوته الشريفة مقصوصة الخادم بمجد بتلك العتبات خدومه ، ويقف في تلك الصفوف
 لا ينقل عن الطاعة قدمه ، ويتمثل بين تلك الوقوف ويتميز عليهم اذا ذكر في السوابق قدمه ،
 ويدلى بحجج سيوفه التي ما أنكرها الديوان العزيم منذ أثبتهم ، ولا حطر ما حبا منذ أنبتهم ، ولا يحا
 سطورها منذ كتبها ، ليغيظ الاعداء ولا يشفي صدورهم منذ كتبها . وينهى كبيت وكيت
 ﴿ صدر آخر ﴾ - ولا زالت مواعيد الظفر له منضوصة ، ورءوس من كفر بطوارقه مرضوضه ،
 وصحائف الايام عما يسر به الزمان فيه منضوصة ، وجفون عداه ولو اتصملت بمقل النجوم

مفضوضة الخادم يخدم ارضه المقدسة بترابي قبله، وتقليب وجهه الى قبله، ويتطوف بذلك الحرم، ويتطول من فواضل ذلك الكرم، ويتطوق بقلائد تلك المنن، وفرائد تلك المواهب التي ان لم تكن له والافمن، فإنه والله يشهد له لا يعتقد بهد ولا سيدنا ومولانا أمير المؤمنين القائم بأمور الدنيا والدين عليه الصلاة والسلام الا ولاها، ولا يؤمل بعد الاكلاء الا آلاها، ولا يرجو من غير هذه الشجرة المباركة لأمله إثمارا، ولا ليلته أثمارا، ولا لأيامه حافظاً، ولا لحلال اقدمه في قدم صدق ولائه لافظاً، قائماً في خدمة هذه الدولة القاهرة بمجد في منافعها، ويدخر شفاعتها العظمى اذا جاءت كل أمة بشافعها وبهني كبيت وكيت قلت: وإنما أوردت هذه الصور وان ترك ما هنا لك وأهمل خوف نسيانه بالترك والاهمال بخلاف ما هو متداول الاستعمال فإنه يكون دائراً على الالسة محفوظاً في الدفاتر

﴿ الفصل الخامس ﴾

في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معناهم في الزمن المتقدم . والمشهور من ذلك ستة أساليب

﴿ الاسلوب الاول ﴾ ان يفتح المكتابة بـ « اما بعد فإن كذا » وعليه كان الحال في الزمن القديم كما كتب الحجاج وهو على العراق الى المهلب بن أبي صفرة وهو على بعض حروبه : « أما بعد فإنك تتراخي عن الحرب حتى تأتيت رسلی وترجع بعذرِكَ وذلك انك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويحجم الناس (ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح) ولو كنت بذلك الجدد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم . ولعمري ما أنت والقوم سواء لأن من ورائك رجالا وامامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالديب ولا الظفر بالتعذير »

﴿ الاسلوب الثاني ﴾ - ان يفتح المكتابة بلفظ « من فلان الى فلان ثم يحمد الله تعالى ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويتخلص بأما بعد » كما كان يكتب عن الخلفاء وكما كتب ابن عبد كان عن احمد بن طولون وهو على الديار المصرية الى ابنه العباس حين عصى عليه بالاسكندرية بالأندار له والتوبيخ على فعله : « من احمد بن طولون مولی امير المؤمنين الى الظالم لنفسه ، العاصي لربه ، الملم بذنبه ، المفسد لكسبه ،

العادي لطوره ، الجاهل لقدره ، الناكص على عقبه ، المركوس في فتنته ، المنحوس من حظ دنياه وآخريته . سلام على كل منيب مستجيب ، تأئب من قريب ، قبل الأخذ باللطم ، وحاول الفوت والندم . وأحمد الله الذي لا إله الا هو حمد معترفه بالبلاء ، الجليل ، والطول الجليل ، وأسأله مسئلة مخلص في رجائه ، مجتهد في دعائه ، ان يصلي على محمد عبده المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المحتبي صلى الله عليه وسلم . اما بعد فأن كذا . . . » وكما كتب ابراهيم بن عبد الله كاتب الاخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية الى أرمانوس ملك الروم : « من محمد بن طغج مولى أمير المؤمنين الى أرمانوس عظيم الروم ومن يليه . سلام بقدر ما أنتم له مستحقون فأننا نحمد الله الذي لا إله الا هو ونسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد فأن كذا »

﴿ الاسلوب الثالث ﴾ ان يفتتح المكاتبة بلفظ « كتابنا » بنون الجمع المقتضية للتعظيم ويذكر ما يناسب الحال ثم يخلص الى المقصد وهو مختص بما إذا كانت رتبة المكتوب اليه منحطة عن رتبة المكتوب عنه كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى بعض أمراء الشام معزيا بالسلطان نور الدين الشهيد صاحب الشام : « كتابنا هذا الى فلان معزيا بالرزء الذي كملت اقسامه وتمت ورمت أحداثه القلوب فأصمت ، وطرقت أحاديثه الامماع فأصمت ، وابي ان تشفى كلومه ، وكاد لاجله الافق تنكسف بدوره وتنكدر نجومه ، وثلم جانب الدين لفقد من لولاه لدرست أعلامه ولم تدرس علومه ، ونجا فاستولى على كل قلب وجبيه وعلى كل خاطر وجومه ، بانتقال المولى نور الدين الى سكنى دار السلام . . . » الى آخر التعزية

﴿ الاسلوب الرابع ﴾ ان يفتتح المكاتبة بلفظ « كتابي » على الافراد . وذلك اذا انحطت رتبة المكتوب عنه عن رتبة المكتوب اليه كما كتب أبو اسحاق الصابي عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه من سوق الاهواز بحضرة أمير المؤمنين الى عضد الدولة في طلب الصلح وقد جرى بينهما خلاف : « كتابي أطلال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة من المعسكر بظاهر الأهواز ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكتابة والتأييد ، مخصوص بالعز والتمكين ، مجرى على فضل ما عود الله خلفاءه في أرضه وامناءه في رعاية خلقه من التكفل لهم بالظهار والادالة وتوايهم بالاغلاء والانافة ،

وأنا مستظل بكنف طاعته ، مستكن في حرم مشايعته ، شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بالآله ، راغب إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور ، وأن يقيني من كل مكروه ويوفقي وإياه لكل مستحب مستحسن ، ويعيدنا من المقام على الفرقة ، والزوال عن سنن الالفة ، وهو المحمود رب العالمين . والامر كيت وكيت »

(الاسلوب الخامس) - ان يفتتح المكاتبة بلفظ « المقام » او « الامارة » او ماشا كل ذلك ويوصف بما يناسب الحال ، ثم يقال « مقام فلان » . ثم يقال « معظم قدره فلان » باسم المكتوب عنه اذا كان المكتوب اليه أعلى رتبة من المكتوب عنه ، ثم يقال « سلام كريم » ويصفه أيضا ، ثم يقال « اما بعد حمد الله » ويذكر ما يطابق الحال ويشير الى الدعاء للمكتوب اليه ، ثم يقال « فأنا كتبناه اليكم » ويوتى على المقصد ، ويختم بالسلام . وعليه جماعة من كتاب الغرب كما كتب ابو عبد الله بن الخطيب صاحب ديوان الانشاء بفرناطة من الاندلس عن سلطانه أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الاحمر الى السلطان أبي غياث (في الصبح : ابى عنان) بن ابى الحسن المريني صاحب الغرب الاقصى عند موت الطاغية ملك قشتالة من الاندلس : « المقام الذي انارت آيات سعده في مسطور الوجود ، وتبارت جياذ مجده في ميدان البأس والجود ، وضمنت آياته لمن بهذه الاقطار الغربية تجديد السعود واعادة العهود ، واختلفت كتائب تأييد الله ونصره لوقته المشهور فيها او يومه المشهود ، مقام محل أحنينا الذي يعظمه ويرفعه ، ويوجب له الحق العلى موضعه ، السلطان أبى غياث ابن السلطان أبى الحسن ابن السلطان ابى سعيد ابن السلطان ابى يوسف بن عبد الحق ابقاه الله بهلل للبشرى جنابه ، ويفتح لوارد الفتح الالهى بابه ، وتعمل في سبيل الله عزائمهم وركابه ، ويقوم بالجهاد فيه مجده وسعده وفخره وثوابه ، معظم قدره الامير عبد الله بن يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . سلام كريم مشفوع بالبشائر والتهانى ، محفوف ببلوغ الامانى ، ورحمة الله وبركاته . أما بعد . . . »

﴿ الاسلوب السادس ﴾ ان يفتتح المكاتبة بالدعاء للمجلس . مثل : أدام الله تعالى أيام المجلس ، أو سلطان المجلس ، أو نعمة المجلس ، أو اقتدار المجلس ، أو مساعدات المجلس ، وما أشبه ذلك . وعلى ذلك كانت الدولة الايوبية كما كتب عن بعض ملوك الايوبية بالنديار

المصرية الى بعض ملوكهم بالبشارة بفتح غزوة واقتلاعها من أيدي الفرنج: «أدام الله سعادات المجلس وأحسن له التدبير، وأصفى عيشه من التكدير، وحقق له وفيه أحسن الرجاء والتقدير، وجعل وجهه من أهلة الاكابر والتكبير؛ وأعاد تأخير أجله من التقديم وتقدم حظه من التأخير. يشعر المجلس بكذا وكذا...»

قلت: وهذه الأساليب هي الاصول المشهورة الدائرة في القديم بين فضلاء الكتاب فيما يكتب عن الملوك في الشرق والغرب والديار المصرية. ووراء ذلك أساليب وتفننات لا يأخذها الحصر. وبكل حال فليس لخواتمها ضابط يوقف عنده. بل تارة يتختم بالسلام وتارة بالحمد وتارة بقوله: «فإن رأى كذا فعل. أو غير ذلك مما يقتضيه الحال واعلم ان ابن شيث ذكر في معالم الكتابة مصطلح الدولة الايوبية على ما كان عليه الحال في أواخرها فقال: ان الناس كانوا لا يكتبون «المجلس» إلا للسلطان خاصة، ويكتبون لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم «الحضرة» ثم افردوا السلطان «بالمقام والمقر» وصاروا يكتبون «المجلس» لمن دونه ولم يسوغوا مكاتبة السلطان بعد بالمجلس ولا بالحضرة؛ قال، ويكتب السلطان الى ولده المستخلف عنه «بالمجلس» دون «المقام». واصطلحوا على الاختصار في نعوت الملوك المكتوب اليهم والدعاء بخلاف من هو تحت أمر السلطان وحوزته فإنه كلما كثرت النعوت والدعاء له في مكاتبة السلطان اليه كان أبلغ، لأن ذلك في معنى التشريف من السلطان. واصطلحوا على انه لا يقال في المقام «السامي» بل «العالي»؛ وأنه يكتب عن السلطان لمن دونه من ذوى الأقدار «بالمجلس السامي» ولا يزداد على ذلك، ثم يفرد عن ياء النسب بعد «السامي» فيقال: الأمير الأجل، من غير ياء النسب؛ وأنه لا يقال «العالي» مكان «السامي» في الكتابة عن السلطان، وقد يجمع بينهما لذوى الأقدار؛ وأنه يضاف في نعت كل أمير: عمدة الملوك والسلاطين، عز الاسلام، أو نصرة الاسلام، أو فارس المسلمين، أو ماشابه ذلك من غير ضبط ولا تخصيص لأحد دون أحد إذا أحرزوا النعت الذي اشتهر به المكتوب؛ وأنه يقال: عمدة الملوك والسلاطين، وذخري الملوك والسلاطين، ودونها: اختيار الملوك؛ وللأقارب: فخر الملوك، وجمال الملوك، وعز الملوك وصديق الملوك؛ وللأمثال: معين الملوك، ونصرة الملوك وما أشبه ذلك. واصطلحوا على أنه

يكتب للأمرء الاعيان : حسام أمير المؤمنين ، وولي أمير المؤمنين ، وصفوة أمير المؤمنين ، وثقة أمير المؤمنين ، وصنيعة أمير المؤمنين على مقدار مراتبهم ؛ وان نعت « الاجل » يذكر بعد « العلو والسمو » بأن يقال : المجلس العالى الأجل أو السامي الأجل ، وربما جاء نعتاً للأمرء والقضاة فيقال : الأمير الاجل والقاضي الأجل ؛ وان السلطان لا يبتدى بالدعاء فى كتبه لأحد الا من مائه فى الملك ، وأن لا يكتب لاحد من هو تحت أمره بـ « الازال ولا برح » فى الدعاء ، وانما يكتب بذلك الى من مائه من الملوك أو الى ولده المستخلف عنه فى الملك ؛ وأن الدعاء للملوك مثل : أدام الله أيامه ، وخلد الله سلطانه ، وثبت الله دولته ، وما أشبه ذلك ؛ وأن التعميد فى أوائل الكتب لا يكون الا فى الكتب الصادرة عن السلطان وأن عظم المكتوب اليه أن تكون الحمدلة ثانية وثالثة فى الكتاب ثم يوتى بالشهادتين ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأنه يكتب فى الكتب السلطانية « صدرت ، وأصدرناها » ولا يكتب « كتبت » ؛ وأن الذى يخاطب به الخليفة عن السلطان « المواقف المقدسة الشريفة ، والعتبات العالية ، ومحل الرحمة ، ومحل الشرف » والذى يخاطب به الملوك « المقام العالى ، والمقر الاشرف » والذى يخاطب به الوزراء : الجناب العالى ، والمجلس السامى ، بالياء . ومن دون ذلك « المجلس السامى » بغير ياء ، ودونه مجلس الحضرة ، ودونه الحضرة ؛ وأنه لا يكتب عن السلطان لمن هو تحت أمره الا بنون الجمع لدلالاتها على العظمة ؛ ولا يكتب « نشعر » الا عن السلطان خاصة بخلاف « نعلم » ؛ وأن الكتب الصادرة عن السلطان تكون طويلة الطرة وتكون بقلم جليل غير دقيق ؛ وأنه يوسع بين السطور حتى يكون بين كل سطرين ثلاث أصابع أو أربع ؛ وأنه لا يخرج عن تحت البسمة فى الكتابة ولا يحتمل ذلك الا فى الحمدلة ؛ وأنه لا يكتر النقط والشكل فى الكتب الصادرة عن السلطان الى من دونه ، ثم استعمل ذلك ؛ وأنه يترك فضلة فى آخر الكتاب بياضا ، ولا يكتب فى حاشيته ؛ وأن الترجمة عن السلطان فى كتبه لمن تحت أمره وأدناهم العلامة ، فان أراد تمييز أحد منهم كتب له شيأ بخطه فى مكان العلامة ؛ وأنه لا حرج على السلطان أن يترجم للقضاة والعلماء والعباد بأخيه ، وولده ؛ وأن عنوانه الكتاب وختمه مختص بصاحب ديوان الانشاء ليدل ذلك على وقوفه على الكتاب ؛ وأنه لا يجوز عنوانه الكتاب قبل ان يكتب عليه السلطان ترجمته أو علامته ؛ وأن

الكتب لا تبقى مفتوحة الا أن تكون باطلاق ؛ وأن يكون ظي الكتاب الصادر عن السلطان عرض ثلاث أصابع . . . قلت : ومن هذا المصطلح استخرج المصطلح المستقر عليه الحال الآن مع اتساع مجال وانفساح مناط وتقريب مأخذ . وأفاضل الكتاب يتصرفون في ذلك بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ومراعاة التحسين والتنضيد بحسب ما تؤدي اليه قرائحهم ونسمح به ينابيع أفكارهم

﴿ الفصل السادس ١ ﴾

(في المكاتب المختصة بالأقليم الثاني وهو البلاد الشامية . وهي مشتملة على خمس نيبات)

﴿ النيباة الاولى - دمشق وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليه بخاضرة دمشق فعلى اربعة اصناف

﴿ الصنف الاول ﴾ وهم ثلاثة نفر : الاول، نائب السلطنة بها - وقد تقدم انه من أكبر الأمراء مسمى الألو ف كان رسم المكاتبه اليه على ما أورده في التعريف : « أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم » . قال في التثقيف : ولم تزل المكاتبه اليه كذلك بعد الدولة الناصرية محمد بن قلاوون الى آخر سنة ٧٧٥ واستقر الامير بيدم الخوارزمي نائب السلطنة بها في ولايته الثالثة في الدولة الاشرفية شعبان بن حسين فاستقر رسم المكاتبه اليه « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » علي ما تقدم في المرتبة الاولى ، والعلامة الشريفة « أخوه » وتعريفه « نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس » او « كافل السلطنة الشامية المحروسة » ولا يقال في تعريفه « كافل السلطنة » . الثاني نائب القلعة بها - كان رسم المكاتبه اليه « صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالي » ، والعلامة : والده ، قال في التثقيف : ثم استقرت المكاتبه اليه « السامي » بالياء لانه طبلخانة ، والعلامة له الاسم ، وتعريفه : نائب القلعة المنصورة بدمشق الثالث ، حاجب الحجاب ، بها ورسم المكاتبه اليه « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي » ، والعلامة : والده ، وتعريفه : أمير حاجب بالشام المحروس

﴿ الصنف الثاني ﴾ أرباب الوظائف الدينية والمكاتب منهم قاضي القضاة بالشام المحروس . وقد ذكر في التعريف ان المكاتبه اليه بـ (المجلس العالي) ولم يذ كر ضرورتها قال في التثقيف : والذي كوتب به الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله وهو قاضي

القضاة بالشام: « أعز الله أحكام المجلس العالى القاضى الكبيرى العالمى العاملى الافضى الاكلى الأوحى المبنى الفريدى المقيدى النجيدى القدوى الحجى المحقى الأمامى الاصيلى العريقى الحاكى التلاتى جمال الاسلام والمسلمين شرف الامراء العالمين أو حد الفضلاء المنيدى قدوة البلغاء حجة الامة عمدة المحدثين نخر المدرسين مفتى المسلمين جلال الاحكام حكم الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين . . . ثم الدعاء » ثم « صدرت هذه المكتبة والعلامة أخوه » وتعريفه : قاضى القضاة بالشام المحروس . ثم ذكر فيما بعد أنه كان يكتب فى نعوته : صدر الشام معز السنة مؤيد الملة شمس الشريعة رئيس الاصحاب لسان المتكلمين

﴿ الصنف الثالث ﴾ أر باب الوظائف الديوانية - والمكتاب منهم الوزير أو من يقوم مقامه كناظر النظار . فأما من كان وزيراً فقد ذكر فى التعريف أنه كتب للصاحب عز الدين حمزة بن القلاقسى « الجناب » لجلالة قدره وسابقة خدمه وعناية من كتب اليه بذلك ، وأن الذى استقر عليه الحال ان يكتب للوزير بالشام « المجلس العالى » بالدعاء كما كتب للصاحب امين الدين امين الملك قال فى التثقيف : وكانت مكاتبته فى وزارته فى الأيام الناصرية بمحمد بن قلاون : ضاعف الله تعالى نعمة المجلس العالى الصاحبى الوزيرى الأصيلى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى الاوحى القوامى النظامى المدبرى الماجدى الاثيرى المشيرى الفلانى جلال الاسلام والمسلمين سيد الوزراء فى العالمين رئيس الكبراء كبير الرؤساء بقية الاصحاب ملاذ الكتاب عماد الملة خالصة الدولة مشير الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين . . . والدعاء » ثم صدرت . والعلامة « أخوه » ، وتعريفه : مدبر الممالك الشريفة بالشام المحروس قال : ولم يكتب لاحد بذلك قبله ولا بعده ، ثم قال ، واستقر فى الدولة الناصرية حسن الصاحب فخر الدين بن قرويلة وزيراً بالشام أيضاً على قاعدة جده لأمه امين الدين المذكور وذكراً أنه لم يعلم ما كوتب به : هل كما كتب لجده المذكور أو دونه ، وان لم يكن وزيراً بأن لم يصرح له بالوزارة بل جعل ناظر النظار فقد ذكر فى التعريف ان المكتبة اليه : حرس الله تعالى مجد المجلس العالى القضائى الكبيرى العالمى الفاضلى الاوحى الرئيسى الاثيرى القوامى النظامى المنفذى المتصرفى الفلانى مجد الاسلام والمسلمين سيد الرؤساء فى العالمين أو حد الفضلاء جلال الكبراء حجة الكتاب صفوة الملوك والسلاطين خالصة امير المؤمنين . . . والدعاء » ثم « صدرت » والعلامة : الاسم ، وتعريفه : ناظر النظار بالشام المحروس . قال فى التثقيف : وهذا هو الذى استقر عليه الحال الى آخر وقت

وأما من يكتب اليه ممن بأعمال دمشق فثلاثة أصناف

﴿الصف الأول﴾ النواب ومن في معناهم وهم خمسة نفر: الأول نائب القدس، وقد تقدم أنه من استحدثت نيابته في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين سنة ٧٧٧ ووربما أضيف اليه نظر الحرمين: حرم القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام. ورسم المكاتبه اليه «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالى»، والعلامة: والده، وتعريفه: النائب بالقدس الشريف «الثاني نائب حمص، قال في التثقيف، وكان يكتب اليه نظير نائب الكرك يعنى «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى». والعلامة «والده» لما كان من مقدمي الالوف بالشام ثم استقر من أمراء الطبلخاناه؛ قال، واستقرت مكاتبته «صدرت هذه المكاتبه» فيأظن. أما نائب قلعة حمص فإنه من المماليك السلطانية؛ قال في التثقيف: ولم تجر له عادة بمكاتبه «الثالث نائب بعلبك. قال في التثقيف: ان كان من أمراء الطبلخاناه فكاتبته «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس السامى» والعلامة الاسم، وتعريفه «النائب بمحمص المحروسة» الرابع نائب مصياف - ورسم المكاتبه اليه «هذه المكاتبه الى المجلس السامى» والعلامة: الاسم، وتعريفه: النائب بمصياف المحروسة. قال في التثقيف: ومن كتب له بمصياف وليس بنائب ولا وال يوسف شاه الأتابك بمصياف في سنة ٧٧٤ على يد نافع بن بدران وكتب له «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى» وكتب في ألقابه: الأتابكى، وكتب في تعريفه: يوسف شاه الأتابك، قال، والظاهر أن العلامة «والده» «الخامس نائب الرحبة» ورسم المكاتبه اليه «صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالى». والعلامة: والده، وتعريفه: النائب بالرحبة. قال في التثقيف، وكان قد استقر بأماكن من البلاد الشاميه نواب واستقر مكاتبه كل منهم ان كان مقدما: «صدرت» والعالى؛ والعلامة: والده. وان كان طبلخاناه فالسامى، والعلامة: الاسم. وتلك الاماكن هي تدمر، والسخنة، والقريتان، وسلمية. ثم بطل ذلك. قال، ومن النواب بالقلاع الشاميه جماعة ممن تصدر ولايتهم عن نائب الشام لم تجر لهم عادة بمكاتبه وهم نائب عجلون، ونائب صرخند، ونائب الصيبية فكلمهم داخلون في المكاتبات العامة المتقدمة المذكور

﴿الصف الثاني﴾ ممن يكتب لهم بأعمال دمشق الكشاف. والذي يكتب اليه من الابواب السلطانية من كشاف الشام كاشف واحد، وهو كاشف الرملة. وقد تقدم أنه استحدثت ولايته في الدولة الظاهرية بقوق. ورسم المكاتبه اليه: صدرت هذه المكاتبه إلى

المجلس السامي: والعلامة الاسم، وتعرفه: الكاشف بالرملة

﴿الصف الثالث﴾ ممن يكتب لهم بأعمال دمشق العربان. وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة أن بالشام عدة أمراء عربان تكتب عن الابواب السلطانية لكل قبيلة أمير، ولبعض أمراءهم أتباع وأقارب يكتبون أيضا: أحدهم أمير آل فضل من آل ربيعة من طي. وقد تقدم أن منازلهم مشاريق دمشق بجوار الفرات قال في التعريف، ورسم المكتابة الى الامير منهم «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي، بالقاب جليلة مفخمة معظمة. وقد أوضح ذلك في التثقيف فقال ان رسم المكتابة اليه «أدام الله تعالى نعمة المجلس العالي الاميري الكبيرى العالمى المجاهدي الفريدي الاوحدى النصيري العونى الهمامى المقدمى الظهيري الاصيلى الفلانى عز الاسلام والمسلمين شرف أسراء العربان فى العالمين نصره الغزاة والمجاهدين مقدم العساكر كهف الملة ذخر الدولة عماد العرب ظهير الملوك والسلطين حسام أمير المؤمنين...» ثم الدعاء، وصدرت هذه المكتابة. والعلامة: أخوه، وتعرفه: فلان بن فلان، باسمه واسم أبيه. قال في التعريف: أما من هو نظيره ومدانيه وعدته الامرة فرسم المكتابة اليه «صدرت هذه المكتابة الى المجلس العالي» ومن دونه «السامى» بالياء، قال، ولكل هؤلاء العلامة «أخوه»: ولمن دون هؤلاء «السامى» بغير ياء، والعلامة الاسم.

واعلم أنه قد ذكر في التثقيف جماعة من أكابر بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى وذكر لكل واحد منهم رسم مكتابة ونحن نورد هنا لينسج على منوالها. فمن بيت مهنا بن عيسى عساف بن مهنا وأخوه عنقا بن مهنا وذكر أن رسم الكتابة الى كل منها «هذه المكتابة الى المجلس العالي الامير الاجل الكبير المغازي الجهاد المؤيد الاوحد الاصيل فلان الدين محمد الاسلام بهاء الانام نحر القبائل زين العشاير عماد الملوك والسلطين...» ثم الدعاء، وصدرت هذه المكتابة: والعلامة الى كل منهما الاسم، وتعرفه اسمه * ومنهم زامل بن موسى بن مهنا ونعيم بن جبار قبل استقراره فى الامرة. ورسم المكتابة الى كل منهما: صدرت، والسامى؛ والعلامة والده، والتعريف اسمه * ومنهم على بن سليمان بن مهنا، ورسم المكتابة اليه: السامى بالياء، والعلامة الاسم * ومن بيت فضل بن عيسى معيقل بن فضل وقد ذكر في التثقيف ان رسم المكتابة اليه السامى بالياء، والعلامة والده؛ قال، ولم يكتب أحد من آل فضل الآن سواه؛ ثم قال، فان اتفق ان يكتب أحد من أولاد أخيه

المذكور أو من أولادهم فأعلاهم الاسم ، والسامى بغير ياء ، وأدناهم الاسم ، ومجلس الامير ه اثنى أمير آل مرا من آل ربيعة أيضاً وقد تقدم أن منازلهم بلاد حوران وذ كرفى الثقيف أن الامرة في زمانه كانت مقسومة نصفين بين عنق بن شطى بين عمرو وعمه فضل بن عمر قال ، ومكاتبه كل منهما صدرت ، والسامى ؛ والعلامة والده ، وتعرفه : فلان بن فلان . وقد ذ كرفى التعريف ان لأعيانهم السامى بغير ياء ، ولبن دونهم من الصغار مجلس الامير ه الثالث أمير آل علي من ربيعة أيضاً وقد تقدم أن منازلهم غوطة دمشق . قال فى التعريف : ورسم المكاتبه اليه صدرت ، والسامى ، والعلامة أخوه . وقد ذ كرفى الثقيف أن الامارة فى زمانه كانت بيد عيسى بن رملة بن جمار وقال ان رسم المكاتبه اليه كما قال فى التعريف : صدرت ، والسامى الا أنه قال : والعلامة والده ، وتعرفه فلان بن فلان ه الرابع أمير بنى مهدي . وتقدم أن منازلهم البلقاء من بلاد دمشق ؛ وذ كرفى التعريف ان الامرة فى أربعة منهم . ورسم المكاتبه الى كل منهم مجلس الامير ؛ وذ كرفى الثقيف مثله ثم قال : ومن كان معه نصف الامرة منهم كانت مكاتبته الاسم ، والسامى بغير ياء ، وتعرف كل منهم فلان بن فلان ه الخامس أمير جرم وتقدم أن منازلهم بلاد غزة ، وذ كرفى التعريف أن امرتهم فى زمانه كانت باسم فضل بن حجي وأن المكاتبه اليه مجلس الامير . والذي ذ كره فى الثقيف أن لهم مقدما لا أميراً وأنه كان فى زمانه على بن فضل وذ كرفى أن رسم المكاتبه اليه الاسم ، والسامى بغير ياء

﴿ تنبيه ﴾ قال فى التعريف : وأما بقية عرب الشام نحوز بيد المرج وزيد حوران وخالد حمص والمشاركة وغزوة اذا أطاعوا وزيد . د الاحلاف فأجل كبارهم وأشياخهم من يكتب له مجلس الامير ؛ وذ كرفى الثقيف نحوه ثم قال : هذا اذا انفرد أحد منهم بالمكاتبه والا فالعادة ان يكتب لكل طائفة من هؤلاء القبائل لا على الانفراد ولا على الاجتماع . قلت : وهذا تناقض فى الكلام حيث ذ كرفى ان العادة أن يكتب لكل طائفة منهم مطلقاً ، ثم قال : أن العادة لم تجر بمكاتبه أحد منهم لا على الانفراد ولا على الاجتماع

﴿ النيابة الثانية - نيابة حلب وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليه من محلب فتلاثة نفر : الاول نائب السلطنة بها . وقد تقدم أنه من أكبر الأمراء المقدمين . فرسم المكاتبه اليه « أعز الله تعالى نصرته الجناب الكريم » على ما تقدم فى المرتبة الثانية ، والعلامة أخوه ، وتعرفه نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ه الثانى نائب

القاعة بها - ورسم المكاتبية اليه « صدرت هذه المكاتبية الى المجلس السامي » والعلامة الاسم ،
وتعريفه نائب القلعة المنصورة بحلب المحروسة ، الثالث حاجب الحجاب بها - ورسم المكاتبية
اليه « صدرت هذه المكاتبية الى المجلس العالى » والعلامة والده ، وتعريفه أمير حاجب بحلب
المحروسة . قلت : وليس بهامن يكاتب من أرباب الوظائف الدينية والوظائف الدبلوماسية
وأما من يكتب اليه ممن بأعمال حلب فعلى ثلاثة أصناف

﴿ الصنف الاول النواب ﴾ وهم اثنان وعشرون نائباً : الاول نائب البيرة . ورسم المكاتبية اليه
« صدرت » و « العالى » ، والعلامة والده ، وتعريفه النائب بالبيرة المحروسة ، الثانى نائب قلعة
الروم وهى قلعة المسلمين ، ورسم المكاتبية اليه والعلامة كذلك ، وتعريفه النائب بقلعة المسلمين
المحروسة ، الثالث (نائب ملطية) ، ورسم المكاتبية اليه والعلامة كذلك (وتعريفه النائب بملطية
المحروسة ، الرابع نائب طرسوس ورسم المكاتبية اليه . والعلامة كذلك ، وتعريفه النائب
بطرسوس المحروسة ، الخامس نائب ادنه . ورسم المكاتبية اليه والعلامة كذلك ، وتعريفه النائب
بأدنه المحروسة ، السادس نائب الابلستين ورسم المكاتبية اليه والعلامة كذلك ، وتعريفه
النائب بالابلستين المحروسة ، السابع نائب بهسنى . ورسم المكاتبية اليه « صدرت » و « السامي »
والعلامة والده ، وتعريفه النائب بهسنى المحروسة . قال فى التثقيف : ولم يعلم لاحد من
النواب « والده » مع « السامي » بالياء غيره ، الثامن نائب أياص ، وهو المعبر عنه بنائب
الفتوحات الجاهانية . قال فى التثقيف : ان كان مقدماً فالمكاتبية اليه بنسبة مكاتبية نائب البيرة ،
فيكون رسم المكاتبية اليه « صدرت هذه المكاتبية الى المجلس العالى » ، والعلامة والده . وان
كان طليخاناه فالمكاتبية اليه « صدرت » و « السامي » ، والعلامة الاسم وتعريفه بكل حال
النائب بأياص المحروسة ، التاسع نائب جعبر . ورسم المكاتبية اليه « هذه المكاتبية الى المجلس
السامي » ، والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بقلعة جعبر المحروسة ، العاشر نائب عينتاب ورسم
المكاتبية اليه على ما فى التثقيف « يُعلم مجلس الامير » والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بعينتاب
قال فى التثقيف : ورأيت بخط القاضي ناصر الدين بن النشأى ان مكاتبته « الاسم »
و « السامي » بغير ياء ، ثم قال وما تقدم هو ما استقر عليه الحال آخر ا قال ، وقد يكون ذلك لانه كان
بها امير طليخاناه ، الحادى عشر نائب درنده . قال فى التثقيف ان كان طليخاناه فالسامي
بغير ياء ، وان كان عشرة فمجلس الامير ، والعلامة الاسم بكل حال ، وتعريفه النائب

بدرنده «الثاني عشر نائب القصير، ورسم المكاتبه اليه» يعلم مجلس الامير» على ما في التثقيف والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بالقصير «الثالث عشر نائب الراوندان . ورسم المكاتبه اليه كمثل نائب القصير، وتعريفه النائب بالراوندان «الرابع عشر نائب الرها. قال في التثقيف جرت العادة ان يكون نائبها طبلخاناه فتكون مكاتبته «السامي» بغير ياء، والعلامة الاسم؛ ثم قال: وقد استقر في الايام المنصورية في سنة ٧٧٨م قدم الف، فقد يكتب له نظير نائب البيرة وقلعة المسلمين يعني «صدرت» و«العالى»، والعلامة والده، وتعريفه بكل حال النائب بالرها «الخامس عشر نائب شيزر وقد ذكر في التثقيف أن مكاتبته «هذه المكاتبه الى المجلس السامي» فتكون العلامة الاسم وتعريفه النائب يشيزر * السادس عشر نائب كر كر . ورسم المكاتبه اليه «يعلم مجلس الامير» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بكر كر * السابع عشر نائب الكختا . ورسم المكاتبه اليه كذلك، وتعريفه النائب بالكختا * الثامن عشر نائب بغراض . ورسم المكاتبه اليه كذلك، وتعريفه النائب ببغراض * التاسع عشر نائب الشعرو بكاش . ورسم المكاتبه اليه كذلك، وتعريفه النائب بالشعرو بكاش * العشرون نائب الدر بساك . ورسم المكاتبه اليه كذلك، وتعريفه النائب بالدر بساك * الحادى والعشرون نائب اسفند كار . ذكر في التثقيف أن المكاتبه اليه كذلك ثم قال : لكنى رأيت بخط القاضى ناصر الدين بن النشاي أن مكاتبته الاسم ، والسامي بغير ياء ، قال ، وما يبعد أنه كان اذ ذاك طبلخاناه والمستقر عليه الحال ما تقدم * الثاني والعشرون تقدمه العسكر بسيس . وقد تقدم أنه استجد فتحها في الدولة الاشر فيه شعبان بن حسين واستقرت نيابة ثم استقرت تقدمه عسكر كغزة مع دمشق : وقد ذكر في التثقيف أن رسم مكاتبته كانت «ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى» ؛ ثم قال ، وقد صح أنه استقرت مكاتبته نظير غزة وهي «أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى» ، والعلامة والده ، وتعريفه مقدم العسكر المنصور بغزة المحروسة . قال : ولم أطلع على مكاتبه الحاجب بها ، ثم قال ، وما يبعد أن يكون «مجلس الامير» لانه امير عشرة . قال : ولم يكن بها نائب قلعة ذكره في الكلام على نواب القلاع

﴿الصف الثاني﴾ ممن يكتب بأعمال حلب التركمان . وقد تقدم أنهم طوائف كثيرة وجماعة كبيرة ، قال في التثقيف ، وغالبهم لا يكتب اليه الا اذا ضمهم «مطلق شريف» ثم قال : فان كتب الى أحد من أعيانهم كتب له الاسم ، والسامي بغير ياء ان كان طبلخاناه . فان

كان عشرة أو عشرين كتب له الاسم، ومجلس الأمير لاغير. ثم ذكر في الكلام على تركان البلاد الشرقية عدة طوائف منهم الاوسرية وقال هم تركان حلب، والورسوق وقال هم تركان طرسوس

﴿ الصنف الثالث ﴾ الاكراد. وقد تقدم أن بهذه المملكة منهم طوائف كثيرة، قال في التثقيف، وغالبهم لا يكتب اليه الا اذا ضمهم «مطلق شريف». ثم قال وان كتب لاحد من أعيانهم كتب له الاسم، والسامى بغير ياء ان كان طبلخاناه. وان كان أمير عشرة أو عشرين كتب له الاسم ومجلس الأمير كما تقدم في التركان

﴿ النيابة الثالثة - نيابة حماه ﴾

فأما من كتب اليه بحضورها فنفران: الاول نائب السلطنة بها. وقد تقدم انه كان بها ملك من بقايا الملوك الايوبية الى ان كان بها الافضل محمد بن المؤيد اسماعيل الى ان استحدثت بها النيابة بعد الايام الصالحة اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون فكانت المكاتبه اليه حينئذ في قطع العادة « أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطاني الملكي الغلاني - بقلبه في السلطنة - الغلاني - بقلبه السلطان المكتوب اليه ثم الدعاء، وبعده « أصدرنا هالي المقام الشريف »، والعلامة أخوه، وتعريفه صاحب حماه. ثم لما استقرت نيابة صار رسم المكاتبه الى نائبها « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » على ما تقدم في المرتبة الثالثة من مراتب المكاتبات السلطانية، والعلامة أخوه، وتعريفه نائب السلطنة الشريفه بحماه المحروسة ه الثانى الحاجب بها. ورسم المكاتبه اليه « صدرت » والسامى والعلامة الاسم، وتعريفه الحاجب بحماه المحروسة. قال في التثقيف: ولم يكن بها قلعة فيكتب لائبها. قلت: وليس بأعمالها نواب ولا عربان ونحوهم فيكتب اليهم

﴿ النيابة الرابعة - نيابة طرابلس وأعمالها ﴾

فأما من يكتب اليهم بحضورها فنفران: الاول نائب السلطنة بها. ورسم المكاتبه اليه « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفه بطرابلس المحروسة ه الثانى الحاجب بها. ورسم المكاتبه اليه « صدرت » و « العالى » والعلامة والده، وتعريفه أمير حاجب بطرابلس المحروسة

وأما من يكسب اليهم بأعمالها فالنواب وهم اثني عشر نائبا: لاول نائب اللاذقية ورسم
 المكاتبته اليه السامى بغير ياء، والعلامة الاسم، وتعريفه النائب باللاذقية * الثانى نائب صهيون
 ورسم المكاتبته اليه «يعلم مجلس الامير» والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بصهيون *
 الثالث نائب حصن الاكراد، ورسم المكاتبته اليه كذلك: وتعريفه النائب بحصن
 الاكراد * الرابع نائب بلاطس. ورسم المكاتبته اليه كذلك، وتعريفه النائب ببلاطس
 * الخامس نائب المرقب. ورسم المكاتبته اليه كذلك وتعريفه نائب المرقب * السابع
 نائب الكهف، ورسم المكاتبته اليه كذلك، وتعريفه النائب بالكهف * الثامن نائب
 المنيقة. ورسم المكاتبته اليه كذلك، وتعريفه النائب بالمنيقة * التاسع نائب العليقة،
 ورسم المكاتبته اليه كذلك، وتعريفه النائب بالعليقة * العاشر نائب القدموس، ورسم
 المكاتبته اليه كذلك. وتعريفه النائب بالقدموس * الحادى عشر نائب الخوابى،
 ورسم المكاتبته اليه كذلك، وتعريفه النائب بالخوابى * الثانى عشر نائب الرصافة
 ورسم المكاتبته اليه كذلك، وتعريفه النائب بالرصافة

﴿النيابة الخامسة نيابة صغد﴾

والمكاتبون بحاضرتها ثلاثة نفر: الاول نائب السلطنة بها. ورسم المكاتبته اليه
 «ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بصغد
 المحروسة * الثانى الحاجب بها. ورسم المكاتبته اليه صدرت، والسامى، والعلامة الاسم،
 وتعريفه الحاجب بصغد المحروسة * الثالث نائب القلعة بها. ورسم المكاتبته اليه السامى
 بغير ياء، والعلامة الاسم، وتعريفه النائب بالقلعة المنصورة بصغد المحروسة. قلت:
 وليس بأعمالها نواب فتكاتب وانما بها ولالة (يكاتبون عن نائبيها)

﴿النيابة السادسة — نيابة غزة﴾

اذا أفردت عن دمشق واستقرت نيابة بمفردها. والمكاتبون بها اثنان: الاول
 نائب السلطنة بها، أو مقدم العسكر. ورسم المكاتبته اليه بكل حال «أدام الله تعالى
 نعمة الجنب العالى» والعلامة والده، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة بغزة المحروسة
 ان كانت نيابة مستقلة، أو مقدم العسكر المنصور ان كانت مضافة الى دمشق *

الثاني الحاجب بها . ورسم المكاتبه اليه « مجلس الامير » والعلامة الاسم ، وتعريفه
الحاجب بغزة المحروسة

﴿ النيابة السابعة - نيابه الكرك ﴾

والمكاتبون بحاضرتها اثنان : الاول نائب السلطنة بها . ورسم المكاتبه اليه
« ادام الله تعالى نعمة المجلس العالى » والعلامة والده ، وتعريفه نائب السلطنة الشريفة
بالكرك المحروس * الثانى والى القلعة بها . ورسم المكاتبه اليه « هذه المكاتبه الى
المجلس السامى » ، والعلامة الاسم ، وتعريفه والى القلعة المنصورة بالكرك المحروس
والمكاتبون بأعمالها عربها وهم بنو عقبه . قال فى التعريف : ورسم المكاتبه الى
أميرهم مثل أمير آل مرا ؛ ورسم المكاتبه الى أقاربه كرسوم المكاتبه الى أقارب أمير آل
مرا أيضا . فتكون مكاتبه أميرهم « صدرت » و« السامى » ومكاتبه أقاربه « السامى »
بغير ياء (للاعيان) ولمن دونهم « مجلس الامير » والعلامة الى الجميع الاسم ، وتعريف
كل منهم فلان بن فلان

﴿ الاقليم الثالث - البلاد الحجازية ﴾

من أقاليم هذه المملكة البلاد الحجازية . وقد تقدم أنها تشمل على ثلاث قواعد
﴿ الاولى مكة المشرفة ﴾ - والمكاتبون بها عن الابواب السلطانية اثنان : الاول
أميرها القائم بأمرها . وقد عبروا عنه بالامارة ترفعا عن النيابة لشرفها . وقد تقدم أن
امرتها الآن فى نبي عجلان من الاشراف نبي حسن ، وهى الآن فى حسن بن عجلان
ورسم المكاتبه الى أميرها على ما ذكره فى التعريف : ادام الله تعالى نعمة المجلس العالى
الاميرى الكبيرى العالى العادلى المؤيدى العضدى النصيرى الذخرى العوفى المقدمى الاوحدى
الظهيرى الزعيمى الكافى الشريفى الحسينى النسبى الاصيلى القلانى عز الاسلام والمسلمين سيد
الامراء فى العالمين جلال العترة الطاهرة كوكب الاسرة الزاهرة فرع الشجرة الزكية طراز
العصابة العلوية ظهير الملوك والسلطين نسيب أمير المؤمنين - ثم يدعى له ، ويصدر
بمثل - لازل حرمه أمينا ، ومكانه مكينا ، وشرفه يبيض له بمجاورة الحجر الاسود
عند الله وجها ويضى جبيننا . صدرت هذه المكاتبه الى المجلس العالى محمد اليه سلاما
تميل به الركائب ، وثناء تشى على مسكه الحقايب . وشوتا اوسق قلبه فى نسكه مع الحبايب

وتوضح لعلمه الشريف كيت وكيت « ورسم المكاتبة اليه على ما ذكر في التثقيف » آدم
الله تعالى نعمة المجلس العالي الاميرى الكبيرى الشريفى الحسينى النسبى العالمى المجاهدى
المقدمى الاوحدى النصيرى العوفى الهمامى الظهيرى الاصيلى العريقى الفلانى عز الاسلام
والمسلمين شرف الامراء الاشراف فى العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين كهف الملة عون
الامة نجر السلالة الزاهرة زين العترة الطاهرة بهاء العصابة العلوية ظهير الملوك والسلاطين
نسيب أمير المؤمنين . . . ثم الدعاء ، وصدرت . والعلامة : أخوه ، وتعريفه : فلان بن فلان
أمير مكة المشرفة

﴿ صدر آخر من التعريف ﴾ : ومتعه بجوار بيته الكريم ، وزاد بحمائل مساعيه شرف
نسبه الصميم ، وأمنه بقرب الحجر والحجر والركن والحطيم ، صدرت هذه المكاتبة الى المجلس
العالي تهدي سلاماً ، وثناء يطيب به الصبا قبل ان يحجل شيخاً وخزماً وتوضح لعلمه الكريم
﴿ صدر آخر منه ﴾ وأراه مناسبه ، وأنس بالتقوى مسالكه ، وأشهد على عمله
الصالح بطحاه وما تنزله الملائكة . صدرت هذه المكاتبة بتحياتها المباركة ، وأثنياتها
التي لا تزال اليه بها أفئدة من الناس سالكة ، وتوضح لعلمه الكريم
الثانى ، من يكاتب بمكة المشرفة قاضيها ورسم المكاتبة اليه على ما ذكره فى التثقيف (١)
﴿ القاعدة الثالثة المدينة المنورة (٢) ﴾ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .
والمكاتبة الى اميرها كأمر مكة على الاختلاف السابق فى روايتي التعريف والتثقيف
﴿ القاعدة الثالثة الينبع ﴾ ورسم المكاتبة الى نائبها « هذه المكاتبة الى المجلس
السامى الأمير « والعلامة الاسم ، وتعريفه النائب بالينبع
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) لم يورد صورة هذه المكاتبة ولا اهتدينا اليها فى الصبح (٢) انتهت النسخة
الموجودة من هذا الكتاب الجليل بنهاية الكلام على مكة وإنما أوردنا ما أوردناه فى
القاعدتين الأخيرين : المدينة والينبع ، اخذاً من الصبح تيمناً لهذا الباب

﴿ تنبيه ﴾

كنا اردنا ان ننبه القراء الى كل ما نقف عليه اِبان الطبع من مسخ النسخ نحو التحريف والتصحييف والتبديل والتغيير والزيادة والنقص وعملنا بهذه الارادة في أول الكتاب ثم رأينا ان ذلك يطول على غير طائل فأعرضنا عنه واكتفينا برد الحرف والمصحف والمبديل الى أصله دون اشارة اليه . اما ما ترك على بياض في نسخة « الضوء » فأخذناه من « الصبح » ووضعناه بين قوسين كهذين () . واما ما اختلف فيه « الصبح » و« الضوء » فأشرنا اليه في موضعه من سياق عبارته بقولنا بعد الكلمة المختلف فيها : (وفي الصبح : كذا)



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0061920665

893.7K125
W33

ON FILM : PRINCETON
NJRC 94-B26586

~~482566~~
5458069

NOV 29 1966

